الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الرابع والعشرون

[سورة طه، الآية: ٦٧]- [سورة الحج، الآية: ٥٧]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم
الرقم الدولى(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن
{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧)} [طه : ٦٧]

التفسير:

فشعر موسى في نفسه بالخوف.

قال الفراء:" أحسّ ووجد"[١].

قال أبو عبيدة:" أي: أضمر وأحسّ منهم خوفا"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي أضمر خوفا"[٣].

قال الطبري:" فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده"[٤].

قال الواحدي:" أي: أحس ووجد خوفا، لأن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا، فخاف أن يلتبس الناس على أمره ولا يؤمنوا به"[٥].

قال الرازي:" «الإيجاس»: استشعار الخوف، أي: وجد في نفسه خوفا"[٦].

قال الزجاج:" أصلها خوفة، ولكن الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها"[٧].

واختلفوا في هذا «الخوف»، على قولين[٨]:

أحدهما: أنه خوف البشرية، إذ أخذ سحرهم بصره كما أخذ أعين الناس.

قال الباقلاني:" تلك الخيفة طباعية بشرية"[٩].

قال القرطبي:معناه" أضمر. وقيل: وجد. وقيل: أحس. أي: من الحيات، وذلك على ما يعرض من طباع البشر على ما تقدم"[١٠].

قال البيضاوي:أي:" أضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية"[١١].

قال الراغب:" الخيفة: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف"[١٢].

الثاني: أنه خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر، فلا يؤمنوا، ويقال: خاف على قومه أن يشكوا، فيرجعوا عن الإيمان.

قال القرطبي:" قيل: خاف أن يفتتن الناس قبل أن يلقي عصاه، وقيل: خاف حين أبطأ عليه الوحي بإلقاء العصا أن يفترق الناس قبل ذلك فيفتتنوا"[١٣].

قال النحاس:" يقال: إنه خاف أن يفتن الناس لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وكانوا بالبعد من الناس في ناحية، وفرعون وجنوده في ناحية، وموسى وهارون صلى الله عليهما في ناحية. فخاف موسى ﷺ أن يشبه على الناس إذ كانوا يتخيلون أن الحبال والعصي تسعى، وأنها حيات فيتوهمون أنهم قد ساووا موسى ﷺ فيما جاء به، إن موسى ﷺ إنما خاف لأنه أبطأ عليه

---

(١) معاني القرآن:١٨٦/٢.
(٢) مجاز القرآن:٢٣/٢.
(٣) غريب القرآن:٢٨٠.
(٤) تفسير الطبري:٣٣٧/١٨.
(٥) التفسير الوسيط:٢١٤/٣.
(٦) مفاتيح الغيب:٧٣/٢٢.
(٧) معاني القرآن:٣٦٧/٣.
(٨) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٢٨/٤، وتفسير السمعاني:٣٤١/٣.
(٩) الإنتصار للقرآن:٦٢٣/٢.
(١٠) تفسير القرطبي:٢٢٢/١١.
(١١) تفسير البيضاوي:٣٢/٤.
(١٢) المفردات في غريب القرآن:٣٠٣.
(١٣) تفسيرالقرطبي:٢٢٢/١١.

الأمر بإلقاء العصا فأوحى الله جل وعز إليه لا تخف إنك أنت الأعلى أي لا تخف الشبه فإنا سنبين أمرك حتى تعلو عليهم بالبرهان"[١].

القرآن
{قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨)} [طه : ٦٨]
التفسير:
قال الله لموسى حينئذ: لا تَخَفْ من شيء، فإنك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنوده، وستغلبهم.

قال الطبري:أي:" على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم"[٢].

قال البيضاوي:أي:" {لا تخف} ما توهمت، {إنك أنت الأعلى} تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف، وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ «العلو» الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل"[٣].

قال مقاتل:"{الْأَعْلَى}، يعنى: الغالب، نظيرها:{وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْن}[٤]، الغالبون، هذا قول جبريل لموسى- عليه السلام- عن أمر ربه- عز وجل- وهو على يمينه تلك الساعة"[٥].

قال وهب:" لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصيّ وخيل إليه أنها تسعى، وقال: والله إن كانت لعصيا في أيديهم، ولقد عادت حيات، وما تعدو عصاي هذه، أو كما حدّث نفسه"[٦].

القرآن:
{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩)} [طه : ٦٩]
التفسير:
وألق عصاك التي في يمينك تبتلع حبالهم وعصيهم، فما عملوه أمامك ما هو إلا مكر ساحرٍ وتخييل سِحْرٍ، ولا يظفر الساحر بسحره أين كان.

قوله تعالى:{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا} [طه : ٦٩]، أي:" وألق عصاك التي في يمينك تبتلع حبالهم وعصيهم"[٧].

قال الطبري:" يقول: وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى"[٨].

قال البيضاوي: {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ}،" أبهمه ولم يقل: «عصاك»، تحقيرا لها، أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التي في يدك، أو تعظيما لها، أي: لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثرا فألقه. تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى"[٩].

عن الحسن: {تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا}، قال:" تلقفه بفيها"[١٠].

قال قتادة:" فألقى موسى عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله"[١١].

---

(١) إعراب القرآن:٣٤/٣.
(٢) تفسير الطبري:٣٣٧/١٨.
(٣) تفسير البيضاوي:٣٢/٤.
(٤)[آل عمران : ١٣٩/محمد: ٣٥].
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣.
(٦) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨-٣٣٩.
(٧) التفسير الميسر:٣١٦.
(٨) تفسير الطبري:٣٣٧/١٨.
(٩) تفسير البيضاوي:٣٢/٤.
(١٠) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٦/١.
(١١) أخرجه الطبري(١٤٩٤٢):ص٢٩/١٣.

قال ابن عباس:"فجعلت العصا بدعوة موسى تلتبس بالحبال، فصارت جرزا إلى الثعبان حتى تدخل فيه حتى ما بقيت عصا ولا حبل إلا ابتلعته"[١].

قال السدي:" أوحى الله إلى موسى: لا تخف، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون. فألقى عصاه، فأكلت كل حية لهم. فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون"[٢].

قال وهب:" فأوحى الله إليه أن: {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}، وفرح موسى فألقى عصاه من يده، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت"[٣].

قال ابن إسحاق:" أوحى الله إليه: أن ألق ما في يمينك! فألقى عصاه من يده، فاستعرضَت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها، حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى، فإذا هى عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدًا قالوا: "آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. لو كان هذا سحرا ما غلبنا"!"[٤].

قال ابن عباس:" وعصى موسى اسمها:«ماسا»، وهي مع يوشع بن نون"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ} [طه : ٦٩]، أي:" فما عملوه أمامك ما هو إلا مكر ساحرٍ وتخييل سِحْرٍ"[٦].

قال مقاتل:" يقول: إن الذي عملوا هو عمل ساحر، يعني: كبيرهم، وما صنع موسى فليس بسحر"[٧].

قال البيضاوي:أي:" أن الذي زوروا وافتعلوا {كيد ساحر}"[٨].

وقرئ:« إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ»، برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذي صنعوه كيد سحر، وقرئ: « كَيْدَ سِحْرٍ»، بنصب «كيد»[٩].

قال الطبري:" «الكيد» هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلاف ما هو به في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييل، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب"[١٠].

قوله تعالى:{وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه : ٦٩]، أي:" ولا يظفر الساحر بسحره أين كان"[١١].

قال مقاتل:" أينما كان الساحر فلا يفلح"[١٢].

قال أبو عبيدة:" أي: حيث كان"[١٣].

قال الحسن:" حيث كان"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٥).:ص١٥٣٦/٥
(٢) أخرجه الطبري(١٤٩٤٤):ص٣٠/١٣.
(٣) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨-٣٣٩.
(٤) أخرجه الطبري(١٤٩٤٥):ص٣٠/١٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٤):ص١٥٣٦/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣١٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣.
(٨) تفسير البيضاوي:٣٢/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٣٣٧/١٨.
(١٠) تفسير الطبري:٣٣٧/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣١٦.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣.
(١٣) مجاز القرآن:٢٣/٢.

قال يحيى:"وقال بعضهم: حيث جاء"[٢].
قال الطبري:" يقول: ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان"[٣].
قال السدي:" فأوحى الله إليه :{لا تَخَفْ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}، فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا و{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}"[٤].
في حرف ابن مسعود :«ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أَيْنَ أَتَى»[٥].

القرآن
{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠)} [طه : ٧٠]
التفسير:
فألقى موسى عصاه، فبلعت ما صنعوا، فظهر الحق وقامت الحجة عليهم. فألقى السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين وقالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحرًا ما غُلِبْنا.
قوله تعالى:{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} [طه : ٧٠]، أي" فألقى موسى عصاه، فبلعت ما صنعوا، فظهر الحق وقامت الحجة عليهم. فألقى السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين"[٦].
قال الطبري: في الكلام محذوف تقديره: "فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}، وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحوّل ثعبانا، فالتقم كلّ ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصي"[٧].
قال الواحدي:" خرُّوا لله عابدين سامعين مطيعين"[٨].
قال الثعلبي:" حيث عرفوا أن ذلك أمر سماوي وليس سحرا"[٩].
قال سعيد بن جبير:" رأوا منازلهم تبنى لهم وهم في سجودهم"[١٠].
قال مقاتل:" وكانوا ثلاثة وسبعين ساحرا أكبرهم اسمه شمعون، فلما التقمت الحبال والعصي ألقاهم الله- عز وجل- على وجوههم سجدا"[١١].
قال ابن عباس:" لما رأت السحرة ما رأت، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر، فخروا سجدًا، وقالوا: {آمنا برب العالمين* رب موسى وهارون}"[١٢].
قال البغوي والثعلبي:"قيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا"[١٣].
وقال الأخفش: "من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا"[١٤].
قال السمعاني:" قيل: إن موسى وهارون سجدا شكرا لله - تعالى - فوافقهم السحرة"[١٥].
قال الزمخشري:" كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم. وقيل: لم يتمالكوا مما رأوا، فكأنهم ألقوا"[١٦].

---

(١) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٦/١.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٦/١.
(٣) تفسير الطبري:٣٣٧/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٣٧/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣١٦.
(٧) تفسير الطبري:٣٣٨/١٨.
(٨) الوجيز:٤٠٧.
(٩) الكشف والبيان:٢٧٠/٤.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨١٠):ص١٥٣٦/٥.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣.
(١٢) أخرجه الطبري(١٤٩٥٤):ص٣٢/١٣.
(١٣) تفسير الثعلبي:٢٧٠/٤، وتفسير البغوي:٢٦٦/٣.
(١٤) حكاه عنه الثعلبي والبغوي في تفسيرهما، انظر: تفسير الثعلبي:٢٧٠/٤، وتفسير البغوي:٢٦٦/٣.
(١٥) تفسير السمعاني:٢٠٥/٢.
(١٦) الكشاف:١٤١/٢.

قوله تعالى:{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} [طه : ٧٠]، أي" قالوا صدّقنا برب هارون وموسى"[١].

قال الزجاج:" فسلموا الأمر لله وتبين لهم ما لا يدفع"[٢].

قال ابن عطية:" لما رأى السحرة من عظيم القدرة وما تيقنوا به نبوة موسى آمنوا بقلوبهم وانضاف إلى ذلك الاستهوال والاستعظام والفزع من قدرة الله تعالى فخروا سجدا لله تعالى متطارحين وآمنوا نطقا بألسنتهم"[٣].

قال الخازن:" وإنما قالوا: {رب موسى وهارون}، لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا عزله"[٤].

قال ابن عطية:" وتبينهم الرب بذكر موسى وهارون زوال عن ربوبية فرعون وما كان يتوهم فيه الجهال من أنه رب الناس، وهارون أخو موسى أسن منه بثلاث سنين"[٥].

قال المراغي:" روى أن رئيسهم قال: كنا نغلب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا، فلو كان هذا سحرا فأين الذي ألقيناه، فاستدلوا بتغيير أحوال الأجسام على وجود الصانع القادر، وبظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا من عند الله، لا جرم تابوا وآمنوا وأتوا وهم خاضعون ساجدون"[٦].

قال الزمخشري:" سبحان الله ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين!"[٧].

قال وهب:" ووقع السحرة سجدا، قالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحر ما غلبنا "[٨].

قال ابن عباس:" فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون، لا تمر بشيء من حبالهم وخُشُبهم التي ألقوها إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمرٌ من السماء، وليس هذا بسحر، فخرُّوا سجَّدًا وقالوا: {آمنا بربّ العالمين* رب موسى وهارون}"[٩].

قال سعيد:" فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، قال: فتحت فما لها مثل الدحل، ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر، ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر، ثم جاء إليها فقبض عليها، فإذا هي عصا، فخرّ السحرة سجدا {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ}، قال: فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون {وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}، قال: فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون"[١٠].

عن القاسم بن أبي بزة قال: "أوحى الله إليه: أن ألق عصاك! فألقى عصاه، فاذا هي ثعبان فاغرٌ فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم. فألقي السحرة عند ذلك سجّدًا، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنارَ وثوابَ هلهما"[١١].

قال محمد بن إسحاق:" وكان من رؤوس السحرة الذي جمع فرعون لموسى فيما بلغني سابور، وعاذور، وحصحط، ومصفى أربعة هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله فآمنت معهم السحرة جميعا"[١].

---

(١) انظر:تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣، و بحر العلوم:٤٠٥/٢.
(٢) معاني القرآن:٩٠/٤.
(٣) المحرر الوجيز:٤٤٠/٢.
(٤) تفسير الخازن:٣٢٥/٣.
(٥) المحرر الوجيز:٤٤٠/٢.
(٦) تفسير المراغي:١٢٩/١٦.
(٧) الكشاف:٧٥/٣.
(٨) أخرجه الطبري:٣٣٩/١٨.
(٩) أخرجه الطبري(١٤٩٤٣):ص٢٩/١٣.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨.
(١١) أخرجه الطبري(١٤٩٤٦):ص٣٠/١٣.

قتادة: "كانوا أول النهار كفارا سحرة، وفي آخره شهداء بررة"[٢].

وعن الحسن، قال: "تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا، وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله"[٣].

قال أبو الليث:" قال بعض الحكماء: إن سحرة فرعون كانوا كفروا خمسين سنة فغفر لهم بإقرار واحد وبسجدة فكيف بالذي أقر وسجد خمسين سنة كيف لا يرجو رحمته ومغفرته؟"[٤].

القرآن

{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)} [طه : ٧١]

التفسير:

قال فرعون للسحرة: أصدَّقتم بموسى، واتبعتموه، وأقررتم له قبل أن آذن لكم بذلك؟ إن موسى لَعظيمكم الذي عَلَّمكم السحر؛ فلذلك تابعتموه، فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم مخالفًا بينها، يدًا من جهة ورِجْلا من الجهة الأخرى، ولأصلبنَّكم - بربط أجسادكم - على جذوع النخل، ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا: أنا أو رب موسى أشد عذابًا من الآخر، وأدوم له؟

قوله تعالى:{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ} [طه : ٧١]، أي:" قال فرعون للسحرة: أصدَّقتم بموسى، واتبعتموه، وأقررتم له قبل أن آذن لكم بذلك؟"[٥].

قال يحيى:" فرعون يقوله على الاستفهام، أصدقتموه؟ {قبل أن آذن لكم}، أي: قد فعلتم"[٦].

قال الطبري:" وقال فرعون للسحرة: أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم"[٧].

قال مقاتل:" يعني: صدقتم لموسى قبل أن آمركم بالإيمان لموسى"[٨].

قال ابن كثير:" قال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بَهْت وكذب : { إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ } أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى ، واتفقتم أنتم وإياه عليّ وعلى رعيتي ، لتظهروه ، كما قال في الآية الأخرى : { إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } [الأعراف ١٢٣]"[٩].

روي عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: "التقى موسى وأميرُ السحرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي، وتشهد أنّ ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك، ولأشهدن أنك حق! وفرعون ينظر إليهم، فهو قول فرعون: {إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة}، إذ التقيتما لتتظاهرا فتخرجا منها أهلها"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} [طه : ٧١]، أي:" إن موسى لَعظيمكم الذي عَلَّمكم السحر؛ فلذلك تابعتموه"[١١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤٢):ص٢٧٦٦.
(٢) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(٣) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(٤) بحر العلوم:٥٤١/١.
(٥) التفسير الميسر:٣١٦.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٦/١.
(٧) تفسير الطبري:٣٣٩/١٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٠٣/٥.
(١٠) أخرجه الطبري(١٤٩٥٥):ص٣٣/١٣.
(١١) التفسير الميسر:٣١٦.

قال مقاتل:" يعني: لعظيمكم في السحر، هو الذي علمكم السحر"[١].

قال السدي:" يعني لعالمكم في علم السحر، ولم يكن أكبرهم في السن"[٢].

قال أبو عبيدة:" أي: معلمكم. قال أبو عبيدة سمعت بعض المكّيين، يقول: الغلام لمستأجره كبيرى"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن موسى لعظيمكم {الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ}"[٤].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل ، حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغُلِب كل الغلب - شرع في المكابرة والبهت ، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة ، فتهددهم وأوعدهم وقال { آمَنْتُمْ لَهُ } أي : صدقتموه { قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ } أي : وما أمرتكم بذلك ، وافتتم عليّ في ذلك"[٥].

قال وهب:" لما قالت السحرة {آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} قال لهم فرعون، وأسف ورأى الغلبة والبينة: {آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ}: أي لعظيم السحار الذي علمكم"[٦].

قوله تعالى:{فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ} [طه : ٧١]، أي:" فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم مخالفًا بينها، يدًا من جهة ورِجْلا من الجهة الأخرى"[٧].

قال الطبري:" يقول: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليدين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعا من خلاف، وكان فيما ذُكر أوّل من فعل ذلك فرعون"[٨].

قال ابن عباس:" أوّل من صلّب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون"[٩].

قوله تعالى:{وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه : ٧١]، أي:" ولأصلبنَّكم - بربط أجسادكم - على جذوع النخل"[١٠].

قال أبو عبيدة:" أي: على جذوع النخل، قال[١١]:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيّ فِي جِذعِ نَخْلَةٍ ... فَلا عَطَسَتْ شَيْبان إلا بأجْدَعا"[١٢].

قال الطبري:" يقول: ولأصلبنكم على جذوع النخل، وإنما قيل: في جذوع، لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صلب عليها"[١٣].."وإنما قال هذا فرعون، لما رأى من خذلان الله إياه، وغلبة موسى عليه السلام وقهره له"[١٤].

قال قتادة:" لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا، وآمنوا عند ذلك، قال عدو الله: {فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ} ... الآية"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٦/١.
(٣) مجاز القرآن:٢٣/٢.
(٤) تفسير الطبري:٣٣٩/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٣/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٣٣٩/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣١٦.
(٨)تفسير الطبري:٣٣٩/١٨ .
(٩) أخرجه الطبري(١٤٩٥٦):ص٣٤/١٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣١٦.
(١١) البيت لسويد بن أبى كاهل اليشكري وهو فى الكامل: ص ٤٨٨، وتفسير الطبري: ٣٣٩/١٨، والاقتضاب ص ٤٣١، وتفسير القرطبي: ١١/ ٢٢٤، وفتح الباري: ٦/ ٣٠٤ وشواهد المغني: ص ١٦٤.
(١٢) مجاز القرآن:٢٣/٢-٢٤.
(١٣)تفسير الطبري:٣٣٩/١٨ -٣٤٠.
(١٤) تفسير الطبري:٣٤/١٣.

قوله تعالى:{وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه : ٧١]، أي:" ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا: أنا أو رب موسى أشد عذابًا من الآخر، وأدوم له؟"[٢].

قال الطبري:" يقول: ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا أشدّ عذابا لكم، وأدوم، أنا أو موسى"[٣].

قال ابن كثير:" أنتم تقولون : إني وقومي على ضلالة ، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى. فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه "[٤].

قال السدي:" فقتلهم وقطعهم"[٥].

قال ابن عباس:"كانوا في أوّل النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء"[٦].

فوائد الآيات:[٦٧-٧١]:

١- الشعور بالخوف والإحساس به عند معاينة أسبابه لا يقدح في الإيمان.
٢- تقرير أم ما يظهر السحرة من تحويل الشيء إلى آخر إنما هو مجرد تخييل لا حقيقة له.
٣- حرمة السحر لأنه تزوير وخداع.
٤- قوة تأثير المعجزة في نفس السحرة لما ظهر لهم من الفرق بين الآية والسحر.
٥- شجاعة المؤمن لا يرهبها خوف بقتل ولا بصلب
٦- بيان سنته تعالى في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائما
٧- جمال الأسلوب القرآني في الآية الكريمة في تصوير هذا المشهد العظيم، إذ ان المعنى: فألقاها فصارت حية فإذا هي... إلخ، وإنما حذف للإيذان بمسارعة موسى عليه السلام إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالأمر بالإلقاء، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الغريبة، واللقف كاللقفان التناول بسرعة[٧].
٨- فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحرا وإنما هو آية له من الله فآمنوا.
٩- كان إيمان السحرة مدعاة لافتضاح فرعون، لأنهم كانوا علماء لهم مكانتهم، فكان لإيمانهم ضجة كبرى، أحدثت في حاشية فرعون هزة عنيفة، وزلزالاً كبيراً.
١٠- إسقاط ربوبية فرعون، وأن سبب الإيمان هو ما رأوه من معجزة الرسولين: موسى وهارون عليهما السلام.
١١- أن القلوب المظلمة بالكفر ولجرائم أصحابها لا يتورعون عن الكذب واتهام الأبرياء.
١٢- أن الطغاة استعبدوا أتباعهم عن طريق القهر والعنف.

القرآن

{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)} [طه : ٧٢]

التفسير:

قال السحرة لفرعون: لن نفضلك، فنطيعك، ونتبع دينك، على ما جاءنا به موسى من البينات الدالة على صدقه ووجوب متابعته وطاعة ربه، ولن نُفَضِّل ربوبيتك المزعومة على ربوبية اللهِ الذي خلقنا، فافعل ما أنت فاعل بنا، إنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا، وما تفعله بنا، ما هو إلا عذاب منتهٍ بانتهائها.

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٣٤٠.
(٢) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٣٤٠.
(٤) تفسير ابن كثير:٥/٣٠٣.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٣٤٠.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٣٤٠.
(٧) انظر: روح المعاني:٥/٢٦.

قوله تعالى:{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ} [طه : ٧٢]، أي:" قال السحرة: لن نختارك ونفضّلك على الهدى والإيمان الذي جاءنا من الله على يد موسى ولو كان في ذلك هلاكنا"(١).

قال الطبري:" قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به {لَنْ نُؤْثِرَكَ} فنتبعك ونكذب من أجلك موسى {عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ}، يعني: من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى"(٢).

قال وهب:" أي: على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة"(٣).

قوله تعالى:{وَالَّذِي فَطَرَنَا} [طه : ٧٢]، أي:" ولن نُفَضِّل ربوبيتك المزعومة على ربوبية اللهِ الذي خلقنا"(٤).

قال الطبري:" قالوا: ولن نؤثرك على الذي خلقنا"(٥).

قال الأخفش:" يقول: "لن نؤثرك على الذي فطرنا"(٦).

قال الفراء:" فـ«الذي» في موضع خفض: «وعلى الذي»، ولو أرادوا بقولهم {والذي فطرنا} القسم بها، كانت خفضا وكان صوابا، كأنهم قالوا: لن نؤثرك والله"(٧).

قوله تعالى:{فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} [طه : ٧٢]، أي:" فافعل ما أنت فاعل بنا"(٨).

قال الفراء:" افعل ما شئت"(٩).

قال الطبري:" يقول: فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك"(١٠).

قال وهب:" أي: اصنع ما بدا لك"(١١).

قوله تعالى:{إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه : ٧٢]، أي:" إنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا، وما تفعله بنا، ما هو إلا عذاب منتهٍ بانتهائها"(١٢).

قال الطبري:" يقول: إنما تقدر أن تعذّبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى"(١٣).

قال وهب:" أي: ليس لك سلطان إلا فيها، ثم لا سلطان لك بعده"(١٤).

قال الزمخشري:" روى أن السحرة- يعنى رؤسهم- كانوا اثنين وسبعين: الاثنان من القبط، والسائر من بنى إسرائيل، وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر. وروى أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائما ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر الساحر، لأن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه"(١٥).

القرآن

{إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)} [طه : ٧٣]

---

(١) التفسير الميسر:٣١٦.
(٢) تفسير الطبري:٣٤٠/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣١٦.
(٥) تفسير الطبري:٣٤٠/١٨.[بتصرف]
(٦) معاني القرآن:٤٤٤/٢.
(٧) معاني القرآن:١٨٧/٢.
(٨) التفسير الميسر:٣١٦.
(٩) معاني القرآن:١٨٧/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٣٤١/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣١٦.
(١٣) تفسير الطبري:٣٤١/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(١٥) الكشاف:٧٧/٣.

التفسير:
إنَّا آمنا بربنا وصدَّقْنا رسوله وعملنا بما جاء به؛ ليعفو ربُّنا عن ذنوبنا، وما أكرهتنا عليه مِن عمل السحر في معارضة موسى. والله خير لنا منك - يا فرعون - جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذابًا لمن عصاه وخالف أمره.

قوله تعالى:{إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ} [طه : ٧٣]، أي:" إنَّا آمنا بربنا وصدَّقْنا رسوله وعملنا بما جاء به؛ ليعفو ربُّنا عن ذنوبنا، وما أكرهتنا عليه مِن عمل السحر في معارضة موسى"(١).

قال الطبري:" إنا أقررنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعده ووعيده، وأن ما جاء به موسى حق، ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا، وليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلُّمه والعمل به، وذُكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر"(٢).

عن ابن عباس: قوله: "{وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ}، قال: غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة، تعلمهم السحر بالفَرَما"(٣).

قال ابن زيد:" أمرهم بتعلم السحر، قال: تركوا كتاب الله، وأمروا قومهم بتعليم السحر"(٤).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه : ٧٣]، أي:" والله خير لنا منك - يا فرعون - جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذابًا لمن عصاه وخالف أمره"(٥).

قال الطبري:" يقول: والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره"(٦).

قال ابن إسحاق:" : خير منك ثوابا، وأبقى عذابا"(٧).

عن عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس في قول الله:"{وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، قالا: خيرا منك إن أطيع، وأبقى منك عذابا إن عُصي"(٨).

القرآن
{إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤)} [طه : ٧٤]
التفسير:
إنه من يأت ربه كافرًا به فإن له نار جهنم يُعَذَّب بها، لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها.

قوله تعالى:{إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا} [طه : ٧٤]، أي:" إنه من يأت ربه كافرًا به"(٩).

قال يحيى : يعني:" مشركا"(١٠).

قال الطبري: أي:" مكتسبا الكفر به"(١١).

قال البغوي:" أي: مشركا، يعني: مات على الشرك"(١٢).

قال القرطبي:" أي: من يأت موعد ربه [مجرما]"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٦.
(٢) تفسير الطبري:٣٤١/١٨.
(٣) اخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٤) اخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣١٦.
(٦) تفسير الطبري:٣٤١/١٨.
(٧) اخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٨) اخرجه الطبري:٣٤٢/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣١٦.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٧/١.
(١١) تفسير الطبري:٣٤٢/١٨.
(١٢) تفسير البغوي:٢٨٦/٥.

قوله تعالى:{فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ} [طه : ٧٤]، أي:" فإن له نار جهنم يُعَذَّب بها"[٢].
قال الطبري: أي:" فإن له جهنم مأوى ومسكنا، جزاء له على كفره"[٣].
قوله تعالى:{لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [طه : ٧٤]، أي:" لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها"[٤].
قال الطبري:"{لَا يَمُوتُ} فتخرج نفسه، {وَلا يَحْيَا} فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم"[٥].
قال البغوي:" {لا يموت فيها} فيستريح، {ولا يحيا} حياة ينتفع بها"[٦].

القرآن
{وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)} [طه : ٧٥ - ٧٦]
التفسير:
ومن يأت ربه مؤمنًا به قد عمل الأعمال الصالحة فله المنازل العالية في جنات الإقامة الدائمة، تجري من تحت أشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، وذلك النعيم المقيم ثواب من الله لمن طهَّر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده فأطاعه واجتنب معاصيه، ولقي ربه لا يشرك بعبادته أحدًا من خلقه.
قوله تعالى:{وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ} [طه : ٧٥]، أي:" ومن يأت ربه مؤمنًا به قد عمل الأعمال الصالحة"[٧].
قال الطبري: أي:" موحدا لا يُشرك به، قد عمل ما أمره به ربه، وانتهى عما نهاه عنه"[٨].
قال البغوي: {مؤمنا}، أي:" مات على الإيمان"[٩].
قال السمعاني:{قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ}، " أي: أدى الفرائض"[١٠].
قال القرطبي:" يمت عليه ويوافيه مصدقا به، وقد عمل الطاعات وما أمر به ونهي عنه"[١١].
قال الحسن: "من أدى الفراض فقد استكمل الإيمان، ومن لم يؤد الفرائض فلم يستكمل الإيمان"[١٢].
قرأ أبو عمرو:«ومن يأته» ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر، وقالون ويعقوب، وقرأ الآخرون بالإشباع[١٣]
قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى} [طه : ٧٥]، أي:" فله المنازل العالية"[١٤].
قال الطبري:" يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى"[١].

---

(١) تفسير القرطبي:٢٢٧/١١.
(٢) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣) تفسير الطبري:٣٤٢/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣١٦.
(٥) تفسير الطبري:٣٤٢/١٨.
(٦) تفسير البغوي:٢٨٦/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣١٦.
(٨) تفسير الطبري:٣٤٢/١٨.
(٩) تفسير البغوي:٢٨٦/٥.
(١٠) تفسير السمعاني:٣٤٤/٣.
(١١) تفسير القرطبي:٢٢٧/١١.
(١٢) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٣٤٤/٣.
(١٣) انظر: تفسير البغوي:٢٨٦/٥.
(١٤) التفسير الميسر:٣١٦.

قال القرطبي:" أي: الرفيعة التي قصرت دونها الصفات"[٢].

قوله تعالى:{جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [طه : ٧٥]، أي:" في جنات الإقامة الدائمة، تجري من تحت أشجارها الأنهار"[٣].

قال الطبري:" يعني: جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء، تجري من تحت أشجارها الأنهار"[٤].

قال القرطبي:" أي [تجري] من تحت غرفها وسررها {الأنهار} من الخمر والعسل واللبن والماء، و«العدن»: الإقامة"[٥].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [طه : ٧٥]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[٦].

قال يحيى:" لا يموتون ولا يخرجون منها"[٧].

قال الطبري:" يعني: ماكثين فيها إلى غير غاية محدودة"[٨].

قوله تعالى:{وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه : ٧٦]، أي:" أي وذلك ثواب من تطهَّر من دنسْ الكفر والمعاصي"[٩].

قال يحيى:" يعني: من آمن"[١٠].

وقال قتادة:" من عمل صالحا"[١١].

قال البغوي: أي:" تطهر من الذنوب"[١٢].

وقال الكلبي: "أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله"[١٣].

قال الطبري:" يقول: وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف جلّ جلاله ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه"[١٤].

قال الزمخشري:أي:" تطهر من أدناس الذنوب، قيل في هذه الآيات الثلاث: هي حكاية قولهم. وقيل: خبر من الله، لا على وجه الحكاية"[١٥].

قال القرطبي:" أي: من تطهر من الكفر والمعاصي. ومن قال هذا من قول السحرة، قال: لعل السحرة سمعوه من موسى أو من بني إسرائيل إذ كان فيهم بمصر أقوام، وكان فيهم أيضا المؤمن من آل فرعون. قلت: ويحتمل أن يكون ذلك إلهاما من الله لهم أنطقهم بذلك لما آمنوا، والله أعلم"[١٦].

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما"[١٧].

---

(١) تفسير الطبري:٣٤٢/١٨.
(٢) تفسير القرطبي:٢٢٧/١١.
(٣) التفسير الميسر:٣١٦.
(٤) تفسير الطبري:٣٤٢/١٨.
(٥) تفسير القرطبي:٢٢٧/١١.
(٦) التفسير الميسر:٣١٦.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٨/١.
(٨) تفسير الطبري:٣٤٢/١٨.
(٩) صفوة التفاسير:٢٢٠/٢.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٨/١.
(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٨/١.
(١٢) تفسير البغوي:٢٨٦/٥.
(١٣) حكاه عنه البغوي في التفسير:٢٨٦/٥.
(١٤) تفسير الطبري:٣٤٣/١٨.
(١٥) الكشاف:٧٧/٣.
(١٦) تفسر القرطبي:٢٢٧/١١.
(١٧)أخرجه أبو داود في الحروف: ٦ / ٨، والترمذي في المناقب، مناقب أبي بكر رضي الله عنه: ١٠ / ١٤١، ١٤٢، وقال: "هذا حديث حسن"، ابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ برقم (٩٦) ١ /

عن أبي المتوكل الناجي قال: قال رسول الله ﷺ: " الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد أن يختطف بصره، فيفزع لذلك فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان، فيقول: أخي فلان، كنا في الدنيا نعمل جميعا، وقد فضل علي هكذا، فيقال له: إنه كان أحسن منك عملا، قال: ثم يجعل في قلبه الرضى حتى يرضى "[1].

عن ابن عمر قال: "إن أسفل أهل الجنة درجة، للذي ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة وإن أرفع أهل الجنة درجة للذي ينظر إلى الله غدوة وعشيا"[2].

فوائد الآيات:[٧٢-٧٦]:

١- لا يؤثر الكفر على الإيمان والباطل على الحق والخرافة على الدين الصحيح إلاّ أحمق جاهل.

٢- تقرير مبدأ أن عذاب الدنيا يتحمل ويصبر عليه بالنظر إلى عذاب الآخرة.

٣- الإكراه نوعان: ما كان بالضرب الذي لا يطاق يغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنه لا يغفر إلاّ بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة كان من النوع الآخر.

٤- بيان جزاء كل من الكفر والمعاصي، والإيمان والعمل الصالح في الدار الآخرة.

القرآن

{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (٧٧)} [طه : ٧٧]

التفسير:

ولقد أوحينا إلى موسى: أن اخرُج ليلا بعبادي من بني إسرائيل من «مصر» ، فاتّخِذْ لهم في البحر طريقًا يابسًا، لا تخاف من فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم، ولا تخشى في البحر غرقًا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي} [طه : ٧٧]، أي:" ولقد أوحينا إلى موسى: أن اخرُج ليلا بعبادي من بني إسرائيل من «مصر»"[3].

قوله تعالى:{فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا} [طه : ٧٧]، أي:" فاتّخِذْ لهم في البحر طريقًا يابسًا"[4].

قال ابن كثير:" وقف موسى ببني إسرائيل ، البحر أمامهم ، وفرعون وراءهم ، فعند ذلك أوحى الله إليه أن { اضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا } فضرب البحر بعصاه ، وقال : «انفلق بإذن الله»، { فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } [الشعراء : ٦٣] أي : الجبل العظيم. فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض"[5].

قوله تعالى:{لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} [طه : ٧٧]، أي:" لا تخاف من فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم، ولا تخشى في البحر غرقًا"[6].

قال مقاتل:" بني إسرائيل قالوا لموسى: هذا فرعون قد لحقنا بالجنود وهذا البحر قد غشينا فليس لنا منفذ"[1].

٣٧، والإمام أحمد في المسند: ٣ / ٢٧، وأشار إليه الدارمي في الرقاق، باب في غرف الجنة: ٢ / ٣٣٦. والبغوي في تفسيره:٢٨٦/٥، وفي شرح السنة: ١٤ / ٩٩[واللفظ له]، وفيه عطية العوفي، وقد تابعه أبو الوداك عند الإمام أحمد: ٣ / ٢٦.

(١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٧/١-٢٦٨.

(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٧/١-٢٦٨.

(٣) التفسير الميسر:٣١٧.

(٤) التفسير الميسر:٣١٧.

(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٥.

(٦) التفسير الميسر:٣١٧.

قال ابن كثير:" {لا تَخَافُ دَرَكًا } أي : من فرعون ، { وَلا تَخْشَى } يعني : من البحر أن يغرق قومك"[٢].

القرآن
{فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨)} [طه : ٧٨]
التفسير:
فأسرى موسى ببني إسرائيل، وعبر بهم طريقًا في البحر، فأتبعهم فرعون بجنوده، فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله، فغرقوا جميعًا ونجا موسى وقومه.
قوله تعالى:{فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ} [طه : ٧٨]، أي:" فأسرى موسى ببني إسرائيل، وعبر بهم طريقًا في البحر، فأتبعهم فرعون بجنوده"[٣].
قوله تعالى:{فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، أي:" فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله"[٤].
قال مقاتل:" يعنى: الغرق"[٥].
قال ابن كثير:" {فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ }، أي: البحر {مَا غَشِيَهُمْ}، أي : الذي هو معروف ومشهور. وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور ، كما قال تعالى : { وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى } [النجم : ٥٣ ، ٥٤] ، وكما قال الشاعر [٦]:
أَنَا أَبُو النَّجْم وشِعْري شِعْري
أي : الذي يعرف ، وهو مشهور."[٧].

القرآن
{وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩)} [طه : ٧٩]
التفسير:
وأضلَّ فرعون قومه بما زيَّنه لهم من الكفر والتكذيب، وما سلك بهم طريق الهداية.
قال مقاتل:أي:" القبط، ما هداهم، وذلك أن فرعون قال لقومه في حم المؤمن: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر : ٢٩]، فأضلهم ولم يهدهم"[٨].
قال الطبري:يقول:" وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله، وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه"[٩].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤/٣.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣١٧.
(٤) التفسير الميسر:٣١٧.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤/٣.
(٦)هذا الرجز لأبي النجم. انظر: "الخزانة" ١/ ٤٣٩، "الأغاني" ٩/ ٧٥، "الكشاف" ٤/ ٥٩، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٧٨، "المصنف" ١/ ١٠، "الخصائص" ٣/ ٣٣٧.
وأبو النجم: هو الفضل بن قدامة، من رجّاز الإسلام وهو الذي يقول:
أنا أبو النجم وشعري شعري ... لله درّي ما يجيش صدري
كان من شعراء زمان الدولة الأموية، ومات في أواخر أيام دولتهم انظر: (الكنى والألقاب ١: ١٦٠، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٦٠٢.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤/٣.
(٩) تفسير الطبري:٣٤٥/١٨.

قال النحاس:" أي: أضلهم عن الرشد، وما هداهم إلى خير ولا نجاة لأنه قدر أن موسى ﷺ ومن تبعه لا يفوتونه لأن بين أيديهم البحر، فلما ضرب موسى ﷺ البحر بعصاه انفلق منه اثنا عشر طريقا، وبين الطرق الماء قائما كالجبال. فأخذ كل سبط طريقا، فلما أقبل فرعون ورأى الطرق في البحر والماء قائما أوهمهم أن البحر فعل ذلك لهيبته فدخل هو وأصحابه فانطبق البحر عليهم"[١].

قال ابن كثير:" وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد ، كذلك { يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ } [هود : ٩٨]"[٢].

قال الزمخشري:" قوله: {وَما هَدى}، تهكم به في قوله :{وَما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ}"[٣].

القرآن

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (٨٠)} [طه : ٨٠]

التفسير:

يا بني إسرائيل اذكروا حين أنجيناكم مِن عدوكم فرعون، وجَعَلْنا موعدكم الجانب الأيمن من جبل الطور لإنزال التوراة عليكم، ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل، والطير الذي يشبه السُّمَانَى.

قوله تعالى:{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ} [طه : ٨٠]، أي:" يا بني إسرائيل اذكروا حين أنجيناكم مِن عدوكم فرعون"[٤].

قال ابن كثير:" يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل العظام ، ومننه الجسام ، حيث نَجَّاهم من عدوهم فرعون ، وأقر أعينهم منه ، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة ، لم ينج منهم أحد ، كما قال تعالى: { وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } [البقرة : ٥٠]"[٥].

قال الزمخشري:{ يا بَنِي إِسْرائِيل}، "خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون. وقيل: هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله ﷺ منّ الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأوّل، أى: قلنا يا بنى إسرائيل، وحذف القول كثير في القرآن"[٦].

عن ابن عباس قال : «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء ، فسألهم فقالوا : هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى على فرعون ، فقال : " نحن أولى بموسى فصوموه"»[٧].

وقرئ: «أنجيتكم»[٨].

قوله تعالى:{وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ} [طه : ٨٠]، أي:" وجَعَلْنا موعدكم الجانب الأيمن من جبل الطور لإنزال التوراة عليكم"[٩].

قال النحاس:" أي: أمرنا موسى ﷺ أن يأمركم بالخروج معه ليكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام"[١].

---

(١) إعراب القرآن:٣٧/٣.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٥.
(٣) الكشاف:٧٨/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣١٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٥.
(٦) الكشاف:٧٩/٣.
(٧)صحيح البخاري برقم (٤٧٣٧) ، وصحيح مسلم برقم (١١٣٠).
(٨) انظر: الكشاف:٧٩/٣.
(٩) التفسير الميسر:٣١٧.

قال ابن كثير:" ثم إنه تعالى واعد موسى وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن ، وهو الذي كلمه تعالى عليه ، وسأل فيه الرؤية ، وأعطاه التوراة هناك. وفي غُضُون ذلك عَبَدَ بنو إسرائيل العجل ، كما يقصه تعالى قريبا"[٢].

وقرئ: « الْأَيْمَن» بالجر، على الجوار [٣].

قوله تعالى:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [طه : ٨٠]، أي:" ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل، والطير الذي يشبه السُّمَانَى"[٤].

قال ابن كثير:" فالمن : حلوى كانت تنزل عليه من السماء. والسّلوى : طائر يسقط عليهم ، فيأخذون من كل ، قدر الحاجة إلى الغد ، لطفًا من الله ورحمة بهم ، وإحسانًا إليهم"[٥].

واختلف أهل التفسير في معنى «المن» وتعيينه، على أقوال:

أحدها: أنه الترنجبين[٦]، قاله ابن عباس[٧]، وابن عامر[٨]، والضحاك[٩]، وعلى هذا أكثر المفسرين[١٠].

الثاني: أنه صمغة حلوة. قاله مجاهد[١١].

الثالث:أنه العسل. قاله ابن زيد[١٢]، وعامر[١٣]، ومنه قول أمية بن الصلت في وصف تيه بني اسرائيل وما رزقوا فيه[١٤]:

فرأى الله أنهم بمَضِيعٍ ... لا بذي مَزْرعٍ ولا معمورا
فَنَساها عليهم غادياتٌ ... ومرى مزنهم خلايا وخورا
عسلا ناطِفا وماء فراتا ... وحليبا ذا بهجة مثمورا

المثمور : الصافي من اللبن، فجعل المن الذي كان ينزل عليهم عسلا ناطفا، والناطف : هو القاطر[١٥].

الرابع: أنه الذي يسقط على الثمام والعُشَر، وهو حلو كالعسل، حكاه الطبري[١٦]، ومنه قول الأعشى[١٧]:

---

(١) إعراب القرآن:٣٧/٣.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٥.
(٣) انظر: الكشاف:٧٩/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣١٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٥.
(٦)ويصح بالتاء (الترنجبين) راجع لسان العرب: ١٠/ ٩٦، وهو طل ينزل من الهواء ويجتمع على أطراف الشجر في بعض البلدان، وقيل: هو ندى شبيه العسل جامد متحبب ينزل من السماء، وقيل: يشبه الكمأة.
(٧) أنظر: تفسير الطبري(٩٧٦):ص:٩٣/٢.
(٨)أنظر: تفسير الطبري(٩٧٧):ص:٩٣/٢.
(٩) نقله الثعلبي عنه، انظر: تفسيره: ٢٠٠/١، ونسبه في زاد المسير (١/ ٧١) : الى ابن عباس ومقاتل، وذكر بقية الأقوال.
(١٠)كما أفاده البغوي في معالم التنزيل: ٩٧/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٦/١، وأبو حيان في البحر المحيط: ٢١٤/١، والخازن في لباب التأويل: ٤٧١، والشوكاني في فتح القدير: ١٢٩/١. وقال به ابن عباس في رواية عنه ومقاتل كما في زاد المسير لابن الجوزي: ٨٤/١، وقال به أيضاً: ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ٤٩، والسمرقندي في بحر العلوم: ١٢١/١، والزمخشري في الكشاف: ٢٨٢/١، والواحدي في كتابيه الوسيط: ١٤٢/١، والوجيز: ١٤٢/١، والرازي في مفاتيح الغيب: ٩٣/١، والبيضاوي في أنوار التنزيل: ٥٧/١، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: ١٠٤/١.
(١١)أنظر: تفسير الطبري(٩٧١):ص:٩٢/٢.
(١٢)أنظر: تفسير الطبري(٩٧٠):ص:٩٢/٢.
(١٣)أنظر: تفسير الطبري(٩٦٦)، و(٩٦٧):ص:٩١/٢-٩٢.
(١٤)ديوانه : ٣٤ - ٣٥ .
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢-٩٥.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٩٤/٢.
(١٧)ديوانه : ٨٧.

لو أُطعِموا المن والسلوى مكانَهمُ ما أبصر الناس طُعما فيهمُ نجعا

الخامس: أنه خبز الرقاق. قاله وهب[١].

السادس: أنه الزنجبيل. قاله السدي[٢].

السابع: أنه الكمأة. ومنه حديث الرسول-ﷺ-: " الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين "[٣].

قال ابن عطية:" فقيل: أراد عليه السلام أن الكمأة نفسها مما أنزل نوعها على بني إسرائيل"[٤].

الثامن: أن {المن}، مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع[٥]، ومنه قول رسول الله ﷺ في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : " الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ"[٦] في رواية :"الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى مُوسَى، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ"[٧].

فقيل: "أراد أنه لا تعب في الكمأة ولا جذاذ ولا حصاد، فهي منة دون تكلف، من جنس مَنِّ بني إسرائيل في أنه كان دون تكلف"[٨].

والصواب- والله أعلم- أن «المن» هو: "كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب، وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد، فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاما وحلاوة، وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا، وإن ركب مع غيره صار نوعا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده"[٩]؛ وهذا الرأي يعضده الحديث السابق[١٠].

كما يمكن إرجاع المن بأنه مادة صمغية جوية تنزل على شجر البادية تشبه الدقيق المبلول فيه حلاوة إلى حموضة، فإن أُكِل وحده كان طعاماً وحلاوة، وإن مزج معه الماء صار شراباً طيباً، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر[١١]، وعلى هذا القول يمكن حمل أكثر أقوال المفسرين أعلاه عليه، باعتبار كل قول منها ذكر وصفاً للمن سواء في كيفية النزول أم مكان وجوده أم طعمه أم طريقة تناوله. والله أعلم.

واختلف في معني: «السلوى»، على أقوال:

أحدها: أنه طائر ناعم يسمى (السُّمَانَى)، قاله ابن عباس[١٢]، وعامر[١٣]، والضحاك[١].

---

(١) أنظر: تفسير الطبري(٩٧٢):ص٢/٩٢.

(٢) أنظر: تفسير الطبري(٩٧٣):ص٢/٩٣.

(٣)رواه أحمد والشيخان والترمذي ، من حديث سعيد بن زيد . ورواه أيضًا أحمد والشيخان وابن ماجه ، من حديث أبي سعيد وجابر . ورواه أبو نعيم في الطب ، من حديث ابن عباس وعائشة . انظر مثلا ، المسند : ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ . والجامع الصغير : ٦٤٦٣ . وزاد المعاد لابن القيم ٣ : ٣٨٣ . وتفسير ابن كثير ١ : ١٧٤ - ١٧٦ ، وقد ساق كثيرا من طرقه .

(٤) المحرر الوجيز: ١٤٨/١.

(٥) أنظر: المحرر الوجيز: ١٤٨/١، ذهب إلى ذلك الزجاج في معاني القرآن: ١٣٨/١، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ٢٢/١.

(٦) رواه مسلم (٢٠٤٩)، الكمأةُ :نبات ينمو في الصحارى بريًّا تشبه البطاطا في شكلها ولونها بني بلون الأرض وتكون في الأرض من غير أن تُزرع.

فهذا الحديث كما ترى لم يتفرد به أبو هريرة بل رواه ستة من الصحابة غيره رضي الله تعالى عنه.

(٧) السنن الكبرى للنسائي: (٦٦٣٢).

(٨) المحرر الوجيز: ١٤٨/١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/١.

(١٠) وهو قوله ﷺ: " الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ"(رواه مسلم :٢٠٤٩)، وفي رواية أخرى: في رواية "الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى مُوسَى، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ(السنن الكبرى للنسائي: ٦٦٣٢).

(١١)انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٢٢/١، ومحاسن التأويل للقاسمي: ١٣٢/٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ٥٠٩/١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(٩٨٨):ص٢/٩٧.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(٩٨٧)، و(٩٨٩):ص٢/٩٦.

الثاني: أنه طائر شبيه بالسّماني. قاله ابن عباس[٢]، والسدي[٣]، والربيع[٤].
الثالث: أنه طائر سمين، يشبه الحمام. قاله وهب[٥].
الرابع: أنه العسل بلغة كنانة، وسمي به لأنه يسلى به، ومنه عين السلوان. قاله المؤرج[٦]، وأنشد قول رؤبة[٧]:

لو أشرب السلوان ما سليت ما بي غنى عنك وإن غنيت

واختاره أبو عبيد[٨]، مستشهدا ببيت خالد بن زهير الهذلي[٩]:

وَقَاسَمَها بالله جَهْدًا لَأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

قال الزمخشري:" ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم، وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور، وكتب التوراة في الألواح. وإنما عدى المواعدة إليهم لأنها لا بستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم، وإليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم، وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه"[١٠].

القرآن

{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١)} [طه : ٨١]

التفسير:

كلوا من رزقنا الطيب، ولا تعتدوا فيه بأن يظلم بعضكم بعضًا، فينزل بكم غضبي، ومَن ينزل به غضبي فقد هلك وخسر.

قوله تعالى:{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [طه : ٨١]، أي:" وقلنا لكم كلوا من الحلال اللذيذ الذي أنعمتُ به عليكم"[١١].

قال ابن كثير:" أي : كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم "[١٢].

قال المراغي:" وقلنا لكم، كلوا من تلك اللذائذ التي أنعمنا بها عليكم"[١٣].

قوله تعالى:{وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} [طه : ٨١]، أي:" لا تحملنكم السعة والعافية على العصيان لأمري فينزل بكم عذابي"[١٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٩٩٠):ص٢/٩٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٩٧٩):ص٢/٩٧.
(٣)انظر: تفسير الطبري(٩٨٠):ص٢/٩٦.
(٤)انظر: تفسير الطبري(٩٨٦):ص٢/٩٧.
(٥)انظر: تفسير الطبري(٩٨٤):ص٢/٩٦.
(٦)ذكره الثعلبي في "تفسيره" عن المؤرج السدوسي ١/ ٧٥ أ، وعن ابن الأعرابي: السلوى: طائر، وهو في غير القرآن: العسل، ونحوه عن ابن الأنباري "التهذيب" (سلا) ٢/ ١٧٢٦.
(٧) البيت لرؤبة: انظر ديوانه: ٢٥. وانظر: اللسان: مادة(سلا)، والعين: مادة(سلو).
(٨)أنظر: "تهذيب اللغة" (سلا) ٢/ ١٧٢٦، وانظر "اللسان" (سلا) ٤/ ٢٠٨٥.
(٩)ورد البيت في "شرح أشعار الهذليين" ١/ ٢١٥، "تهذيب اللغة" (سلا) ٢/ ١٧٢٦، "تفسير الطبري" ٨/ ١٤١، "الصحاح" (سلا) ٦/ ٢٣٨١، "تفسير الثعلبي" ١/ ٧٥ أ، "المخصص" ٥/ ١٥، ١٤/ ٢٤١، "اللسان" (سلا) ٤/ ٢٠٨٦، "تفسير القرطبي" ١/ ٣٤٧، "البحر المحيط" ١/ ٢٠٥، ٤/ ٢٧٩، "الدر المصون" ١/ ٣٧٠، "فتح القدير" ١/ ١٣٨، "الخزانة" ٥/ ٨٢، "زاد المسير" ١/ ٨٤.
والبيت من قصيدة لخالد بن زهير يخاطب أبا ذؤيب الهذلي، في قصة حصلت بينهما حول امرأة كانا يترددان عليها، ذكرها السكري في "شرح أشعار الهذليين". و (السلوى) هاهنا: العسل، و (الشور): أخذ العسل من مكانه.
(١٠) الكشاف:٣/٧٩.
(١١) صفوة التفاسير:٢/٢٢٢.
(١٢) تفسير ابن كثير:٥/٣٠٨.
(١٣) تفسير المراغي:١٦/١٣٦.
(١٤) صفوة التفاسير:٢/٢٢٢.

قال النحاس:" أي: لا تحملكم السعة والعافية أن تعصوا لأن الطغيان: التجاوز إلى ما لا يجب"[١].

قال ابن كثير:" ولا تطغوا في رزقي ، فتأخذوه من غير حاجة ، وتخالفوا ما آمركم به ، فأغضب عليكم "[٢].

قال المراغي:" ولا تطغوا فى رزقى بالإخلال بشكره وتعدى حدودى فيه بالسرف والبطر والاستعانة به على المعاصي ومنع الحقوق الواجبة فيه فينزل عليكم غضبى، وتجب عليكم عقوبتى"[٣].

قال الزمخشري:" طغيانهم في النعمة: أن يتعدّوا حدود الله فيها بأن يكّفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها، وأن ينفقوها في المعاصي: وأن يزووا حقوق الفقراء فيها، وأن يسرفوا في إنفاقها، وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا"[٤].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} [طه : ٨١]، أي:" ومن ينزل عليه غضبي وعقابي فقد هلك وشقي"[٥].

قال مقاتل:" يقول: ومن وجب عليه عذابي فقد هلك"[٦].

قال النحاس:أي:" فقد هلك صار إلى الهاوية وهي قعر النار"[٧].

عن ابن عباس قوله: "{فقد هوى}، قال: شقي"[٨].

قال شُفَيّ بن ماتع : "إن في جهنم قصرًا يُرمى الكافر من أعلاه ، فيهوي في جهنم أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال، وذلك قوله : { وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى }"[٩].

قال الزمخشري:{هَوى}، أي: "هلك. وأصله: أن يسقط من جبل فيهلك. قالت[١٠]:

هوى من رأس مرقبة ... ففتّت تحتها كبده

ويقولون: هوت أمّه. أو سقط سقوطا لا نهوض بعده"[١].

---

(١) إعراب القرآن:٣٧/٣.

(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٥.[بتصرف بسيط]

(٣) تفسير المراغي:١٣٦/١٦.

(٤) الكشاف:٧٩/٣.

(٥) صفوة التفاسير:٢٢٢/٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦/٣.

(٧) إعراب القرآن:٣٧/٣.

(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٩٣):ص٢٤٣٠/٧.

(٩) رواه ابن ابي حاتم(١٣٤٩٤):ص٢٤٣٠/٧، وكما في تفسير ابن كثير:٣٠٨/٥.

(١٠)هوى ابني من على شرف ... يهول عقابه صعده

هوى من رأس مرقبة ... ففتت تحتها كبده

ألام على تبكيه ... وألمسه فلا أجده

وكيف يلام محزون ... كسير فاته ولده

لأعرابى» يقول: سقط ابني من فوق جبل عال. فعلى بمعنى فوق، ولو قرئ: على، بالضم- جمع علية- لجاز، أى: سقط عن ذرى جبل عال، فالشرف: مصدر مستعمل في الوصف مجاز، يهول: أى يخيف، عقابه: ارتفاعه. وصعد- بالكسر- صعدا- بفتحتين وضمتين- صعودا: ارتفع، والضمير للعقاب أو للشرف، فهو من إضافة المصدر لفاعله. ويجوز أنه من اضافته لمفعوله، أى: صعوده عليه. وخص العقاب، لأنه أشد الطير صعودا، لا سيما عقاب ذلك الجبل العارف به. وكرر «هوى» لإظهار التحزن، أى: سقط من رأس ثنية عالية يرقب فيها الرقيب، فمزقت كبده تحتها، أى: بجانبها، فكيف ببقية جسمه. ويروى: ففزت. بتشديد الزاى بمعنى فزعت. وروى «ففرت» بتشديد الراء، وأصله: فريت. وهذه لغة طيئ. يقولون: المرأة دعت في دعيت. والدار بنت في بنيت، ثم قال: يلومني الناس على البكاء مع أننى ألمسه، من بابى قتل وضرب، أى: أريد لمسه فلا أجده، وكيف يلام حزين هرم يئس من رجوع ولده إليه، أو من أوان التوالد. وقيل: إن القائل أم القتيل، لكن يروى بعد البيت الأول:

فلا أم فتبكيه ... ولا أخت فتفتقده

هوى عن صخرة صلد ... ففرت تحتها كبده

إلى آخره. انظر: [تفسير الكشاف: ٨٠].

القرآن
{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢)} [طه : ٨٢]
التفسير:
وإني لَغفار لمن تاب من ذنبه وكفره، وآمن بي وعمل الأعمال الصالحة، ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه.
قوله تعالى:{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ} [طه : ٨٢]، أي:" وإني لَغفار لمن تاب من ذنبه وكفره"(٢).
قال ابن كثير:" أي : كل من تاب إليّ تبتُ عليه من أي ذنب كان ، حتى إنه تعالى تاب على من عبد العجل من بني إسرائيل، وقوله : { تَابَ } أي : رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو نفاق أو معصية "(٣).
عن ابن عباس: قوله :"{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ}، من الشرك"(٤).
عن الربيع :"{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ}، من الشرك"(٥).
عن قتادة، قوله :"{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ}، من ذنبه"(٦).
قوله تعالى:{وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [طه : ٨٢]، أي:" وآمن بي وعمل الأعمال الصالحة"(٧).
قال ابن كثير:" { وَآمَنَ } أي : بقلبه، {وَعَمِلَ صَالِحًا}، أي : بجوارحه"(٨).
عن ابن عباس: قوله :"{وآمَنَ}، يقول: وحد الله {وَعَمِلَ صَالِحًا}، يقول: أدى فرائضي"(٩).
عن قتادة، قوله :"{وآمَنَ}، به {وَعَمِلَ صَالِحًا}، فيما بينه وبين الله"(١٠).
عن الربيع :"{وآمَنَ} يقول: وأخلص لله، وعمل في إخلاصه"(١١).
قوله تعالى:{ثُمَّ اهْتَدَى} [طه : ٨٢]، أي:" ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه"(١٢).
واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{ثُمَّ اهْتَدَى} [طه : ٨٢]، على وجوه:
أحدها: علم أن لعمله هذا ثوابا، رواه أبو صالح عن ابن عباس.
قال سفيان:" صام وصلى وعرف أن لها ثوابا"(١٣).
قال الفراء:" علم أن لذلك ثوابا وعقابا"(١٤).
قال مقاتل:" يعني: عرف أن لعمله ثوابا يجازى به كقوله سبحانه: {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُون} [النحل : ١٦]، يعني: يعرفون الطريق"(١٥).
وقال الكلبي:" عرف مثيبه إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر"(١).

---

(١) الكشاف:٣/٧٩-٨٠.
(٢) التفسير الميسر:٣١٧.
(٣) تفسير ابن كثير:٥/٣٠٨-٣٠٩.
(٤)اخرجه الطبري:١٨/٣٤٧ .
(٥)اخرجه الطبري:١٨/٣٤٧ .
(٦)اخرجه الطبري:١٨/٣٤٧ .
(٧) التفسير الميسر:٣١٧.
(٨) تفسير ابن كثير:٥/٣٠٩.
(٩)اخرجه الطبري:١٨/٣٤٧ .
(١٠)اخرجه الطبري:١٨/٣٤٧ .
(١١)اخرجه الطبري:١٨/٣٤٧ .
(١٢) التفسير الميسر:٣١٧.
(١٣) تفسير سفيان الثوري(٦١١: ١٨: ٣٠):ص١٩٥.
(١٤) معاني القرآن:٢/١٨٨.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٦.

الثاني: لم يشكك في إيمانه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].
الثالث: علم أن ذلك توفيق من الله له، رواه عطاء عن ابن عباس[٣].
الرابع: أخذ بسنة النبي-ﷺ-، قاله الربيع بن أنس[٤].
الخامس: ثم مضى على العمل الصالح حتى يموت. قاله الحسن[٥].
وحكي عن الضحاك، قال: "استقام"[٦].
قال الزجاج:" أي: ثم أقام على إيمانه"[٧].
قال المراغي: أي:" ويستقيم حتى الموت"[٨].
السادس: ثم استقام لفرقة السنة والجماعة. قاله سعيد بن جبير[٩].
السابع: لزم الإسلام حتى يموت عليه، قاله قتادة[١٠].
الثامن: أصاب العمل، أي: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم[١١].
التاسع: اهتدى إلى ولاية بيت النبي ﷺ، قاله ثابت البناني[١٢].
قال الطبري:" الاهتداء: هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شكّ في اهتدائه"[١٣].
قال الزمخشري:" الاهتداء: هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح، ونحوه قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في «جاءني زيد ثم عمرو» أعنى أنّ منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه، لأنها أعلى منها وأفضل"[١٤].
قال ابن كثير:" «ثم» هاهنا لترتيب الخبر على الخبر ، كقوله : { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } [البلد : ١٧]"[١٥].
قال النحاس: "قال وكيع عن سفيان: كنا نسمع في قوله عز وجل: {وإني لغفار لمن تاب}، أي: من الشرك، {وآمن}، أي: بعد الشرك، {وعمل صالحا}، صلى وصام، {ثم اهتدى}، مات على ذلك. قال النحاس: وهذا أحسن ما قيل في الآية"[١٦].
فوائد الآيات:[٧٧-٨٢]:
١- تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لا يقصه إلاّ بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلاّ من طريق الوحي الإلهي.
٢- آية انفلاق البحر ووجود طريق يابس فيه لبني إسرائيل حتى اجتازوه دالة على جود الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.

---

(١) أخرجه الطبري:٣٤٨/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٣٤٧/١٨.
(٣) انظر: زاد المسير:١٧٠/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٧١/١.
(٦) انظر: زاد المسير:١٧٠/٣.
(٧) معاني القرآن:٣٧٠/٣.
(٨) تفسير المراغي:١٣٦/١٦.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤٩٦):ص٢٤٣٠/٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨، والنكت والعيون:٤١٧/٣، وزاد المسير:١٧٠/٣.
(١٣) تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.
(١٤) الكشاف:٨٠/٣.
(١٥) تفسير ابن كثير:٣٠٩/٥.
(١٦) إعراب القرآن:٣٧/٣.

٣- تذكير اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية بإنعام الله تعالى على سلفهم لعلهم يشكرون فيتوبون فيسلمون.
٤- تحريم الإسراف والظلم، وكفر النعم.
٥- الغضب صفة لله تعالى كما يليق ذلك بجلاله وكماله لا كصفات المحدثين.

القرآن
{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣)} [طه : ٨٣]
التفسير:
وأيُّ شيء أعجلك عن قومك - يا موسى - فسبقتَهم إلى جانب الطور الأيمن، وخلَّفتَهم وراءك؟
قال مقاتل:" يعني: السبعين الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه إلى الطور ليأخذوا التوراة من ربه- عز وجل- فلما ساروا عجل موسى- عليه السلام- شوقا إلى ربه- تبارك وتعالى- وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله- عز وجل- له- {وما أعجلك عن قومك}؟ - السبعين"(١).

القرآن
{قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤)} [طه : ٨٤]
التفسير:
قال: إنهم خلفي سوف يلحقون بي، وسبقتُهم إليك - يا ربي - لتزداد عني رضا.
قوله تعالى:{قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي} [طه : ٨٤]، أي:" قال: إنهم خلفي سوف يلحقون بي"(٢).
قال مقاتل:" يجيئون من بعدي"(٣).
قال يحيى:" قال: هم أولاء ينتظرونني من بعدي بالذي آتيهم به، وليس يعني أنهم يتبعونه. وقال بعضهم: يعني السبعين الذي اختاروا فذهبوا معه للميعاد"(٤).
قوله تعالى:{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه : ٨٤]، أي:" وسبقتُهم إليك - يا ربي - لتزداد عني رضا"(٥).
قال مقاتل:" يعني: أسرعت إليك رب حتى ترضى عني"(٦).

القرآن
{قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥)} [طه : ٨٥]
التفسير:
قال الله لموسى: فإنا قد ابتلينا قومك بعد فراقك إياهم بعبادة العجل، وإن السامري قد أضلهم.
قوله تعالى:{قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ} [طه : ٨٥]، أي:" قال الله لموسى: فإنا قد ابتلينا قومك بعد فراقك إياهم بعبادة العجل"(٧).
قال مقاتل:" يعنى: الذين خلفتهم مع هارون على ساحل البحر سوى السبعين {من بعدك} بالعجل"(٨).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣١٧.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦/٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٢٧١/١.
(٥) التفسير الميسر:٣١٧.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣١٧.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٦/٣.

قوله تعالى:{وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} [طه : ٨٥]، أي:" وإن السامري قد أضلهم"[١].

القرآن
{فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦)} [طه : ٨٦]
التفسير:
فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينًا، وقال لهم: يا قوم ألم يَعِدْكم ربكم وعدًا حسنًا بإنزال التوراة؟
أفطال عليكم العهد واستبطأتم الوعد، أم أردتم أن تفعلوا فعلا يحل عليكم بسببه غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي وعبدتم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟
قوله تعالى:{فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} [طه : ٨٦]، أي:" فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينًا"[٢].
قال الطبري:" يقول: فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة، متغيظا على قومه، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله"[٣].
قال الزجاج:" أسف: شديد الحزن مع غضبه"[٤].
قال أبو الدرداء:" «الأسف»، منزلة وراء الغضب، أشدُّ من ذلك، وتفسير ذلك في كتاب الله: ذهب إلى قومه غضبان، وذهب أسفًا"[٥].
عن ابن عباس قوله :"{غَضْبَانَ أَسِفًا}، يقول: حزينا، وقال في الزخرف {فَلَمَّا آسَفُونَا} يقول: أغضبونا، والأسف على وجهين: الغضب، والحزن"[٦].
عن مجاهد، والسدي :"{أَسِفًا}، يقول: حزينا"[٧].
وعن مجاهد :"{غضبان أسفا}، قال: جزعا"[٨].
قال قتادة:" أي: حزينا على ما صنع قومه من بعده"[٩].
وعن الحسن:"{غضبان أسفًا}، قال: غضبان حزينًا"[١٠].
وقال ابن قتيبة:" {أسفا} شديد الغضب. يقال: آسفني فأسفت. أي: أغضبني فغضبت. ومنه قوله: {فلما آسفونا انتقمنا منهم}"[١١].
قال ابن عطية:" «الأسف» قد يكون بمعنى الغضب الشديد، وأكثر ما يكون بمعنى الحزن والمعنيان مترتبان هاهنا"[١٢].
وفي غضبه وأسفه قولان[١٣] :
أحدهما : غضبان من قومه على عبادة العجل ؟ أسفاً على ما فاته من مناجاة ربه .
والثاني : غضبان على نفسه في ترك قومه حتى ضلوا ، أسفاً على ما رأى في قومه من ارتكاب المعاصي .

---

(١) التفسير الميسر:٣١٧.
(٢) التفسير الميسر:٣١٧.
(٣) تفسير الطبري:٣٥٠/١٨.
(٤) معاني القرآن:٣٧١/٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٥١٢٤):ص١٢٠/١٣-١٢١.
(٦) أخرجه الطبري:٣٥٠/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٣٥٠/١٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٩٧):ص١٥٦٩/٥.
(٩) أخرجه الطبري:٣٥٠/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري(١٥١٢٧):ص١٢١/١٣.
(١١) غريب القرآن:١٧٣.
(١٢) المحرر الوجيز:٤٥٦/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٢٦٣/٢.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا} [طه : ٨٦]، أي:" قال لهم: يا قوم ألم يَعِدْكم ربكم وعدًا حسنًا بإنزال التوراة؟"[١].

قال مقاتل:"يعني: حقا، أن يعطيكم التوراة فيها بيان كل شيء"[٢].

قوله تعالى:{أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ} [طه : ٨٦]، أي:" هل طال عليكم الزمن حتى نسيتم العهد"[٣].

قل الطبري:" أفطال عليكم العهد بي، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم"[٤].

عن مجاهد قوله: "{أفطال عليكم العهد}، يقول: الوعد"[٥].

قوله تعالى:{أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي} [طه : ٨٦]، أي:" أم أردتم بصنيعكم هذا أن ينزل عليكم سخط الله وغضبه فأخلفتم موعدي وعبدتم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟؟"[٦].

قل الطبري:" يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم موعدي"[٧].

عن مجاهد قوله: "{ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي}، يقول: عهدي"[٨].

القرآن

{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧)} [طه : ٨٧]

التفسير:

قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعدك باختيارنا، ولكنَّا حُمِّلنا أثقالا مِن حليِّ قوم فرعون، فألقيناها في حفرة فيها نار بأمر السامري، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام.

قوله تعالى:{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا} [طه : ٨٧]، أي:" قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعدك باختيارنا"[٩].

قال السعدي:" أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد منا، وملك منا لأنفسنا"[١٠].

وفي قوله تعالى:{ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا} [طه : ٨٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: ما أخلفنا موعدك بأمرنا. قاله ابن عباس[١١]، ومجاهد[١٢].

قال مجاهد قوله: "بأمر ملكنا"[١٣].

وقال مقاتل:" ونحن نملك أمرنا"[١٤].

الثاني: معناه: بطاقتنا. وهذا قول قتادة[١٥]، والسدي[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٧.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٧/٣.
(٣) صفوة التفاسير:٢٢٣/٢.
(٤) تفسير الطبري:٣٥٠/١٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.
(٦) انظر: التفسير الميسر: ٣١٧، وصفوة التفاسير:٢٢٣/٢.
(٧) تفسير الطبري:٣٥٠/١٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.
(٩) التفسير الميسر:٣١٧.
(١٠) تفسير السعدي:٥١١.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٢):ص٢٤٣٢/٧، وتفسيرالطبري:٣٥١/١٨-٣٥٢.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧، وتفسيرالطبري:٣٥٢/١٨.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.
(١٤)تفسير مقاتل بن سليمان:٣٧/٣ .
(١٥)انظر: تفسير الطبري:٣٥٢/١٨ .

الثالث: معناه: ما أخلفنا موعدك بهوانا، ولكنا لم نملك أنفسنا. وهذا قول ابن زيد[٢].

قال ابن زيد:" يقول بهوانا، قال: ولكنه جاءت ثلاثة، قال ومعهم حلي استعاروه من آل فرعون، وثياب"[٣].

قال الطبري:" وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يملك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه، فإذا كان ذلك كذلك، فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ، وذلك أن من كسر الميم من الملك، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه، وجعله من قول القائل: هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات، وأن من فتحها، فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك، غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل: ملكت الشيء أملكه ملكا وملكة، كما يقال: غلبت فلانا أغلبه غَلبا وغَلَبة، وأن من ضمها فإنه وجَّه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا، أي ونحن نقدر أن نمتنع منه، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه، وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضمّ، فقال: أيّ ملك كان يومئذ لبني إسرائيل، وإنما كانوا بمصر مستضعفين، فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا، وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك، وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد"[٤].

القول الرابع: معناه: بسلطاننا. وهذا قول الحسن[٥].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا} [طه : ٨٧]، أي:" ولكنَّا حُمِّلنا أثقالا مِن حليّ قوم فرعون، فألقيناها في حفرة فيها نار بأمر السامري"[٦].

قال الطبري:" يقول: ولكنا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم، يعنون من حلي آل فرعون، وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله إياه بذلك، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم، وقال: إن الله مغنمكم ذلك، ففعلوا، واستعاروا من حليّ نسائهم وأمتعتهم، قوله {فَقَذَفْناها} يقول: فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة"[٧].

قال السعدي:أي:" ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثمنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حليا كثيرا من القبط، فخرجوا وهو معهم وألقوه، وجمعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجع"[٨].

قال ابن عباس:" فهو ما كان مع بني إسرائيل من حلي آل فرعون، يقول: خطئونا بما أصبنا من حليّ عدوّنا"[٩].

عن مجاهد : "{وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا}، قال أثقالا، {مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ}: وهي الحلي الذي استعاروه من ال فرعون، {فَقَذَفْنَاهَا}: فألقيناها"[١٠].

عن قَتادة :{فَقَذَفْناها}، أي: فنبذناها"[١١].

عن السديّ :"{وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ}، يقول: من حليّ القبط"[١].

---

(١)انظر: تفسير الطبري:٣٥٢/١٨ .
(٢)انظر: تفسير الطبري:٣٥٢/١٨ .
(٣)أخرجه الطبري:٣٥٢/١٨ .
(٤) تفسير الطبري:٣٥٢/١٨-٣٥٣.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٥٠٣):ص٢٤٣٢/٧.
(٦) التفسير الميسر:٣١٧.
(٧) تفسير الطبري:٣٥٣/١٨-٣٥٤.
(٨) تفسير السعدي:٥١١.
(٩) أخرجه الطبري:٣٥٣/١٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧-٢٤٣٢
(١١) أخرجه الطبري:٣٥٤/١٨.

قال مقاتل:" {ولكنا حملنا أوزارا}، يعني: خطايا، لأن ذلك حملهم على صنع العجل وعبادته من زينة القوم يقول من حلي آل فرعون الذهب والفضة، وذلك أنه لما مضى خمسة وثلاثون يوما، قال لهم السامري وهو من بني إسرائيل: يا أهل مصر إن موسى لا يأتيكم فانظروا هذا الوزر وهو الرجس الذي على نسائكم وأولادكم من حلي آل فرعون الذي أخذتموه منهم غصبا فتطهروا منه واقذفوه في النار. ففعلوا ذلك وجمعوه فعمد السامري، فأخذه ثم صاغه عجلا لست وثلاثين يوما وسبعة وثلاثين يوما وثمانية وثلاثين يوما، فصاغه في ثلاثة أيام ثم قذف القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل- عليه السلام- فخار العجل خورة واحدة، ولم يثن فأمرهم السامري بعبادة العجل لتسعة وثلاثين يوما، ثم أتاهم موسى- عليه السلام- من الغد لتمام أربعين يوما"(٢).

قال ابن زيد:" الحليّ الذي استعاروه والثياب، ليست من الذنوب في شيء، لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها، فليست من الذنوب في شيء"(٣).

قال القرطبي:" قيل: هذا الحلي ما أخذه بنو إسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق، وأن هارون قال لهم: إن الحلي غنيمة، وهي لا تحل لكم، فجمعها في حفرة حفرها فأخذها السامري. وقيل: استعاروا الحلي ليلة أرادوا الخروج من مصر، وأوهموا القبط أن لهم عرسا أو مجتمعا"(٤).

وقرئ: «حَمَلْنا» بتخفيف الحاء والميم وفتحهما، بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد(٥).

قوله تعالى:{فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} [طه : ٨٧]، أي:" فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام"(٦).

قال الطبري:" يقول: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل"(٧).

قال مقاتل:" يعني: هكذا ألقى السامري الحلي في النار"(٨).

عن مجاهد: "{فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}: قال: فكذلك صنع"(٩).

عن ابن عباس:" إن بني إسرائيل استعاروا حليا من القبط فخرجوا به معهم فقال لهم هارون: قد ذهب موسي إلى السماء أجمعوا هذا الحلي حتي يجيء موسى فيقضي فيه ما قضي فجمع، ثم أذيب فلما ألقي السامري القبضة تحول عجلا جسدا له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى فنسي، قال: إن موسي ذهب يطلب ربه فضل فلم يعلم مكانه وهو هذا"(١٠).

عن ابن عباس:" أن هارون مَرَّ بالسامري وهو ينحت العجل ، فقال له : ما تصنع ؟ فقال : أصنع ما يضر ولا ينفع فقال هارون : اللهم اعطه ما سأل على ما في نفسه ومضى هارون ، فقال السامري : اللهم إني أسألك أن يَخُور فَخَار ، فكان إذا خار سجدوا له، وإذا خار رفعوا رؤوسهم"(١١).

وقال ابن عباس:" إذا خار سجدوا وإذا سكت رفعوا رؤسهم"(١٢).

---

(١) أخرجه الطبري:٣٥٣/١٨.
(٢)تفسير مقاتل بن سليمان:٣٧/٣-٣٨.
(٣) أخرجه الطبري:٣٥٤/١٨.
(٤) تفسير القرطبي:٢٨٤/٧-٢٨٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٥٤/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣١٧.
(٧) تفسير الطبري:٣٥٤/١٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨/٣.
(٩) أخرجه الطبري:٣٥٤/١٨، وابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧. وفيه«كذلك». بدون «فاء».
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٤):ص٢٤٣٢/٧
(١١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣١٠/٥-٣١١.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩١):ص١٥٦٨/٥.

قال ابن عباس:" كان السامري من أهل كرمان"[١].

قال القرطبي:" روي في قصص العجل: أن السامري، واسمه موسى بن ظفر، ينسب إلى قرية تدعى سامرة. ولد عام قتل الأبناء، وأخفته أمه في كهف جبل فغذاه جبريل فعرفه لذلك، فأخذ حين عبر البحر على فرس وديق ليتقدم فرعون في البحر- قبضة من أثر حافر الفرس. وهو معنى قوله: { فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} [طه : ٩٦]. وكان موسى وعد قومه ثلاثين يوما، فلما أبطأ في العشر الزائد ومضت ثلاثون ليلة قال لبني إسرائيل وكان مطاعا فيهم: إن معكم حليا من حلي آل فرعون، وكان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا لذلك اليوم، فلما أخرجهم الله من مصر وغرق القبط بقي ذلك الحلي في أيديهم، فقال لهم السامري: إنه حرام عليكم، فهاتوا ما عندكم فنحرقه"[٢].

القرآن

{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨)} [طه : ٨٨]

التفسير:

فصنع السامري لبني إسرائيل من الذهب عجلا جسدًا يخور خوار البقر، فقال المفتونون به منهم للآخرين: هذا هو إلهكم وإله موسى، نسيه وغَفَل عنه.

قوله تعالى:{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [طه : ٨٨]، أي:" فصنع السامري لبني إسرائيل من الذهب عجلا جسدًا يخور خوار البقر"[٣].

قال مقاتل:" يعني: صورة عجل ليس فيه روح، له صوت البهائم، ثم لم يصوت غير مرة واحدة "[٤].

قال الطبري:" يقول: فأخرج لهم السامريّ مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار، ويعني بـ«الخوار»: الصوت، وهو صوت البقر"[٥].

قال أبو عبيدة:" {لَهُ خُوارٌ}، أي: صوت كخوار البقر إذا خار، وهو يخور"[٦].

عن مجاهد: "{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ}: قال: حفيف الريح فيه فهو خواره، والعجل ولد البقره"[٧].

روي عن نافع، قال :" يا ابن عباس: فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: {عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ}؟ قال: يعني له صياح. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: أما سمعت الشاعر وهو يقول[٨]:

كأنّ بني معاوية بن بكر ... إلى الإسلام صائحة تخور"[٩].

والخوار :«صوت الثور»[١٠]، وفيه قولان :

أحدهما : أنه صوت حياة خلقه، لأن العجل المُصَاغُ انقلب بالقبضة التي من أثر الرسول فصار حيواناً حياً ، قاله الحسن[١]، وقتادة[٢]، والسدي[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٥):ص٢٤٣٢/٧

(٢) تفسير القرطبي:٢٨٤/٧-٢٨٥.

(٣) التفسير الميسر:٣١٨.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨/٣.

(٥) تفسير الطبري:٣٥٤/١٨.

(٦) مجاز القرآن:٢٢٨/١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.

(٨) انظر: الإتقان : ١/ ١٢١. بنو معاوية بن بكر: نسبة إلى معاوية بن بكر بن هوازن من قيس عيلان من عيلان، جد جاهلي، مات قتيلا، فجعل عامر بن الظرب العدواني ديته مائة من الإبل. قال ابن حزم: وهي أول دية قضي فيها بذلك، من نسله بنو: نصر بن معاوية، وبنو: جشم بن معاوية، وبنو: صعصعة بن معاوية، وهم كثيرون جدا، (انظر: جمهرة الأنساب ٢٥٢ و ٢٥٧- ٢٧٥. والأعلام: ٧/ ٢٦٠).

(٩) مسائل نافع بن الأزرق:٤٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون:٤١٩/٣.

قال قتادة:" استعاروا حليا من آل فرعون فجمعه السامري فصاغ منه عجلا فجعله الله جسدا لحما ودما له خوار"[٤].

قال السدي:" كان يخور ويمشي"[٥].

وقال الضحاك:" العجل: خار خورة لم يثن، ألم تر أن الله قال: {ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يرجع إليهم قولا}"[٦].

الثاني : أن خواره وصوته كان بالريح، لأنه عمل فيه خروقاً فإذا دخلت الريح فيه خار ولم يكن فيه حياة ، قاله ابن عباس[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، ومجاهد[٩].

قال مجاهد:" فانسكبت عجلا له خوار خفيف، وهو الريح"[١٠].

قال الزجاج:" والذي قاله مجاهد من أن خواره حفيف الريح فيه، أسرع إلى القبول، لأنه شيء ممكن. والتفسير الآخر وهو أنه خوار ممكن في محنة الله عز وجل - أن امتحن القوم بذلك، وليس في خوار صفر ما يوجب عبادته لأنهم قد رأوه معمولا مصنوعا، فعبادتهم إياه لو خار وتكلم كما يتكلم الآدمي لم تجب به عبادته"[١١].

قال القفال: "كان السامري احتال بأن جوف العجل، وكان قابل به الريح، حتى جاء من ذلك ما يحاكي الخوار، وأوهمهم أن ذلك إنما صار كذلك لما طرح في الجسد من التراب الذي كان أخذه من تراب قوائم فرس جبريل"[١٢].

قال سعيد بن جبير:" والله ما كان له صوت قط ولكن الريح كانت تدخل في دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك"[١٣].

قال ابن عباس :" لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج فيه ، فيسمع له صوت"[١٤].

وروي عن الحسن، قال:" كان أسم عجل بني إسرائيل الذي عبدوه بهموت"[١٥].

وأخرجه ابن أبي حاتم، ولفظه:"يهبوث"[١٦].

قال السدي:" قال: موسى: يا رب هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل أرأيت الروح من نفخها فيه قال الرب: أنا، قال رب: فأنت إذا أضللتهم"[١٧].

قال السمعاني:" فإن قيل: السامري كان كافرا، وهذا الذي ظهر على يده معجزة، فكيف يجوز أن تظهر المعجزة على يد كافر؟ والجواب: أن ذلك كان لفتنة بني إسرائيل وابتلائهم. وعند أهل السنة هذا جائز، ولا نقول: هو معجزة، ولكنه محنة وفتنة"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤١٩/٣.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٩٨٨):ص١٥٦٨/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٥٥/١٨-٣٥٦، وتفسير ابن ابي حاتم(٨٩٨٩):ص١٥٦٨/٥.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٨٨):ص١٥٦٨/٥.
(٥) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٨-٣٥٦.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩٢):ص١٥٦٩/٥.
(٧) تفسير ابن كثير:٣١١/٥.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٩٩٠):ص١٥٦٨/٥.
(٩) انظر: تفسير مجاهد:٤٦٥.
(١٠) تفسير مجاهد:٤٦٥.
(١١) معاني القرآن:٣٧٢/٣.
(١٢) تفسير القرطبي:٢٨٤/٧-٢٨٥.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩٠):ص١٥٦٨/٥.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣١١/٥.
(١٥) أخرجه ابن عساكر في في تاريخه، ترجمة "همام بن الوليد الدمشقي"، وانظر: تفسير ابن كثير:٣١١/٥، ١٤٤.
(١٦) تفسير ابن ابي حاتم(٩٠٠٣):ص١٥٧١/٥
بالمثلثة آخره في «الدرّ المنثور» : «يهبوب» بالموحدة آخره.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٨٩):ص١٥٦٨/٥.

واختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامريّ العجل، على قولين:
أحدهما: أن السامري صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرائيل في فمه فخار. وهذا قول قتادة.

قال قتادة:" كان الله وقَّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحليّ والصورة {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} فجعل يخور خوار البقر، فقال: {هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى}"[٢].
الثاني: أن السامري جاء بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلا جدسا له خوار. وهذا قول السدي[٣].

قال السدي:" أخذ السامريّ من تربة الحافر، حافر فرس جبرائيل، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم، وإن حليّ القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة، فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلا جسدا له خوار، وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل، فلما رأوه قال لهم السامريّ {هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي.."[٤].

قوله تعالى:{فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} [طه : ٨٨]، أي:" فقال المفتونون به منهم للآخرين: هذا هو إلهكم وإله موسى، نسيه وغَفَل عنه"[٥].

قال ابن كثير:" فقالوا - أي : الضُّلال منهم ، الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه - : { هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ } أي : نسيه هاهنا ، وذهب يتطلبه"[٦].

قال مقاتل:" قال السامري وحده: هذا إلهكم وإله موسى معشر بني إسرائيل، وذلك أن بني إسرائيل لما عبروا البحر مروا على العمالقة وهم عكوف على أصنام لهم، قالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فاغتنمها السامري فلما اتخذه قال: هذا إلهكم وإله موسى معشر بني إسرائيل {فنسي}، يقول: فترك موسى ربه وهو هذا، وقد ذهب موسى يزعم خطاب ربه"[٧].

قال قتادة: لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامريّ: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحليّ، وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامريّ فصاغ منه عجلا ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس، فرس الملك، فنبذها في جوفه، فإذا هو عجل جسد له خوار، قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، ولكن موسى نسي ربه عندكم"[٨].

عن مجاهد :"{فنسي}، قال: هم يقولونه قومه أخطأ الرب العجل"[٩].

وفي قوله تعالى:{فَنَسِيَ}[طه :٨٨]، أقوال:
أحدها : فنسي السامري إسلامه وإيمانه ، قاله ابن عباس[١٠].

---

(١) تفسير السمعاني:٣٤٩/٣.
(٢) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٥٥/١٨-٣٥٦.
(٤) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٨-٣٥٦.
(٥) التفسير الميسر:٣١٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٣١١/٥.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨/٣.
(٨) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٦):ص٢٤٣٢/٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٨.

قال ابن عباس:" أي: ترك ما كان عليه من الإسلام، يعني: السامري"[١].
قال ابن عباس:" فعكفوا عليه وأحبوه حبًّا لم يحبوا شيئًا قط يعني مثله ، يقول الله : { فَنَسِيَ } أي : ترك ما كان عليه من الإسلام، يعني : السامري"[٢].
وقال مكحول: "فنسي، أي: فترك السامري ما كان عليه من الدين[٣].
الثاني : فنسي موسى إلهه عندكم ، قاله قتادة[٤]، والضحاك[٥]، والسدي[٦]، وابن زيد[٧].
قال قتادة:" يقول: قال السامريّ: موسى نسي ربه عندكم"[٨].
وقال قتادة:"يقول: طلب هذا موسى فخالفه الطريق"[٩].
قال الضحاك:" يقول: نسي موسى ربه فأخطأه، وهذا العجل إله موسى"[١٠].
قال السدي:" يقول: ترك موسى إلهه هاهنا وذهب يطلبه"[١١].
قال ابن زيد:" يقول: فنسي حيث وعده ربه هاهنا، ولكنه نسي"[١٢].
وقال مجاهد:" هم يقولونه: أخطأ الربّ العجل"[١٣].
الثالث : فنسي أن قومه لا يصدقونه في عبادة عجل لا يضر ولا ينفع ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[١٤].
الرابع : أن موسى نسي أن قومه قد عبدوا العجل بعده، قاله مجاهد[١٥].
الخامس: فنسي موسى : أن يذكركم أن هذا إلهكم، رواه عكرمة عن ابن عباس[١٦].
السادس: فنسي موسى ضلّ عنه فلم يهتد له، روي عن ابن عباس أيضا[١٧].
قال الزمخشري:أي:" فنسي موسى أن يطلبه هاهنا، وذهب يطلبه عند الطور"[١٨].
السابع: فنسي السامري أن العجل لا يرجع إليهم قولا، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا. حكاه ابن الجوزي[١٩].
قال ابن الجوزي:" فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: فنسي من إخبار الله عز وجل عن السامري. وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان: أحدهما: أنه السامري. والثاني: بنو إسرائيل"[٢٠].
قال الطبري: والصواب" أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، لإجماع الحجة من

---

(١) أخرجه الطبري:٣٥٦/١٨.
(٢) تفسير ابن كثير:٣١١/٥.
(٣) انظر: زاد المسير:١٧٢/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٣٥٥/١٨-٣٥٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٥٧/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٥٧/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٣٥٧/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٣٥٦/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٣٥٦/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٥٧/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٥٧/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٥٧/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٥٦/١٨-٣٥٧.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٤١٩/٣.
(١٥) انظر: زاد المسير:١٧٢/٣.
(١٦) انظر: تفسير ابن كثير:٣١١/٥، وزاد المسير:١٧٢/٣. من طريق سِماك عن عكرمة عن ابن عباس.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٨.
(١٨) الكشاف:٨٣/٣.
(١٩) انظر: زاد المسير:١٧٢/٣.
(٢٠) زاد المسير:١٧٢/٣.

أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبرا من السامري عنه بذلك أشبه من غيره"[١].

القرآن

{أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)} [طه : ٨٩]

التفسير:

أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يكلمهم ابتداء، ولا يردُّ عليهم جوابًا، ولا يقدر على دفع ضرٍّ عنهم، ولا جلب نفع لهم؟

قوله تعالى:{أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا} [طه : ٨٩]، أي:" أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يكلمهم ابتداء، ولا يردُّ عليهم جوابًا"[٢].

قال ابن كثير:" قال الله تعالى ردًّا عليهم ، وتقريعًا لهم ، وبيانًا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه:{ أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا } أي: العجل {أَفَلا يَرَوْنَ } أنه لا يجيبهم إذا سألوه ، ولا إذا خاطبوه"[٣].

قال مقاتل:" يعني: أفهلا يرون أنه لا يكلمهم العجل"[٤].

قال السعدي:" أي: لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه"[٥].

عن مجاهد :" {أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا}، قال: العجل"[٦].

قال السمعاني:" في بعض التفاسير: أن العجل خار خوارا واحدا، ولم يعد، فهو معنى قوله: {ألا يرجع إليهم قولا}، وقال بعضهم: لا يجيبهم إذا دعوه"[٧].

قوله تعالى:{وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [طه : ٨٩]، أي:" ولا يقدر على دفع ضرٍّ عنهم، ولا جلب نفع لهم؟"[٨].

قال ابن كثير:" أي : في دنياهم ولا في أخراهم"[٩].

قال مقاتل:" يقول: لا يقدر العجل على أن يرفع عنهم سوءا، ولا يسوق إليهم خيرا"[١٠].

عن مجاهد :" {ولا يملك لهم ضرا}، قال: ضلالة"[١١].

قال السعدي:" فالعادم للكمال والكلام والفعال لا يستحق أن يعبد وهو أنقص من عابديه، فإنهم يتكلمون ويقدرون على بعض الأشياء، من النفع والدفع، بإقدار الله لهم، وهذا من بلادتهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جمادا، فظنوه إله الأرض والسماوات"[١٢].

فوائد الآيات:[٨٣-٨٩]:

١- ذم العجلة وبيان آثارها الضَّارة فاستعجال موسى الموعد وتركه قومه وراءه كان سبباً في أمر عظيم وهو عبادة العجل وما تترب عليها من آثار جسام.

٢- مشروعية طلب رضا الله تعالى ولكن بما يحب أن يتقرب به إليه.

٣- مشروعية الغضب لله تعالى والحزن على ترك عبادته بمخالفة أمره ونهيه.

---

(١) تفسير الطبري:٣٥٧/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٣١١/٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨/٣.
(٥) تفسير السعدي:٥١١.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٦):ص٢٤٣٢/٧.
(٧) تفسير السمعاني:٣٤٩/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٣١١/٥.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨/٣-٣٩.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٦):ص٢٤٣٢/٧.
(١٢) تفسير السعدي:٥١١.

٤- مشروعية استعارة الحلي للنساء والزينة، وحرمة جحدها وأخذها بالباطل.
٥- وجوب استعمال العقل واستخدام الفكر للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر.

القرآن

{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠)} [طه : ٩٠]

التفسير:

ولقد قال هارون لبني إسرائيل من قبل رجوع موسى إليهم: يا قوم إنما اختُبرتم بهذا العجل؛ ليظهر المؤمن منكم من الكافر، وإن ربكم الرحمن لا غيره فاتبعوني فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، وأطيعوا أمري في اتباع شرعه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ} [طه : ٩٠]، أي:" ولقد قال هارون لبني إسرائيل من قبل رجوع موسى إليهم"(١).

قوله تعالى:{يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ} [طه : ٩٠]، أي: "يا قوم إنما اختُبرتم بهذا العجل؛ ليظهر المؤمن منكم من الكافر"(٢).

قال مقاتل:" يعني: ابتليتم بالعجل"(٣).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عما كان من نَهْي هارون ، عليه السلام ، لهم عن عبادة العجل ، وإخباره إياهم : إنما هذا فتنة لكم"(٤).

وفي قوله تعالى:{يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ} [طه : ٩٠]، وجهان من التفسير(٥):

أحدهما: معناه: صرتم مفتونين بالعجل بصوته وخواره أو بغيره.

الثاني: معناه: ضللتم به، أي: باتخاذ العجل إلها. يدل عليه قول موسى-عليه السلام-: {يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} [طه : ٩٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ} [طه : ٩٠]، أي:" وإن ربكم الرحمن لا غيره"(٦).

قال ابن كثير:" الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد"(٧).

قوله تعالى:{فَاتَّبِعُونِي} [طه : ٩٠]، أي:" فاتبعوني فيما أدعوكم إليه من عبادة الله"(٨).

قال مقاتل:" على ديني"(٩).

قال الماتريدي:" أي: أجيبوا لي إلى ما أدعوكم به"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : فيما آمركم به ، واتركوا ما أنهاكم عنه"(١١).

قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا أَمْرِي} [طه : ٩٠]، أي:" وأطيعوا أمري في اتباع شرعه"(١٢).

قال مقاتل:" يعني: قولي"(١٣).

قال الماتريدي:" أي: ما آمركم به"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.
(٥) انظر: تأويلات أهل السنة:٣٠٢/٧.
(٦) التفسير الميسر:٣١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.
(٨) التفسير الميسر:٣١٨.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٣.
(١٠) تأويلات أهل السنة:٣٠٢/٧.
(١١) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.
(١٢) التفسير الميسر:٣١٨.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٣.
(١٤) تأويلات أهل السنة:٣٠٢/٧.

القرآن
{قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١)} [طه : ٩١]
التفسير:
قال عُبَّاد العجل منهم: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى.
قال الماتريدي:" أي: لن نزال على عبادة العجل مقيمين حتى يرجع إلينا موسى، وقيل: أي: لن نفارق عبادته"(١).
قال ابن كثير:" أي : لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه. وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه"(٢).
قال أبو عبيدة:{ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ}، معناه: "لن نزال، قال أوس بن حجر(٣):
فما برحت خيل تثوب وتدّعى ... ويلحق منها لاحق وتقطّع
أي: فما زالت"(٤).
واختلف في الذين عبدوا العجل على أقوال(٥):
أحدها: أنهم كلهم عبدوا العجل، إلا هارون. وها يدل عليه ظاهر قوله تعالى:{ثم اتخذتم}[البقرة:٥١].
الثاني: وقيل: الذين عكفوا على عبادته من قوم موسى، ثمانية آلاف رجل.
الثالث: وقيل : كلهم عبدوه إلا هارون مع اثني عشر ألفاً.
الرابع: وقيل: إلا هارون والسبعين رجلاً الذين كانوا مع موسى.
قال أبو حيان: "وهذا هو الصحيح"(٦)، أي القول الأخير.
قال الثعلبي:" وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدّوا اليوم والليلة يومين، فلما مضت عشرون يوما ولم يرجع موسى عليه السّلام ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، أفتتن بالعجل ثمانية ألف رجل منهم، وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله عزّ وجلّ"(٧).

القرآن
{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣)} [طه : ٩٢ - ٩٣]
التفسير:
قال موسى لأخيه هارون: أيُّ شيء منعك حين رأيتهم ضلُّوا عن دينهم أن لا تتبعني، فتلحق بي وتتركهم؟ أفعصيت أمري فيما أمرتك به من خلافتي والإصلاح بعدي؟
قوله تعالى:{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ}[طه : ٩٢ - ٩٣]، أي:" قال موسى لأخيه هارون: أيُّ شيء منعك حين رأيتهم ضلُّوا عن دينهم أن لا تتبعني، فتلحق بي وتتركهم؟"(٨).
قال الطبري:" قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم: يا هارون أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني"(١).

---

(١) تأويلات أهل السنة:٣٠٢/٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.
(٣)ديوانه رقم ١٧- والطبري ١٣/ ٢٥ وشواهد الكشاف ١٦٨.
(٤) مجاز القرآن:٢٥/٢.
(٥) أنظر: البحر المحيط: ٦٩!/١.
(٦) البحر المحيط: ١٦٩/١.
(٧) تفسير الثعلبي: ١٩٤/١.
(٨) التفسير الميسر:٣١٨.

قال ابن كثير:" يقول مخبرًا عن موسى ، عليه السلام ، حين رجع إلى قومه ، فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم ، فامتلأ عند ذلك غيظًا، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وقد قدمنا في «الأعراف» بسط ذلك ، وذكرنا هناك حديث "ليس الخبر كالمعاينة»[٢].

وشرع يلوم أخاه هارون فقال:{ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلا تَتَّبِعَنِ } أي : فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع"[٣].

قال الماتريدي:" يحتمل {ألا تتبعن}، أي: ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا صرت إلى ما كنت صرت أنا؟ وقد علمت إلى أين صرت أنا، أو أن يكون قوله: {ألا تتبعن}، أي: ألا تتبع ديني وسنتي، وكانت سنته ومذهبه القتال والحرب معهم إذا ضلوا وتركوا دين الله"[٤].

عن ابن زيد: قوله: "{مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِي}، قال: تدعهم"[٥].

وقال ابن جريج:" أمر موسى هارون أن يصلح، ولا يتبع سبيل المفسدين، فذلك قوله: {أَلا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} بذلك"[٦].

قوله تعالى:{أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} [طه : ٩٣]، أي:" أفعصيت أمري فيما أمرتك به من خلافتي والإصلاح بعدي؟"[٧].

قال ابن كثير:" أي : فيما كنت تقدمت إليك ، وهو قوله : { اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } [الأعراف : ١٤٢]"[٨].

قال محمد بن إسحاق:" لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، ألقى الألواح من يده، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته، ويقول: {مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} [سورة طه: ٩٢، ٩٣] "[٩].

القرآن

{قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)} [طه : ٩٤]

التفسير:

ثم أخذ موسى بلحية هارون ورأسه يجرُّه إليه، فقال له هارون: يا ابن أمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خفتُ - إن تركتهم ولحقت بك - أن تقول: فرَّقت بين بني إسرائيل، ولم تحفظ وصيتي بحسن رعايتهم.

قوله تعالى:{قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي} [طه : ٩٤]، أي:" ثم أخذ موسى بلحية هارون ورأسه يجرُّه إليه، فقال له هارون: يا ابن أمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري:٣٥٩/١٨.

(٢)أخرجه أحمد ١/ ٢٥١، حديث رقم ١٨٤٣، وفيه هشيم بن بشير، ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي، وقد عنعن في هذا الحديث، وقال الترمذي: (سمعت إسحاق بن منصور يقول: قال أحمد بن حنبل: لم يسمع هشيم حديث أبي بشر: ليس الخبر كالمعاينة، وأخرج ابن حبان له شاهداً ٨/ ٣٣، باب، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به هشيم، حديث رقم ٦١٨١، وأخرج الحاكم الشاهد له، ٢/ ٣٨٠، كتاب التفسير، سورة الأنبياء، وقال صحيح على شرط الشيخين، واقره الذهبي وقال: سمعه من أبي بشر ثقتان.

(٣) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.

(٤) تأويلات أهل السنة:٣٠٢/٧.

(٥) أخرجه الطبري:٣٥٩/١٨.

(٦) أخرجه الطبري:٣٥٩/١٨.

(٧) التفسير الميسر:٣١٨.

(٨) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.

(٩) أخرجه الطبري(١٥١٣١):ص١٢٣/١٣.

(١٠) التفسير الميسر:٣١٨.

قال الطبري : في الكلام محذوف، تقدير:" ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه، فقال هارون :{يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي}"[1].

وفي قوله تعالى:{بْنَؤُمَّ} [طه : ٩٤]، قولان:

أحدهما : أنه قال ذلك لأنه كان أخاه لأمه ، قاله الحسن[2].

الثاني : أنه قال ذلك على عادة العرب استعطافاً بالرحم[3]، كما قال الشاعر[4]:

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شقيقَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَّيْتَنِي لأَمْرٍ شَدِيدِ

قال ابن عطية:" وقوله: {ابْنَ أُمَ}، استلطاف برحم الأم إذ هو ألصق القرابات"[5].

قال ابن كثير:" ترفق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه ؛ لأن ذكر الأم هاهنا أرق وأبلغ ، أي : في الحنو والعطف "[6].

قال الماتريدي:" دل قوله: {لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي} بأن كان له الشعر، فكنى بالرأس عن الشعر"[7].

قال الثعلبي: {لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي}، " يعني: ذؤابتي وشعر رأسي إذ هما عضوان مصونان يقصدان بالإكرام والإعظام من بين سائر الأعضاءني"[8].

روي عن ابن عباس: "أخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره، لأن الغيرة في الله ملكته"[9].

قال القرطبي:" وقد قيل: إن موسى عليه السلام إنما فعل هذا على غير استخفاف ولا عقوبة كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه. والله عز وجل أعلم بما أراد نبيه عليه السلام"[10].

قوله تعالى:{إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} [طه : ٩٤]، أي:" إني خفتُ - إن تركتهم ولحقت بك - أن تقول: فرَّقت بين بني إسرائيل، ولم تحفظ وصيتي بحسن رعايتهم"[11].

قال الطبري:" فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرّقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، ولم تنظر قولي وتحفظه"[12].

قال ابن كثير:" هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه ، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال { إِنِّي خَشِيتُ} أن أتبعك فأخبرك بهذا ، فتقول لي :

---

(١) تفسير الطبري:٣٥٩/١٨.

(٢) انظر: النكت والعيون:٢٦٤/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري:١٢١/١٣، والنكت والعيون:٢٦٤/٢.

(٤) الشعر لابي زبيد، انظر: أمالي اليزيدي ٩، جمهرة أشعار العرب: ١٣٩ واللسان (شقق) ، وشواهد العينى (هامش خزانة الأدب) : ٤: ٢٢٢، وغيرها. من قصيدة مختارة، يرثى ابن أخته اللجلاج، ويقال: يرثى أخاه اللجلاج، ويروى البيت: يَا ابْنَ خَنْسَاء، شِقَّ نَفْسِيَ يَا لَجْلاجُ، خَلَّيْتَنِى لِدَهْرٍ شَدِيدِ وأما هذه الرواية، فهي رواية النحاة جميعًا في كتبهم في باب النداء. يقول فيها: كُلَّ مَيْتٍ قَدِ اغْتَفَرْتُ، فلا أُو ... جع مِنْ وَالِدٍ وَلا مَوْلُودِ

غَيْرَ أَنَّ اللَّجْلاجَ هَدَّ جَنَاحِي ... يَوْمَ فَارَقْتُهُ بِأَعْلَى الصَّعِيدِ

فِي ضَرِيحٍ عَلَيْهِ عِبْءٌ ثَقِيلٌ ... مِنْ تُرَابٍ وجَنْدَلٍ مَنْضُودِ

عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ صَدٍ ... حَرَّ انَ يَدْعُو بِاللَّيْلِ غَيْرَ مَعُودِ

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ... وَلَقَدْ كَانَ عُصْرة المَنْجُودِ

وقوله: ((شقيق)) تصغير ((شقيق)) ، وهو الأخ.

(٥) المحرر الوجيز:٤٥٧/٢.

(٦) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.

(٧) تاويلات أهل السنة:٣٠٣/٧.

(٨) الكشف والبيان:٢٥٨/٦.

(٩) تفسير القرطبي: ٢٣٨/١١.

(١٠) تفسير القرطبي: ٢٣٩/١١.

(١١) التفسير الميسر:٣١٨.

(١٢) تفسير الطبري:٣٦٠/١٨.

لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم {وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}، أي : وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم"[١].

قال مقاتل:" لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا"[٢].

قال يحيى:" يقول: لو اتبعتك وتركتهم لخشيت أن تقول لي هذا القول"[٣].

عن ابن عباس :"{وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}، قال: لم تحفظ قولي"[٤].

قال أبو عبيدة:" {لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}، معناه: "لم تسمع قولي ولم تنتظر. وفى آية أخرى :{لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً}[التوبة: ١٠]، أي: لا يراقبون"[٥].

وفي قوله تعالى:{إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} [طه : ٩٤]، وجهان[٦]:

أحدهما: أني خشيت إن اتبعتك وصرت إلى ما صرت أنت تقول لي: {فرقت بين بني إسرائيل}؛ لأنك لو نهيتهم عما اختاروا من عبادة العجل وبينت لهم السبيل لعلهم يتبعونك، فحيث لم تفعل فأنت الذي فرقت بينهم.

والثاني: على تأويل القتال والحرب في قوله: {ألا تتبعن} إني خشيت لو قاتلتهم ونصبت الحرب بينهم صاروا فريقين، فإذا تفرقوا اقتتلوا وسفكوا الدماء وتفانوا، فترك القتال لما أطمعوه الإيمان إذا رجع إليهم موسى ونهاهم عن ذلك، فلعل سنته في القتال مع من لم يطمع منه الإيمان، هذا على تأويل من يقول بأن هارون اعتزلهم لما عبدوا العجل مع عشرة آلاف نفر وأكثر أو أقل على ما ذكر.

وأما الحسن فإنه يقول: "كلهم قد عبدوا العجل إلا هارون"[٧].

فعلى قوله لا يحتمل الحرب والقتال معهم"[٨].

قال ابن زيد:" خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم"[٩].

قال ابن جريج:" كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى"[١٠].

قال السمعاني:" فإن قال قائل: هل تقولون إن هارون خالف موسى فيما طلب منه، وأنه داهن عبدة العجل، ولم يشدد في منعهم عنها؟

والجواب: أن موسى لم يطلب من هارون إلا أن يخلفه في قومه، وأن يرفق بهم، فرأى هارون أن لا يقاتلهم، وأن الإمساك عن قتالهم أصلح، ورأى موسى أن يقاتلهم، ورأى أن القتال أصلح، فهذا رأي مجتهد خالف رأي مجتهد، ولا عيب فيه، وإنما عاتبه موسى في تركه القتال، يعني: لو كنت أنا مكانك كنت أقاتلهم، فهلا فعلت مثل ذلك"[١١].

قال ابن عباس:" لما قال القوم :{لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى}، أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يُفتتن، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل، وتخوّف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى :{فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}، وكان له هائبا مطيعا"[١٢].

فوائد الآيات:[٩٠-٩٤]:

---

(١) تفسير ابن كثير:٣١٢/٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٤/١.
(٤) أخرجه الطبري:٣٦٠/١٨.
(٥) مجاز القرآن:٢٦/٢.
(٦) انظر: تأويلات اهل السنة:٣٠٢/٧-٣٠٣.
(٧) انظر: تأويلات اهل السنة:٣٠٣/٧.
(٨) انظر: تأويلات اهل السنة:٣٠٣/٧.
(٩) أخرجه الطبري:٣٦٠/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٦٠/١٨.
(١١) تفسير السمعاني:٣٥١/٣.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٥٩/١٨.

١- معصية الرسول تؤدي إلى فتنة العاص في دينه ودنياه.
٢- جواز العذل والعتاب للحبيب عند تقصيره فيما عهد به إليه.
٣- جواز الاعتذار لمن اتهم بالتقصير وان حقا.
٤- قد يخطىء المجتهد في اجتهاده وقد يصيب.

القرآن
{قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥)} [طه : ٩٥]
التفسير:
قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري؟ وما الذي دعاك إلى ما فعلته؟
قال يحيى:" أي: ما حجتك؟"(١).
قال ابن قتيبة:" أي ما أمرك وما شأنك؟"(٢).
قال الطبري:" قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري، وما الذي دعاك إلى ما فعلته"(٣).
قال ابن زيد:" ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه"(٤).
قال السدي:" ما لك يا سامريّ؟"(٥).

القرآن
{قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦)} [طه : ٩٦]
التفسير:
قال السامري: رأيت ما لم يروه - وهو جبريل عليه السلام - على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده، فأخذتُ بكفي ترابا من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحليّ الذي صنعت منه العجل، فكان عجلا جسدًا له خوار؛ بلاء وفتنة، وكذلك زيَّنت لي نفسي الأمَّارة بالسوء هذا الصنيع.
قوله تعالى:{قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ} [طه : ٩٦]، أي:" قال السامري: رأيت ما لم يروه - وهو جبريل عليه السلام - على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده"(٦).
قال الطبري:" يقول: قال السامريّ: علمت ما لم يعلموه، وهو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيرا عالما"(٧).
قال الزجاج:أي:"علمت بما لم يعلموا به، وكان رأى فرس جبريل -عليه السلام-"(٨).
عن قتادة :"{قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ}، يعني: فرس جبرائيل عليه السلام"(٩).
وقال ابن جريج:" لما قتل فرعون الولدان قالت أمّ السامريّ: لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أدري قتله، فجعلته في غار، فأتى جبرائيل، فجعل كفّ نفسه في فيه، فجعل يُرضعه

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٤/١.
(٢) غريب القرآن:٢٨١.
(٣) تفسير الطبري:٣٦١/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٣٦١/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٣٦١/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣١٨.
(٧) تفسير الطبري:٣٦١/١٨.
(٨) معاني القرآن:٣٧٤/٣.
(٩) أخرجه الطبري:٣٦١/١٨.

العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ}"[١].

قوله تعالى:{فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} [طه : ٩٦]، أي:" فأخذتُ بكفي ترابا من أثر حافر فرس جبريل"[٢].

قال الزجاج:" فقبض قبضة من تراب حافر الفرس، والقبضة: قبض الشيء مرة واحدة، والقبصة مقدار ما يقبص"[٣].

عن مجاهد، قوله :" {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا}، قال: من تحت حافر فرس جبرائيل، نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل، فانسبك عجلا جسدا له خوار، حفيف الريح فيه فهو خواره، والعجل: ولد البقرة"[٤].

قال ابن عباس:" لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسرت، ورأى السامري أثر فرس جبرائيل عليه السلام، فأخذ ترابا من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها، وقال: كن عجلا جسدا له خوار، فكان للبلاء والفتنة"[٥].

روي عن الحسن :"أنه قرأها" «فَقَبَصْتُ قَبْصَةً»، بالصاد"[٦].

قال الطبري:" بمعنى: أخذت بأصابعي من تراب أثر فرس الرسول، والقبضة عند العرب: الأخذ بالكفّ كلها، والقبصة: الأخذ بأطراف الأصابع"[٧].

قوله تعالى:{فَنَبَذْتُهَا} [طه : ٩٦]، أي:" فألقيته على الحليّ الذي صنعت منه العجل"[٨].

قال الطبري:" يقول: فألقيتها"[٩].

قال الزجاج:" ألقيتها في العجل لتخور"[١٠].

قال يحيى:" أي: ألقيتها في العجل، يعني حين صاغه، وكان صائغا، فخار العجل"[١١].

قال يحيى:" وفي قراءة ابن مسعود: «من أثر الفرس»، كان أخذها من أثر فرس جبريل، فصرها في عمامته ثم قطع البحر فكانت معه"[١٢].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي} [طه : ٩٦]، أي:" وكذلك زيَّنت لي نفسي الأمَّارة بالسوء هذا الصنيع"[١٣].

قال الطبري:" يقول: وكما فعلت من إلقائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبكت فصارت عجلا جسدا له خوار، زينت لي نفسي أن يكون ذلك كذلك"[١٤].

قال ابن الجوزي:" أي: وكما حدثتك زينت لي نفسي"[١٥].

عن ابن زيد :"{وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي}، قال: كذلك حدثتني نفسي"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري:٣٦١/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣) معاني القرآن:٣٧٤/٣.
(٤) اخرجه الطبري:٣٦١/١٨-٣٦٢.
(٥) اخرجه الطبري:٣٦١/١٨-٣٦٢.
(٦) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(٧) تفسير الطبري:٣٦٣/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣١٨.
(٩) تفسير الطبري:٣٦٣/١٨.
(١٠) معاني القرآن:٣٧٤/٣.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٤/١-٢٧٥.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٥/١.
(١٣) التفسير الميسر:٣١٨.
(١٤) تفسير الطبري:٣٦٣/١٨.
(١٥) زاد المسير:١٧٤/٣.[بتصرف]
(١٦) أخرجه الطبري:٣٦٣/١٨.

قال يحيى:" وكذلك زينت لي نفسي. وقع في نفسي إذا ألقيتها في في العجل خار"[١].
عن ابن عباس :"أن هارون أتى على السامري وهو يصنع العجل فقال: ما تصنع؟ قال: أصنع ما يضر ولا ينفع، فقال هارون: اللهم أعطه الذي سألك على ما في نفسه. فلما صنعه قال هارون: اللهم إني أسألك أن يخور، فخار العجل وذلك بدعوة هارون"[٢].

القرآن

{قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧)} [طه : ٩٧]

التفسير:

قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش منبوذًا تقول لكل أحد: لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ، وإن لك موعدا لعذابك وعقابك، لن يُخْلفك الله إياه، وسوف تلقاه، وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته لنُحرقنَّه بالنار، ثم لنُذرونَّه في البحر ذروا لتذهب به الريح؛ حتى لا يبقى منه أثر.

قوله تعالى:{قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ} [طه : ٩٧]، أي:" قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش منبوذًا تقول لكل أحد: لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ"[٣].

قال ابن قتيبة:" أي: لا تخالط أحدا"[٤].

قال الزجاج:" التأويل: أن موسى عليه السلام حرم مخالطة السامري، فالمعنى: إنك في الدنيا لا تخالط جزاء لفعلك"[٥].

قال الطبري:" قال موسى للسامريّ: فاذهب فإن لك في أيام حياتك أن تقول: لا مساس: أي لا أمس، ولا أُمسُّ، وذُكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه، ولا يخالطوه، ولا يبايعوه، فلذلك قال له: إن لك في الحياة أن تقول لا مساس، فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته"[٦].

قال قتادة:" كان والله السامريّ عظيما من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدوّ الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل، قوله: {فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ}، فبقاياهم اليوم يقولون لا مساس"[٧].

وفي قوله تعالى:{قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ} [طه : ٩٧]، وجهان من التفسير[٨]:

أحدهما : أن قوله :{فَاذْهَبْ}، وعيد من موسى ، ولذا فإن السامري خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع، لا يجد أحداً من الناس يمسه، حتى صار كالقائل: لا مساس، لبعده عن الناس وبعد الناس منه . قالت الشاعرة :

حمال رايات بها قنعاسا ... حتى يقول الأزد لا مساسا

القول الثاني : أن هذا القول من موسى كان تحريماً للسامري، وأن موسى أمر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه ، فكان لا يَمَسُّ وَلاَ يُمَسُّ، قال الشاعر :

تميم كرهط السامري وقوله ... ألا لا يريد السامري مساسا

أي: لا يُخَالِطُونَ وَلاَ يُخَالَطُون .

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٥/١.
(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٧٥/١.
(٣) التفسير الميسر:٣١٨.
(٤) غريب القرآن:٢٨١.
(٥) معاني القرآن:٣٧٤/٣.
(٦) تفسير الطبري:٣٦٣/١٨.
(٧) اخرجه الطبري:٣٦٣/١٨-٣٦٥.
(٨) انظر: النكت والعيون:٤٢٣/٣-٤٢٤.

قال مقاتل:" يعني: لا تخالط الناس"[١].
قال يحيى:" لا تماس الناس ولا يماسونك، فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة. و«السامرة»: صنف من اليهود"[٢].
قال الفراء:" أي: لا أمس ولا أمس، أوّل ذلك أن موسى أمرهم ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه"[٣].
قال أبو عبيدة:" هو المماسة والمخالطة"[٤].
قوله تعالى:{وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ} [طه : ٩٧]، أي:" وإن لك موعدا لعذابك وعقابك، لن يُخْلفك الله إياه، وسوف تلقاه"[٥].
قال مقاتل:" يقول: لن تغيب عنه"[٦].
قال يحيى:" يعني يوم القيامة، توافيه فيجزيك الله فيه بأسوأ عملك"[٧].
عن قتادة:" {وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ}، يقول: لن تغيب عنه"[٨].
قال عبدالرحمن :" سمعت أبا نهيك يقرأ :«لَن تُخْلِفَهُ أنْتَ»، يقول: لن تغيب عنه"[٩].
قوله تعالى:{وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا} [طه : ٩٧]، أي:" وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته "[١٠].
قال الطبري:" يقول: وانظر إلى معبودك الذي ظللت عليه مقيما تعبده"[١١].
قال ابن قتيبة:{عَاكِفًا}" أي: مقيما"[١٢].
عن ابن عباس، قوله: "{ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا}، الذي أقمت عليه"[١٣].
قوله تعالى:{لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} [طه : ٩٧]، أي:" لنُحرقنَّه بالنار، ثم لنُذروَنَّه في البحر ذروا لتذهب به الريح؛ حتى لا يبقى منه أثر"[١٤].
قال الطبري:" يقول: ثم لنذرّينه في البحر تذرية، يقال منه: نسف فلان الطعام بالمنسف: إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح"[١٥].
عن ابن عباس، قوله :"{ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا}، يقول: لنذرينه في البحر"[١٦].
قال ابن عباس:" ذراه في اليمّ، واليمّ: البحر"[١٧].
قال السدي:" ثم أخذه فذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم، فلم يبق بحر يومئذ إلا وقع فيه شيء منه"[١٨].
قال قتادة:" وفي بعض القراءة: «لنذبحنه ثم لنحرقنه، ثم لننسفنه في اليمّ نسفا»"[١٩].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٤٠.
(٢) تفسير يحيى بن سلام١/٢٧٥.
(٣) معاني القرءن:٢/١٩٠.
(٤) مجاز القرآن:٢/٢٧.
(٥) التفسير الميسر:٣١٨.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٤٠.
(٧) تفسير يحيى بن سلام١/٢٧٥.
(٨) أخرجه الطبري:١٨،٣٦٤.
(٩) أخرجه الطبري:١٨،٣٦٤.
(١٠) التفسير الميسر:٣١٨.
(١١) تفسير الطبري:١٨/٣٦٤.
(١٢) غريب القرآن:٢٨١.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٤.
(١٤) التفسير الميسر:٣١٨.
(١٥) تفسير الطبري:١٨/٣٦٤.
(١٦) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٧.
(١٧) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٧.
(١٨) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٦.
(١٩) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٦.

القرآن

{إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)} [طه : ٩٨]

التفسير:

إنما إلهكم - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو، وسع علمه كل شيء.

قوله تعالى:{إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [طه : ٩٨]، أي:" إنما إلهكم - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو"(١).

قال الطبري:" يقول: ما لكم أيها القوم معبود إلا الذي له عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي أن تكون إلا له"(٢).

قوله تعالى:{وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} [طه : ٩٨]، أي:" وسع علمه كل شيء"(٣).

قال قتادة:" يقول: ملأ كلّ شيء علما تبارك وتعالى"(٤).

قال يحيى: "أي: لا يكون شيء إلا بعلم الله"(٥).

قال أبو عبيدة:معناه:" أحاط به علما وعلمه"(٦).

قال ابن قتيبة:"أي: وسع علمه كل شيء"(٧).

قال الطبري:" يقول: أحاط بكل شيء علما فعلمه، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك، يقال منه: فلان يسع لهذا الأمر: إذا أطاقه وقوي عليه، ولا يسع له: إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه"(٨).

قرأ طلحة: «الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما»(٩).

فوائد الآيات:[٩٥-٩٨]:

١- مشروعية الاستنطاق للمتهم والاستجواب له.

٢- ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئا إلاّ تورط فيه إن هو عمل بما سولته له.

٣- قد يجمع الله تعالى للعبد ذي الذنب العظيم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

٤- مشروعية هجران المبتدع ونفيه وطرده فلا يسمح لأحد بالاتصال به والقرب منه.

٥- كسر الأصنام والأوثان والصور وآلات اللهو والباطل الصارفة عن عباد الله تعالى.

القرآن

{كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩)} [طه : ٩٩]

التفسير:

كما قصصنا عليك - أيها الرسول - أنباء موسى وفرعون وقومهما، نخبرك بأنباء السابقين لك. وقد آتيناك مِن عندنا هذا القرآن ذكرى لمن يتذكر.

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ} [طه : ٩٩]، أي:" كما قصصنا عليك - أيها الرسول - أنباء موسى وفرعون وقومهما، نخبرك بأنباء السابقين لك"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٨.
(٢) تفسير الطبري:٤٦٧/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٣٦٧/١٨.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٦/١.
(٦) مجاز القرن:٢٨/٢.
(٧) غريب القرآن:٢٨٢.
(٨) تفسير الطبري:٤٦٧/١٨.
(٩) انظر: الكشاف:٨٦/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣١٩.

قال يحيى:" من أخبار ما قد مضى"[1].

قال الطبري:" كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى، كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعاينها"[2].

قال البيضاوي:أي:" مثل ذلك الاقتصاص- يعني: اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام- نقص عليك من أخبار الأمور الماضية والأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك"[3].

قوله تعالى:{وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا} [طه : ٩٩]، أي:" وقد آتيناك مِن عندنا هذا القرآن ذكرى لمن يتذكر"[4].

قال يحيى:" أي: وقد أعطيناك من عندنا القرآن"[5].

قال الطبري:" وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين"[6].

قال البيضاوي:أي:" كتابا مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار، والتنكير فيه للتعظيم. وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس"[7].

قال السمعاني:" «الذكر» ها هنا هو: القرآن"[8].

القرآن

{مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)} [طه : ١٠٠]

التفسير:

من أعرض عن هذا القرآن، ولم يصدق به، ولم يعمل بما فيه، فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل إثمًا عظيمًا.

قوله تعالى:{مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ} [طه : ١٠٠]، أي:" من أعرض عن هذا القرآن، ولم يصدق به، ولم يعمل بما فيه"[9].

قال يحيى:" عن القرآن ولم يؤمن به"[10].

قال الطبري: يقول:" من ولى عنه فأدبر فلم يصدّق به ولم يقر"[11].

قال القرطبي:" أي: القرآن، فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه"[12].

قال البيضاوي:أي:" عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله"[13].

قوله تعالى:{فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا} [طه : ١٠٠]، أي:" فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل إثمًا عظيمًا"[14].

قال الطبري: " يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الإثم العظيم"[1].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٦/١.
(٢) تفسير الطبري:٣٦٧/١٨-٣٦٨.
(٣) تفسير البيضاوي:٣٨/٤.
(٤) التفسير الميسر:٣١٩.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٦/١.
(٦) تفسير الطبري:٣٦٧/١٨-٣٦٨.
(٧) تفسير البيضاوي:٣٨/٤.
(٨) تفسير السمعاني:٣٥٣/٣.
(٩) التفسير الميسر:٣١٩.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٦/١.
(١١) تفسير الطبري:٣٦٧/١٨-٣٦٨.
(١٢) تفسير القرطبي:٢٤٤/١١.
(١٣) تفسير البيضاوي:٣٨/٤.
(١٤) التفسير الميسر:٣١٩.

عن مجاهد، قوله :"{يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا}، قال: إثما"[٢].
قال السمعاني:" أي: ثقلا، ومعناه: إثما يثقله "[٣].
قال البيضاوي:أي:" عقوبة ثقيلة فادحة على كفره، وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره، أو إثما عظيما"[٤].

القرآن

{خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)} [طه : ١٠١]

التفسير:

خالدين في العذاب، وساءهم ذلك الحمل الثقيل من الآثام حيث أوردهم النار.
قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهِ} [طه : ١٠١]، أي:" خالدين في العذاب"[٥].
قال الطبري: المعنى:" أنهم خالدون في النار بأوزارهم"[٦].
قال السمعاني:" أي: مقيمين في عذاب الوزر"[٧].
قال القرطبي:" يريد مقيمين فيه، أي: في جزائه وجزاؤه جهنم"[٨].
قال البيضاوي:أي:" في الوزر أو في حمله، والجمع فيه والتوحيد في أعرض للحمل على المعنى واللفظ"[٩].
قوله تعالى:{وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا} [طه : ١٠١]، أي:" وساءهم ذلك الحمل الثقيل من الآثام حيث أوردهم النار"[١٠].
قال السمعاني:" أي: بئس الوزر حملهم يوم القيامة"[١١].
قال الطبري: يقول:" وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا وحقّ لهم أن يسوءهم ذلك، وقد أوردهم مهلكة لا منجى منها"[١٢].
قال القرطبي:" يريد بئس الحمل حملوه يوم القيامة"[١٣].
قال ابن عباس:" يقول: بئسما حملوا"[١٤].
قالابن عباس:" يعني بذلك: ذنوبهم"[١٥].

القرآن

{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)} [طه : ١٠٢]

التفسير:

يوم يَنفُخ الملَكُ في «القرن» لصيحة البعث، ونسوق الكافرين ذلكم اليوم وهم زرق، تغيَّرت ألوانهم وعيونهم؛ من شدة الأحداث والأهوال.

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٣٦٧-٣٦٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٨.
(٣) تفسير السمعاني:٣/٣٥٣.
(٤) تفسير البيضاوي:٤/٣٨.
(٥) التفسير الميسر:٣١٩.
(٦) تفسير الطبري:١٨/٣٦٧-٣٦٨.
(٧) تفسير السمعاني:٣/٣٥٤.
(٨) تفسير القرطبي:١١/٢٤٤.
(٩) تفسير البيضاوي:٤/٣٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣١٩.
(١١) تفسير السمعاني:٣/٣٥٤.
(١٢) تفسير الطبري:١٨/٣٦٧-٣٦٨.
(١٣) تفسير القرطبي:١١/٢٤٤.
(١٤) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٩.
(١٥) أخرجه الطبري:١٨/٣٦٩.

قوله تعالى:{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [طه : ١٠٢]، أي:" يوم يَنفُخ الملَكُ في «القرن» لصيحة البعث"[١].

قال الطبري: يقول:" وساء لهم يوم القيامة، يوم ينفخ في الصور"[٢].

قال الزجاج:" أكثر ما يذهب إليه أهل اللغة أن «الصور» جمع: صورة"[٣].

قرأ أبو عمرو: «ننفخ» بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله: {ونحشر}، على إسناد النفخ إلى الآمر به تعظيما له أو للنافخ، وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل[٤].

قوله تعالى:{وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه : ١٠٢]، أي:" ونسوق الكافرين ذلكم اليوم وهم زرق، تغيَّرت ألوانهم وعيونهم؛ من شدة الأحداث والأهوال"[٥].

قال البغوي:" الزرقة: هي الخضرة: في سواد العين، فيحشرون زرق العيون سود الوجوه"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه : ١٠٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : عُمياً، قال تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا } [الإسراء : ٩٧]، حكاه الفراء[٧].

وقال ابن قتيبة: "أي: بيض العيون من العمى: قد ذهب السواد والناظر"[٨].

قال الزمخشري:" لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق"[٩].

الثاني : عطاشاً قد أزرقت عيونهم من شدة العطش، قاله الأزهري[١٠]، وبه قال الطبري[١١].

الثالث : تشويه خَلْقِهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم.

قال مقاتل:" زرق الأعين"[١٢].

الرابع : أنه الطمع الكاذب إذ تعقبته الخيبة ، وهو نوع من العذاب. حكاه الماوردي[١٣].

الخامس : أن المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف. حكاه الماوردي[١٤].

قال الثعلبي:" العرب تتشاءم بزرقة العيون. قال الشاعر يهجو رجلا[١٥]:

لَقَدْ زَرِقَتْ عَيْنَاكَ يا ابنْ مُكَعْبَرٍ ... أَلاَ كُلُّ ضَبِّيٍّ مِنَ اللؤْم أزرقُ"[١٦].

قال الزمخشري:" قيل: أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو: أسود الكبد، أصهب السبال، أزرق العين"[١٧].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٦٧/١٨-٣٦٨.
(٣) معاني القرآن:٣٧٦/٣.
(٤) انظر: تفسيرا لبغوي:٢٩٤/٥، وتفسير البيضاوي:٣٨/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣١٩.
(٦) تفسير البغوي:٢٠٤/٥.
(٧) انظر: معاني القرآن:١٩١/٢.
(٨) غريب القرآن:٢٨٢.
(٩) الكشاف:٨٧/٣.
(١٠) انظر: النكتو العيون:٤٢٤/٣، وحكاه الفراء:١٩١/٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٦٩/١٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٣.
(١٣) انظر: النكتو العيون:٤٢٤/٣.
(١٤) انظر: النكتو العيون:٤٢٤/٣.
(١٥) انظر: جمهرة اللغة(رزك):ص٧٠٨/٢، وتادج اللغة(زرق):ص١٤٨٩/٤، والمخصص:١٠٠/١، ولسان العرب:١٣٩/١٠، وتاج العروس(زرق):ص٣٩٤/٢٥. والبيت غير منسوب.
(١٦) الكشف والبيان:٢٦٠/٦.
(١٧) الكشاف:٨٧/٣.

قال الطبري:" عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق"[١].

عن ابن عباس أن رجلا أتاه فقال: "أرأيت قوله: {ونحشر المجرمين يومئذ زرقا}، وأخرى {عميا}[٢]، قال: إن يوم القيامة فيه حالات يكونون في حال زرقا وفي حال عميا"[٣].

القرآن

{يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣)} [طه : ١٠٣]

التفسير:

يتهامسون بينهم، يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام.

قوله تعالى:{يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ} [طه : ١٠٣]، أي:" يتهامسون بينهم"[٤].

قال ابن عباس وقتادة:أي:" يتسَارُّون بينهم"[٥].

قال مقاتل:" يعني: يتساءلون بينهم"[٦].

قال الفراء:" التخافت: الكلام المخفي"[٧].

قال طبري:" يتهامسون بينهم، ويسرّ بعضهم إلى بعض"[٨].

قال الزمخشري:" تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول"[٩].

قوله تعالى:{إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا} [طه : ١٠٣]، أي:" يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام"[١٠].

قال مقاتل:" يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم إلا عشر ليال"[١١].

قال طبري:" يعني: أنهم يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا"[١٢].

قال الزمخشري:" يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا: إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار، وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت، والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء، ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت: «أطال الله بقاءك» : «كفى بالانتهاء قصرا».

وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا، ويقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة"[١٣].

القرآن

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)} [طه : ١٠٤]

التفسير:

نحن أعلم بما يقولون ويُسِرُّون حين يقول أعلمهم وأوفاهم عقلا ما لبثتم إلا يومًا واحدًا؛ لِقِصَر مدة الدنيا في أنفسهم يوم القيامة.

قوله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} [طه : ١٠٤]، أي:" نحن أعلم بما يقولون ويُسِرُّون"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٣٦٩/١٨.

(٢) قال تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء : ٩٧].

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٢٢):ص٢٤٣٤/٧.

(٤) التفسير الميسر:٣١٩.

(٥) اخرجه الطبري:٣٧٠/١٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٣.

(٧) معاني القرءن:١٩١/٢.

(٨) تفسير الطبري:٣٦٩/١٨.

(٩) الكشاف:٨٧/٣.

(١٠) التفسير الميسر:٣١٩.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٣.

(١٢) تفسير الطبري:٣٦٩/١٨.

(١٣) الكشاف:٨٧/٣.

قال الطبري:" لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء"[٢].
قال ابن كثير:" أي : في حال تناجيهم بينهم"[٣].
قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} [طه : ١٠٤]، أي:" حين يقول أعلمهم وأوفاهم عقلا ما لبثتم إلا يومًا واحدًا"[٤].
قال مقاتل:" إن لبثتم في القبور إلا يوما واحدا"[٥].
قال قتادة:" أي: في الدنيا إلا يوما، لما تقاصرت في أنفسهم"[٦].
قال الطبري:" حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم: إن لبثتم في الدنيا إلا يوما، وإنما عنى جلّ ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ، إعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة، وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذّات، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم، وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما"[٧].
قال ابن كثير:" أي: لقصر مدة الدنيا في أنفسهم [يوم المعاد ؛ لأن الدنيا كُلَّها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ؛ ولهذا تستقصر مدة الحياة الدنيا يوم القيامة : وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم ، لقصر المدة ؛ ولهذا قال تعالى : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [الروم : ٥٥ ، ٥٦] ، وقال تعالى : { أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } [فاطر : ٣٧] ، وقال تعالى : { كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [المؤمنون : ١١٢ - ١١٤] أي : إنما كان لُبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني ، ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف ، قَدَّمتُم الحاضر الفاني على الدائم الباقي"[٨].
وفي قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً} [طه : ١٠٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أوفاهم عقلاً. قاله شعبة[٩]، ويحيى بن سلام[١٠].
قال ابن كثير:" أي : العاقل الكامل فيهم"[١١].
الثاني : أعدلهم من الكفار. قاله قتادة[١٢].
الثالث: أعلمهم في نفسه. قاله سعيد بن جبير[١٣].
وقال الزجاج: يعني: "أعلمهم عند نفسه بما يقول"[١٤].
الرابع: يعني: أمثلهم نجوى ورأيا. قاله مقاتل[١٥].
الخامس: أجودهم قولا في نفسه وعندهم. قاله الفراء [١].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٧٩/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٣١٦/٥.
(٤) التفسير الميسر:٣١٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٣.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٢٥):ص٢٤٣٤/٧.
(٧) تفسير الطبري:٣٧٩/١٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٣١٦/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٣٧٠/١٨.
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٧٩/١.
(١١) تفسير ابن كثير:٣١٦/٥.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٢٥):ص٢٤٣٤/٧.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٢٤):ص٢٤٣٤/٧.
(١٤) معاني القرآن:٣٧٦/٣.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٣.

السادس: أكبرهم سداداً. حكاه الماوردي[٢].
السابع: أوفاهم عقلا وأصوبهم رأيا. قاله الثعلبي[٣].
وقال ابن قتيبة:"أي: رأيا"[٤].
قال السمعاني:" تقول العرب: فلان أمثل قومه، أي: أعدل قومه، ومعنى الآية ها هنا: أعقلهم وخيرهم طريقة في نفسه"[٥].
قال الزمخشري:" استرجح الله قول من يكون أشد تقاولا منهم في قوله تعالى: {إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما}، ونحوه قوله تعالى: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ(١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ} [المؤمنون : ١١٢-١١٣]، وقيل: المراد لبثهم في القبور. ويعضده قوله عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ(٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} [الروم : ٥٥-٥٦]"[٦].
فوائد الآيات:[٩٩-١٠٤]:
١- تقرير نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقص تعالى عليه أنباء ما قد سبق بعد قصه عليه أنباء موسى وفرعون بالحق، وإيتائه القرآن الكريم.
٢- كون القرآن ذكراً للذاكرين لما يحمل من الحجج والدلائل والبراهين.
٣- سوء حال المجرمين يوم القيامة، الذين أعرضوا عن القرآن الكريم.
٤- عظم أهوال يوم القيامة حتى يتقال معها المرء مدة الحياة الدنيا التي هي آلاف الأعوام.

القرآن
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥)} [طه : ١٠٥]
التفسير:
ويسألك - أيها الرسول - قومك عن مصير الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يزيلها ربِّي عن أماكنها فيجعلها هباء منبثًّا.
سبب النزول:
قال يحيى:" سأل المشركون النبي فقالوا: يا محمد كيف هذه الجبال في ذلك اليوم الذي تذكر؟ فقال الله: {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا} من أصولها.."[٧].
قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ} [طه : ١٠٥]، أي:" ويسألك - أيها الرسول - قومك عن مصير الجبال يوم القيامة"[٨].
قال الطبري: يقول:" ويسألك يا محمد قومك عن الجبال"[٩].
قال ابن كثير:" أي : هل تبقى يوم القيامة أو تزول ؟"[١٠].
قال الزجاج:" «النسف»: التذرية، تصير الجبال كالهباء المنثور، تذرى تذرية"[١١].
قوله تعالى:{فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا} [طه : ١٠٥]، أي:" فقل لهم: يزيلها ربِّي عن أماكنها فيجعلها هباء منبثًّا"[١].

---

(١) انظر: معاني القرءن:١٩١/٢.
(٢) انظر: النكت والعيون:٤٢٥/٣.
(٣)انظر: الكشف والبيان:٢٦٠/٦ .
(٤) غريب القرآن:٢٨٢.
(٥) تفسير السمعاني:٣٥٥/٣.
(٦) الكشاف:٨٧/٣-٨٨.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢٧٩/١.
(٨) التفسير الميسر:٣١٩.
(٩) تفسير الطبري:٣٧١/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣١٦/٥.
(١١) معاني القرآن٣٧٦/٣.

قال الطبري: "فقل لهم: يذريها ربي تذرية، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها، ودكّ بعضها على بعض، وتصييره إياها هباء منبثا"[٢].

القرآن

{فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)} [طه : ١٠٦ - ١٠٧]

التفسير:

فيترك الأرض حينئذ منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها، لا يرى الناظر إليها مِن استوائها مَيْلا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا.

قوله تعالى: {فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا} [طه : ١٠٦]، أي:" فيترك الأرض حينئذ منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها"[٣].

قال الطبري: "فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا، أرضا ملساء، مستويا لا نبات فيه، ولا نشز، ولا ارتفاع"[٤].

قال ابن كثير:" أي : بساطًا واحدًا، و«القاع»: هو المستوي من الأرض. والصفصف تأكيد لمعنى ذلك "[٥].

في تفسير «القاع»، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الموضع المستوي الذي لا نبات فيه ، قاله ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]، وابن زيد، وأبو عبيدة[٨].

الثاني : الأرض الملساء. قاله ابن عباس[٩].

الثالث : مستنقع الماء ، قاله الفراء[١٠].

وقال ابن قتيبة: " القاع من الأرض: المستوي الذي يعلوه الماء"[١١].

وفي تفسير: «الصفصف» وجهان :

أحدهما : الاملس الذي لا نبات فيه، قاله الكلبي[١٢]، والفراء[١٣]، وأبو عبيدة[١٤].

الثاني : المكان المستوي، كأنه قال على صف واحد في استوائه ، قاله ابن عباس[١٥]، ومجاهد[١٦]، وسفيان[١٧]، وابن قتيبة[١٨].

قال سفيان:" ترى الأرض كلها مستوية"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣١٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٧١/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣١٩.
(٤) تفسير الطبري:٣٧١/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٣١٦/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٧١/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٣٧١/١٨.
(٨) انظر: مجاز القرىن:٢٩/٢.
(٩) انظر: مسائل نافع بن الازرق((١٥) ص ف ص ف [صفصفا]):ص٤٢.
(١٠) انظر: معاني القرآن:١٩١/٢.
(١١) غريب القرآن:٢٨٢.
و«النبك»: هي التلال الصغار، واحدها نبك؛ أي هي أرض مستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع، كما في تفسير القرطبي ٢٤٦/١١
(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٢٦/٣.
(١٣) انظر: معاني القرآن:١٩١/٢.
(١٤) انظر: مجاز القرىن:٢٩/٢.
(١٥) انظر: مسائل نافع بن الازرق((١٥) ص ف ص ف [صفصفا]):ص٤٢.
(١٦) انظر: تفسير مجاهد:٤٦٦.
(١٧) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦١٣: ٢٠: ١٣):ص١٩٦.
(١٨) انظر: غريب القرآن:٢٨٢.

ومنه قول الشاعر[٢]:
بملمومة شهباء لو قذفوا بها ... شماريخ من رضوى إذا عاد صفصفا
قوله تعالى:{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه : ١٠٧]، أي:" لا يرى الناظر إليها مِن استوائها مَيْلا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا"[٣].
قال ابن كثير:" أي : لا ترى في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية ، ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا" [٤].
وفي قوله تعالى:{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه : ١٠٧]، وجوه:
أحدها : «عوجاً» يعني: وادياً ، «ولا أمتاً»، يعني: ربابية ، قاله ابن عباس[٥].
وعن مجاهد :"{لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا}، قال: ارتفاعا، ولا انخفاضا"[٦].
وقال أبو عبيدة:" لا ربى ولا وطئا ، أي: لا ارتفاع ولا هبوط"[٧].
وقال ابن قتيبة: "الأمت: النبك"[٨].
الثاني : «عوجاً» يعني: صدعاً ، «ولا أمتاً»، يعني: أكمة ، قاله الحسن[٩]، وقتادة[١٠].
الثالث : «عوجاً» يعني: ميلاً . «ولا أمتاً»، يعني: أثراً ، وهو مروي عن ابن عباس[١١].
الرابع : أن «العوج»: الارتفاع ، و«الأمت»: المبسوط. قاله الضحاك[١٢].
الرابع: الأمت: الحدب، قاله قتادة[١٣].
الخامس : الأمت: أن يغلظ مكان في الفضاء أو الجبل ، ويدق في مكان ، حكاه الصولي[١٤]، فيكون الأمت من الصعود والارتفاع .
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب"[١٥].

القرآن

{يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨)} [طه : ١٠٨]

التفسير:

---

(١) تفسير سفيان الثوري(٦١٣: ٢٠: ١٣):ص١٩٦.
(٢) انظر: مسائل نافع بن الأزرق:٤٢، و الإتقان) ١/ ١٢١. ملمومة: مشمولة. شهباء: الأرض المغطاة بالثلوج. الشماريخ: مفردها: الشّمراخ والشّمروخ، أي: رأس الجبل، وأعلى السّحاب، وغصن دقيق رخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ. رضوى: جبل بين مكة والمدينة وهو قرب ينبع على مسيرة يوم منها، فيها مياه كثيرة،: وأشجار: قال بشر:
لو يوزنون كيالا أو معايرة ... مالوا برضوى ولم يفضلهم أحد.
(٣) التفسير الميسر:٣١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٦/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٧٢/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٣٧٢/١٨.
(٧) مجاز القرآن:٢٩/٢.
(٨) غريب القرآن:٢٨٢.
و«النبك»: هي التلال الصغار، واحدها نبك؛ أي هي أرض مستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع، كما في تفسير القرطبي ٢٤٦/١١
(٩) انظر: النكت والعيون:٤٢٦/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٣٧٢/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٧٢/١٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٢٩):ص٢٤٣٥/٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٣٧٢/١٨.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٤٢٧/٣.
(١٥) تفسير الطبري:٣٧٣/١٨.

في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى موقف القيامة، لا محيد عن دعوة الداعي؛ لأنها حق وصدق لجميع الخلق، وسكنت الأصوات خضوعًا للرحمن، فلا تسمع منها إلا صوتًا خفيًا.

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ} [طه : ١٠٨]، أي:" في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى موقف القيامة، لا محيد عن دعوة الداعي"(١).

قال الطبري:" يومئذ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، فيحشرهم إليه، لا عوج لهم عنه ولا انحراف، ولكنهم سراعا إليه ينحشرون"(٢).

قال ابن كثير:" أي : يوم يرون هذه الأحوال والأهوال ، يستجيبون مسارعين إلى الداعي ، حيثما أمروا بادروا إليه ، ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ، ولكن حيث لا ينفعهم ، كما قال تعالى : { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا } [مريم : ٣٨] ، وقال : { مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ } [القمر : ٨]" (٣).

قال مقاتل:" يعني: صوت الملك الذي هو قائم على صخرة بيت المقدس وهو إسرافيل- عليه السلام- حين ينفخ في القرن، لا يزيغون ولا يروغون عنه يمينا ولا شمالا، يعني: لا يميلون عنه، كقوله- سبحانه-: {تبغونها عوجا}[آل عمران :٩٩]، يعني: زيغا وهو الميل"(٤).

قال الزمخشري:" قالوا: هو إسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس، فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون، {لا عوج له}، أى: لا يعوج له مدعو، بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته"(٥).

قال ابن قتيبة: { لَا عِوَجَ لَهُ}، " أي: لا يعدلون عنه ولا يعرجون في اتباعهم"(٦).

قوله تعالى:{وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} [طه : ١٠٨]، أي:" وسكنت الأصوات خضوعًا للرحمن"(٧).

قال الطبري:يقول:" وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنهم خضع جميعهم لربهم"(٨).

قال الزمخشري:أي:"خضعت الأصوات من شدة الفزع وخفتت"(٩).

عن ابن عباس، قوله :"{وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ}، يقول: سكنت"(١٠).

قوله تعالى:{فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه : ١٠٨]، أي:" فلا تسمع منها إلا صوتًا خفيًا"(١١).

قال أبو عبيدة:" أي: صوتا خفيا،وهو مثل الرّكز، ويقال: همس إليّ بحديث، أي أخفاه"(١٢).

قال الطبري: يقول:" فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن، و«الهمس»:الصوت الخفيّ، يقال همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسرّه إليه وأخفاه، ومنه قول الراجز(١٣):

---

(١) التفسير الميسر:٣١٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٧٣/١٨-٣٧٤.
(٣) تفسير ابن كثير:٣١٦/٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٣.
(٥) الكشاف:٨٨/٣.
(٦) غريب القرآن:٢٨٢.
(٧) التفسير الميسر:٣١٩.
(٨) تفسير الطبري:٣٧٤/١٨.
(٩) الكشاف:٨٨/٣-٨٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٧٤/١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣١٩.
(١٢) مجاز القرآن:٣٠/٢.
(١٣)البيت مما أنشده ابن عباس، وقد نقله عنه السيوطي في الإتقان وكثير من المفسرين، ومنهم الطبري:٣٧٤/١٨، ونقل صاحب (اللسان: همس) شطره الأول. وهو * وهن يمشين بنا هميسا *
قال: وهو صوت نقل أخفاف الإبل. أهـ. وقال في أول المادة: الهمس: الخفي من الصوت والوطء والأكل. وفي

وَهُنَّ يَمْشِينَ بنا هَمِيسًا ... إنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسًا
يعني بـ«الهمس»: صوت أخفافِ الإبل في سيرها"[١].
قال الزمخشري:{ هَمْسًا}:" هو الركز الخفي. ومنه الحروف المهموسة"[٢].
عن ابن عباس وعكرمة:{فَلا تَسْمَعُ إلا هَمْسًا}، قالا: "وطء الأقدام"[٣].
قال ابن عباس:" يقول: الصوت الخفي"[٤].
قال ابن عباس:" يعني: همس الأقدام، وهو الوطء"[٥].
وروي عن الحسن: "همس الأقدام"[٦].
قال الحسن:" وقع أقدام القوم"[٧].
قال مجاهد:" تهافتا، وقال: تخافت الكلام"[٨].
قال مجاهد:" خفض الصوت"[٩].
قال مجاهد:" كلام الإنسان لا تسمع تحرّك شفتيه ولسانه"[١٠].
قال ابن زيد:" يقول: لا تسمع إلا مشيا، قال: المشي، الهمس: وطء الأقدام"[١١].

القرآن
{يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩)} [طه : ١٠٩]
التفسير:
في ذلك اليوم لا تنفع الشفاعة أحدًا من الخلق، إلا إذا أذن الرحمن للشافع، ورضي عن المشفوع له، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص.
قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} [طه : ١٠٩]، أي:" في ذلك اليوم لا تنفع الشفاعة أحدًا من الخلق، إلا إذا أذن الرحمن للشافع"[١٢].
قال مكي:" أي: لا تنفع الشفاعة، إلا شفاعة من أذن له الرحمن في الشفاعة"[١٣].
قوله تعالى:{وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} [طه : ١٠٩]، أي:" ورضي عن المشفوع له"[١٤].
قال مقاتل:" يعني: التوحيد"[١٥].
قال مكي:" أي: قال: لا إله إلا الله"[١٦].
قال ابو الليث السمرقندي:" يعني: إذا قال بإخلاص القلب لا إله إلا الله في الدنيا"[١٧].

التنزيل: " فلا تسمع إلا همسا ". وفي التهذيب: يعني به والله أعلم: خفق الأقدام على الأرض. وقال الفراء: يقال إنه نقل الأقدام إلى المحشر. ويقال: الصوت الخفي. وروي عن ابن عباس تمثل فأنشده * وهن يمشين بنا هميسا *.
(١) تفسير الطبري:١٨/٣٧٤.
(٢) الكشاف:٣/٨٩.
(٣) اخرجه الطبري:١٨/٣٧٤-٣٧٥.
(٤) اخرجه الطبري:١٨/٣٧٤-٣٧٥.
(٥) اخرجه الطبري:١٨/٣٧٤.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٥.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٥.
(٨) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٥.
(٩) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٥.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٥.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٥.
(١٢) التفسير الميسر:٣١٩.
(١٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٧/٤٧٠١.
(١٤) التفسير الميسر:٣١٩.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٤٢.
(١٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:٧/٤٧٠١.
(١٧) بحر العلوم:٢/٤١٣.

قال السمعاني:" أي: قول لا إله إلا الله، وهو القول المرضي عند الله"[١].

قال ابن الجوزي:" أي: ورضي للمشفوع فيه قولا، وهو الذي كان في الدنيا من أهل «لا إله إلا الله»"[٢].

قال الواحدي:" وهذا يدل على أنه لا حظ في الشفاعة لغير المؤمن"[٣].

قال أبو السعود:" أي ورضي لأجله قول الشافع في شأنه، أو رضي قوله لأجله وفي شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه"[٤].

وفي تفسير هذه الآية وجهان:

أحدهما: لا تنفع الشفاعة، ليس أن يكون لهم الشفاعة فلا تنفع، ولكن لا شافع لهم إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة أنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه، فضلا أن يؤذن لأحد بالشفاعة؛ كقوله: { {لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَن وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨]، يقول: الشفاعة أنه لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه فضلا، وقال: صوابا.

الثاني: لا تنفع الشفاعة إلا من وفق له بما يستوجب الشفاعة له ورضي له قولا وسأله ذلك، وهو قول الشهادة والتوحيد.

قال الماتريدي: "فيرجع أحد التأويلين إلى الشفعاء: أنه لا أحد يشفع لأحد إلا بإذنه ورضاه بالقول: قول الشفاعة، والثاني: يرجع إلى المشفوع له: أنه لا أحد يستوجب شفاعة إلا من وفق له الرحمن في الدنيا بالتوحيد وشهادة الإخلاص، والله أعلم"[٥].

وفي حديث الشفاعة، يقول الرسول-ﷺ-:« أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبونا أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح إن ربى قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وإنى قد كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد فيأتونى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم

---

(١) تفسير السمعاني:٣٥٦/٣.

(٢) زاد المسير:١٧٦/٣.

(٣) التفسير البسيط:٥٣٠/١٤.

(٤) تفسير أبي السعود:٤٣/٦.

(٥) تأويلات أهل السنة:٣١١/٧.

من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح لأحد قبلى يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يا رب أمتى أمتى فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[١].

القرآن

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)} [طه : ١١٠]

التفسير:

يعلم الله ما بين أيدي الناس مِن أمر القيامة وما خلفهم من أمر الدنيا، ولا يحيط خلقه به علمًا سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [طه : ١١٠]، أي:" يعلم الله ما بين أيدي الناس مِن أمر القيامة وما خلفهم من أمر الدنيا"[٢].

قال الطبري: يقول:" يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب، ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا"[٣].

قال ابو الليث السمرقندي:" {يعلم ما بين أيديهم} من أمر الآخرة، {وما خلفهم} من أمر الدنيا"[٤].

قال الزمخشري:" أى: يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : يحيط علما بالخلائق كلهم"[٦].

عن قتادة :"{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}، من أمر الساعة، {وما خلفهم}، من أمر الدنيا"[٧].

قوله تعالى:{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه : ١١٠]، أي:" ولا يحيط خلقه به علمًا سبحانه وتعالى"[٨].

قال الطبري: يقول:" ولا يحيط خلقه به علما. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علما، ولا يحيط عباده به علما"[٩].

قال ابو الليث السمرقندي:" يعني: لا يدركون علم الله تعالى"[١٠].

قال الزمخشري:" ولا يحيطون بمعلوماته علما"[١١].

القرآن

{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)} [طه : ١١١]

التفسير:

---

(١)أخرجه أحمد (٤٣٥/٢، رقم ٩٦٢١) ، والبخارى (١٧٤٥/٤، رقم ٤٤٣٥) ، ومسلم (١٨٤/١، رقم ١٩٤) ، والترمذى (٦٢٢/٤، رقم ٢٤٣٤) . وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٣٧٨/٦، رقم ١١٢٨٦) ، وابن أبى شيبة (٣٠٧/٦ رقم ٣١٦٧٤).

(٢) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣) تفسير الطبري:٣٧٦/١٨.

(٤) بحر العلوم:٤١٣/٢.

(٥) الكشاف:٨٩/٣.

(٦) تفسير ابن كثير:٣١٨/٥.

(٧) أخرجه الطبري:٣٧٦/١٨.

(٨) التفسير الميسر:٣١٩.

(٩) تفسير الطبري:٣٧٦/١٨.

(١٠) بحر العلوم:٤١٣/٢.

(١١) الكشاف:٨٩/٣.

وخضعت وجوه الخلائق، وذلَّت لخالقها، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القائم على تدبير كلِّ شيء، المستغني عمَّن سواه. وقد خسر يوم القيامة مَن أشرك مع الله أحدًا من خلقه.

قوله تعالى:{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه : ١١١]، أي:" وخضعت وجوه الخلائق، وذلَّت لخالقها، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القائم على تدبير كلِّ شيء، المستغني عمَّن سواه"(١).

قال الطبري: استرّت وجوه الخلق، واستسلمت للحيّ القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا، وأصل العنو الذلّ، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنوا، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر، فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يئول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة، كما قال الشاعر(٢):

هَلْ أنْتَ مُطِيعي أيُّها القلب عنوة ... ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها

وقال آخر(٣):

هَلْ أخَذُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ ... وَلَكِنْ بِحَدِّ المَشْرَفِي اسْتَقالَهَا"(٤).

وفي قوله تعالى:{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه : ١١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: ذلت الوجوه للحيّ القيّوم، قاله ابن عباس(٥)، وقتادة(٦)، وابن قتيبة(٧).

قال ابن قتيبة:" أي: ذلت. وأصله من عنيته: أي: حبسته. ومنه قيل للأسير: عان"(٨).

الثاني : خشعت ، قاله مجاهد(٩).

قال الماوردي: "والفرق بين الذل والخشوع - وإن تقارب معناهما - هو أنّ الذل أن يكون ذليل النفس ، والخشوع : أن يتذلل لذي طاعة . قال أمية بن الصلت(١٠):

وعنا له وجهي وخلقي كله ... في الساجدين لوجهه مشكورا"(١١).

الثالث : عملت، قاله الكلبي(١٢).

الرابع : نصبت له وعملت له. قاله الفراء(١٣).

الخامس: استسلمت، قاله ابن عباس أيضا(١٤)، عطية العوفي(١٥)، وابن زيد(١٦)، وأبو عبيدة(١٧).

قال أبو عبيدة:" أي: استأسرت، فهى عوان لربّها، واحدها: عان، بمنزلة الأسير العاني لأسره، أي: ذليل، ومنه قولهم: النساء عوان عند أزواجهن"(١٨).

---

(١) التفسير الميسر:٣١٩.
(٢) لم اتعرف عليه، والبيت من شواهد الطبري في التفسير:٣٧٧/١٨.
(٣)البيت لكثير عزة، كما في (اللسان: عنا).
(٤) تفسير الطبري:٣٧٦/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٧٧/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٧٧/١٨-٣٧٨.
(٧) انظر: غريب القرآن:٢٨٢.
(٨) غريب القرآن:٢٨٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٣٧٧/١٨.
(١٠) انظر: النكت ووالعيون:٤٢٧/٣، وتفسير القرطبي:٢٤٨/١١.
(١١)النكت والعيون:٤٢٧/٣ .
(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٢٧/٣.
(١٣) انظر: معاني القرآن:١٩٢/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٣٧٧/١٨.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٤٢٧/٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٨.
(١٧) انظر: مجاز القرآن:٣٠/٢.
(١٨) مجاز القرآن:٣٠/٢.

قال ابن زيد:" أستأسرت الوجوه للحيّ القيوم، صاروا أسارى كلهم له، قال: والعاني: الأسير"[١].

قال ابن عباس:" يعني بـ«عنت»: استسلموا لي"[٢].

قال نافع:" يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ:{ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ }؟ قال: استسلمت الوجوه وخضعت لله يوم القيامة. قال: فهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول[٣]:

ليبك عليك كلّ عان بكربة ... وآل قصيّ من مقل وذي وفر"[٤].

الخامس : أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود ، قاله طلق بن حبيب[٥].

قال طلق:" هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود"[٦].

السادس: أي: خضعت له بقدر مقامها من المعرفة بالله، وتمكين التوفيق منه. قاله سهل بن عدالله[٧].

وفي المراد بالوجوه التي ذلت للحي القويم، قولان:

أحدهما: أن المراد: وجوه العصاة خاصة، وذلك يوم القيامة. قاله الزمخشري[٨].

قال الزمخشري:" المراد بالوجوه وجوه العصاة، وأنهم إذا عاينوا- يوم القيامة- الخيبة والشقوة وسوء الحساب، صارت وجوههم عانية، أى: ذليلة خاشعة، مثل وجوه العناة، وهم الأسارى. ونحوه قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الملك : ٢٧]، {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة : ٢٤]"[٩].

قال الشنقيطي:" وأسند الذل، والخشوع لوجوههم، لأن الوجه تظهر فيه آثار الذل، والخشوع"[١٠].

الثاني: معناه: ذلت وخضعت وجوه المؤمنين لله في دار الدنيا، وذلك بالسجود، والركوع. وهذا قول طلق بن حبيب[١١].

قال الشنقيطي:" وظاهر القرآن يدل على أن المراد الذل والخضوع لله يوم القيامة، لأن السياق في يوم القيامة، وكل الخلائق تظهر عليهم في ذلك اليوم علامات الذل، والخضوع لله جل وعلا"[١٢].

وفيمعنى« الْحَيُّ »، وجوه[١٣]:

أحدها : أنه سمى نفسه حياً لصَرْفِه الأمور مصارِفها ، وتقديره الأشياء مقاديرها ، فهو حي بالتقدير لا بحياة .

---

(١) اخرجه الطبري:٣٧٨/١٨.

(٢) أخرجه الطبري:٣٧٧/١٨.

(٣)لم ترد المسألة في (الإتقان) وليس البيت في (الديوان) .

آل قصي: نسبة إلى قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. سيد قريش في عصره ورئيسهم، قيل: هو أول من كان له ملك من بني كنانة، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. كان موصوفا بالدهاء، ولي البيت الحرام، فهدم الكعبة وجدد بنيانها، كانت له السقاية والرفادة والندوة واللواء، وكانت قريش تتيمن برأيه، فلا تبرم أمرا إلا في داره، وهو الذي أحدث وقود النار في المزدلفة ليراها من دفع من عرفة. (انظر: طبقات ابن سعد: ١/ ٣٦- ٤٢. والسيرة الحلبية: ١/ ١٦. وابن الأثير: ٢/ ٧. والمحبر: ١٦٤. والأعلام: ٥/ ١٩٩.

(٤) مسائل نافع بن الأزرق((٦١) ج د د [جدّ]):ص٩١.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٨.

(٦) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٨.

(٧) انظر: تفسير التستري:١٠٣.

(٨) انظر: الكشاف:٨٩/٣.

(٩) الكشاف:٨٩/٣.

(١٠) أضواء البيان:١٠١/٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٨.

(١٢) أضواء البيان:١٠١/٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٥ وما بعدها، ونقلها الماوردي في النكت والعيون: ٣٢٣/١.

والثاني: أنه حي بحياة هي له صفة.
والثالث : أنه اسم من أسماء الله تَسَمَّى به ، فقلناه تسليماً لأمره .
والرابع : أن المراد بالحي: الباقي ، قاله السدي[١]، ومنه قول لبيد[٢]:
فإمّا تَرَيْني اليَوْمَ عِندَكِ سالِماً فَلستُ بأحْيا مِنْ كِلابٍ وجَعْفَرِ
قال السيوطي: «الحيّ»: "الذي لا يبلى"[٣].
عن الربيع قوله : " {الحي}، حي لا يموت"[٤]. وروي عن قتادة نحو ذلك[٥].
قال السعدي:" فـ«الحيّ»: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة"[٦].
وفي معنى«الْقَيُّومِ»، وجوه:
أحدها : أنه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجزيها بعملها، قاله الحسن[٧].
قال قتادة:"القائم على كل شيء"[٨].
وقال مقاتل:" «القيوم»، يعني: القائم على كل شيء"[٩].
الثاني : القائم بتدبير الخلق. قاله الربيع[١٠]، وروي عن مجاهد[١١] وقتادة[١٢] والسدي[١٣] والضحاك[١٤].
الثالث : الذي لا يحول ولا يزول. قاله ابن عباس[١٥]، والحسن –أيضا-[١٦].
الرابع: أنه العالم بالأمور ، من قولهم : فلان يقوم بهذا الكتاب ، أي هو عالم به. حكاه الماوردي[١٧].
الخامس: أنه اسم من أسماء الله[١٨]، مأخوذ من الاستقامة، حكاه الماوردي[١٩].
قال ابن كثير:أي " القيم لغيره.. فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ } [الروم : ٢٥]"[١].

---

(١)أنظر: تفسير القرطبي: ٢٧١/٣، وتفسير البحر المحيط:٢٠٦/٢، والنكت والعيون: ٣٢٣/١.
(٢) ديوانه:٤٤، والبيت وردت في كتب التفاسير بلفظ(إذا ما تَرَيَنِّي اليومَ أصْبَحْتُ سَالِماً)، أنظر : تفسير القرطبي: ٢٧١/٣، وتفسير البحر المحيط:٢٠٦/٢، والنكت والعيون: ٣٢٣/١، وأضواء البيان: ٤١٢/٣.
(٣) الدر المنثور: ٩/٢.
(٤) أخرجه الطبري(٥٧٦٣):ص٣٨٧/٥.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٢٥٧١):ص٤٨٦/٢.
(٦) تفسير السعدي: ١١٠/١.
(٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٨١/١، والنكت والعيون:٤٢٨/٣.
(٨) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٨١/١.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢/٣.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٧٢):ص٤٨٦/٢. واخرجه الطبري(٥٧٦٦):ص٣٨٨/٥.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٥٧٣):ص٤٨٦/٢. وأخرجه الطبري(٥٧٦٥):ص٣٨٨/٥.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٧٤):ص٤٨٦/٢.
(١٣) أخرجه الطبري(٥٧٦٧):ص٣٨٨/٥. قال:" وهو القائم". ونقل عنه القرطبي: أن معنى{القيوم}، أي "الحي الباقي"، ثم استشهد له بقول لبيد[ديوانه:٤٤]:
فإما تريني اليوم أصبحت سالما فلست بأحيا من كلاب وجعفر
أي : "فلست بأبقى".[أنظر: تفسير القرطبي: ٢٧١/٣، وتفسير البحر المحيط:٢٠٦/٢، ورواية الديوان: فإمّا تَرَيْني اليَوْمَ عِندَكِ سالِماً].
(١٤) أخرجه الطبري(٥٧٦٨):ص٣٨٩/٥. قال: "القائم الدائم".
(١٥) نقل عنه القرطبي في التفسير:٢٧١/٣.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٥٧٥):ص٤٨٧/٢.
(١٧)أنظر: النكت والعيون: ٣٢٣/١.
(١٨) أخرج أحمد في مسنده: ٦/ ٤٦، عن أسماء بنت يزيد قالت:" سمعت رسول الله -ﷺ- يقول في هذين الآيتين: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} {الم، الله لا إله إلا هو الحي القيوم} : "إن فيهما اسم الله الأعظم". وللحديث طرق أخرى.
(١٩) أنظر: النكت والعيون: ٣٢٤/١.

قال السعدي:" القيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره"[٢].

قوله تعالى:{وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه : ١١١]، أي:" وقد خسر يوم القيامة مَن أشرك مع الله أحدًا من خلقه"[٣].

قال مقاتل:" يقول: وقد خسر من حمل شركا يوم القيامة على ظهره"[٤].

قال الطبري: يقول:" ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيادة شركا بالله، وكفرا به، وعملا بمعصيته"[٥].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه ، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء.. والخيبة كل الخيبة من لقي الله وهو مشرك به ؛ فإن الله تعالى يقول : { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان : ١٣]"[٦].

عن قتادة: قوله:"{وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}، قال: من حمل شركا"[٧].

قال ابن زيد:" من حمل شركا. الظلم هاهنا: الشرك"[٨].

قال الشنقيطي:" الأظهر أن الظلم في قوله: {وقد خاب من حمل ظلما}، يعم الشرك، وغيره من المعاصي. وخيبة كل ظالم بقدر ما حل من الظلم، والعلم عند الله تعالى"[٩].

قال الزمخشري:" قوله تعالى {وقد خاب} وما بعده اعتراض، كقولك: خابوا وخسروا. وكل من ظلم فهو خائب خاسر"[١٠].

وفي الحديث : "إن الله يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة بهما ، ينادي بصوت رفيع غير فظيع ، يسمع من بعد كمن قرب ، فيقول: «أنا الديان لا تظالم اليوم وعزتي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة كف بكف أو يد على يد»"[١١].

وفي الصحيح : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة "[١٢].

القرآن

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)} [طه : ١١٢]

التفسير:

ومن يعمل صالحات الأعمال وهو مؤمن بربه، فلا يخاف ظلمًا بزيادة سيئاته، ولا هضمًا بنقص حسناته.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [طه : ١١٢]، أي:" ومن يعمل صالحات الأعمال وهو مؤمن بربه"[١٣].

قال الطبري:" ومن يعمل من صالحات الأعمال، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده، وهو مصدّق بالله، وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦٧٨/١.
(٢) تفسير السعدي: ١١٠/١.
(٣) التفسير الميسر:٣١٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢/٣.
(٥) تفسير الطبري:٣٧٨/١٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٣١٨/٥.
(٧) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٨-٣٧٩.
(٩) أضواء البيان:١٠١/٤.
(١٠) الكشاف:٨٩/٣.
(١١) مسند الشاميين للطبراني(١٥٦):ص١٠٤/١. من حديث جابر بن عبدالله-رضي الله عنه-
(١٢)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٩٠) من حديث جابر-رضي الله عنه-.
(١٣) التفسير الميسر:٣١٩.
(١٤) تفسير الطبري:٣٧٩/١٨.

قال يحيى:" لا يجزى بالعمل الصالح في الآخرة إلا المؤمن، ويجزى به الكافر في الدنيا"[١].

قال قتادة:" وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان"[٢].

عن ابن جريج: قوله:" {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، قال: زعموا أنها الفرائض"[٣].

قوله تعالى:{فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه : ١١٢]، أي:" فلا يخاف ظلمًا بزيادة سيئاته، ولا هضمًا بنقص حسناته"[٤].

قال الطبري:" يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليها، [و]لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها، وأصل «الهضم»: النقص، يقال: هضمني فلان حقي، ومنه امرأة هضيم: أي ضامرة البطن، ومنه قولهم: قد هضم الطعام: إذا ذهب"[٥].

قال الزمخشري:" «الظلم»: أن يأخذ من صاحبه فوق حقه. و«الهضم»: أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له، كصفة المطففين {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} [المطففين : ٢]، ويسترجحون، {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين : ٣]- أى: فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم، لأنه لم يظلم ولم يهضم"[٦].

قال ابن قتيبة:" {ولا هضما}، أي: نقصة. يقال: تهضمني حقي وهضمني. ومنه: هضيم الكشحين: أي ضامر الجنبين، كأنهما هضما. وقوله: {ونخل طلعها هضيم}[الشعراء: ١٤٨] أي منهضم"[٧].

عن حبيب بن أبي ثابت، قوله:"{وَلا هَضْمًا}، قال: الهضم: الانتقاص"[٨].

عن مجاهد، قوله: {هَضْما}، قال: انتقاص شيء من حقّ عمله"[٩].

عن ابن عباس :"{فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا، قال: هضما: غصبا"[١٠].

قال ابن عباس:" يقول: أنا قاهر لكم اليوم، آخذكم بقوّتي وشدّتي، وأنا قادر على قهركم وهضمكم، فإنما بيني وبينكم العدل، وذلك يوم القيامة"[١١].

قال ابن عباس:" لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته، ولا يظلم فيهضم في حسناته"[١٢].

قال الضحاك:" أما {هضما}، فهو لا يقهر الرجل الرجل بقوّته، يقول الله يوم القيامة: لا آخذكم بقوّتي وشدتي، ولكن العدل بيني وبينكم، ولا ظلم عليكم"[١٣].

عن قتادة، قوله:"{فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا}، قال: ظلما أن يزاد في سيئاته، ولا يهضم من حسناته"[١٤].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٢٨٢/١.
(٢) أخرجه الطبري:٣٧٩/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٣٧٩/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣١٩.
(٥) تفسير الطبري:٣٧٩/١٨-٣٨١.
(٦) الكشاف:٨٩/٣.
(٧) غريب القرآن:٢٨٢-٢٨٣.
(٨) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٧٩/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٧٩/١٨-٣٨٠.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٧٩/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.

قال قتادة:" لا يخاف أن يظلم فلا يجزى بعمله، ولا يخاف أن ينتقص من حقه فلا يوفى عمله"[١].

قال الحسن:" لا ينتقص الله من حسناته شيئا، ولا يحمل عليه ذنب مسيء"[٢].

فوائد الآيات:[١٠٥-١١٢]:

١- بيان جهل المشركين في سؤالهم عن الجبال.

٢- تقرير مبدأ البعث الآخر.

٣- لا شفاعة لغير أهل التوحيد فلا يشفع مشرك، ولا يُشفع لمشرك.

٤- بيان خيبة المشركين وفوز الموحدين يوم القيامة.

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣)} [طه : ١١٣]

التفسير:

وكما رغَّبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، وحذَّرنا أهل الكفر من المقام على معاصيهم وكفرهم بآياتنا، أنزلنا هذا القرآن باللسان العربي؛ ليفهموه، وفصَّلنا فيه أنواعًا من الوعيد؛ رجاء أن يتقوا ربهم، أو يُحدِث لهم هذا القرآن تذكرة، فيتعظوا، ويعتبروا.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [طه : ١١٣]، أي:" وكما رغَّبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، وحذَّرنا أهل الكفر من المقام على معاصيهم وكفرهم بآياتنا، أنزلنا هذا القرآن باللسان العربي؛ ليفهموه"[٣].

قال السمعاني:" أي: بلسان العرب"[٤].

قال مكي:" المعنى: كما رغب أهل الإيمان في صالح الأعمال فوعدهم ما وعدهم، كذلك حذر بالوعيد أهل الكفر، فقال: {وكذلك أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً} أي: أنزلناه بلغتكم أيها العرب لتفهموه"[٥].

قال الزمخشري:" {وكذلك} عطف على {كذلك نقص}، أى: ومثل ذلك الإنزال، وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد، أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة"[٦].

قوله تعالى:{وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ} [طه : ١١٣]، أي:" وفصَّلنا فيه أنواعًا من الوعيد"[٧].

قال الزمخشري:" مكررين فيه آيات الوعيد"[٨].

قال مكي:" أي: وخوفناهم بضروب من الوعيد"[٩].

قال السمعاني:" أي: صرفنا القول فيه بذكر الوعيد"[١٠].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [طه : ١١٣]، أي:" رجاء أن يتقوا ربهم"[١١].

قال مكي:" أي: ما فيه من الوعيد "[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.

(٢) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.

(٣) التفسير الميسر:٣١٩.

(٤) تفسير السمعاني:٣٥٧/٣.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٧٠٣/٧-٤٧٠٤.

(٦) الكشاف:٨٩/٣.

(٧) التفسير الميسر:٣١٩.

(٨) الكشاف:٨٩/٣.

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٧٠٤/٧.

(١٠) تفسير السمعاني:٣٥٧/٣.

(١١) التفسير الميسر:٣١٩.

قال السمعاني:" أي: يتقون الشرك والمعاصي"[٢].
قال ابن كثير:" أي : يتركون المآثم والمحارم والفواحش "[٣].
قال الزمخشري:" ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة"[٤].
قال قتادة:" ما حذروا به من أمر الله وعقابه، ووقائعه بالأمم قبلهم"[٥].
قوله تعالى:{أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه : ١١٣]، أي:" أو يُحدِث لهم هذا القرآن تذكرة، فيتعظوا، ويعتبروا"[٦].
قال السمعاني:" أي: يحدث لهم القرآن اعتبارا؛ فيعتبرون به، وقال بعضهم: يحدث لهم الوعيد ذكر العذاب؛ فينزجرون عن المعاصي"[٧].
قال الزمخشري:" الذكر: يطلق على الطاعة والعبادة"[٨].
قال ابن كثير:" وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات"[٩].
عن قتادة:" {أو يحدث لهم}: القرآن {ذِكْرًا}، أي: جدّا وورعا"[١٠].
قال مكي:" فينقلبون عما هم مقيمون عليه من الكفر بالله"[١١].
وحكي الطبري عن قتادة أيضا:" معناه: أو يحدثُ لهم شرفا، بإيمانهم به"[١٢].
وقرئ: «نحدث» و«تحدث»، بالنون والتاء، أى: تحدث أنت. وسكن بعضهم الثاء للتخفيف[١٣].

القرآن
{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)} [طه : ١١٤]
التفسير:
فتنزَّه الله - سبحانه - وارتفع، وتقدَّس عن كل نقص، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، المتصرف بكل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق. ولا تعجل - أيها الرسول - بمسابقة جبريل في تَلَقِّي القرآن قبل أن يَفْرَغ منه، وقل: ربِّ زدني علمًا إلى ما علمتني.
في سبب نزول الآية قولان:
أحدها: عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس:" كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه - فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه - فأنزل الله تعالى: {لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه} [القيامة: ١٧] قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} [القيامة: ١٨] قال: فاستمع له وأنصت: {ثم إن علينا بيانه} [القيامة:

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٧٠٤/٧.
(٢) تفسير السمعاني:٣٥٧/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٣١٩/٥.
(٤) الكشاف:٨٩/٣.
(٥) أخرجه الطبري:٣٨١/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣١٩.
(٧) تفسير السمعاني:٣٥٧/٣.
(٨) الكشاف:٨٩/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٣١٩/٥.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٨١/١٨.
(١١) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٧٠٤/٧.
(١٢) تفسير الطبري:٣٨١/١٨.
(١٣) انظر: الكشاف:٩٠/٣.

١٩] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه"[١].

قال السدي: "كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتي يشق على نفسه يتخوف إن يصعد جبريل ولم يحفظه فينسي ما علمه فقال الله: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، قال: لا تحرك به لسانك لتعجل به"[٢].

الثاني: عن الحسن قال: "لطم رجل امرأته: فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب قصاصا، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فأنزل الله :{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} فوقف النبي ﷺ حتي نزلت : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء : ٣٤]"[٣].

قوله تعالى:{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} [طه : ١١٤]، أي:" فتنزَّه الله - سبحانه - وارتفع، وتقدَّس عن كل نقص، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، المتصرف بكل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق"[٤].

قال ابن كثير:" أي : تنزه وتقدس الملك الحق ، الذي هو حق ، ووعده حق ، ووعيده حق ، ورسله حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وكل شيء منه حق. وعدله تعالى ألا يعذب أحدًا قبل الإنذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه ؛ لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة"[٥].

قال الزمخشري:" استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم، وغير ذلك مما يجرى عليه أمر ملكوته"[٦].

قوله تعالى:{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه : ١١٤]، أي:" ولا تعجل - أيها الرسول - بمسابقة جبريل في تَلَقِّي القرآن قبل أن يَفْرَغ منه"[٧].

قال الزمخشري:أي:" وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن، فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته. ونحوه قوله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، وقيل معناه: لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان"[٨].

قال ابن كثير:" أي : بل أنصت ، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده، يعني : أنه ، عليه السلام ، كان إذا جاءه جبريل بالوحي ، كلما قال جبريل آية قالها معه ، من شدّة حرصه على حفظ القرآن ، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه ؛ لئلا يشق عليه"[٩].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه، وقيل: لا تتله على أحد، ولا تمله عليه حتى نبينه لك"[١٠].

عن مجاهد، قوله "{وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، قال: لا تتله على أحد حتى نبينه لك"[١١].

---

(١) صحيح البخاري(٥):ص٨/١.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٣):ص٢٤٣٦/٧-٢٤٣٧.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٤):ص٢٤٣٧/٧.
(٤) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير:٣١٩/٥.
(٦) الكشاف:٨٩/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٨) الكشاف:٨٩/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٣١٩/٥.[بتصرف]
(١٠) تفسير الطبري:٣٨٢/١٨.
(١١) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.

قال ابن جريج:" يقول: لا تتله على أحد حتى نتمه لك"[١].
قال ابن عباس:" يعنى: لا تعجل حتى نبينه لك"[٢].
عن قتادة:"{مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، أي: من قبل أن يبين لك بيانه"[٣].وفي رواية:" تبيانه"[٤].
وقرئ: «حتى تقضى إليك وحيه»[٥].
قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه : ١١٤]، أي:" وقل: ربِّ زدني علمًا إلى ما علمتني"[٦].
قال الطبري:" وقل يا محمد: ربّ زدني علما إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم"[٧].
قال ابن كثير:" أي : زدني منك علمًا"[٨].
قال ابن عُيَيْنَة ، رحمه الله : ولم يزل ﷺ في زيادة من العلم حتى توفاه الله عز وجل"[٩].
وجاء في الحديث : "إن الله تابع الوحي على رسوله ، حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ"[١٠].
عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول : "اللهم انفعني بما علَّمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علمًا ، والحمد لله على كل حال"[١١].
قال الزمخشري:" قوله تعالى : {رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}: متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم، أى: علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي، فزدني علما إلى علم، فإن لك في كل شيء حكمة وعلما.
وقيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم"[١٢].

القرآن
{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)} [طه : ١١٥]
التفسير:
ولقد وصينا آدم مِن قَبلِ أن يأكل من الشجرة، ألا يأكل منها، وقلنا له: إن إبليس عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنكما من الجنة، فتشقى أنت وزوجك في الدنيا، فوسوس إليه الشيطان فأطاعه، ونسي آدم الوصية، ولم نجد له قوة في العزم يحفظ بها ما أُمر به.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ} [طه : ١١٥]، أي:" ولقد وصينا آدم مِن قَبلِ أن يأكل من الشجرة، ألا يأكل منها، وقلنا له: إن إبليس عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنكما من الجنة، فتشقى أنت وزوجك في الدنيا"[١].

---

(١) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٢) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٣) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٤) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٥) انظر: الكشاف:٩٠/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٧) تفسير الطبري:٣٨٢/١٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٣١٩/٥.
(٩) تفسير ابن كثير:٣١٩/٥.
(١٠)رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٩٨٢) من حديث أنس رضي الله.
(١١)سنن ابن ماجه برقم (٢٥١) وسنن الترمذي برقم (٣٥٩٩). ورواه البزاز وزاد في آخره : "وأعوذ بالله من حال أهل النار". انظر: تفسير ابن كثير:٣١٩/٥.
(١٢) الكشاف:٨٩/٣.

قال الطبري:" وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي، ويخالفوا أمري، ويتركوا طاعتي، ويتبعوا أمر عدّوهم إبليس، ويطيعوه في خلاف أمري، فقديما ما فعل ذلك أبوهم آدم، ولقد وصينا آدم وقلنا له {إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ} ووسوس إليه الشيطان فأطاعه، وخالف أمري، فحلّ به من عقوبتي ما حل"[٢].

قوله تعالى:{فَنَسِيَ} [طه : ١١٥]، أي:" فوسوس إليه الشيطان فأطاعه، ونسي آدم الوصية"[٣].

قال ابن عباس:" فترك"[٤].

قال مجاهد:" ترك أمر ربه"[٥].

قال ابن زيد:" فنسي ما عهد إليه في ذلك، قال: وهذا عهد الله إليه"[٦].

قال الطبري:" يقول: فترك عهدي"[٧].

قال ابن عباس:" إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي"[٨].

قال الزجاج:" {فنسي}، ههنا معناه: فترك، لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه"[٩].

قال الحسن:" ترك ما قدم إليه ولو كان منه نسيان ما كان عليه شيء، لأن الله قد وضع، عن المؤمنين النسيان والأخطاء ولكن آدم ترك ما قدم إليه من أكل الشجرة"[١٠].

قوله تعالى:{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه : ١١٥]، أي:" ولم نجد له قوة في العزم يحفظ بها ما أُمر به"[١١].

قال ابن زيد:" ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه الذي حسده، وأبى أن يسجد له مع من سجد له إبليس، وعصى الله الذي كرّمه وشرّفه، وأمر ملائكته فسجدوا له"[١٢].

وقال ابن عباس:" لم نجعل له عزما"[١٣].

قال عبيد بن عمير: "لم يكن آدم من أولي العزم"[١٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه : ١١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : ولم نجد له صبراً، قاله قتادة[١٥].

قال مقاتل:" يعني: صبرا عن أكلها"[١٦].

الثاني : ولم نجد له حفظا لما عهدنا إليه. قاله ابن عباس[١٧]، وسفيان[١٨]، وعطية[١٩]، وابن

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٢)تفسير الطبري:٣٨٣/١٨ .
(٣) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٤) أخرجه الطبري:٣٨٣/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٣٨٣/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٣٨٣/١٨.
(٧)تفسير الطبري:٣٨٣/١٨ .
(٨) أخرجه الطبري:٣٨٣/١٨.
(٩) معاني القرآن:٣٧٨/٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٩):ص٢٤٣٧/٧.
(١١) التفسير الميسر:٣٢٠.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٨٣/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٨٤/١٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٨):ص٢٤٣٧/٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٣٨٤/١٨.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣/٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٣٨٤/١٨.
(١٨) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦٢١: ٢٨: ٢٧):ص١٩٧.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:٣٨٤/١٨.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:٣٨٤/١٨.

وقال عطية:" حفظا لما أمرته به"[١].
قال ابن زيد:" العزم: المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به"[٢].
الثالث: عزماً في العودة إلى الذنب ثانياً. حكاه الماوردي[٣].
الرابع: ثباتاً. حكاه الماوردي[٤].
قال ابن أمامة :" لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة، ووضعت في كفة ميزان. ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى، لرجح حلمه بأحلامهم، وقد قال الله تعالى :{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}"[٥].
قال الطبري:" وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله :{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}، فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه"[٦].
عن أبي هريرة-رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: يا موسى، أنت اصطفاك الله بكلامه - وقال مرة: برسالته -، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال: حج آدم موسى، حج آدم موسى، حج آدم موسى "[٧].
فوائد الآيات:[١١٣-١١٥]:
١- بيان الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي وتصريف الوعيد فيه.
٢- إثبات علو الله تعالى وقهره لعباده وملكه لهم وتنزهه عن الولد والشريك وكل نقص يصفه به المبطلون.
٣- استحباب التريث والتأني في قراءة القرآن وتفسيره وإصدار الحكم والفتيا منه.
٤- الترغيب في طلب العلم والمزيد من التحصيل العلمي وإشعار النفس بالجهل والحاجة إلى العلم.
٥- التسلية بنسيان آدم وضعف قلبه أمام الإغراء الشيطاني.

القرآن
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦)} [طه : ١١٦]
التفسير:
واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام، فأطاعوا، وسجدوا، لكن إبليس امتنع من السجود.

---

(١) أخرجه الطبري:٣٨٤/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٣٨٤/١٨.
(٣) انظر: النكت والعيون:٤٣٠/٣.
(٤) انظر: النكت والعيون:٤٣٠/٣.
(٥) اخرجه الطبري:٣٨٤/١٨-٣٨٥.
(٦) تفسير الطبري:٣٨٥/١٨.
(٧) أخرجه احمد(٧٣٨٧):ص٣٤٣/١٢. إسناده صحيح، وأخرجه الحميدي (١١١٥) ، والبخاري (٦٦١٤) ، ومسلم (٢٦٥٢) (١٣) ، وأبو داود (٤٧٠١) ، وابن ماجه (٨٠) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٤٥) ، والنسائي في "الكبرى" (١١١٨٧) ، وأبو يعلى (٦٢٤٥) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ١٢٦/١ و١٢٧، وابن حبان (٦١٨٠) ، والآجري في "الشريعة" ص ١٨١ و٣٠٢ و٣٢٤-٣٢٥، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (١٠٣٠) و (١٠٣١) و (١٠٣٢) ، والبيهقي في الاعتقاد" ص ١٣٨، وفي "الأسماء والصفات" ص ١٩٠ و٣١٦، وابن عبد البر في "التمهيد" ١١/١٨-١٢، والبغوي (٦٨).

قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [طه : ١١٦]، أي:" واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا ﷺ، ما كان من تضييع آدم عهده، ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه، إلا من عصمه الله منهم {و} اذكر يا محمد {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}"[٢].

قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} [طه : ١١٦]، أي:" فأطاعوا، وسجدوا، لكن إبليس امتنع من السجود"[٣].

قال ابن عطية: "وتلك معصية كفر لأنها عن معتقد فاسد صدرت"[٤].

قال السدي:"كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيّرًا"[٥].

قال ابن عباس:" إبليس، أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته"[٦].

القرآن

{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)} [طه : ١١٧]

التفسير:

فقلنا: يا آدم إن إبليس هذا عدو لك ولزوجتك، فاحذرا منه، ولا تطيعاه بمعصيتي، فيخرجكما من الجنة، فتشقى إذا أُخرجت منها.

قوله تعالى:{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ} [طه : ١١٧]، أي:" قلنا: يا آدم إن إبليس هذا عدو لك ولزوجتك، فاحذرا منه"[٧].

قال الطبري:" ولذلك من شنآنه لم يسجد لك، وخالف أمري في ذلك وعصاني"[٨].

قوله تعالى:{فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} [طه : ١١٧]، أي:" ولا تطيعاه فيكون سبباً لإخراجكما من الجنة فتشقيان"[٩].

قال الطبري: يقول: "فلا تطيعاه فيما يأمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له {مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} يقول: فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذّره ربه"[١٠].

قال يحيى:" أي: إنكما إذا عصيتما الله أخرجكما من الجنة {فتشقى} في الدنيا، الكد فيها"[١١].

قالمقاتل:" {فتشقى} بالعمل بيديك،وكان يأكل من الجنة رغدا من غير أن يعمل بيده شيئا فلما أصاب الخطيئة أكل من عمل يده فكان يعمل ويأكل"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : إياك أن يسعى في إخراجك منها ، فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك ، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء ، لا كلفة ولا مشقة"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٢) تفسير الطبري:٣٨٥/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٤) المحرر الوجيز: ١٢٥/١.
(٥)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١
(٦)تفسير الطبري(٧٠٣):ص٩٩/١
(٧) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٨) تفسير الطبري:٣٨٥/١٨.
(٩) صفوة التفاسير:٢٢٨/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٣٨٥/١٨.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٢٨٣/١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير:٣٢٠/٥.

قال السمعاني: {فتشقى} "أي: تتعب وتنصب"[١].
قال الحسن:" عني به شقاء الدنيا فلا تلقي ابن آدم إلا شقيا ناصبا"[٢].
قال سعيد بن جبير:" أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق من جبينه، فهو الذي قال الله تعالى ذكره :{فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}، فكان ذلك شقاؤه"[٣].
قال سفيان بن عيينة: "لم يقل: فتشفيان، لأنها دخلت معه، فوقع المعنى عليهما جميعا وعلي أولادهما كقوله: {يا أيها النبي إذا طلقتم} و {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١)قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ} [التحريم : ١-٢]، فدخلوا في المعني معه، وإنما كلم النبي وحده"[٤].

القرآن
{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨)} [طه : ١١٨]
التفسير:
إن لك - يا آدم - في هذه الجنة أن تأكل فلا تجوع، وأن تَلْبَس فلا تَعْرى.
قال المراغي:" أي: لا يكون لك فى الجنة جوع ولا عرى"[٥].
قال مكي:" أي: إن لك الشبع في الجنة والكسوة والري والسترة"[٦].
قال النسفي:" {ولا تعرى} عن الملابس لأنها معدة أبدا فيها"[٧].
قال ابن كثير:" إنما قرن بين الجوع والعُرْي ؛ لأن الجوع ذُلّ الباطن ، والعري ذُلّ الظاهر "[٨].

القرآن
{وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩)} [طه : ١١٩]
التفسير:
وأن لك ألا تعطش في هذه الجنة ولا يصيبك حر الشمس.
قال ابن عباس:" لا يصيبك فيها عطش ولا حر"[٩].
عن عمرة:" {ولا تضحى}، قال: لا يصيبك حر الشمس"[١٠].
قال ابن كثير:" وهذان أيضًا متقابلان ، فالظمأ : حر الباطن ، وهو العطش. والضحى : حر الظاهر "[١١].
عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وهي شجرة الخلد"[١٢].
قال الزمخشري:" الشبع والرى والكسوة والكن: هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان، فذكره استجماعها له في الجنة، وأنه مكفى لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا، وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعرى

---

(١) تفسير السمعاني:٣٥٩/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٥٢):ص٢٤٣٨/٧.
(٣) اخرجه الطبري:٣٨٥/١٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٥٦):ص٢٤٣٨/٧. همذا الترقيم بالمطبوع!
(٥)تفسير المراغي:١٥٩/١٦ .
(٦)الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٧٠٨/٧ .
(٧) تفسير النسفي:٣٨٧/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٢٠/٥.
(٩)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٥٧):ص٢٤٣٨/٧ .
(١٠)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٥٩):ص٢٤٣٨/٧ .
(١١) تفسير ابن كثير:٣٢٠/٥.
(١٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٦٠):ص٢٤٣٨/٧ .

والظمأ والضحو[١]، ليطرق سمعه بأسامى أصناف الشقوة التي حذره منها، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها"[٢].

القرآن

{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)} [طه : ١٢٠]

التفسير:

فوسوس الشيطان لآدم وقال له: هل أدلك على شجرة، إن أكلت منها خُلِّدتَ فلم تمت، وملكت مُلْكًا لا ينقضي ولا ينقطع؟

قوله تعالى:{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ} [طه : ١٢٠]، أي:" فوسوس الشيطان لآدم"[٣].

قال مقاتل:" يعني: إبليس وحده"[٤].

قال ابن كثير:" حسدهما الشيطان ، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة ليُسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن "[٥].

الوسوسة: "الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس، وهو صوت الحلي، والهمس الخفي"[٦].

قوله تعالى:{قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} [طه : ١٢٠]، أي:" قال الشيطان لآدم: هل أدلك على شجرة، إن أكلت منها خُلِّدتَ فلم تمت، وملكت مُلْكًا لا ينقضي ولا ينقطع؟"[٧].

قال مقاتل:" يقول: ألا أدلك على شجرة «الخلد»، من أكل منها خلد في الجنة، فلا يموت، وعلى ملك لا يفنى"[٨].

قال يحيى:" أي: إنك إن أكلت منها خلدت في الجنة"[٩].

---

(١)والضحو» الذي في الصحاح: ضحيت للشمس ضحا- ممدود- إذا برزت الشمس لها، وضحيت- بالفتح- مثله.

(٢) الكشاف:٩٢/٣.

قال المحقق:" ذكر تعالى الأصناف التي بها قوام الإنسان ... الخ» قال أحمد: تنبيه حسن، وفي الآية سر بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير، وذلك أنه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة، مع ما بينهما من التناسب. والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها، ولو قرن كلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة، وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديما وحديثا فقال الكندي الأول:

كأنى لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أرشف الرزق الروى ولم أقل ... لخيلى كرى كرة بعد إجفال

فقطع ركوب الجواد عن قوله «لخيلى كرى كرة» وقطع تبطن الكاعب عن ترشف الكأس مع التناسب، وغرضه أن يعدد ملاذه ومفاخره ويكثرها، وتبعه الكندي الآخر فقال:

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشيء عن نظيره، ولكنه على فطنته قصر قهمه عما طالت إليه يد أبى الطيب من هذا المعنى الطائل البديع، على أن في هذه الآية سرا لذلك زائدا على ما ذكر، وهو أن قصد تناسب الفواصل، ولو قرن الظمأ بالجوع فقيل: إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ، لانتثر سلك رؤس الآي، وأحسن به منتظما، والله أعلم".

(٣) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.

(٥) تفسير ابن كثير:٣٩٧/٣.

(٦) المفردات في غريب القرآن:٨٦٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام:٢٨٤/١.

قال النسفي:" أضاف الشجرة إلى «الخلد» وهو :الخلود، لأن من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت"[١].

قال ابن كثير:" كانت شجرةَ الخلد - يعني : التي من أكل منها خلد ودام مكثه. وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد"[٢].

روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، ما يقطعها وهي شجرة الخلد"[٣].

القرآن

{فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)} [طه : ١٢١]

التفسير:

فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورةً عن أعينهما، فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما؛ ليسترا ما انكشف من عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه، فغوى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها.

قوله تعالى:{فَأَكَلَا مِنْهَا} [طه : ١٢١]، أي:" فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها"[٤].

قال ابن كثير:" أوحى إلى آدم وزوجته أن يأكلا من كل الثمار ، ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة. فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها"[٥].

قوله تعالى:{فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} [طه : ١٢١]، أي:" فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورةً عن أعينهما"[٦].

قال مقاتل:" يقول ظهرت لهما عورتهما"[٧].

قال يحيى:" فبدأت حواء قبل آدم في تفسير الكلبي"[٨].

وقال الحسن: "لو أن حواء بدأت قبل آدم فبدت سوأتها عند ذلك لكانت له عظة ولكن لما أكل آدم بدت لهما سوآتهما"[٩].

قال ابن عباس:" لما أسكن الله آدم الجنة كساه سربالا من الظفر، فلما أصاب الخطيئة سلبه السربال فبقي في أطراف أصابعه"[١٠].

قوله تعالى:{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} [طه : ١٢١]، أي:" فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما؛ ليسترا ما انكشف من عوراتهما"[١١].

قال ابن عباس:" ينزعان ورق التين ويجعلانه على سوءاتهما"[١٢].

قال السدي:" أقبلا يغطيان عليهما من ورق الجنة، التين"[١٣].

قال قتادة:" يوصلان عليهما من ورق الجنة"[١].

---

(١) تفسير النسفي:٣٨٧/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٢١/٥.
(٣)مسند الطيالسي برقم (٢٥٤٧) والمسند للإمام أحمد (٤٥٥/٢).
(٤) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٢١/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٢٨٤/١.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٨٤/١.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٠٠):ص١٤٥٢/٥.
(١١) التفسير الميسر:٣٢٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٢):ص١٤٥٢/٥.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠١):ص١٤٥٢/٥.

قال محمد بن كعب:" يأخذان ما يواريان به عورتهما"[٢].
قال مجاهد:" يرقعان، كهيئة الثوب"[٣].
قال الطبري:" يقول: أقبلا وجعلا يشدَّان عليهما من ورق الجنة، ليواريا سوءاتهما"[٤].
قال القرطبي:" المعنى: يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به، ومنه خصف النعل"[٥].
وفي {مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ } [الأعراف : ٢٢]، قولان:
أحدهما : ورق الموز[٦].
والثاني : ورق التين ، قاله ابن عباس[٧]، والسدي[٨].
قال وهب بن منبه:" كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نورًا على فروجهما، لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا. فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوءاتهما"[٩].
عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فأخذت شعره شجرة فنازعها، فناداه الرحمن يا آدم مني تفر؟ فلما سمع كلام الرحمن، قال: يا رب لا ولكن استحياء"[١٠].
عن أبي بن كعب قال، قال رسول الله ﷺ: "لما ذاق آدم من الشجرة فر هاربا فتعلقت شجرة بشعره فنودي: يا آدم، أفرارا مني؟ قال: بل حياء منك قال يا آدم اخرج من جواري، فبعزتي لا أساكن فيها من عصاني، ولو خلقت ملء الأرض مثلك خلقا ثم عصوني لأسكنتهم دار العاصين"[١١].
قوله تعالى:{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه : ١٢١]، أي:" وخالف آدم أمر ربه، فغوى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها"[١٢].
قال مقاتل:" يعني: فضل وتولى عن طاعة ربه- عز وجل-"[١٣].
قال الطبري:" يقول: وخالف أمر ربه، فتعدّى إلى ما لم يكن له أن يتعدّى إليه، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها"[١٤].
قال الجصاص:" حكى لنا أبو عمر غلام ثعلب عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال غوى الرجل يغوي غيا، إذا فسد عليه أمره أو فسد هو في نفسه، ومنه قوله تعالى: {وعصى آدم ربه فغوى} [طه:١٢١] أي فسد عليه عيشه في الجنة؛ قال: ويقال غوى الفصيل إذا لم يرو من لبن أمه. وقيل في {أغويتني} : أي حكمت بغوايتي، كقولك أضللتني أي حكمت بضلالتي. وقيل: {أغويتني} أي أهلكتني. فهذه الوجوه الثلاثة محتملة في إبليس. وقوله تعالى: {وعصى آدم ربه فغوى} يحتمل فساد أمره في الجنة وهو يرجع إلى معنى الخيبة، ولا يحتمل الهلاك ولا الحكم بالغواية التي هي ضلال؛ لأن أنبياء الله لا يجوز ذلك عليهم"[١٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٥):ص١٤٥٣/٥.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٦):ص١٤٥٣/٥.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٤٠٠):ص٣٥٣/١٢.
(٤) تفسير الطبري:٣٥٢/١٢.
(٥) تفسير القرطبي:١٨١/٧.
(٦) انظر: النكت والعيون:٢١١/٢.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٠٢)، و(٨٣٠٧):ص١٤٥٢/٥-١٤٥٣.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٠١):ص١٤٥٢/٥.
(٩) أخرجه الطبري(١٤٤٠٨):ص٣٥٥/١٢.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(٣٨٨):ص٨٧/١-٨٨.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(٣٨٩):ص٨٨/١.
(١٢) التفسير الميسر:٣٢٠.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.
(١٤) تفسير الطبري:٣٨٨/١٨.
(١٥) أحكام القرآن:٣٨/٣-٣٩.

قال الربيع بن أنس: "فأخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة، فأخرج آدم معه غصنا من شجر الجنة، على رأسه تاج من شجر الجنة، وهو الإكليل من ورق الجنة"[١].

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «"حاجّ موسى آدم ، فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم : يا موسى ، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمر قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني - أو : قدره الله عليّ قبل أن يخلقني - " قال رسول الله ﷺ : "فحج آدم موسى"»[٢].

القرآن

{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢)} [طه : ١٢٢]

التفسير:

ثم اصطفى الله آدم، وقرَّبه، وقَبِل توبته، وهداه رشده.

قوله تعالى:{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ} [طه : ١٢٢]، أي:" ثم اصطفى الله آدم، وقرَّبه"[٣].

قال مقاتل:" يعني: استخلصه ربه- عز وجل- "[٤].

قال يحيى:" يعني: المعصية، ولم تبلغ بالمعصية الضلال"[٥].

قال الفراء: أي:" اختاره"[٦].

قال الطبري:" يقول: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه"[٧].

قال صاحب المنار:" فآدم أول البشر ارتقاء إلى هذه المرتبة[أي: الإصطفاء] فإنه بعدما تنقل في الأطوار إلى مرتبة التوبة والإنابة اصطفاه - تعالى - واجتباه كما قال في سورة طه: {ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى} [طه: ١٢٢]، فكان هاديا مهديا، وكان في ذريته من النبيين والمرسلين من شاء الله - تعالى –"[٨].

قوله تعالى:{فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه : ١٢٢]، أي:" وقَبِل توبته، وهداه رشده"[٩].

قال مقاتل:" {فتاب عليه} من ذنبه، {وهدى}، يعني: وهداه للتوبة"[١٠].

قال يحيى:" {فتاب عليه}من ذلك الذنب. {وهدى}: مات على الهدى"[١١].

قال الطبري:" فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه، وهداه للتوبة، فوفَّقه لها"[١٢].

قال الفراء: "{وهدى}، أي: هداه للتوبة"[١٣].

فوائد الآيات:[١١٦-١٢٢]:

١- تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذي لا يعلم إلاّ بالوحي الإلهي.

٢- تقرير عداوة إبليس لبني آدم.

٣- بيان أن الجنة لا نصب فيها ولا تعب، وإنما ذلك في الأرض.

٤- التحذير من أخطار الاستجابة لوسوسة إبليس فإنها تُرْدى صاحبها.

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(٣٩٠):ص٨٨/١.

(٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٣٨).

(٣) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.

(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٨٥/١.

(٦) معاني القرن:١٩٤/٢.

(٧) تفسير الطبري:٣٨٨/١٨.

(٨) تفسير المنار:٢٣٧/٣.

(٩) التفسير الميسر:٣٢٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.

(١١) تفسير يحيى بن سلام:٢٨٥/١.

(١٢) تفسير الطبري:٣٨٨/١٨.

(١٣) معاني القرن:١٩٤/٢.

٥- ضعف المرأة وقلة عزمها فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية.
٦- كون المرأة تابعة للرجل وليس لها أن تستقل بحال من الأحوال.
١- حرمة كشف العورات ووجوب سترها.
٨- إثبات نبوة آدم وتوبة الله عليه وقبولها منه وهدايته إلى العمل بمحابه وترك مكارهه.

القرآن
{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣)} [طه : ١٢٣]
التفسير:
قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة إلى الأرض جميعًا مع إبليس، فأنتما وهو أعداء، فإن يأتكم مني هدى وبيان فمن اتبع هداي وبياني وعمل بهما فإنه يرشد في الدنيا، ويهتدي، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله.
قوله تعالى:{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا} [طه : ١٢٣]، أي:" قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة إلى الأرض جميعًا مع إبليس"(١).
قال مقاتل:" يعنى: آدم وإبليس"(٢).
قال ابن كثير:" يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس : اهبطوا منها جميعًا ، أي : من الجنة كلكم"(٣).
قوله تعالى:{بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [طه : ١٢٣]، أي: "متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله"(٤).
قال مقاتل:" يقول: إبليس وذريته عدو لآدم وذريته"(٥).
قال ابن كثير:" آدم وذريته ، وإبليس وذريته "(٦).
قال البغوي:" أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس"(٧).
قال المهايمي: "فالمرأة عدوة الزوج، في إلجائه إلى تحصيل الحرام. والزوج عدوها في إنفاقه عليها. وإبليس يوقع الفتنة بينهما، ويدعوهما إلى أنواع المفاسد التي لا ترتفع إلا باتباع الأمر السماوي"(٨).
قوله تعالى:{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى} [طه : ١٢٣]، أي:" فإن يأتكم مني شريعة ورسول وبيان ودعوة"(٩).
قال الطبري:" يقول: فإن يأتكم يا آدم وحواء وإبليس مني بيان لسبيلي، وما أختاره لخلقي من دين"(١٠).
قال سهل:" هو الاقتداء وملازمة الكتاب والسنة، فلا يضل عن طريق الهدى، ولا يشقى في الآخرة والأولى"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٥.
(٤) تفسير المراغي: ٨٧/١.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٥.
(٧) تفسير البغوي:٨٤/١.
(٨) حكاه عنه القاسمي في محاسن التأويل:١٥٢/٧.
(٩) التفسير البسيط: ٤١٦/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٣٨٩/١٨.
(١١) تفسير التستري:١٠٢.

قوله تعالى:{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه : ١٢٣]، أي:" فمن اتبع هداي وبياني وعمل بهما فإنه يرشد في الدنيا، ويهتدي، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله"[١].

قال الطبري:" يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزغ منه، فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي، {ولا يَشْقَى} في الآخرة بعقاب الله، لأن الله يدخله الجنة، وينجيه من عذابه"[٢].

روي عن ابن عباس، قال:" تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى}"[٣].

قال ابن عباس:" من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة، ووقاه، أظنه أنه قال: من هول يوم القيامة، وذلك أنه قال :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} في الآخرة"[٤].

القرآن

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)} [طه : ١٢٤]

التفسير:

ومن تولَّى عن ذكري الذي أذكِّره به فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيِّقة شاقة -وإن ظهر أنه من أهل الفضل واليسار-، ويُضيِّق قبره عليه ويعذَّب فيه، ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة.

قوله تعالى:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي} [طه : ١٢٤]، أي:" ومن تولَّى عن ذكري الذي أذكِّره به"[٥].

قال الطبري: أي:" فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه"[٦].

قال ابن كثير:" أي : خالف أمري ، وما أنزلته على رسولي ، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه "[٧].

قوله تعالى:{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه : ١٢٤]، أي:" فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيِّقة شاقة، ويُضيَّق قبره عليه ويعذَّب فيه"[٨].

قال مقاتل:" يعني معيشة سوء، لأنها في معاصي الله- عز وجل- الضنك والضيق"[٩].

قال الطبري: يقول: فإن له معيشة ضيقة، والضنك من المنازل والأماكن والمعايش: الشديد، يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقا"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا ، فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق حَرَج لضلاله ، وإن تَنَعَّم ظاهره ، ولبس ما شاء وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة "[١١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٢) تفسير الطبري:٣٨٩/١٨.
(٣) اخرجه الطبري:٣٨٩/١٨.
(٤) اخرجه الطبري:٣٨٩/١٨-٣٩٠.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٦) تفسير الطبري:٣٩٠/١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٣٩٠/١٨.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٥-٣٢٣.

قال الفراء:" الضنك: الضيقة الشديدة"[١].
قال ابن قتيبة:" أي: ضيقة"[٢].
قال أبو عبيدة:" معيشة ضيقة، والضّنك توصف به الأنثى، والمذكّر بغير الهاء وكل عيش أو منزل أو مكان ضيّق فهو ضنك، قال عنترة[٣]:
إن المنيّة لو تمثّل مثّلت ... مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل
وقال[٤]:
وإن نزلوا بضنك أنزل"[٥].
وفي قوله تعالى:{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه : ١٢٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : كسباً حراماً، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك، قاله عكرمة[٦]، والضحاك[٧]، وقيس بن أبي حازم[٨]، ومالك بن دينار[٩].
قال عكرمة:" هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام"[١٠].
وروي عن عن قيس بن أبي حازم ، قوله:{مَعِيشَةً ضَنْكًا}، قال: رزقا في معصيته"[١١].
وقال الضحاك:" الكسب الخبيث"[١٢].
وقال الضحاك:" العمل الخبيث، والرزق السيئ"[١٣].
قال مالك بن دينار:" يحول الله رزقه في الحرام فلا يطعمه إلا حراما حتي يموت فيعذبه عليه"[١٤].
الثاني : أن يكون عيشه منغَّصاً بأن ينفق من لا يوقن بالخلف من الله تعالى، قاله ابن عباس[١٥].
الثالث : أنه عذاب القبر، قاله أبو سعيد الخدري[١٦]، وابن مسعود[١٧]، ومجاهد[١٨]، وأبو والسدي[٢٠]، وأبو سعيد الخدري، ورفعه أبو هريرة عن النبي -ﷺ-[٢١]، وبه قال الطبري[٢٢].
قال مجاهد:"ضيقة يضيق عليه قبره"[٢٣].

---

(١) معاني القرآن:١٩٤/٢.
(٢) غريب القرآن:٢٨٣.
(٣)ديوانه من الستة ص ٤٢.
(٤)لعنترة، انظر: ديوانه من الستة ص ٤٢، تمامه:
إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا ... اشدد وإن نزلوا بضنك أنزل.
(٥) مجاز القرن:٣٢/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٩١/١٨-٣٩٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٣٩٢/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٣٩٢/١٨.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٧٢):ص٢٤٤٠/٧.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٩١/١٨-٣٩٢.
(١١) أخرجه الطبري:٣٩٢/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٩٢/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٩٢/١٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٢):ص٢٤٤٠/٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٣٩٢/١٨.
(١٦)انظر: تفسير الطبري:٣٩٢/١٨-٣٩٣ .
(١٧)انظر: تفسير الطبري:٣٩٣/١٨ .
(١٨) انظر: فسير مجاهد:٤٦٧.
(١٩)انظر: تفسير الطبري:٣٩٣/١٨ .
(٢٠)انظر: تفسير الطبري:٣٩٣/١٨ .
(٢١) انظر: تفسيرالطبري:٣٩٤/١٨.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري:٣٩٤/١٨.
(٢٣) تفسير مجاهد:٤٦٧.

قال أبو سعيد الخدري:" المعيشة الضنك: عذاب القبر، إنه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يُبعث، وكان يقال: لو أن تنينا منها نفخ الأرض لم تنبت زرعا"[١].

قال أبو سعيد الخدري:" يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه"[٢].

ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعا بلفظ:« ضمة القبر»[٣].

قال ابن كثير:"الموقوف أصح"[٤].

قال أبو هريرة:" يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله :{مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}"[٥].

عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : "المؤمن في قبره في روضة خضراء ، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ، وينور له قبره كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية : { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده ، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تِنِّينًا ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية ، لكل حية سبعة رؤوس ، ينفخون في جسمه ، ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون"[٦].

قال ابن كثير:" رفعه منكر جدًا"[٧].

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل : { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } قال : "المعيشة الضنك الذي قال الله تعالى : أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ، ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة"[٨].

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ:{ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } قال : "عذاب القبر"[٩].

الرابع: أنه الطعام الضريع والزقوم في جهنم ، قاله الحسن[١٠]، وقتادة[١١]، وابن زيد[١٢].

قال ابن زيد:"«معيشة ضنكا»: في النار شوك من نار وزقوم وغسلين، والضريع: شوك من نار، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة، وقرأ قول الله عزّ وجلّ {يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} قال: لمعيشتي، قال: والغسلين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنيا"[١٣].

وروي عن ابن عباس قوله: "{معيشة ضنكا}، قال: بشدة عليه في النار"[١٤].

السادس : أن يكسب دون كفايته. أفاده الماوردي[١٥].

قال الزجاج:" الضنك: أصله في اللغة الضيق والشدة، ومعناه - والله أعلم - أن هذه

---

(١) أخرجه الطبري:٣٩٣/١٨.

(٢) أخرجه الطبري:٣٩٣/١٨.

(٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٧٠):ص٢٤٤٠/٧.

(٤) تفسير ابن كثير:٣٢٣/٥. والمرفوع في إسناده دراج عن أبي الهيثم وهو ضعيف

(٥) أخرجه الطبري:٣٩٣/١٨.

(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٢٣/٥، ورواه أبو يعلى في مسنده (٥٢١/١١) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.

(٧) تفسير ابن كثير:٣٢٣/٥.

(٨)مسند البزار برقم (٢٢٣٣) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (٦٧/٧) "فيه من لم أعرفه".

(٩) رواه البزاز كما في تفسير ابن كثير:٣٢٣/٥-٣٢٤، وروي من حديث أبي سعيد مثله ، ورواه الحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة في المصنف.

قال ابن كثير:" إسناد جيد".

(١٠) انظر: النكت والعيون:٤٣١/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٩١/١٨.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:٣٩١/١٨.

(١٣) أخرجه الطبري:٣٩١/١٨.

(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٦٧):ص٢٤٣٩/٧.

(١٥) انظر: النكت والعيون:٤٣١/٣.

المعيشة الضنك في نارجهنم. وأكثر ما جاء في التفسير أنه عذاب القبر"[١].

قال الزمخشري:" ومعنى ذلك: أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة، فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين، مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قال بعض المتصوفة: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه"[٢]. [٣].

قال القشيري:" الكافر إذا أعرض عن ذكره بالكلية فله المعيشة الضنك فى الدنيا، وفي القبر، وفى النار، وبالقلب من حيث وحشة الكفر، وبالوقت من حيث انغلاق الأمور"[٤].

قوله تعالى:{وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه : ١٢٤]، أي:" ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة"[٥].

قال الفراء:" أعمى عن الحجة، ويقال: إنه يخرج من قبره بصيرا فيعمى فى حشره"[٦].

قال الزجاج:" مثل : {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه : ١٠٢]، وقيل: أعمى عن حجته، وتأويله: أنه لا حجة له يهتدي إليها، لا أن له حجة، وأنه يعمى عنها. ما للناس على الله حجة بعد الرسل، ولله الحجة البالغة وقد بشر وأنذر، ووعد وأوعد"[٧].

قال ابن كثير:" يحتمل أن يكون المراد : أنه يُحشَر أو يبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضًا ، كما قال تعالى : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء : ٩٧]. ولهذا يقول : { رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } أي : في الدنيا"[٨].

عن مجاهد، قوله:{ونحشره يوم القيامة أعمى}، قال: عن الحجة"[٩].

روي عن عكرمة، قال:" عمي عليه كل شيء إلا جهنم، وفي لفظ قال: لا يبصر إلا النار"[١٠].

القرآن

{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)} [طه : ١٢٥]

التفسير:

قال المعرِض عن ذكر الله: ربِّ لِمَ حَشَرْتني أعمى، وقد كنت بصيرًا في الدنيا؟

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى} [طه : ١٢٥]، أي:" قال المعرِض عن ذكر الله: ربِّ لِمَ حَشَرْتني أعمى"[١].

قال الطبري:يقول:" ربّ لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء"[٢].

---

(١) معاني القرآن:٣٧٨/٣.

(٢) الكشاف:٩٥/٣.

(٣) ونقله القرطبي بتمامه:٢٥٨/١١-٢٥٩.

قال القرطبي:" معنى ذلك أن الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل عليه وعلى قسمته، فصاحبه ينفق مما رزقه الله- عز وجل- بسماح وسهولة ويعيش عيشا رافغا(٣)، كما قال الله تعالى:{فلنحيينه حياة طيبة} [النحل: ٩٧]. والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح، الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك، وحاله مظلمة، كما قال بعضهم: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشة ضنك".

(٤) لطائف الإشارات:٤٨٦/٢.

(٥) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٦) معاني القران:١٩٤/٢.

(٧) معاني القرآن:٣٧٩/٣.

(٨) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٥.

(٩) أهخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٥):ص٢٤٤٠/٧.

(١٠) أهخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٦):ص٢٤٤٠/٧.

قال القرطبي:" أي: بأي ذنب عاقبتني بالعمى"[٣].
عن مجاهد :"{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى}، لا حجة لي"[٤].
قال القشيري: " وهو بعيد ما كان للكافر حجة في الدنيا"[٥].
قال الواحدي:" «الأعمى» إذا أطلق، كان الظاهر عمى البصر"[٦].
قال الفراء: "يقال: إنه يخرج من قبره بصيرا، فيعمى في حشره"[٧].
وقوله: {لِمَ حَشَرتَنِي أعْمَى} حَرَّك الياء ابن كثيرٍ ونافع، وأرسلها الباقون[٨].
قوله تعالى:{وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} [طه : ١٢٥]، أي:" وقد كنت بصيرًا في الدنيا؟"[٩].
قال الطبري:يقول:" وقد كنت في الدنيا ذا بصر بالحجة ورؤية الاشياء"[١٠].
قال القرطبي:" أي: في الدنيا، وكأنه يظن أنه لا ذنب له"[١١].
عن مجاهد :{وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا}، في الدنيا"[١٢].
عن مجاهد :"{ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا}، قال: عالما بحجتي"[١٣].
قال يحيى:" وإنما علمه ذلك عند نفسه في الدنيا. كان يحاج في الدنيا جاحدا لما جاءه من الله"[١٤].
قال قتادة:" كان بعيد البصر، قصير النظر، أعمى عن الحق"[١٥].

القرآن
{قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦)} [طه : ١٢٦]
التفسير:
قال الله تعالى له: حشرتك أعمى؛ لأنك أتتك آياتي البينات، فأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، وكما تركتَها في الدنيا فكذلك اليوم تُترك في النار.
قوله تعالى:{قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا} [طه : ١٢٦]، أي:" قال الله تعالى له: حشرتك أعمى؛ لأنك أتتك آياتي البينات، فأعرضت عنها، ولم تؤمن بها"[١٦].
قال الطبري:" فعلت ذلك بك، فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي، وهي حججه وأدلته وبيانه الذي بيَّنه في كتابه، {فنسيتها}: يقول: فتركتها وأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، ولم تعمل"[١٧].
قال ابن كثير:" أي : لما أعرضت عن آيات الله ، وعامَلْتها معاملة من لم يذكرها ، بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها "[١٨].
عن مجاهد، { فنسيتها}، قال فتركتها"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٢) تفسير الطبري:٣٩٦/١٨.
(٣) تفسير القرطبي:٢٥٩/١١.
(٤) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(٥) حكاه عنه القرطبي في التفسير:٢٥٩/١١.
(٦) التفسير الوسيط:٢٢٦/٣.
(٧) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٢٦/٣.
(٨) انظر: معاني القراءات للأزهري:١٦٠/٢.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٠.
(١٠) تفسير الطبري:٣٩٦/١٨.[بتصرف]
(١١) تفسير القرطبي:٢٥٩/١١.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٢٩٠/١.
(١٥) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(١٦) التفسير الميسر:٣٢١.
(١٧) تفسير الطبري:٣٩٦/١٨.
(١٨) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٥.

عن السدي:"{ فنسيتها}، يقول: تركتها إن تعمل بها"[٢].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه : ١٢٦]، أي:" وكما تركتَ آياتي في الدنيا فكذلك اليوم تُترك في النار"[٣].

قال الطبري:" يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا، فتركتها وأعرضت عنها، فكذلك اليوم ننساك، فنتركك في النار"[٤].

عن مجاهد، قوله :"{وكذلك اليوم تنسى}، قال: [وكذلك اليوم][٥] تترك في النار"[٦].

عن أبي صالح والسدي: "{ وكذلك اليوم تنسى}، قالا: "في النار"[٧].

وعن قتادة: "{وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}، قال: نسي من الخير، ولم ينس من الشرّ"[٨].

قال الطبري:" وهذا القول الذي قاله قَتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد، لأن تركه إياهم في النار أعظم الشرّ لهم"[٩].

قال ابن كثير:" أي : نعاملك اليوم معاملة من ينساك، { فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } [الأعراف : ٥١]، فإن الجزاء من جنس العمل ، فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه ، فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص ، وإن كان مُتَوَعدًا عليه من جهة أخرى ، فإنه قد وردت السنة بالنهي الأكي ، والوعيد الشديد في ذلك "[١٠].

عن سعد بن عبادة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "ما من رجل قرأ القرآن فنسيه ، إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجذم"[١١].

القرآن

{وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)} [طه : ١٢٧]

التفسير:

وهكذا نعاقب مَن أسرف على نفسه فعصى ربه، ولم يؤمن بآياته بعقوبات في الدنيا، ولَعذاب الآخرة المعدُّ لهم أشد ألمًا وأدوم وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ} [طه : ١٢٧]، أي:" وهكذا نعاقب مَن أسرف على نفسه فعصى ربه، ولم يؤمن بآياته بعقوبات في الدنيا"[١٢].

قال الطبري:" وهكذا نجزي: أي نثيب من أسرف فعصى ربه، ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة ضنكا في البرزخ"[١٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة "[١٤].

عن سفيان قوله: "{وكذلك نجزي من اسرف}، قال: من أشرك"[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٣٩٦/١٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٧):ص٢٤٤١/٧.
(٣) التفسير الميسر:٣٢١.
(٤) تفسير الطبري:٣٩٦/١٨.
(٥) زيادة في تفسير الطبري:٣٩٦/١٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٥):ص٢٤٤٠/٧.
(٧) أخرج الطبري:٣٩٦/١٨ قول أبي صالح، وأخرج ابن ابي حاتم(١٣٥٧٧):ص٢٤٤١/٧. قول السدي.
(٨) أخرجه الطبري:٣٩٦/١٨.
(٩) تفسير الطبري:٣٩٧/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٥.
(١١)المسند (٢٨٥/٥).
(١٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(١٣) تفسير الطبري:٣٩٧/١٨.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٥.

قوله تعالى:{وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} [طه : ١٢٧]، أي:" ولَعذاب الآخرة المعدُّ لهم أشد ألمًا وأدوم وأثبت؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي"(٢).

قال الطبري:يقول:" ولعذاب في الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول: وأدوم منها، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية"(٣).

قال الواحدي:أي:" أفظع وأعظم مما ذكر من عذاب القبر"(٤).

قال ابن كثير:" أي : أشد ألمًا من عذاب الدنيا ، وأدوم عليهم ، فهم مخلدون فيه ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين : «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة»(٥)"(٦).

فوائد الآيات:[١٢٣-١٢٧]:

١- تقرير عداوة الشيطان للإنسان.
٢- عِدَة الله تعالى لمن آمن بالقرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في حياته ولا يشقى في آخرته.
٣- بيان جزاء من أعرض عن القرآن في الدنيا والآخرة.
٤- التنديد بالإسراف في الذنوب والمعاصي مع الكفر بآيات الله، وبيان جزاء ذلك.

القرآن

{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (١٢٨)} [طه : ١٢٨]

التفسير:

أفلم يدل قومك - أيها الرسول - على طريق الرشاد كثرة مَن أهلكنا من الأمم المكذبة قبلهم وهم يمشون في ديارهم، ويرون آثار هلاكهم؟ إن في كثرة تلك الأمم وآثار عذابهم لَعبرًا وعظاتٍ لأهل العقول الواعية.

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} [طه : ١٢٨]، أي:" أفلم يدل قومك - أيها الرسول - على طريق الرشاد كثرة مَن أهلكنا من الأمم المكذبة قبلهم وهم يمشون في ديارهم، ويرون آثار هلاكهم؟"(٧).

قال الطبري:" أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا، ويتعظوا بهم، ويعتبروا، وينيبوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم"(٨).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : { أَفَلَمْ يَهْدِ } لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به : يا محمد ، كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسل قبلهم ، فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر ، كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها ، يمشون فيها"(٩).

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٨):ص٢٤٤١/٧.
(٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣) تفسير الطبري:٣٩٧/١٨.
(٤) التفسير الوسيط:٢٢٦/٣.
(٥) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٣٠٩/١، رقم ٢٨٢٢) ، والطبرانى (٤٥٠/١١، رقم ١٢٢٧٩) ، قال الهيثمى (٦٥/١) : رواه أحمد، والبزار، والطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكنه اختلط. والحاكم (٥٣٨/٢، رقم ٣٨٣٥) ، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٤٣/٢، رقم ١٦٣٦).
(٦) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٢١.
(٨) تفسير الطبري:٣٩٧/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٢٥/٥.

قال قتادة:" لأن قريشا كانت تتجر إلى الشأم، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذّرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله لهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون"[١].

قال الزجاج:" وكانت قريش تتجر وترى مساكن عاد وثمود وبها علامات الإهلاك، فذلك قوله: {يمشون في مساكنهم}"[٢].

قال البغوي:" الخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط"[٣].

ويقرأ: «أفلم نهد»، بالنون، و«يمشون في مساكنهم» بالتشديد[٤].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه : ١٢٨]، أي:" إن في كثرة تلك الأمم وآثار عذابهم لَعبرًا وعظاتٍ لأهل العقول الواعية"[٥].

قال الطبري:يقول:" إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذّبة رسلها قبلهم، وحلول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله لدلالات وعبرا وعظات لأهل الحجى والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره"[٦].

عن ابن عباس، قوله :"{لأولِي النُّهَى}، يقول: التقى"[٧].

قال قتادة:" أهل الورع"[٨].

قال ابن كثير:" أي : العقول الصحيحة والألباب المستقيمة "[٩].

القرآن

{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩)} [طه : ١٢٩]

التفسير:

ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى عنده للازمهم الهلاك عاجلا، لأنهم يستحقونه؛ بسبب كفرهم.

قال الفراء:" يريد: ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزامامقدم ومؤخر، وهو- فيما ذكروا- ما نزل بهم في وقعة بدر من القتل"[١٠].

قال ابن قتيبة:" فيه تقديم وتأخير ، أراد: لولا كلمة سبقت وأجل مسمى - لكان العذاب لزاما"[١١].

قال الطبري:يقول:" ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، فاصبر على ما يقولون"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري:٣٩٧/١٨.
(٢) معاني القرآن:٣٧٩/٣.
(٣) تفسير البغوي:٣٠٢/٥.
(٤) انظر: معاني القرآن:٣٧٩/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٢١.
(٦) تفسير الطبري:٣٩٨/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٢٥/٥.
(١٠) معاني القرآن:١٩٥/٢.
(١١) غريب القرآن:٢٨٣.
(١٢) تفسير الطبري:٣٩٩/١٨.
(١٣) تفسير ابن كثير:٣٢٥/٥.

قال الزمخشري:" الكلمة السابقة: هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول: لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة"[١].

قال الحسن:" ألا تعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال، إلا بالساعة"[٢].

قال ابن زيد:" هذا مقدّم ومؤخر، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما"[٣].

قال مجاهد:" الأجل المسمى: الدنيا"[٤].

قال مجاهد:" الأجل المسمى: الموت، وفيه تقديم وتأخير، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما "[٥].

قال قتادة:" وهذه من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى ، أجل مسمى كان لزاما، و«الأجل المسمى»: الساعة، لأن الله تعالى يقول (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ"[٦].

قال الزجاج:" يعني بالأجل المسمى أن الله وعدهم العذاب يوم القيامة، وذلك قوله: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]"[٧].

وفي قوله تعالى:{لَكَانَ لِزَامًا} [طه : ١٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : لكان موتا. قاله ابن عباس[٨].

الثاني: لكان قتلا. قاله ابن زيد[٩].

الثالث: لكان عذاباً لازماً. قاله مقاتل[١٠]، وابن قتيبة[١١].

الرابع : لكان قضاء، حكاه الماوردي عن الأخفش[١٢].

الخامس: لكان أخذا. قاله أبو صالح[١٣]، والسدي[١٤].

السادس: لكان فيصلا، يلزم كل إنسان طائره إن خيرا فخير وإن شرّا فشر فلازمه. قاله أبو عبيدة[١٥].

قال الزجاج:" أي: لكان القتل الذي نالهم لازما أبدا، ولكان العذاب لازما لهم"[١٦].

قال الزمخشري:" أى لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل"[١٧].

القرآن

---

(١) الكشاف:٩٦/٣.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٩١/١.
(٣) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٨.
(٥) تفسير مجاهد:٤٦٨.
(٦) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٨.
(٧) معاني القرآن:٣٨٠/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٠٠/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٤٠٠/١٨.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٦/٣.
(١١) انظر: غريب القرآن:٢٨٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٣٢/٣.
(١٣)انظر: الدر المنثور ٣١٢/٤ .
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٥٨١):ص٢٤٤١/٧.
(١٥) انظر: مجاز القرآن:٣٢/٢.
(١٦) معاني القرآن:٣٨٠/٣.
(١٧) الكشاف:٩٦/٣.

{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)} [طه : ١٣٠]

التفسير:

فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف وأباطيل، وسبّح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة العشاء في ساعات الليل، وسبح بحمد ربك أطراف النهار في صلاة الظهر -إذ وقتها طرف النصف الأول والنصف الثاني من النهار- وفي صلاة المغرب ؛ كي تثاب على هذه الأعمال بما تَرْضى به.

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [طه : ١٣٠]، أي:" فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف وأباطيل"(١).

قال مقاتل:" من تكذيبهم إياك بالعذاب"(٢).

قال الطبري:" فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول"(٣).

قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [طه : ١٣٠]، أي:" وسبّح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها"(٤).

قال الطبري:" يقول: وصل بثنائك على ربك، {قبل طلوع الشمس} وذلك صلاة الصبح {وقبل غروبها}، وهي العصر"(٥).

قال الزجاج:" وذلك وقت الغداة والعشى"(٦).

قال ابن عباس:" هي الصلاة المكتوبة"(٧).

عن قتادة قوله: "{وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس}، قال: هي صلاة الفجر، {وقبل غروبها}، قال: صلاة العصر"(٨).

عن السدي قوله: "{وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها}، قال: كان هذا قبل إن تفرض الصلاة"(٩).

عن جرير بن عبد الله، قال: "كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ، فرأى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم راءون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا" ثم تلا: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها}"(١٠).

عن عمارة بن رُوَيْبة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لن يَلِجَ النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها "(١١).

قال الزمخشري:" {بحمد ربك} في موضع الحال، أى: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه. والمراد بالتسبيح الصلاة. أو على ظاهره، قدم الفعل على الأوقات أولا، والأوقات على الفعل آخرا، فكأنه قال: صل لله قبل طلوع الشمس، يعنى: الفجر، وقبل غروبها،

---

(١) التفسير الميسر:٣٢١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٦/٣.
(٣) تفسير الطبري:٤٠٠/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٢١.
(٥) تفسير الطبري:٤٠٠/١٨.
(٦) معاني القرآن:٣٨٠/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٣):ص٢٤٤١/٧.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٤):ص٢٤٤١/٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٥):ص٢٤٤١/٧.
(١٠) أخرجه الطبري:٤٠١/١٨.
(١١)المسند (١٣٦/٤) ، وصحيح مسلم برقم (٦٣٤).

يعنى: الظهر والعصر، لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها"[١].

قوله تعالى:{وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ} [طه : ١٣٠]، أي:" وسبح بحمد ربك في صلاة العشاء في ساعات الليل"[٢].

قال الطبري: يعني:" صلاة العشاء الآخرة، لأنها تصلى بعد مضي آناء من الليل"[٣].

قال ابن كثير:" أي : من ساعاته فتهجد به. وحمله بعضهم على المغرب والعشاء"[٤].

قال الزجاج:" «الآناء»: الساعات"[٥].

عن قتادة:"{ومن آناء الليل}، قال: صلاة المغرب والعشاء"[٦].

عن ابن زيد:" {من آناء الليل}: العتمة"[٧].

عن ابن عباس:" {ومن آناء الليل}، قال: المصلى من الليل كله"[٨].

عن ابن عباس:"{ومن آناء الليل فسبح}، قال: آناء الليل: جوف الليل"[٩].

عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن قرأ :{ومن آناء الليل}، قال: من أوله، وأوسطه، وآخره"[١٠].

قال الزمخشري:أي:" وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك، وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل، لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب. وقال الله عز وجل: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل : ٦]، وقال: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا} [الزمر : ٩]،ولأن الليل وقت السكون والراحة، فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله. وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة"[١١].

قوله تعالى:{وَأَطْرَافَ النَّهَارِ} [طه : ١٣٠]، أي:" وسبح بحمد ربك أطراف النهار في صلاة الظهر -إذ وقتها طرف النصف الأول والنصف الثاني من النهار- وفي صلاة المغرب"[١٢].

قال الطبري: يعني: صلاة الظهر والمغرب، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه"[١٣].

قال الزجاج:" الظهر والعصر"[١٤].

عن قتادة:"{وأطراف النهار}، قال: صلاة الظهر"[١٥].

عن ابن زيد:" {وأطراف النهار}: المغرب والصبح"[١٦].

وعن الحسن :يعني: التطوع"[١].

---

(١) الكشاف:٣/٩٦.
(٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٤٠٠.
(٤) تفسير ابن كثير:٥/٣٢٦.
(٥) معاني القرآن:٣/٣٨٠.
(٦) اخرجه الطبري:١٨/٤٠١.
(٧) اخرجه الطبري:١٨/٤٠١.
(٨) اخرجه الطبري:١٨/٤٠٢.
(٩) اخرجه الطبري:١٨/٤٠٢.
(١٠) اخرجه الطبري:١٨/٤٠٢.
(١١) الكشاف:٣/٩٦-٩٧.
(١٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(١٣) تفسير الطبري:١٨/٤٠٠.
(١٤) معاني القرآن:٣/٣٨٠.
(١٥) اخرجه الطبري:١٨/٤٠١.
(١٦) اخرجه الطبري:١٨/٤٠١.

قال أبو الليث:" يعني: غدوة وعشية على معنى التأكيد للتكرار"[٢].
قال الزمخشري:" وفي «أطراف النهار» صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار، إرادة الاختصاص، كما اختصت في قوله: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى } [البقرة : ٢٣٨]، عند بعض المفسرين.
فإن قلت: ما وجه قوله: {وأطراف النهار} على الجمع، وإنما هما طرفان كما قال {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ} [هود : ١١٤] ؟
قلت: الوجه: أمن الإلباس، وفي التثنية زيادة بيان"[٣].
قوله تعالى:{لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه : ١٣٠]، أي:" كي تثاب على هذه الأعمال بما تَرْضى به كي تثاب على هذه الأعمال بما تَرْضى به"[٤].
قال الطبري:" يقول: كي ترضى"[٥].
قال أبو الليث:" يعني: لعلك تعطى من الشفاعة حتى ترضى"[٦].
عن ابن زيد قوله: "{لعلك ترضى}، قال: الثواب فيما يزيدك الله على ذلك"[٧].
قال اب جريج:" بما تعطى"[٨].
وفي الصحيح : " يقول الله : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك. فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول : إني أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا "[٩].
وفي الحديث الآخريقال : " يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدا يريد أن يُنْجزكُمُوه. فيقولون : وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ، ويدخلنا الجنة ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم خيرًا من النظر إليه ، وهي الزيادة "[١٠].
وقرأ عاصم والكسائي :«لَعَلَّك تُرْضَى»، بضم التاء، بمعنى: لعل الله يرضيك من عبادتك إياه، وطاعتك له[١١].
قال الأزهري:" من قرأ بفتح التاء، فالخطاب للنبي - ﷺ - أى: تَرضى أنت يا محمد، ومن قرأ «تُرْضَى» فهو على ما لم يسم فاعله، والمعنى واحد"[١٢].
قال أبو عبيدة: "وبالقراءة الأولى نقرأ يعني: بالضم، لأن فيها معنيين، أحدهما: ترضى أي: تعطى الرضا، والأخرى: ترضى أي يرضاك الله. وتصديقه قوله تعالى: {وكان عند ربه مرضيا} [مريم: ٥٥] وليس في الأخرى وهي القراءة بالنصب، إلا وجه واحد"[١٣].

القرآن
{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)} [طه : ١٣١]

---

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٩٣/١.
(٢) بحر العلوم:٤١٧/٢.
(٣) الكشاف:٩٧/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٢١.
(٥) تفسير الطبري:٤٠٢/١٨.
(٦) بحر العلوم:٤١٧/٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٦):ص٢٤٤١/٧.
(٨) أخرجه الطبري:٤٠٢/١٨.
(٩)صحيح البخاري برقم (٦٥٤٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.
(١٠)رواه مسلم في صحيحه برقم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٤٠٢/١٨.
(١٢) معاني القراءات:١٦٠/٢.
(١٣) انظر: بحر العلوم في التفسير:٤١٧/٢.

التفسير:
ولا تنظر إلى ما مَتَّعْنا به هؤلاء المشركين وأمثالهم من أنواع المتع، فإنها زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعناهم بها؛ لنبتليهم بها، ورزق ربك وثوابه خير لك مما متعناهم به وأدوم؛ حيث لا انقطاع له ولا نفاد.

سبب النزول:

عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفا ولم يكن عند النبي ﷺ ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من اليهود إن بعنا أو أسلفنا دقيقا إلى هلال رجب، فقال لا إلا برهن فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه أذهب بدرعي الحديد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية:{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ}، كأنه يعزيه، عن الدنيا"[١].

قوله تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [طه : ١٣١]، أي:" ولا تنظر إلى ما مَتَّعْنا به هؤلاء المشركين وأمثالهم من أنواع المتع"[٢].

قال سفيان:" تعزية لرسول الله ﷺ"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، متعة في حياتهم الدنيا"[٤].

قوله تعالى:{زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [طه : ١٣١]، أي:" فإنها زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا"[٥].

قال الطبري:" من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها"[٦].

قال الزجاج:" معناه: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة"[٧].

قال ابن قتيبة:" أي: زينتها، وهو من زهرة النبات وحسنه"[٨].

قال ابن كثير:" فإنما هو زهرة زائلة ، ونعمة حائلة"[٩].

عن قتادة قوله: "{زهرة الحياة الدنيا}، قال: زينة الحياة الدنيا"[١٠].

عن أبي سعيد إن رسول الله ﷺ قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال: بركات الأرض"[١١].

قوله تعالى:{لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [طه : ١٣١]، أي:" متعناهم بها؛ لنبتليهم بها"[١٢].

قال قتادة:" لنبتليهم"[١٣].

قال ابن قتيبة:" أي: لنختبرهم"[١٤].

قال الطبري:" يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فانٍ زائل، وغُرور وخدع تضمحل"[١٥].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٧):ص٢٤٤١/٧-٢٤٤٢، والطبري:٤٠٣/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٨):ص٢٤٤٢/٧.
(٤)تفسير الطبري:٤٠٣/١٨ .
(٥) التفسير الميسر:٣٢١.
(٦)تفسير الطبري:٤٠٣/١٨ .
(٧) معاني القرآن:٣٨٠/٣.
(٨) غريب القرىن:٢٨٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٥.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٠):ص٢٤٤٢/٧.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٩):ص٢٤٤٢/٧.
(١٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٠):ص٢٤٤٢/٧.
(١٤) غريب القرىن:٢٨٣.
(١٥)تفسير الطبري:٤٠٣/١٨ .

قال الزجاج:" أي: لنجعل ذلك فتنة لهم"[١].

قوله تعالى:{وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه : ١٣١]، أي:" ورزق ربك وثوابه خير لك مما متعناهم به وأدوم؛ حيث لا انقطاع له ولا نفاد"[٢]

قال الطبري:أي:" الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه {خَيْرٌ} لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا {وأبْقَى} يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاد"[٣].

قال السدي:" رزق الجنة"[٤].

قال قتادة:" مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا"[٥].

وفي الصحيح : أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه ، حين آلى منهم فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير وليس في البيت إلا صُبْرَة من قَرَظ ، وأهَب معلقة ، فابتدرت عينا عمر بالبكاء ، فقال رسول الله : " ما يبكيك ؟ ". فقال : يا رسول الله ، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه ؟ فقال : "أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا "[٦].

قال ابن كثير:" فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها ، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا ، في عباد الله ، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد"[٧].

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : "أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ويرفأ ، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها ، فربما لم يقم فنقول : لا يقوم الليلة كما كان يقوم ، وكان إذا استيقظ أقام - يعني أهله - وقال : { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا }"[٨].

القرآن

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)} [طه : ١٣٢]

التفسير:

وَأْمُرْ - أيها النبي - أهلك بالصلاة، واصطبر على أدائها، لا نسألك مالا، نحن نرزقك ونعطيك. والعاقبة الصالحة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.

قوله تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه : ١٣٢]، أي:" وَأْمُرْ - أيها النبي - أهلك بالصلاة، واصطبر على أدائها"[٩].

قال الطبري:"{وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}، يقول: واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها أنت"[١٠].

عن سعيد بن جبير قوله: "{وأمر أهلك بالصلاة}، قال: قومك"[١١].

عن ثابت قال: "كان النبي ﷺ: إذا أصابه خصاصة نادي أهله يا أهلاه صلوا، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة"[١٢].

---

(١) معاني القرآن:٣٨٠/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣)تفسير الطبري:٤٠٣/١٨ .
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩١):ص٢٤٤٢/٧.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٠):ص٢٤٤٢/٧.
(٦)صحيح البخاري برقم (٤٩١٣).
(٧) تفسير ابن كثير:٣٢٧/٥.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٢٧/٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٢١.
(١٠) تفسير الطبري:٤٠٥/١٨.
(١١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٤):ص٢٤٤٢/٧ .
(١٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٣):ص٢٤٤٢/٧ .

روي عن عروة :"أنه كان دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا[١]، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ :{ولا تمدن عينيك} إلى قوله: {نحن نرزقك}، ثم يقول: الصلاة الصلاة رحمكم الله"[٢].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الله تعالى : يا ابن آدم تَفَرَّغ لعبادتي أمْلأ صدرك غنى ، وأسدّ فقرك ، وإن لم تفعل ملأتُ صدرك شغلا ولم أسدّ فقرك "[٣].

عن ابن مسعود : سمعت نبيكم ﷺ يقول : " من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هَمّ دنياه. ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك "[٤].

عن زيد بن ثابت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من كانت الدنيا هَمَّه فرَّق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له. ومن كانت الآخرة نيَّته ، جمع له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة "[٥].

قال القشيري:" الصلاة استفتاح باب الرزق، وعليها أحال فى تيسير الفتوح عند وقوع الحاجة إليه، ويقال الصلاة رزق القلوب، وفيها شفاؤها، وإذا استأخر قوت النفس قوى قوت القلب، وأمر- الرسول- عليه السلام- بأن يأمر أهله بالصلاة، وأن يصطبر عليها[٦].

قوله تعالى:{لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا} [طه : ١٣٢]، أي:" لا نسألك مالا"[٧].

قال ابن كثير:" يعني :إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب ، كما قال تعالى : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب } [الطلاق : ٢ ، ٣] ، وقال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات : ٥٦ - ٥٨]"[٨].

وقال سفيان:" لا نكلفك الطلب"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: لا نسألك رزقا لخلقنا، ولا رزقا لنفسك"[١٠].

قال الطبري:" يقول: لا نسألك مالا بل نكلفك عملا ببدنك، نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا"[١١].

قوله تعالى:{نَحْنُ نَرْزُقُكَ} [طه : ١٣٢]، أي:" نحن نرزقك ونعطيك"[١٢].

قال الطبري:" يقول: نحن نعطيك المال ونكسبكه، ولا نسألكه"[١٣].

قوله تعالى:{وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه : ١٣٢]، أي:" والعاقبة الصالحة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى"[١٤].

قال الطبري:" يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كلّ عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا، ولا يرجو له ثوابا"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وهي الجنة ، لمن اتقى الله"[١].

---

(١) وفي رواية الطبري:١٨/٤٠٥:" إذا رأى ما عند السلاطين".
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٦):ص٧/٢٤٤٣.
(٣)سنن الترمذي برقم (٢٤٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٠٧) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب".
(٤)سنن ابن ماجه برقم (٤١٠٦).
(٥)سنن ابن ماجه برقم (٤١٠٥). وقال البوصيري في الزوائد (٢٧١/٣) : "هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات".
(٦) لطائف الإشارات:٢/٤٨٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٢١.
(٨) تفسير ابن كثير:٥/٣٢٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٥):٧/٢٤٤٣.
(١٠) غريب القرين:٢٨٣.
(١١) تفسير الطبري:١٨/٤٠٥.
(١٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(١٣) تفسير الطبري:١٨/٤٠٥.
(١٤) التفسير الميسر:٣٢١.
(١٥) تفسير الطبري:١٨/٤٠٥.

وفي الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : " رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب "[٢].

فوائد الآيات:[١٢٨-١٣٢]:

١- تقرير مبدأ العاقل من اعتبر بغيره.
٢- بيان فضيلة العقل وشرف صاحبه وانتفاعه به.
٣- وجوب الصبر على دعوة الله والاستعانة على ذلك بالصلاة.
٤- بيان أوقات الصلوات الخمس والحصول على رضى النفس بثوابها.
٥- وجوب عدم تعلق النفس بما عند أهل الكفر من مال ومتاع لأنهم ممتحنون به.
٦- وجوب الرضا بما قسم الله للعبد من رزق انتظاراً لرزق الآخرة الخالد الباقي.
٧- وجوب الأمر بالصلاة بين الأهل والأولاد والمسلمين والصبر على ذلك.
٨- فضل التقوى وكرامة أصحابها وفوزهم بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.
٩- إقام الصلاة بين أفراد الأسرة المسلمة ييسر الله تعالى به أسباب الرزق، وتوسعته عليهم.

القرآن

{وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٣)} [طه : ١٣٣]

التفسير:

وقال مكذبوك - أيها الرسول -: هلا تأتينا بعلامة من ربك تدلُّ على صدقك، أو لم يأتهم هذا القرآن المصدق لما في الكتب السابقة من الحق؟

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [طه : ١٣٣]، أي:" وقال مكذبوك - أيها الرسول -: هلا تأتينا بعلامة من ربك تدلُّ على صدقك"[٣].

قال الطبري:" قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص"[٤].

قال الزجاج:" معناه: هلا يأتينا بآية من ربه، وقد أتتهم البينات والآيات ولكنهم طلبوا أن يقترحوا هم ما يؤيدون من الآيات"[٥].

قال السعدي:" يعنون آيات الاقتراح كقولهم: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)} [الإسراء : ٩٠ - ٩٢]

وهذا تعنت منهم وعناد وظلم فإنهم هم والرسول بشر عبيد لله فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته هو الله ولأن قولهم {لولا أنزل عليه آيات من ربه} يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه ولا بينة على حقه وهذا كذب وافتراء فإنه أتى من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات ما يحصل ببعضه المقصود"[٦].

قوله تعالى:{أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [طه : ١٣٣]، أي:" أو لم يأتهم هذا القرآن المصدق لما في الكتب السابقة من الحق؟"[٧].

قال ابن عطية:" يعني: التوراة أعظم شاهد وأكبر آية له"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٢٨/٥.
(٢)صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) التفسير الميسر:٣٢١.
(٤) تفسير الطبري:٤٠٦/١٨.
(٥) معاني القرآن:٣٨٠/٣.
(٦) تفسير السعدي:٥١٧.
(٧) التفسير الميسر:٣٢١.

قال القرطبي:" يريد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة، وذلك أعظم آية إذ أخبر بما فيها"[٢].

قال الطبري:يقول:" أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجَّلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك"[٣].

قال الواحدي:أي:" بيان ما في الكتب من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما كفروا، ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤالهم الآيات كحال أولئك، وهذا البيان إنما قص عليهم في القرآن"[٤].

قال السمعاني: "أي: بيان ما في الصحف الأولى من أنباء الأمم، فإنهم اقترحوا الآيات، فأعطوا ولم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعالى، ولو أعطينا هؤلاء أيضا، ولم يؤمنوا ألحقنا إهلاكهم"[٥].

قال الزمخشري:" اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة، فقيل لهم: أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز، يعنى: القرآن، من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات، فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها، افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة"[٦].

قال السعدي:" أي: هذا القرآن العظيم المصدق لما في الصحف الأولى من التوراة والإنجيل والكتب السابقة المطابق لها المخبر بما أخبرت به وتصديقه أيضا مذكور فيها ومبشر بالرسول بها وهذا كقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت : ٥١]، فالآيات تنفع المؤمنين ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم وأما المعرضون عنها المعارضون لها فلا يؤمنون بها ولا ينتفعون بها {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)} [يونس : ٩٦ - ٩٧]"[٧].

عن مجاهد، قوله :"{أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأولَى}، قال: التوراة والإنجيل"[٨].

قال قتادة:" الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم"[٩].

وقرئ: «الصحف»، بالتخفيف[١٠].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (١٣٤)} [طه : ١٣٤]

التفسير:

ولو أنَّا أهلكنا هؤلاء المكذبين بعذاب من قبل أن نرسل إليهم رسولا وننزل عليهم كتابًا لقالوا: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من عندك، فنصدقه، ونتبع آياتك وشرعك، مِن قبل أن نَذلَّ ونَخزى بعذابك.

---

(١) المحرر الجيز:٧١/٤.
(٢) تفسير القرطبي:٢٦٤/١١.
(٣) تفسير الطبري:٤٠٦/١٨.
(٤) التفسير الوسيط:٢٢٨/٣.
(٥) تفسير السمعاني:٣٦٥/٣.
(٦) الكشاف:٩٩/٣.
(٧) تفسير السعدي:٥١٧.
(٨) أخرجه الطبري:٤٠٦/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٤٠٧/١٨.
(١٠) انظر: الكشاف:٩٩/٣.

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ} [طه : ١٣٤]، أي:" ولو أنَّا أهلكنا هؤلاء المكذبين بعذاب من قبل أن نرسل إليهم رسولا وننزل عليهم كتابًا"(١).

قال السمعاني: أي: "من قبل إرسال الرسل وإنزال القرآن"(٢).

قال القرطبي:" أي: من قبل بعثة محمد ﷺ ونزول القرآن"(٣).

قال الطبري:يقول: " ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله"(٤).

قوله تعالى:{لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا} [طه : ١٣٤]، أي:" لقالوا: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من عندك"(٥).

قال الطبري: أي:" لقالوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك"(٦).

قال السمعاني: أي: " لقالوا يوم القيامة"(٧).

قوله تعالى:{فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} [طه : ١٣٤]، أي:" فنصدقه، ونتبع آياتك وشرعك، مِن قبل أن نَذلَّ ونَخزى بعذابك"(٨).

قال الطبري: " يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به"(٩).

قال السمعاني: " الذل: الهوان، والخزي: الافتضاح"(١٠).

قاله ابن عباس.: "{من قبل أن نذل}، أي: في العذاب، {ونخزى}،في جهنم"(١١).

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: "يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله: لم تجعل لي عقلا أنتفع به، ويقول الهالك في الفترة: لم يأتني رسول ولا نبي، ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك لك وقرأ: {لولا أرسلت إلينا رسولا}، ويقول الصبي الصغير: كنت صغيرا لا أعقل قال: فترفع لهم نار ويقال لهم: ردوها قال: فيردها من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي، فيقول: إياي عصيتم، فكيف برسلي لو أتتكم؟" (١٢).

وقرئ :«نذل ونخزى»، على لفظ ما لم يسم فاعله(١٣).

القرآن

{قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٥)} [طه : ١٣٥]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣٢١.
(٢) تفسير السمعاني:٣٦٦/٣.
(٣) تفسير القرطبي:٢٦٤/١١.
(٤) تفسير الطبري:٤٩٧/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٢١.
(٦) تفسير الطبري:٤٩٧/١٨.
(٧) تفسير السمعاني:٣٦٦/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٢١.
(٩) تفسير الطبري:٤٩٧/١٨.
(١٠) تفسير السمعاني:٣٦٦/٣.
(١١) حكاه عنه القرطبي في التفسير:٢٦٥/١١.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٠٧/١٨.
(١٣) انظر الكشاف:١٠٠/٣.

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: كل منا ومنكم منتظر دوائر الزمان، ولمن يكون النصر والفلاح، فانتظروا، فستعلمون: مَن أهل الطريق المستقيم، ومَن المهتدي للحق منا ومنكم؟

قوله تعالى:{قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ} [طه : ١٣٥]، أي:" قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: كل منا ومنكم منتظر دوائر الزمان، ولمن يكون النصر والفلاح، فانتظروا"(١).

قال الطبري:" قل يا محمد: كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول: منتظر لمن يكون الفلاح، وإلى ما يئول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان"(٢).

قال الزمخشري:" كل أى كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم"(٣).

قوله تعالى:{فَتَرَبَّصُوا} [طه : ١٣٥]، أي:" فانتظروا "(٤).

قال الطبري:" يقول: فترقبوا وانتظروا"(٥).

قوله تعالى:{فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى} [طه : ١٣٥]، أي:" فستعلمون: مَن أهل الطريق المستقيم، ومَن المهتدي للحق منا ومنكم؟"(٦).

قال الطبري:يقول: " فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، أنحن أم أنتم؟ ومن اهتدى يقول: وستعلمون حينئذ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم"(٧).

قال الزجاج:معناه" أصحاب الطريق المستقيم"(٨).

قال القرطبي:" يريد الدين المستقيم والهدى، والمعنى: فستعلمون بالنصر من اهتدى إلى دين الحق. وقيل: فستعلمون يوم القيامة من اهتدى إلى طريق الجنة. وفي هذا ضرب من الوعيد والتخويف والتهديد ختم به السورة"(٩).

وقرئ: «السواء»، بمعنى الوسط والجيد، أو المستوى(١٠)

وقرئ: «فتمتعوا فسوف تعلمون». قال أبو رافع: "حفظته من رسول الله ﷺ"(١١)

فوائد الآيات:[١٣٣-١٣٥]:

١- المطالبة بالآيات سنة متبعة للأمم والشعوب عندما تعرض عن الحق وتتنكر للعقل وهدايته.

٢- الذلة والخزي تصيب أهل النار يوم القيامة لما فرطوا فيه من الإيمان والعمل الصالح.

٣- في الآية إشادة إلى حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبيّ ﷺ قال: "يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله: لم تجعل لي عقلا أنتفع به، ويقول الهالك في الفترة: لم يأتني رسول ولا نبي، ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك لك وقرأ: {لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولً}، ويقول الصبي الصغير: كنت صغيرا لا أعقل، قال: فترفع لهم نار ويقال

---

(١) التفسير الميسر:٣٢١.
(٢) تفسير الطبري:٤٠٨/١٨.
(٣) الكشاف:١٠٠/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٢١.
(٥) تفسير الطبري:٤٠٨/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٢١.
(٧) تفسير الطبري:٤٠٨/١٨.
(٨) معاني القرآن:٣٨٠/٣.
(٩) تفسيرالقرطبي:٢٦٥/١١.
(١٠) انظر: الكشاف:١٠٠/٣.
(١١) انظر: الكشاف:١٠٠/٣.

لهم: ردوها قال: فيردها من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي، فيقول: إياي عصيتم، فكيف برسلي لو أتتكم؟"[1].

«آخر تفسير سورة (طه)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه الطبري:١٨/٤٠٧.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « الانبياء»

سورة «الأنبياء»: هي السورة «الحادية والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الثانية من المجموعة الثالثة من قسم المئين، نزلت بعد سورة: «إبراهيم»[١]، وعدد آياتها: (١١٢) مائة واثنتا عشرة عند الكوفيين، (١١١) ومائة وإحدى عشرة عند الباقين، وكلماتها: (١١٦٨) ألف ومائة وثمانية وستون، وحروفها: (٤٨٧٠) أربعة آلاف وثمانمائة وسبعون حرفا[٢].

والمختلف فيها آية واحدة: {وَلَا يَضُرُّكُم} [الأنبياء : ٦٦][٣].

مجموع فواصل آياتها «م ن»[٤].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الأنبياء»:**

سماها الصحابة-رضوان الله عليهم- «سورة الانبياء»، كما مبين أدناه:

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[٥].
- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال:" نزلت سورة الأنبياء بمكة"[٦].
- وعن ابن الزبير-رضي الله عنهما-، قال:" نزلت سورة الأنبياء بمكة"[٧].

وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة.

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الأنبياء» لتضمنها الحديث عن جهاد الأنبياء المرسلين مع أقوامهم الوثنيين، بدءا من قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بإسهاب وتفصيل، ثم إسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذي الكفل، وذي النون: يونس، وزكريا، وعيسى، إلى خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليهم، وذلك بإيجاز يدل على مدى ما تعرضوا له من أهوال وشدائد، فصبروا عليها، وضحوا في سبيل الله، لإسعاد البشرية[٨].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة اقترب»:**

ذكر السخاوي هذه التسمية[٩]، وذلك من باب تسمية السورة بأول كلمة فيها، وقد سماها عامر بن ربيعة بأول الآية منها، فقال:" نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا :{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ }"[١].

---

(١) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي:١٠٨، والكشاف:١٠٠/٣. وقال ابن عاشور٦/١٧:" نزلت بعد حم السجدة وقبل سورة النحل، فتكون من أواخر السور النازلة قبل الهجرة، ولعلها نزلت بعد إسلام من أسلم من أهل المدينة كما يقتضيه قوله تعالى: {وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون} [الأنبياء: ٣]".

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).

العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.

يعني قوله «من تلادي»: أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى البخاري وابن مردويه.

(٨) انظر: التفسير المنير:٥/١٧.

(٩) انظر: جمال القراء:٩١.

ولم يرد عن رسول الله-ﷺ- ما يثبت هذه التسمية. والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٢]، وابن الزبير[٣]، ومقاتل[٤]، ويحيى بن سلام[٥]، وابن قتيبة[٦]، والماتريدي[٧]، والسمرقندي[٨]، وابن ابي زمنين[٩]، ومكي بن أبي طالب[١٠]، والواحدي[١١]، والسمعاني[١٢]، والبغوي[١٣]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية باجماعهم من غير خلاف نعلمه"[١٤].

قال القرطبي:" مكية في قول الجميع"[١٥].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة بالاتفاق"[١٦].

الثاني: أنها مكية إلا آية: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الأنبياء : ٤٤]، فإنها نزلت بالمدينة. نقله السيوطي في "الإتقان" دون عزوه إلى قائل[١٧].

قال ابن عاشور:" ولعله أخذه من رواية عن مقاتل والكلبي وابن عباس، أن المعنى: "«نَنْقُصُهَا» بفتح البلدان"[١٨]، أي: بناء على أن المراد من الرؤية في الآية الرؤية البصرية، وأن المراد من الأرض أرض الحجاز، وأن المراد من النقص نقص سلطان الشرك منها. وكل ذلك ليس بالمتعين ولا بالراجح.. فالأرجح أن سورة الأنبياء مكية كلها"[١٩].

- **مناسبة سورة«الأنبياء» مع سورة «طه»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- الإشارة إلى قرب الأجل المسمى للعذاب، ودنو الأمل المنتظر، فقال تعالى في آخر سورة طه: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} [طه : ١٢٩]، ثم قال: {قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى} [طه : ١٣٥]، وقال تعالى في مطلع هذه السورة: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ١].

وردت هذه التسمية ايضا في **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٣/٤١.**

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥/٦١٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر. وسيأتي في فضائل السورة. إن شاء الله.

(٢) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥/٦١٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٣) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥/٦١٥، وعزاه إلى البخاري وابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٧٠.

(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٢٩٧.

(٦) انظر: غريب القرآن:٣٢٤.

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة:٧/٣٢٥.

(٨) انظر: بحر العلوم:٢/٤١٩.

(٩) اظر: تفسير الن ابي زمنين:٣/١٣٩.

(١٠) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٧/٤٧٢٥.

(١١) انظر: التفسير الوسيط:٣/٢٢٩.

(١٢) انظر: تفسير السمعاني:٣/٣٦٧.

(١٣) انظر: تفسير البغوي:٣/٢٨٢.

(١٤) زاد المسير:٣/١٨٤.

(١٥)تفسير القرطبي:١١/٢٦٦ .

(١٦) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٧.

(١٧) انظر: الإتقان:١/٦١.

(١٨) حكاه عنهم الرازي في مفاتيح الغيب:٢٢/١٤٧، والسيوطي في اللباب في علوم الكتاب:١٣/٥٠٧.

(١٩) التحرير والتنوير:١٧/٦.[بتصرف في تصحيح الخبر عن مقاتل والكلبي وابن عباس]

٢- أن السورة السالفة ختمت بأن الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأن الله نهى رسوله أن يتطلع إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأن العاقبة للمتقين- وبدئت هذه السورة بمثل ما ختمت به السالفة، فذكر فيها أن الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنهم إذا سمعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

والأغراض التي ذكرت في هذه السورة هي:

١- الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه وإنه لتحقق وقوعه كان قريبا.
٢- إقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من الماء.
٣- التحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله.
٤- التذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله.
٥- ذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.
٦- التنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام ﷺ وأنه رحمة للعالمين.
٧- التذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم وأن وعد الله للذين كذبوا واقع لا يغرهم تأخيره فهو جاء لا محالة، وحذرهم من أن يغتروا بتأخيره كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة، وذكر
٨- أن من أشراط الساعة فتح ياجوج وماجوج.
٩- التذكير بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق، والإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل، ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة.
١٠- تنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد والاستدلال على وحدانية الله تعالى، وما يكرهه على فعل ما لا يريد.
١١- أن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.
١٢- التذكير بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ.
١٣- ذكر الرسل والأنبياء وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه، وكيف نصر الله الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتهم.
١٤- أن الرسل كلهم جاءوا بدين الله وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعا، وأثنى على الرسل وعلى من آمنوا بهم.
١٥- أن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسله على تبليغ شرعه.

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[٢].
- عن عامر بن ربيعة :"أنه نزل به رجل من العرب ، فأكرم عامر مثواه ، وكلّم فيه رسول الله ﷺ ، فجاءه الرجل فقال : إني استقطعت من رسول الله ﷺ واديًا في العرب ،

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن:١١٠، وتفسير المراغي:٣/١٧، التفسير المنير:٦/١٧.
(٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).
العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.
يعني قوله (من تلادي) أي: مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

وقد أردت أن أقطعَ لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك ، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا :{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ }"[1].

- عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله: ﷺ «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن»[2].[ضعيف]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره:٢٦٨/٦، والمستغفري في فضائل القرآن(١١٨٨):ص٧٨/٢، والواحدي في التفسير الوسيط:٢٢٩/٣.

قال الفيروز آبادي:" روى فيه أحاديث ساقطة ضعيفة. منها: «من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا، وصافحه، وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن». وفى حديث على:« يا على من قرأ هذه السورة فكأنما عبد الله على رضاه»". انظر: البصائر:٣٢٢/١].

القرآن

{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١)} [الأنبياء : ١]

التفسير:

دنا وقت حساب الناس على ما قدَّموا من عمل، ومع ذلك فالكفار يعيشون لاهين عن هذه الحقيقة، معرضين عن هذا الإنذار.

قوله تعالى:{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} [الأنبياء : ١]، أي:" قرب ودنا وقت حساب الناس على أعمالهم"[١].

قال الزجاج:" معناه: اقتربت القيامة، ومثله: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١]، والمعنى - والله أعلم - اقترب للناس وقت حسابهم"[٢].

قال الطبري:" دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها؛ وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟"[٣].

قال ابن كثير:" هذا تنبيه من الله ، عز وجل ، على اقتراب الساعة ودنوها"[٤].

عن ابن جريج قوله: "{اقترب للناس حسابهم}، قال: ما يوعدون"[٥].

قال الزمخشري:" المراد اقتراب الساعة. وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك. ونحوه {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقّ} [الأنبياء : ٩٧]"[٦].

وفي قوله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} [الأنبياء : ١]، وجهان من التفسير[٧]:

أحدهما: أن هذه الأمة هي آخر الأمم، ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة، فقد قرب الحساب منها بالنسبة لما قبلها من الأمم، لقوله ﷺ " بعثت أنا والساعة كهاتين " وقرن بين إصبعيه، السبابة والتي تليها.

الثاني: أن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات، قامت قيامته، ودخل في دار الجزاء على الأعمال، وأن هذا تعجب من كل غافل معرض، لا يدري متى يفجأه الموت، صباحا أو مساء، فهذه حالة الناس كلهم، إلا من أدركته العناية الربانية، فاستعد للموت وما بعده.

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام؟

قلت: هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت- وإن طالت أوقات استقباله وترقبه- قريب، إنما البعيد هو الذي وجد وانقرض، ولأن ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها، بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان. وقال عليه السلام : «بعثت في نسم[٨] الساعة »[٩]، وفي خطبة بعض المتقدمين: ولت الدنيا حذاء، ولم تبق إلا صبابة كصبابة

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٣٣.

(٢) معاني القرآن:٣/٣٨٣.

(٣) تفسير الطبري:١٨/٤٠٩.

(٤) تفسير ابن كثير:٥/٣٣١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٩٨):ص٨/٢٤٤٤.

(٦) الكشاف:٣/١٠١.

(٧) انظر: تفسير السعدي:٥١٨.

(٨)قوله «بعثت في نسم الساعة» في الصحاح «نسم الريح» أو لها حين تقبل بلين قبل أن تشتد. ومنه الحديث «بعثت في نسم الساعة» أى حين ابتدأت وأقبلت أوائلها. والنسيم أيضا: جمع نسمة وهي النفس.

فمعنى: "نسم الساعة": أى: أول أشراط الساعة وضعف مجيئها.

(٩)أخرجه البزار بإسناد حسن، من حديث أبى جبير بن الضحاك الأنصارى وأخرجه الحسن بن سفيان.

ومن طريقه أبو نعيم في الحلية:٤/١٦١. وفي الباب عن المستورد بن شداد رفعه «بعثت في نفس الساعة-

الإناء. وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه، كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع"[١].

قوله تعالى:{وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ١]، أي:" ومع ذلك فالكفار يعيشون لاهين عن هذه الحقيقة، معرضين عن هذا الإنذار"[٢].

قال ابن كثير:" أي : لا يعملون لها ، ولا يستعدون من أجلها"[٣].

قال الطبري:" يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له، والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال"[٤].

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ :"{وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ}، قال: في الدنيا"[٥].

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نُوَاس الشاعر أنه قال : "أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول[٦]:

النَّاس في غَفَلاتِهِمْ... وَرَحا المِنيَّة تَطْحَنُ

فقيل له: من أين أخذ هذا ؟ قال: من قوله تعالى:{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ }"[٧].

القرآن

{مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)} [الأنبياء : ٢]

التفسير:

ما من شيء ينزل من القرآن يتلى عليهم مجدِّدًا لهم التذكير، إلا كان سماعهم له سماع لعب واستهزاء.

قال الطبري:" ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم"[٨].

قال قتادة:" يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون"[٩].

قال ابن كثير:" أخبر تعالى أنهم لا يُصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله ، والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار ، فقال : { مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ } أي : جديد إنزاله { إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حَرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه ، وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضًا لم يشب. ورواه البخاري بنحوه[١٠]"[١١].

القرآن

الحديث» أخرجه الترمذي. وقوله: وفي خطب بعض المتقدمين «ولت الدنيا حذاء لم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء» هو عبد الله بن غزوان. أخرجه مسلم من حديثه مطول.

(١) الكشاف:١٠١/٣.

(٢) التفسير الميسر:٣٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير:٣٣١/٥.

(٤) تفسير الطبري:٤٠٩/١٨.

(٥) اخرجه الطبري:٤٠٩/١٨، و والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٣٢)

(٦)البيت في ديوان أبي العتاهية ص ٤٢٩، وهو بلا نسبة في كتاب العين ٣/ ٢٩٠.

(٧)تاريخ دمشق (٦١١/٤ "المخطوط")، تفسير ابن كثير:٣٣١/٥.

(٨) تفسير الطبري:٤٠٩/١٨.

(٩) أخرجه الطبري:٤١٠/١٨.

(١٠)صحيح البخاري برقم (٧٥٢٢).

(١١) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.

{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)} [الأنبياء : ٣]

التفسير:

قلوبهم غافلة عن القرآن الكريم، مشغولة بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا يعقلون ما فيه. بل إن الظالمين من قريش اجتمعوا على أمر خَفِيٍّ: وهو إشاعة ما يصدُّون به الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ من أنه بشر مثلهم، لا يختلف عنهم في شيء، وأن ما جاء به من القرآن سحر، فكيف تجيئون إليه وتتبعونه، وأنتم تبصرون أنه بشر مثلكم؟

قوله تعالى:{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} [الأنبياء : ٣]، أي:" ساهيةً قلوبهم عن كلام الله، غافلة عن تدبر معناه"(١).

قال مقاتل:" يعني: غافلة قلوبهم عنه"(٢).

قال الزجاج:" معناه: استمعوه لاعبين"(٣).

قال الطبري:" يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم"(٤).

عن قتادة، قوله :"{لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}، يقول: غافلة قلوبهم"(٥).

قوله تعالى:{وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} [الأنبياء : ٣]، أي:" تناجى المشركون فيما بينهم سرا"(٦).

قال الطبري:" يقول: وأظهروا المناجاة بينهم"(٧).

قال مقاتل:" فهو أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، قالوا سرا فيما بينهم: هل هذا .. "(٨).

قال السعدي:" أي: قلوبهم غافلة معرضة لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشتغلوا بتناول الشهوات والعمل بالباطل، والأقوال الردية، مع أن الذي ينبغي لهم أن يكونوا بغير هذه الصفة، تقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، وتستمعه استماعا، تفقه المراد منه، وتسعى جوارحهم، في عبادة ربهم، التي خلقوا لأجلها، ويجعلون القيامة والحساب والجزاء منهم على بال، فبذلك يتم لهم أمرهم، وتستقيم أحوالهم، وتزكوا أعمالهم"(٩).

قال قتادة:"يقول: أسروا الذين ظلموا النجوى"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : قائلين فيما بينهم خفْيَةً "(١١).

قوله تعالى:{هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [الأنبياء : ٣]، أي:" قالوا فيما بينهم خفيةً هل محمد الذي يدّعى الرسالة إلا شخص مثلكم"(١٢).

قال مقاتل:" يعنون محمدا- ﷺ- إلا بشر مثلكم لا يفضلكم بشيء فتتبعونه"(١٣).

قال الزجاج:" بين ما أسروه، والمعنى قالوا سرا هل هذا إلا بشر مثلكم، يعنون النبي -ﷺ-"(١).

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٦٩.
(٣) معاني القرآن:٣/٣٨٣.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٤١٠.
(٥) اخرجه الطبري:١٨/٤١٠.
(٦) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(٧) تفسير الطبري:١٨/٤١٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٦٩.
(٩) تفسير السعدي:٥١٨.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٩):ص٨/٢٤٤٤.
(١١) تفسير ابن كثير:٥/٣٣٢.
(١٢) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٦٩.

قال الطبري:" فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم، إلا بشر مثلكم: يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمدا ﷺ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله، والتكذيب برسوله"(٢).

قال ابن كثير:" يعنونَ رسول الله ﷺ ، يستبعدون كونه نبيًا ؛ لأنه بَشَرٌ مثلهم ، فكيف اختص بالوحي دونهم "(٣).

قال السدي:" اسروا نجواهم بينهم هل هذا إلا بشر مثلكم يعنون محمدا ﷺ "(٤).

قوله تعالى:{أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} [الأنبياء : ٣]، أي:" أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر؟"(٥).

قال مقاتل:" يعني القرآن {وأنتم تبصرون} أنه سحر"(٦).

قال الطبري:" يقول: وأظهروا هذا القول بينهم، وهي النجوى التي أسرّوها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدّقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن"(٧).

قال ابن زيد:" قال أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله، زعموا أنه ساحر، وأن ما جاء به سحر، قالوا: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟"(٨).

قال ابن كثير:" أي : أفتتبعونه فتكونون كمن أتى السحر وهو يعلم أنه سحر "(٩).

عن السدي:" {أفتأتون السحر}، يقولون: إن متابعة محمد ﷺ متابعة السحر"(١٠).

قال السعدي:" هذا وهم يعلمون أنه رسول الله حقا بما شاهدوا من الآيات الباهرة ما لم يشاهد غيرهم، ولكن حملهم على ذلك الشقاء والظلم والعناد، والله تعالى قد أحاط علما بما تناجوا به، وسيجازيهم عليه"(١١).

القرآن

{قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)} [الأنبياء : ٤]

التفسير:

رد النبي ﷺ الأمرَ إلى ربه سبحانه وتعالى فقال: ربي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أسررتموه من حديثكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأنبياء : ٤]، أي:" قال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ربي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : الذي يعلم ذلك ، لا يخفى عليه خافية ، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين ، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ، إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض"(١٣).

---

(١) معاني القرآن:٣٨٤/٣.
(٢) تفسير الطبري:٤١٠/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٢٤٤٤/٨.
(٥) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٩/٣.
(٧) تفسير الطبري:٤١٠/١٨.
(٨)أخرجه الطبري:٤١١/١٨ .
(٩) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٢٤٤٤/٨.
(١١) تفسير السعدي:٥١٨.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.
(١٣) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.

قال الزجاج:" أعلمهم الله عز وجل أنه يعلم القول في السماء والأرض، وأطلع النبي - ﷺ - على قيلهم، وسرهم" [١].

عن السدي:" قوله: {قال ربي يعلم القول}، قال: الغيب"[٢].

وقرئت :«قل ربي يعلم القول»[٣].

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنبياء : ٤]، أي:" السميع بأقوالكم، العليم بأحوالكم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : السميع لأقوالكم ، {الْعَلِيم } بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد"[٥].

قال السعدي:" {وهو السميع} لسائر الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات {العليم} بما في الضمائر، وأكنته السرائر"[٦].

القرآن

{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)} [الأنبياء : ٥]

التفسير:

بل جحد الكفار القرآن فمِن قائل: إنه أخلاط أحلام لا حقيقة لها، ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس وحيًا، ومن قائل: إن محمدًا شاعر، وهذا الذي جاء به شعر، وإن أراد منا أن نصدِّقه فليجئنا بمعجزة محسوسة كناقة صالح، وآيات موسى وعيسى، وما جاء به الرسل من قبله.

قوله تعالى:{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} [الأنبياء : ٥]، أي:" بل جحد الكفار القرآن فمِن قائل: إنه أخلاط أحلام لا حقيقة لها"[٧].

قال الزجاج:" أي: قالوا: الذي يأتي به النبي - ﷺ - أضغاث أحلام. وجاء في التفسير أهاويل أحلام، والأضغاث في اللغة الأشياء المختلطة" [٨].

قال الطبري: يقول:" ما صدّقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقرّوا بأنه وحي أوْحَى الله إلى محمد ﷺ، بل قال بعضهم: هو أهاويل رؤيا رآها في النوم"[٩].

قال ابن كثير:" هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم ، واختلافهم فيما يصفون به القرآن ، وحيرتهم فيه ، وضلالهم عنه. فتارة يجعلونه سحرًا ، وتارة يجعلونه شعرًا ، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام ، وتارة يجعلونه مفتري "[١٠].

عن ابن عباس، قوله :"{أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ}، قال: مشتبهة"[١١].

عن مجاهد، قوله :"{أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ}، قال: أهاويلها"[١٢].

قال قتادة:" أي: فعل حالم[١٣]، إنما هي رؤيا رآها"[١٤].

---

(١) معاني القرآن:٣٨٤/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٢٤٤٤/٨.
(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣٨٤/٣.
(٤) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.
(٦) تفسير السعدي:٥١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.
(٨) معاني القرآن:٣٨٤/٣.
(٩) تفسير الطبري:٤١١/١٨-٤١٢.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.
(١١) أخرجه الطبري:٤١٢/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٤١٢/١٨.
(١٣) وفي رواية ابن أبي حاتم(١٣٦٠١):ص٢٤٤٤/٨« فعل الأحلام».
(١٤) أخرجه الطبري:٤١٢/١٨.

عن السدي:" قوله:{بل قالوا أضغاث أحلام}، قال: أباطيل أحلام"[١].

قوله تعالى:{بَلِ افْتَرَاهُ} [الأنبياء : ٥]، أي:" ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس وحيًا"[٢].

قال الطبري:" وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه"[٣].

قوله تعالى:{بَلْ هُوَ شَاعِرٌ} [الأنبياء : ٥]، أي:" ومن قائل: إن محمدًا شاعر، وهذا الذي جاء به شعر"[٤].

قال الطبري:" وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر"[٥].

قال الزجاج:" أي: أخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض، فيقولون مرة: هذه أحلام. ومرة هذا شعر ومرة مفترى"[٦].

قال ابن كثير:" هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم ، واختلافهم فيما يصفون به القرآن ، وحيرتهم فيه ، وضلالهم عنه. فتارة يجعلونه سحرًا ، وتارة يجعلونه شعرًا ، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام ، وتارة يجعلونه مفتري ، كما قال : { انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا } [الإسراء : ٤٨ ، والفرقان : ٩]"[٧].

قال الزمخشري:" أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج «٢» ، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد، ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد: وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث"[٨].

قوله تعالى:{فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ} [الأنبياء : ٥]، أي:" وإن أراد منا أن نصدِّقه فليأتنا محمدٌ بمعجزةٍ خارقة تدل على صدقه كما أُرسل موسى بالعصا وصالح بالناقة"[٩].

قال قتادة:" يقول: كما جاء عيسى بالبيّنات وموسى بالبينات، والرسل"[١٠].

قال الطبري:" يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله، إن الله بعثه رسولا إلينا وإن هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إلينا، بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدّعي، كما جاءت به الرسل الأوّلون من قَبْله من إحياء المَوتى، وإبراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل"[١١].

قال ابن كثير:" يعنون ناقة صالح ، وآيات موسى وعيسى. وقد قال الله تعالى : { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا } الآية الإسراء : ٥٩]"[١٢].

قال الزجاج:" فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال إذا كذب بها"[١٣].

عن عبادة بن الصامت قال: "كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرئ بعضنا القرآن، فجاء عبد الله بن أبي بن سلول ومعه نمرقه وزربيه فوضع واتكأ وكان صبيحا جدلا فقال: يا أبا بكر، قل لمحمد: يأتينا بآية كما جاء الأولون؟ جاء موسى بالألواح وجاء

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٢٤٤٤/٨.
(٢) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.
(٣) تفسير الطبري:٤١٢/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.
(٥) تفسير الطبري:٤١٢/١٨.
(٦) معاني القرآن:٣٨٤/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.
(٨) الكشاف:١٠٣/٣.
(٩) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.[بتصرف]
(١٠) أخرجه الطبري:٤١٢/١٨.
(١١) تفسير الطبري:٤١٢/١٨.
(١٢) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٥.
(١٣) معاني القرآن:٣٨٤/٣.

داود بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فخرج رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: قوموا بنا إلى رسول الله ﷺ نستغيث به من هذا المنافق. فقال رسول الله: إنه لا يقام لي، إنما يقام لله عز وجل، فقلنا، يا رسول الله، إنا لقينا من هذا المنافق، فقال إن جبريل قال لي: اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فضلت بها، فبشرني أنه بعثني إلى الأحمر والأسود، وأمرني إن أنذر الجن، وآتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر، وذكر اسمي في الأذان وأيدني بالملائكة، وآتاني النصر، وجعل الرعب أمامي، وآتاني الكوثر، وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة، ووعدني المقام المحمود والناس مهطعون مقنعو رؤوسهم، وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس، وأدخل في شفاعتي سبعين ألفا من أمتي الجنة بغير حساب، وآتاني السلطان والملك، وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوقي أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش، وأحل لي الغنائم، ولم تحل لأحد كان قبلنا"[١].

القرآن

{مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)} [الأنبياء : ٦]

التفسير:

ما آمنت قبل كفار «مكة» من قرية طلب أهلها المعجزات مِن رسولهم وتحققت، بل كذَّبوا، فأهلكناهم، أفيؤمن كفار «مكة» إذا تحققت المعجزات التي طلبوها؟ كلا إنهم لا يؤمنون.

قال يحيى:" أي: لا يؤمنون لو جاءتهم آية"[٢].

قال الزجاج:" أي: ما آمن أهل قرية أتتهم هذه الآيات حتى أوجب الله استئصالهم وإهلاكهم بالعذاب، والله جعل موعد هذه الأمة القيامة"[٣].

قال الطبري:" ما آمن من قبل هؤلاء المكذّبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا: فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذّبناهم بالهلاك في الدنيا، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة، أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهمْ أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها"[٤].

قال ابن كثير:" أي : ما آتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يَدَيْ نبيها فآمنوا بها ، بل كذبوا ، فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك؟ كلا بل {إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم} [يونس: ٩٦، ٩٧] .

هذا كله، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات، والحجج القاطعات، والدلائل البينات، على يدي رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجلى، وأبهر وأقطع وأقهر، مما شوهد مع غيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[٥].

قال الزمخشري:" أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا أو خالفوا، فأهلكهم الله. فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث"[٦].

قال السعدي:" أي: بهذه الآيات المقترحة، وإنما سنته تقتضي أن من طلبها، ثم حصلت له، فلم يؤمن أن يعاجله بالعقوبة. فالأولون ما آمنوا بها، أفيؤمن هؤلاء بها؟ ما الذي فضلهم على

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٠٢):ص٨/٢٤٤٥.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:١/١٤٤.
(٣) معاني القرآن:٣/٣٨٤.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٤١١-٤١٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٥/٣٣٢-٣٣٣.
(٦) الكشاف:٣/١٠٤.

أولئك، وما الخير الذي فيهم، يقتضي الإيمان عند وجودها؟ وهذا الاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يكون ذلك منهم أبدا"[١].

عن مجاهد :"{أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ}، يصدّقون بذلك"[٢].

قال قتادة:" أي: الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا"[٣].

فوائد الآيات:[١-٦]:

١- قرب الساعة.

٢- بيان ما كان عليه المشركون من غفلة ولهو وإعراض، والناس اليوم أكثر منهم في ذلك.

٣- بيان حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- المعجزات لم تكن يوماً سبباً في هداية الناس بل كانت سبب إهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية.

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)} [الأنبياء : ٧]

التفسير:

وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالا من البشر نوحي إليهم، ولم نرسل ملائكة، فاسألوا - يا كفار «مكة» - أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون ذلك.

سبب النزول:

قال مقاتل:" قالوا في الفرقان: {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان : ٤١]، يأكل ويشرب وترك الملائكة فلم يرسلهم، فأنزل الله- عز وجل- في قولهم: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ}..."[٤].

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ} [الأنبياء : ٧]، أي:" وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالا من البشر نوحي إليهم"[٥].

قال ابن عباس:" أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم"[٦].

قال ابن كثير:" أي : جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر ، لم يكن فيهم أحد من الملائكة ، كما قال في الآية الأخرى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا يُوحَى (١) إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } [يوسف : ١٠٩] ، وقال تعالى : { قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ } [الأحقاف : ٩] ، وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم أنهم أنكروا ذلك فقالوا : { أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا } [التغابن : ٦]"[٧].

قرأ حفص وحمزة والكسائي :«نوحي إليهم}، بالنون، وقرأ الباقون«يوحي إليهم» بالياء[٨].

قوله تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء : ٧]، أي:" فاسألوا - يا كفار «مكة» - أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون ذلك"[٩].

---

(١) تفسير السعدي:٥١٨.

(٢) أخرجه الطبري:٤١٣/١٨.

(٣) أخرجه الطبري:٤١٣/١٨.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٧١/٣.

(٥) التفسير الميسر:٣٢٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٥١):ص٢٢١٠/٧.

(٧) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٥.

(٨) انظر: السبعة في القراءات:٤٢٨.

(٩) التفسير الميسر:٣٢٢.

قال ابن كثير:" أي : اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف : هل كان الرسل الذين أتوهم بشرًا أو ملائكة ؟ إنما كانوا بشرًا ، وذلك من تمام نِعمَ الله على خلقه ؛ إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم"[١].

قال مقاتل: " فسيخبرونكم أن الله- عز وجل- ما بعث رسولا إلا من البشر"[٢].

قال يحيى:" يقول: إن كنت لا تصدق فاسأل، وهو يعلم أنه قد كذب"[٣].

وفي قوله تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء : ٧]، أقوال:

أحدها : أن «أهل الذكر»: العلماء بأخبار من سلف من القرون الخالية الذين يعلمون أن الله تعالى ما بعث رسولاً إلا من رجال الأمة ، وما بعث إليهم ملكاً. حكاه الماوردي[٤].

وقال سهل:{أهل الذكر}، " يعني: أهل الفهم عن الله، والعلماء بالله وبأوامره وبأيامه. قيل: صفهم لنا. قال: العلماء ثلاثة: عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله، وهو عامة المؤمنين وعالم بالله وبأمر الله لا بأيام الله، وهم العلماء وعالم بالله وبأمر الله وبأيام الله، وهم النبيون والصديقون"[٥].

الثاني : أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]، وقتادة[٨].

قال ابن عباس:" {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ}: يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا"[٩].

قال ابن عباس:" قال لمشركي قريش: إن محمدا في التوراة والإنجيل"[١٠].

قال الزجاج:" وأهل جميع الكتب يعترفون أن الأنبياء كلهم بشر.. والدليل على أن أهل الذكر أهل الكتب قوله تعالى{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم} [النحل : ٤٤]، وقوله: {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاه} [الأنبياء : ٥٠]"[١١].

الثالث : أنهم أهل التوراة خاصة، قاله مجاهد أيضا[١٢].

الرابع: أنهم أهل القرآن، قاله ابن زيد[١٣]، وأبو جعفرالباقر[١٤]، والأعمش[١٥].

قال الأعمش:" سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل"[١٦].

عن جابر، عن أبي جعفر، قوله:"{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ"، قال: نحن أهل الذكر"[١٧].

وروي عن عليّ:، قال:" نحن أهل الذّكر"[١٨].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٧١/٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٠٠/١.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٨٩/٣.
(٥) تفسير التستري:١٠٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٠٨/١٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٩٨/١٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤١٣/١٨-٤١٤.
(٩) أخرجه الطبري:٢٠٨/١٧.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٠٨/١٧.
(١١) معاني القرآن:٢٠١/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٠٨/١٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١٧.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١٧.
(١٥) انظر: الطبري:٢٠٨/١٧.
(١٦) أخرجه الطبري:٢٠٨/١٧.
(١٧) أخرجه الطبري:٢٠٩/١٨.
(١٨) أخرجه الطبري:٤١٤/١٨.

عن ابن زيد: قوله :"{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}، قال: الذكر: القرآن، وقرأ {إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، وقرأ {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} ... الآية"[١].

قال الحافظ ابن كثير: " وقول عبد الرحمن بن زيد الذكر: القرآن، واستشهد بقوله {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} صحيح، لكن ليس هو المراد هاهنا، لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه، وكذا قول أبي جعفر الباقر: نحن أهل الذكر، ومراده: أن هذه الأمة أهل الذكر صحيح، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السابقة"[٢].

الخامس: معناه: فاسألوا من آمن من أهل الكتاب. حكاه الزجاج[٣].

قال مقاتل: يعني: "مؤمني أهل التوراة"[٤].

السادس: معناه: اسألوا كل من يذكر بعلم وافق أهل هذه الملة أو خالفهم. أفاده الزجاج[٥].

قال الشوكاني:" استدل بالآية على أن التقليد جائز، وهو خطأ، ولو سلم لكان المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة، لا عن الرأي البحت، وليس التقليد إلا قبول قول الغير دون حجته"[٦].

القرآن

{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)} [الأنبياء : ٨]

التفسير:

وما جعلنا أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون.

سبب النزول:

قال مقاتل:" ونزل في قولهم: {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان : ٤١] يأكل ويشرب ويترك[٧] الملائكة فلا يرسلهم، فقال- سبحانه-: {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا}، يعنى الأنبياء- عليهم السلام، و«الجسد»: الذي ليس فيه روح "[٨].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} [الأنبياء : ٨]، أي:" وما جعلنا أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب"[٩].

قال يحيى:" أي: ولكنا جعلناهم جسدا يأكلون الطعام، يعني النبيين"[١٠].

قال الطبري:" يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام"[١١].

قال الفراء:" يقول: لم نجعلهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام"[١٢].

قال قتادة:" يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام"[١٣].

قال الضحاك:" يقول: لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام"[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٠٩/١٨.
(٢) تفسير ابن كثير:٧٠٥/٢.
(٣) انظر: معاني القرآن:٢٠١/٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٧١/٣.
(٥) انظر: معاني القرآن:٢٠١/٣.
(٦) فتح القدير:٤٧١/٣.
(٧) كذا في المطبوع! والاولى: وترك الملائكة فلم يرسلهم.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٧١/٣-٧٢.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٢.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٦٦/١.
(١١) تفسير الطبري:٤١٤/١٨.
(١٢) معاني القرآن:١٩٩/٢.
(١٣) أخرجه الطبري:٤١٤/١٨.

قال ابن كثير:" أي : بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام ، كما قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ } [الفرقان : ٢٠] أي : قد كانوا بشرا من البشر ، يأكلون ويشربون مثل الناس ، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بضار لهم ولا ناقص منهم شيئًا ، كما توهمه المشركون في قولهم : { مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنزلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنز أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا } [الفرقان : ٧ ، ٨]"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ} [الأنبياء : ٨]، أي:" وما كانوا خالدين لا يموتون"[٣].

قال الفراء:" بأكلهم وشربهم، يعنى: الرجال المرسلين"[٤].

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا ، بل كانوا يعيشون ثم يموتون، { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ } [الأنبياء : ٣٤] ، وخاصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل ، تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكم في خلقه مما يأمر به وينهى عنه "[٥].

قال يحيى:" ما كانوا لا يموتون"[٦].

قال مقاتل:" يذوقون الموت"[٧].

قال قتادة:" وما كانوا يخلدون في الدنيا، لا يموتون"[٨].

القرآن

{ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)} [الأنبياء : ٩]

التفسير:

ثم أنجزنا للأنبياء وأتباعم ما وعدناهم به من النصر والنجاة، وأهلَكْنا المسرفين على أنفسهم بكفرهم بربهم.

قوله تعالى:{ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ} [الأنبياء : ٩]، أي:" إنا أرسلنا رسلا من البشر وصدقناهم وعدنا"[٩].

قال مقاتل:" «الوعد»، يعني: العذاب في الدنيا إلى قومهم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : الذي وعدهم ربهم : «ليهلكن الظالمين»، صدقهم الله وعده ففعل ذلك "[١١].

قال يحيى:" كانت الرسل تحذر قومها عذاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة إن لم يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا صدق الله رسله الوعد، فأنزل العذاب على قومهم"[١٢].

قوله تعالى:{فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ} [الأنبياء : ٩]، أي:" فنصرناهم على المكذبين وأنجيناهم هم ومن آمن معهم"[١٣].

قال يحيى:" يعني: النبي والمؤمنين"[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٤١٤/١٨.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣٢٢.
(٤) معاني القرآن:١٩٩/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٥.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٦٦/١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٢/٣.
(٨) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٠/١.
(٩) تفسير المراغي:١٠/١٧.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٢/٣.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٥.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٦٦/١-٦٧.
(١٣) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.

قال ابن كثير:" أي : أتباعهم من المؤمنين "[٢].
قوله تعالى:{وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ} [الأنبياء : ٩]، أي:" وأهلَكْنا المسرفين على أنفسهم بكفرهم بربهم"[٣].
قال المراغي:أي:" وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بتكذيبهم رسل ربهم"[٤].
قال ابن كثير:" أي : المكذبين بما جاءت الرسل به "[٥].
قال مقاتل:" يقول: وعذبنا المشركين في الدنيا"[٦].
عن قتادة، قوله: "{ثم صدقناهم الوعد}، إلى قوله: {وأهلكنا المسرفين}، قال: هم المشركون"[٧].

القرآن
{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)} [الأنبياء : ١٠]
التفسير:
لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن، فيه عزُّكم وشرفكم في الدنيا والآخرة إن تذكرتم به، أفلا تعقلون ما فَضَّلْتكم به على غيركم؟
قوله تعالى:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ} [الأنبياء : ١٠]، أي:" لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن، فيه عزُّكم وشرفكم في الدنيا والآخرة إن تذكرتم به"[٨].
وفي قوله تعالى:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ} [الأنبياء : ١٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه حديثكم ، قاله مجاهد[٩].
الثاني : فيه مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم ، قاله سفيان[١٠].
قال سفيان:" نزل القرآن بمكارم الأخلاق، ألم تسمعه يقول: {لَقَدْ أَنزلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ}"[١١].
الثالث : فيه شرفكم. قاله ابن عباس[١٢]، وسفيان-في إحدى الروايات-[١٣]، ومقاتل[١٤].
قال ابن عيسى :"فيه شرفكم إن تمسكتم به وعملتم بما فيه"[١٥].
قال ابن قتيبة:" أي: شرفكم ،وكذلك قوله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِك} [الزخرف : ٤٤]"[١٦].
عن سفيان:" {لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}[١٧]، قال: شرف لك ولقومك"[١٨].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٦٦/١-٦٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣٢٢.
(٤) تفسير المراغي:١٠/١٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٥.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٢/٣.
(٧)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٥):ص٢٤٤٥/٨ .
(٨) التفسير الميسر:٣٢٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٤١٦/١٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤٤٦/٨. الخبر غير مرقم في المطبوع!
(١٣) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦٢٨: ٣: ٢٧):ص١٩٩. ورواه عنه ايضا يحيى بن سلام في التفسير:٤١١/١.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٧٢/٣.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٤٣٩/٣.
(١٦) غريب القرآن:٢٣٤.
(١٧)[الزخرف : ٤٤].
(١٨) تفسير سفيان الثوري(٦٢٨: ٣: ٢٧):ص١٩٩.

الرابع : فيه دينكم. قاله الحسن[١].
قال الحسن:" فيه دينكم، أمسك عليكم دينكم كتابكم"[٢].
الخامس: فيه ذكر ما تعنون به وأمر آخرتكم ودينكم. قاله السدي[٣].
السادس : العمل بما فيه حياتكم ، قاله سهل بن عبدالله[٤].
السابع: معناه: فيه تذكرة لكم بما تلقونه من رحمة أو عذاب، كما قال عز وجل: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} [عبس : ١١]. وهذا قول الزجاج[٥].
قال الزمخشري: {ذكركم}، أي: شرفكم وصيتكم، كما قال: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف : ٤٤]، أو موعظتكم، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء، أو حسن الذكر، كحسن الجوار، والوفاء بالعهد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والسخاء، وما أشبه ذلك"[٦].
قوله تعالى:{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء : ١٠]، أي:" أفلا تعقلون ما فَضَّلْتكم به على غيركم؟"[٧].
قال الصابوني:"أي: أفلا تعقلون هذه النعمة فتؤمنون بما جاءكم به محمد عليه السلام؟"[٨].
فوائد الآيات:[٧-١٠]:
١- تقرير مبدأ أن الرسل لا يكونون إلا بشراً ذكوراً لا إناثاً.
٢- وجوب سؤال أهل العلم على كل من لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحكم، وأن الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها من العلماء الراسخين في العلم.
٣- استدلوا بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ} [الأنبياء : ٧]، على عدم جواز نبوة النساء، وأن النبوة خاصة بالرجال. وهذا قول الجمهور[٩].
٤- ذم الإسراف في كل شيء وهو كالغلو في الشرك والظلم.
٥- القرآن ذكر يذكر به الله تعالى لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الأولين وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق.

القرآن
{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١)} [الأنبياء : ١١]

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٠٧):ص٢٤٤٦/٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٠٧):ص٢٤٤٦/٨.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٠٨):ص٢٤٤٦/٨.
(٤) انظر: تفسير التستري:١٠٤.
(٥) انظر: معاني القرآن:٣٨٥/٣.
(٦) الكشاف:١٠٥/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٢.
(٨) صفوة التفاسير:٢٣٥/٢.
(٩) انظر: فتح الباري ٤٧١/٦، ٤٧٣، و قصص الأنبياء ص ٤٨٣، لابن كثير، والجواب الصحيح ٣٣١/١، لابن تيمية.
وذكروا لذلك حكما؛ منها: أن النبوة عبء ثقيل لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، ولأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع. ولعلو مرتبة الذكور على الأنوثة فلذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء، والنبوة تقتضي قوامة النبي على من يتابعه، ولأن المرأة يطرأ عيلها بحكم طبيعتها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والاتصال بالملأ الأعلى كالحيض والحمل والولادة ونحوه، ولكون النفوس مائلة في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها. كما ناقش الجمهور أدلة المخالفين بردود قوية.
[للتوسع: قصص الأنبياء، ص ٤٨٢-٤٨٦، للإمام ابن كثير، لوامع الأنوار البهية ٢٦٥/٢، ٢٦٦، للسفاريني، الرسل والرسالات ص ٨٤-٨٩، د. عمر الأشقر]

التفسير:
وكثير من القرى كان أهلها ظالمين بكفرهم بما جاءتهم به رسلهم، فأهلكناهم بعذاب أبادهم جميعًا، وأوجدنا بعدهم قومًا آخرين سواهم.

قوله تعالى:{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً} [الأنبياء : ١١]، أي:" وكثير من القرى كان أهلها ظالمين بكفرهم بما جاءتهم به رسلهم، فأهلكناهم بعذاب أبادهم جميعًا"(١).

قال ابن قتيبة:" أي أهلكنا. وأصل القصم: الكسر"(٢).

قال الزجاج:" معنى «قصمنا»: أهلكنا وأذهبنا، يقال: قصم الله عمر الكافر أي أذهبه"(٣).

قال الطبري:يقول: " وكثيرا قصمنا من قرية، والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت، وهو هاهنا معني به أهلكنا"(٤).

عن مجاهد، قوله :"{وَكَمْ قَصَمْنَا}، قال: أهلكنا"(٥).

قال ابن زيد:" قصمها أهلكها"(٦).

قوله تعالى:{وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ} [الأنبياء : ١١]، أي:" وأوجدنا بعدهم قومًا آخرين سواهم"(٧).

قال الطبري:يقول:" وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم"(٨).

القرآن

{فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢)} [الأنبياء : ١٢]

التفسير:
فلما رأى هؤلاء الظالمون عذابنا الشديد نازلا بهم، وشاهدوا بوادره، إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا} [الأنبياء : ١٢]، أي:" فلما رأى هؤلاء الظالمون عذابنا الشديد نازلا بهم، وشاهدوا بوادره"(٩).

قال الطبري: " يقول: فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مسه"(١٠).

قال السمعاني:" أي: وجدوا عذابنا، وقيل: وصل إليهم عذابنا"(١١).

قوله تعالى:{إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ} [الأنبياء : ١٢]، أي:" إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين"(١٢).

قال الطبري: " يقول: إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجْلَى، يَعْدُون منهزمين"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٢) غريب القرآن:٢٣٤.
(٣) معاني القرآن:٣٨٦/٣.
(٤) تفسير الطبري:٤١٦/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٤١٦/١٨-٤١٧.
(٦) اخرجه الطبري:٤١٧/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٨) تفسير الطبري:٤١٧/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٣.
(١٠) تفسير الطبري:٤١٧/١٨.
(١١) تفسير السمعاني:٣٧١/٣.
(١٢) التفسير الميسر:٣٢٣.
(١٣) تفسير الطبري:٤١٧/١٨.

قال ابن قتيبة:" أي: يعدون. وأصل «الركض»: تحريك الرجلين؛ تقول: ركضت الفرس: إذا أعديته بتحريك رجليك فعدا. ولا يقال: فركض ، ومنه قوله: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ} [ص : ٤٢] "[١].

قال السمعاني:" أي: يهربون ركضا، يقال: ركض الدابة إذا أسرع في سيرها"[٢].

عن السدى قوله: {إذا هم منها يركضون}، قال: يفرون"[٣].

قال الزمخشري:" «الركض»: ضرب الدابة بالرجل. ومنه قوله تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ} [ص : ٤٢]، فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم"[٤].

القرآن

{لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣)} [الأنبياء : ١٣]

التفسير:

فنودوا في هذه الحال: لا تهربوا وارجعوا إلى لذاتكم وتنعُّمكم في دنياكم الملهية ومساكنكم المشيَّدة، لعلكم تُسألون من دنياكم شيئًا، وذلك على وجه السخرية والاستهزاء بهم.

قوله تعالى:{لَا تَرْكُضُوا} [الأنبياء : ١٣]، أي:" فنودوا في هذه الحال: لا تهربوا"[٥].

قال الطبري:" يقول :لا تهربوا "[٦].

قال مجاهد:"لا تفرّوا"[٧].

عن ابن عباس قوله :"{لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ}، يعني: من نزل به العذاب في الدنيا ممن كان يعصي الله من الأمم"[٨].

قال الزمخشري:" فقيل لهم:{لا تركضوا}، والقول محذوف فإن قلت: من القائل؟ قلت: يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل. أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم. أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم"[٩].

قوله تعالى:{وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ} [الأنبياء : ١٣]، أي:" وارجعوا إلى لذاتكم وتنعُّمكم في دنياكم الملهية ومساكنكم المشيَّدة"[١٠].

قال الطبري: يقول: " وارجعوا إلى ما أُنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم"[١١].

قال السمعاني:" [وارجعوا إلى ما] نعمتم فيه، والمترف: المنعم، وقيل: إلى دنياكم، {ومساكنكم} التي نعمتم فيها"[١٢].

قال الزمخشري:أي:" من العيش الرأفة والحال الناعمة. و«الإترافا»: إبطار النعمة وهي الترفة"[١٣].

---

(١) غريب القرآن:٢٣٤.
(٢) تفسير السمعاني:٣٧١/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١١):ص٢٤٤٦/٨.
(٤) الكشاف:١٠٥/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٦) تفسير الطبري:٤١٧/١٨.
(٧) اخرجه الطبري:٤١٧/١٨-٤١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٤١٧/١٨.
(٩) الكشاف:١٠٥/٣-١٠٦.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٣.
(١١) تفسير الطبري:٤١٧/١٨.
(١٢) تفسير السمعاني:٣٧١/٣.
(١٣) الكشاف:١٠٦/٣.

قال قتادة: "يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها"[١].

قال مقاتل: يعني: "إلى ما خولتم فيه من الأموال {وإلى مساكنكم}، يعنى: قريتكم التي هربتم منها"[٢].

قال الربيع:" كانوا إذا أحسوا بالعذاب وذهبت عنهم الرسل من بعد ما أنذروهم فكذبوهم، فلما فقدوا الرسل وأحسوا بالعذاب أرادوا الرجعة إلى الإيمان وركضوا هاربين من العذاب، فقيل لهم: {لا تركضوا}، فعرفوا أنه لا محيص لهم"[٣].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الأنبياء : ١٣]، أي:" لعلكم تُسألون من دنياكم شيئًا"[٤].

وفي **قوله تعالى:**{لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الأنبياء : ١٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: لعلكم تسألون من دنياكم شيئا على وجه السخرية والاستهزاء، قاله قتادة[٥].

الثاني : لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة، قاله مجاهد[٦].

وقال مقاتل:" كما سئلتم الإيمان قبل نزول العذاب"[٧].

الثالث : أي: لعلكم تسألون فتجيبون عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وما أترفتم فيه. قاله الزجاج[٨].

الرابع: لتسألوا عما كنتم تعملون، قاله ابن بحر[٩].

قال الزمخشري:" {لعلكم تسئلون} تهكم بهم وتوبيخ، أى: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم. وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟ وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين؟ أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم، ويستضيئون بآرائكم. أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمترون أخلاف «١» معروفكم وأياديكم: إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم، وتوبيخا إلى توبيخ"[١٠].

قال السمعاني:" قال أكثر أهل التفسير: هذه الآيات نزلت في أهل مدينة كفروا، فسلط الله عليهم بعض الجبابرة - وقيل: كان بختنصر - فلما أصابهم عذاب السيف هربوا، فقال لهم الملائكة، والسيوف قد أخذتهم: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم. {لعلكم تسألون} من دنياكم، فتعطون من شئتم، وتمنعون من شئتم، قالوا هذا لهم استهزاء.

وقد قيل: هذا في أهل مدينة أصابهم عذاب من السماء، فخرجوا هاربين، وقال لهم الملائكة هذا القول، ويقال في قوله: {لعلكم تسألون} أي: تسألون لم تركتم ما يصلح دينكم وأمر آخرتكم، واشتغلتم بما يوجب العذاب عليكم؟ ويقال: لعلكم تسألون عما عاينتم من العذاب، قالت الملائكة هذا توبيخا لهم"[١١].

القرآن

---

(١) اخرجه الطبري:٤١٨/١٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٣/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٠):ص٢٤٤٦/٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٤١٨/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٤١٨/١٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٣/٣.
(٨) انظر: معاني القرآن:٣٨٦/٣.
(٩) انظر: النكت والعيون:٤٣٩/٣.
(١٠) الكشاف:١٠٦/٣.
(١١) تفسير السمعاني:٣٧١/٣.

{قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤)} [الأنبياء : ١٤]

التفسير:

فلم يكن لهم من جواب إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا.

قال يحيى:" وهذا حين جاءهم العذاب"(١).

قال الطبري:" قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا بربنا"(٢).

قال السمعاني:" الويل: دعاء الهلاك"(٣).

قال الزجاج:" «ويل»: كلمة تقال لكل من وقع في هلكة، وكذلك يقولها كل من وقع في هلكة"(٤).

القرآن

{فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)} [الأنبياء : ١٥]

التفسير:

فما زالت تلك المقالة - وهي الدعاء على أنفسهم بالهلاك، والاعتراف بالظلم - دَعْوَتَهم يرددونها حتى جعلناهم كالزرع المحصود، خامدين لا حياة فيهم.

قال الطبري:" يقول فلم تزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم: {يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} حتى قتلهم الله، فحصدهم بالسيف كما يُحْصَد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل، هالكين قد انطفأت شرارتهم، وسكنت حركتهم، فصاروا همودا كما تخمد النار فتطفأ"(٥).

قال مقاتل:" يقول: يقول فما زال الويل قولهم، [حتى] أطفأناهم بالسيف، فحمدوا مثل النار إذا طفئت فحمدت"(٦).

قال أبو عبيدة:" «الخامد»: الهامد، كما يقال للنار إذا طفئت: خمدت النار، و«الحصيد»: المستأصل"(٧).

قال ابن عباس:" {حَصِيدًا}: الحصاد، {خامدين}: خمود النار إذا طفئت"(٨).

قال قتادة، ويحيى بن سلام :" يقول: حتى أهلكوا"(٩).

قال قتادة:" فلما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لهم هِجِّيرَى إلا قولهم (يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) حتى دمَّر الله عليهم وأهلكهم"(١٠).

قال مجاهد:" إنهم كانوا أهل حصون، وإن الله بعث عليهم بختنصر، فبعث إليهم جيشا فقتلهم بالسيف، وقتلوا نبيا لهم فحُصِدوا بالسيف، وذلك قوله :{فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ} بالسيف"(١١).

قال الزمخشري:" {تلك} إشارة إلى {يا ويلنا}، لأنها دعوى، كأنه قيل: فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة. قال تعالى {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٣٠٢/١.
(٢) تفسير الطبري:٤١٨/١٨.
(٣) تفسير السمعاني:٣٧١/٣.
(٤) معاني القرآن:٣٨٦/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤١٨/١٨-٤١٩.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٣/٣.
(٧) مجاز القرآن:٣٦/٢.[بتصرف]
(٨) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.
(٩) أخرج الطبري:٤١٩/١٨، قول قتادة، وانظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٠٢/١.
(١٠) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.

[يونس : ١٠]. فإن قلت: لم سميت «دعوى»؟ قلت: لأن المولول كأنه يدعو الويل، فيقول تعالى: يا ويل فهذا وقتك"[١].

قال ابن وهب:" حدثني رجل عن المحرر بن حريث قال: كان باليمن قريتان يقال لإحداهما :«حضوراء» والأخرى «قلاثة»، قال: فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون أبوابهم، قال: فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيا فدعاهم فقتلوه؛ فألقى الله في نفس «بخت نصر» أن يغزوهم فجهز إليهم جيشا فقاتلوهم فهزموا جيشه، فرجعوا إليه منهزمين؛ فجهز إليهم جيشا آخر أكثف من الأول فهزموهم؛ فلما رأي ذلك بخت بن نصر غزاهم هو نفسه فقاتلوهم فهزمهم حتى خرجوا منها يركضون؛ فسمعوا مناديا يقول: {لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم}، فرجعوا، فسمعوا صوتا يقول: يا آل ثأرات النبي، فقتلوا بالسيوف؛ فهي التي قال الله: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)} [الأنبياء : ١١ - ١٥]"[٢].

فوائد الآيات:[١١-١٥]:

١- التنديد بالظلم وأعلى درجاته الشرك بالله.

٢- جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعاً له وتوبيخاً.

٣- لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب لو طلبها الهالكون.

٤- شدة الهول ورؤية العذاب قد تفقد صاحبها رشده وصوابه فيهْذِرُ ولا يدري ما يقول.

القرآن

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)} [الأنبياء : ١٦]

التفسير:

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثًا وباطلا بل لإقامة الحجة عليكم - أيها الناس - ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي خلق ذلك لا يشبهه شيء، ولا تصلح العبادة إلا له.

قال الطبري:" إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يَخْلق ذلك عبثا ولعبا"[٣].

قال الزمخشري:" أى: وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم، للهو واللعب، وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية، لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا، مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى"[٤].

قال قتادة:" يقول: ما خلقناهما عَبَثا ولا باطلا"[٥].

قال مجاهد:" ما خلقنا من جنة، ولا نار، ولا موت، ولا بعث، ولا حساب لاعبين"[٦].

وقال السدي: أي: إنا لم نخلقهما وما بينهما باطلا"[٧].

قال يحيى: "أي: إنما خلقناهما للبعث والحساب، والجنة والنار"[١].

---

(١) الكشاف:١٠٦/٣.

(٢)تفسير القرآن من الجاع لابن وهب(١٥٦):ص٦٩/١، وأخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٤):ص٢٤٤٧/٨

(٣) تفسير الطبري:٤١٩/١٨.

(٤) الكشاف:١٠٦/٣-١٠٧.

(٥) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٣/١.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٣/١.

القرآن

{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧)} [الأنبياء : ١٧]

التفسير:

لو أردنا أن نتخذ لهوًا من الولد أو الصاحبة لاتخذناه من عندنا لا من عندكم، ما كنا فاعلين ذلك؛ لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة.

قوله تعالى:{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا} [الأنبياء : ١٧]، أي:" لو أردنا أن نتخذ لهوًا من الولد أو الصاحبة"(٢).

قال الطبري:يقول" لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا"(٣).

عن ابن عباس في قوله: "{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا}، قال: لعبا"(٤).

قال قتادة:" اللهو في بعض لغة أهل اليمن: المرأة"(٥).

قال الحسن " اللهو: المرأة بلسان اليمن"(٦).

قال عقبة بن أبي حمزة: "شهدت الحسن بمكة، قال: وجاءه طاووس وعطاء ومجاهد، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى :{لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذنا}، قال الحسن: «اللهو»: المرأة"(٧).

عن مجاهد في قوله: "{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا}، قال: زوجة"(٨).

قال السدي:" يقول: لو أردت إن أتخذ ولدا لاتخذت من الملائكة"(٩).

قال عكرمة:" اللهو: الولد"(١٠).

قال ابن جريج:"قالوا مريم صاحبته، وعيسى ولده، فقال تبارك وتعالى: {لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا} نساء وولدا"(١١).

قوله تعالى:{لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا} [الأنبياء : ١٧]، أي:" لاتخذناه من عندنا لا من عندكم"(١٢).

قال الطبري:يقول" لاتخذنا ذلك من عندنا"(١٣).

عن ابن جريج:" {لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ}، قال: من عندنا، ولا خلقنا جنة ولا نارا، ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا"(١٤).

عن مجاهد:قوله: {لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا}، من عندنا"(١٥).

قال الزمخشري:" قوله :{لاتخذناه من لدنا}، كقوله: {رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا} [القصص : ٥٧]، أى: من جهة قدرتنا، وقيل {من لدنا}، أى: من الملائكة لا من الإنس، ردا لولادة المسيح وعزير"(١).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٣٠٢/١.
(٢) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٣) تفسير الطبري:٤٢٠/١٨.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢١):ص٢٤٤٨/٨.
(٥) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.
(٦) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٢/١.
(٧) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٧):ص٢٤٤٧/٨.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٦):ص٢٤٤٧/٨.
(١١) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨-٤٢١.
(١٢) التفسير الميسر:٣٢٣.
(١٣) تفسير الطبري:٤٢٠/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨-٤٢١.
(١٥) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.

قوله تعالى:{إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء : ١٧]، أي:" ما كنا فاعلين ذلك؛ لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة"[٢].

قال مجاهد[٣] وقتادة[٤]:" يقول: ما كنا فاعلين".

قال قتادة:" أي، إن ذلك لا يكون ولا ينبغي"[٥].

قال مجاهد:" يقول: وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا، وكل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار"[٦].

قال الطبري:يقول" ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة"[٧].

قال الزمخشري:" ثم بيّن أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالى: هو أن الحكمة صارفة عنه، وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأنى على كل شيء قدير"[٨].

القرآن

{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)} [الأنبياء : ١٨]

التفسير:

بل نقذف بالحق ونبيّنه، فيدحض الباطل، فإذا هو ذاهب مضمحل. ولكم العذاب في الآخرة - أيها المشركون - مِن وَصْفكم ربكم بغير صفته اللائقة به.

قوله تعالى:{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ} [الأنبياء : ١٨]، أي:" بل نقذف بالحق ونبيّنه، فيدحض الباطل"[٩].

قال ابن كثير:" أي : نبين الحق فيدحض الباطل"[١٠].

قال الطبري:يقول:" ولكن ننزل الحق من عندنا، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله، فيدمغه، يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة"[١١].

قال الزمخشري:" {بل}، إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب، وتنزيه منه لذاته، كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب، بل من عادتنا وموجب حكمتنا..أن نغلب اللعب بالجد، وندحض الباطل بالحق. واستعار لذلك القذف والدمغ، تصويرا لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا، قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه"[١٢].

قال قتادة:" والحقّ كتاب الله القرآن، والباطل: إبليس، فيدمغه"[١٣].

قال ابن قتيبة:" {فيدمغه}، أي: يكسره. وأصل هذا إصابة الرأس والدماغ بالضرب وهو مقتل"[١٤].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء : ١٨]، أي:" ، فإذا هو ذاهب مضمحل"[١].

---

(١) الكشاف:١٠٧/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٢):ص٢٤٤٨/٨.
(٤) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٩):ص٢٤٤٨/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٢):ص٢٤٤٨/٨.
(٧) تفسير الطبري:٤٢٠/١٨.
(٨) الكشاف:١٠٦/٣-١٠٧.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٣.
(١٠)تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٥.
(١١)تفسير الطبري:٤٢١/١٨ .
(١٢) الكشاف:١٠٧/٣.
(١٣) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.
(١٤) غريب القرآن:٢٨٥.

قال الطبري:" يقول: فإذا هو هالك مضمحلٌ"[٢].
عن قَتادة :"{فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}، قال: هالك"[٣]. وفي رواية:" ذاهب"[٤].
قوله تعالى:{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء : ١٨]، أي:" ولكم العذاب في الآخرة - أيها المشركون - مِن وَصْفكم ربكم بغير صفته اللائقة به"[٥].
قال ابن كثير:" {وَلَكُمُ الْوَيْلُ}، أي : أيها القاتلون : لله ولد ، {مِمَّا} تقولون وتفترون"[٦].
قال الطبري:" يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقِيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفِريتكم عليه"[٧].
عن قتادة، قوله: "{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}، أي: تكذبون"[٨].
عن ابن جريج :"{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}، قال: تشركون"[٩].
عن مجاهد : {سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ }[١٠]، قال: قولهَم الكذب في ذلك"[١١].
قال الحسن:" هي والله واصف كذب إلى يوم القيامة"[١٢].

القرآن
{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)} [الأنبياء : ١٩]
التفسير:
ولله سبحانه كل مَن في السموات والأرض، والذين عنده من الملائكة لا يأنَفُون عن عبادته ولا يملُّونها. فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخلقه؟
قوله تعالى:{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنبياء : ١٩]، أي:" ولله سبحانه كل مَن في السموات والأرض"[١٣].
قال الطبري:" وكل من في السماوات والأرض عبيده، فأنى يكون له صاحبة وولد: يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم"[١٤].
قوله تعالى:{وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} [الأنبياء : ١٩]، أي:" والذين عنده من الملائكة لا يأنَفُون عن عبادته ولا يملُّونها. فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخلقه؟"[١٥].
قال ابن كثير:" {وَمَنْ عِنْدَهُ}، يعني : الملائكة ، { لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ } أي : لا يستنكفون عنها، [و] لا يتعبون ولا يَملُّون "[١٦].

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٢)تفسير الطبري:٤٢١/١٨ .
(٣) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٦)تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٥.
(٧)تفسير الطبري:٤٢١/١٨ .
(٨) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.
(١٠)[الأنعام : ١٣٩]. لبيان معنى« تَصِفُونَ».
(١١) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.
(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٤):ص٢٤٤٨/٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٢٣.
(١٤)تفسير الطبري:٤٢٢/١٨ .
(١٥) التفسير الميسر:٣٢٣.
(١٦)تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٥.

قال الطبري:يقول: " والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا يَعْيَون من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته"[١].

عن قتادة قوله: "{ومن عنده}، قال: الملائكة"[٢].

قال الزمخشري:" {ومن عنده}، هم الملائكة. والمراد أنهم مكرمون، منزلون- لكرامتهم عليه- منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان"[٣].

عن ابن عباس، قوله :"{وَلا يَسْتَحْسِرُونَ}، لا يرجعون"[٤].

قال مجاهد:"لا يحسرون"[٥].

قال قتادة:" لا يُعيون"[٦].

قال السدي:" : لا ينقطعون من العبادة"[٧].

قال ابن زيد:" لا يملُّون ذلك الاستحسار، ولا يفترون، ولا يسأمون"[٨].

قال ابو عبيدة:" أي: لا يفترون ولا يعيون ولا يملّون، ويقال: حسرت البعير"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: لا يعيون، و«الحسير»: المنقطع به الواقف إعياء أو كلالا"[١٠].

قال الزجاج:" أي: لا يعيون، يقال حسر واستحسر إذا تعب وأعيا، فالملائكة لا يعيون"[١١].

قال الطبري:" هذا كله معناه واحد والكلام مختلف، وهو من قولهم: بعير حَسِير: إذا أعيا وقام؛ ومنه قول علقمة بن عبدة[١٢]:

بِها جِيفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها ... فَبِيضٌ، وأمَّا جِلْدُها فَصَلِيبُ"[١٣].

قال الزمخشري:" أى، تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم، لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر"[١٤].

القرآن

{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)} [الأنبياء : ٢٠]

التفسير:

يذكرون الله وينزّهونه دائمًا، لا يضْعُفون ولا يسأمون.

قوله تعالى:{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [الأنبياء : ٢٠]، أي:" هم في عبادة دائمة ينزّهون الله عما لا يليق به ويصلّون ويذكرون الله ليل نهارَ"[١٥].

---

(١)تفسير الطبري:٤٢٢/١٨ .

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٥):٢٤٤٨/٨.

(٣) الكشاف:١٠٨/٣.

(٤) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.

(٥) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.

(٦) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٨.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٩):ص٢٤٤٨/٨.

(٨) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٨.

(٩) مجاز القرآن:٣٦/٢.

(١٠) غريب القرآن:٢٨٥.

(١١) معاني القرآن:٣٨٧/٣.

(١٢)البيت لعلقمة بن عبدة التميمي، من قصيدة له يمدح بها الحارث بن أبي الحارث بن أبي شمر الغساني (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة مصطفى البابي الحلبي، ص ٤٢١، وهو البيت العشرون في القصيدة) والحسرى: جمع حسير من الدواب، وهو الذي كل من من المسير، فمات إعياء. وصليب: يابس لم يدبغ. والضمير في (بها) راجع إلى المغارة التي سلكها، فوجد فيها بقايا الدواب التي سارت فيها من قبل، من عظام وجلود.

(١٣) تفسير الطبري:٤٢٣/١٨.

(١٤) الكشاف:١٠٨/٣.

(١٥) صفوة التفاسير:٢٣٥/٢.

قال الطبري:أي:" يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم الليل والنهار"[١].

قال الزجاج:" أي: لا يشغلهم عن التسبيح رسالة، ومجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا، لا يشغلنا عن النفس شيء، فكذلك تسبيحهم دائم"[٢].

قال ابن كثير:" فهم دائبون في العمل ليلا ونهارًا ، مطيعون قصدًا وعملا قادرون عليه ، كما قال تعالى : { لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم : ٦]"[٣].

قوله تعالى:{لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء : ٢٠]، أي:" لا يضعفون ولا يسأمون"[٤].

قال الطبري:أي:" لا يفترون من تسبيحهم إياه"[٥].

قال قتادة:" يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته، ولا يسأمون فيها"[٦].

عن عبد الله بن الحارث: "أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} و {يسبحون الليل والنهار لا يسأمون}، فقال: هل يئودك طرفك؟ هل يَئُودك نَفَسُك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس"[٧].

قال عبد الله بن الحارث:" قلت: لكعب الأحبار {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا بن أخي إنهم جُعل لهم التسبيح، كما جُعل لكم النفس، ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفَّس؟ قلت: بلى قال: فكذلك جُعل لهم التسبيح"[٨].

قال عبد الله بن عمر: "إن الله خلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة، وجزءا سائر الخلق، وجزأ الملائكة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءا لرسالته، وجزأ الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجنّ، وجزءا سائر بني آدم، وجزأ بني آدم عشرة أجزاء، فحمل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزءا سائر بني آدم"[٩].

عن حكيم بن حِزَام قال : بينا رسول الله- ﷺ- بين أصحابه إذ قال لهم: هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله- ﷺ- إني لأسمع أطيط السماء. وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم"[١٠].

قال كعب: "ما من موضع خرمة إبرة من الأرض إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مخه مسيرة مائة عام"[١١].

فوائد الآيات:[١٦-٢٠]:

١- تنزه الرب تعالى عن اللهو واللعب والصاحبة والولد.

٢- حجج القرآن هي الحق متى رمى بها الباطل دمغته فذهب واضحمل.

٣- إقامة البراهين العقلية على إبطال الباطل أمر محمود، وقد يكون لا بد منه.

٤- بيان غنى الله المطلق عن كل مخلوقاته.

٥ بيان حال الملائكة في عبادتهم وتسبيحهم لله تعالى.

القرآن

---

(١) تفسير الطبري:٤٢٣/١٨.
(٢) معاني القرآن:٣٨٧/٣-٣٨٨.
(٣)تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٥.
(٤) صفوة التفاسير:٢٣٥/٢.
(٥) تفسير الطبري:٤٢٣/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٤٢٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٨.
(٨) اخرجه الطبري:٤٢٤/١٨.
(٩) اخرجه الطبري:٤٢٤/١٨.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢):ص٢٠٢/١.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣):ص٢٠٢/١.

{أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١)} [الأنبياء : ٢١]
التفسير:
كيف يصح للمشركين أن يتخذوا آلهة عاجزة من الأرض لا تقدر على إحياء الموتى؟
قال الطبري:" يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها يحيون الأموات، وينشرون الخلق؟ فإن الله هو الذي يحيي ويميت"(١).
قال الزجاج:" معناه: أم اتخذوا آلهة يحيون الموتى. يقال: أنشر الله الموتى ونشروا هم"(٢).
عن قتادة قوله: "{أم اتخذوا آلهة من الأرض}، يعني: مما اتخذوا من الحجارة والخشب"(٣).
قال ابن زيد:" يقول: أفي آلهتهم أحد يحيي ذلك ينشرون"(٤).
قال السدي:" يقول: ينشرون الموتى من الأرض، يقول: يحيونهم من قبورهم"(٥).
عن مجاهد، قوله :"{يُنْشِرُونَ}، يقول: يُحيون"(٦).
وقرئ: «ينشرون» بفتح الياء، معناه: أم اتخذوا آلهة لا يموتون يحيون أبدا(٧).

القرآن
{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)} [الأنبياء : ٢٢]
التفسير:
لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما، فتنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص.
قوله تعالى:{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]، أي:" لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما"(٨).
قال قتادة :" لو كان معهما آلهة إلا الله لفسدتا"(٩).
قال الطبري:يقول:" لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له، لفسد أهل السماوات والأرض"(١٠).
قال الزمخشري:" المعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا. وفيه دلالة على أمرين:
أحدهما:وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا.
والثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده، لقوله إلا الله.
فإن قلت: لم وجب الأمران؟
قلت: لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف.

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٤٢٤.
(٢) معاني القرآن:٣/٣٨٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٣):ص٨/٢٤٤٩.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٤٢٥.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٢):ص٨/٢٤٤٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٢٤.
(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣/٣٨٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٣):ص٨/٢٤٤٩.
(١٠)تفسير الطبري:١٨/٤٢٥ .

وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو ابن سعيد الأشدق: كان والله أعز على من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول[١] وهذا ظاهر.

وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد، ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر"[٢].

قوله تعالى:{فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء : ٢٢]، أي:" فتنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص"[٣].

قال الطبري:يقول:" فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب"[٤].

قال الزجاج:" معناه: تنزيه الله من السوء"[٥].

قال قتادة :" يسبح نفسه تبارك وتعالى إذا قيل عليه البهتان"[٦].

القرآن

{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)} [الأنبياء : ٢٣]

التفسير:

إن من دلائل تفرُّده سبحانه بالخلق والعبادة أنه لا يُسأل عن قضائه في خلقه، وجميع خلقه يُسألون عن أفعالهم.

قال ابن ابي زمنين:" {لا يسأل عما يفعل} بعباده {وهم يسألون} والعباد يسألهم الله عن أعمالهم"[٧].

قال السمعاني:" يعني: لا يسأل عما يحكم على خلقه، والخلق يسألون عن (أفعالهم وأعمالهم) ، وقيل: لا يسأل عما يفعل؛ لأنه كله حكمة وصواب، وهم يسألون عما يفعلون لجواز الخطأ عليهم، وقيل: معنى لا يسأل عما يفعل: لا يقال له: لم؟ ، ولماذا؟ بخلاف الخلق، وفي الآية رد على القدرية، وقطع شبهتهم بالكلية"[٨].

قال الطبري:يقول: " لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولمَ لم تفعل؟ {وَهُمْ يُسْأَلُونَ} يقول جلّ ثناؤه: وجميع من في السماوات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه"[٩].

قال الزجاج:" أي: لا يسأل في القيامة عن حكمه في عباده، ويسأل عباده عن أعمالهم سؤال موبخ لمن يستحق التوبيخ، ومجازيا بالمغفرة لمن استحق ذلك، لأن الله عز وجل قد علم أعمال العباد، ولكن يسألهم إيجابا للحجة عليهم، وهو قوله: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات : ٢٤]، أي: سؤال الحجة التي ذكرنا، فأما قوله: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ}

---

(١)في الصحاح «الشول» النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها.

(٢) الكشاف:١١٠/٣.

(٣) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٤)تفسير الطبري:٤٢٥/١٨ .

(٥) معاني القرآن:٣٨٨/٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٣):ص٢٤٤٩/٨.

(٧) تفسير ابن ابي زمنين:١٤٤/٣.

(٨) تفسير السمعاني:٣٧٤/٣.

(٩) تفسير الطبري:٤٢٥/١٨.

[الرحمن : ٣٩]، فهذا معناه: لا يسأل عن ذنبه ليستعلم منه، لأن الله قد علم أعمالهم قبل وقوعها وحين وقوعها وبعد وقوعها. {عالم الغيب والشهادة}"[١].

قال الزمخشري:" إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم، تهيبا وإجلالا، مع جواز الخطإ والزلل وأنواع الفساد عليهم- كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسئل عن أفعاله، مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعى الحكمة.. {وهم يسئلون}، أى: هم مملوكون مستعبدون خطاءون، فما خلقهم بأن يقال لهم: لم فعلتم؟ في كل شيء فعلوه "[٢].

عن قتادة، قوله :"{لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}، يقول: لا يسأل عما يفعل بعباده، وهم يسألون عن أعمالهم"[٣].

قال الضحاك:" لا يسأل الخالق عما يقضي في خلقه، والخلق مسئولون عن أعمالهم"[٤].

قال ابن جريج:" لا يسأل الخالق عن قضائه في خلقه، وهو يسأل الخلق عن عملهم"[٥].

روى أبو الأسود الدؤلي أن عمران بن حصين قال له: "أرأيت ما يسعى فيه الناس ويكدحون، أهو أمر قضي عليهم أو شيء يستأنفونه؟ فقلت: لا، بل أمر قضي عليهم، قال: أفلا يكون ظلما؟ قلت: سبحان الله {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فقال لي: أصبت يا أبا الأسود، وقد أجزت عقلك، ثم روى عمران أن رجلا من جهينة - أو مزينة - أتى النبي قال له: عما يفعل الناس أو يكدحون فيه، أهو شيء قضي عليهم؟ أم شيء يستأنفونه؟ فقال النبي: " هو شيء قضي عليهم، فقال ذلك الرجل: يا رسول الله، أفلا يكون ظلما؟ قال: لا، ثم تلا قوله تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} "[٦].

القرآن

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)} [الأنبياء : ٢٤]

التفسير:

هل اتخذ هؤلاء المشركون مِن غير الله آلهة تنفع وتضر وتحيي وتميت؟ قل - أيها الرسول - لهم: هاتوا ما لديكم من البرهان على ما اتخذتموه آلهة، فليس في القرآن الذي جئتُ به ولا في الكتب السابقة دليل على ما ذهبتم إليه، وما أشركوا إلا جهلا وتقليدًا، فهم معرضون عن الحق منكرون له.

قوله تعالى:{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" هل اتخذ هؤلاء المشركون مِن غير الله آلهة تنفع وتضر وتحيي وتميت؟"[٧].

قال الطبري:يقول:" أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضرّ، وتخلق وتحيي وتميت"[٨].

قال الزمخشري:" كرر {أم اتخذوا من دونه آلهة} استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم، أى: وصفتم الله تعالى بأن له شريكا؟"[٩].

---

(١) معاني القرآن:٣/٣٨٨-٣٨٩.
(٢) الكشاف:٣/١١٠-١١١.
(٣) اخرجه الطبري:١٨/٤٢٦.
(٤) اخرجه الطبري:١٨/٤٢٦.
(٥) اخرجه الطبري:١٨/٤٢٦.
(٦) حكاه السمعاني في التفسير:٣/٣٧٤-٣٧٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٤٢٦.
(٩) الكشاف:٣/١١١.

قوله تعالى:{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" قل - أيها الرسول - لهم: هاتوا ما لديكم من البرهان على ما اتخذتموه آلهة"(١).

قال قتادة:" يقول: هاتوا بينتكم على ما تقولون"(٢).

قال الطبري:" قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم، يعني حجتكم يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم"(٣).

قال الزمخشري:أي:" فهاتوا برهانكم على ذلك: إما من جهة العقل، وإما من جهة الوحى"(٤).

قال الزجاج:" قد أبان الله الحجة عليهم في تثبيت توحيده وأن آلهتهم لا تغني عنهم شيئا، ثم قيل لهم: هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أنبأ أمتة بأن لهم إلها غير الله"(٥).

قوله تعالى:{هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي كالتوراة والإنجيل ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله، ففي أي كتابٍ نزل هذا؟"(٦).

قال الطبري:" يقول: هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل، خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم إياه، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به، وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة"(٧).

قال الزجاج:" فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله عز وجل"(٨).

قال السدي:" يقول: خبر من معي وخبر من كان قبلي"(٩).

قال قتادة:" يقول: هذا القرآن فيه ذكر الجلال والحرام {وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي}، يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم إلى ما صاروا"(١٠).

عن ابن جُرَيج :"{هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ}، قال: حديث من معي، وحديث من قبلي"(١١).

قال مقاتل:" يقول: هذا القرآن فيه خبر من معي، وخبر من قبلي من الكتب، ليس فيه أن مع الله- عز وجل- إلها كما زعمتم"(١٢).

قال الزمخشري:أي:" فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه، والإشراك به منهى عنه متوعد عليه. أى: هذا الوحى الوارد في معنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه، كما ورد على فقد ورد على جميع الأنبياء، فهو {ذكر}: أى: عظة للذين معى: يعنى: أمته، وذكر للذين من قبلي: يريد أمم الأنبياء عليهم السلام"(١٣).

قوله تعالى:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" بل أكثر المشركين لا يعلمون التوحيد"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٣.
(٢) أخرجه الطبري:٤٢٦/١٨.
(٣) تفسير الطبري:٤٢٦/١٨.
(٤) الكشاف:١١١/٣.
(٥) معاني القرآن:٣٨٨/٣-٣٨٩.
(٦) صفوة التفاسير:٢٣٦/٢.
(٧) تفسير الطبري:٤٢٦/١٨.
(٨) معاني القرآن:٣٨٨/٣-٣٨٩.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٦/١.
(١٠) أخرجه الطبري:٤٢٦/١٨-٤٢٧.
(١١) أخرجه الطبري:٤٢٧/١٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٥/٣.
(١٣) الكشاف:١١١/٣.
(١٤) صفوة التفاسير:٢٣٦/٢.

قال الطبري:"يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به، وقلّة فهم"[١].

قال مقاتل:" يعني: كفار مكة، لا يعلمون التوحيد"[٢].

قوله تعالى:{فَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" فهم معرضون عن النظر والتأمل في دلائل الإيمان"[٣].

قال قتادة:" عن كتاب الله"[٤].

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)} [الأنبياء : ٢٥]

التفسير:

وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول إلا نوحي إليه أنه لا معبود بحق إلا الله، فأخْلصوا العبادة له وحده.

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} [الأنبياء : ٢٥]، أي:" وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول إلا نوحي إليه أنه لا معبود بحق إلا الله"[٥].

قال الطبري:" وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي"[٦].

قال يحيى:" أي: لا تعبدوا غيري، بذلك أرسل الرسل جميعا"[٧].

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم :{نوحي إليه}، بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله {وما أرسلنا} وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول[٨].

قوله تعالى:{فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء : ٢٥]، أي:" فأخْلصوا العبادة له وحده"[٩].

قال مقاتل:" يعني: فوحّدون"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية"[١١].

قال الزمخشري:" هذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد"[١٢].

قال قتادة:" أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم "قال أبو جعفر: أظنه أنا قال": عمل حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له"[١٣].

قال عبد الله بن عمرو: "إن إدريس كان قبل نوح، بعثه الله إلى قومه، يأمرهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، ويعملوا ما شاءوا، فأبوا، فأهلكهم الله"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري:٤٢٧/١٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٥/٣.
(٣) صفوة التفاسير:٢٣٦/٢.
(٤) أخرجه الطبري:٤٢٧/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٦) تفسير الطبري:٤٢٧/١٨.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٠٧/١.
(٨) انظر: تفسير البغوي:٣١٥/٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٥/٣.
(١١) تفسير الطبري:٤٢٧/١٨.
(١٢) الكشاف:١١١/٣.
(١٣) أخرجه الطبري:٤٢٧/١٨.
(١٤) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٧/١.

فوائد الآيات:[٢١-٢٥]:
١- من أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيى ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله.
٢- وحدة النظام دالة على وحدة المنظم، ووحدة الوجود دالة على وحدة الموجد وهذا برهان التمانع الذي يقرر منطقياً وجود الله ووجوب عبادة وحده.
٣- لا برهان على الشرك أبداً، ولا يصح في الذهن وجود دليل على صحة عبادة غير الله تعالى.
٤- القرآن والتوراة وكل كتب الله متضافرة على تقرير توحيد الله تعالى.
٥- تقرير توحيد الله تعالى وإبطال الشرك والتنديد بالمشركين.

القرآن
{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)} [الأنبياء : ٢٦ - ٢٧]
التفسير:
وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولدًا بزعمهم أن الملائكة بنات الله. تنزَّه الله عن ذلك؛ فالملائكة عباد الله مقربون مخصصون بالفضائل، وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملا حتى يأذن لهم.
قوله تعالى:{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} [الانبياء : ٢٦]، أي: "وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولدًا بزعمهم أن الملائكة بنات الله"(١).
قال الطبري:يقول:" وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته"(٢).
قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ} [الانبياء : ٢٦]، أي: "تنزَّه الله عن ذلك"(٣).
قال يحيى:" نزه نفسه عما قالوالله"(٤).
قال الطبري:" فقال جلّ ثناؤه استعظاما مما قالوا، وتبريًّا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك، ما ذلك من صفته"(٥).
قوله تعالى:{بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} [الانبياء : ٢٦]، أي:" فالملائكة عباد الله مقربون مخصصون بالفضائل"(٦).
قال يحيى:" يعني: الملائكة هم كرام على الله"(٧).
قال الزجاج:" يعنى: الملائكة وعيسى ابن مريم عليه السلام، والذي في التفسير أنهم الملائكة"(٨).
قال الطبري:" يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون، يقول: أكرمهم الله"(٩).
قال قتادة:" قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجنّ، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردّا عليهم، {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}، وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٢) تفسير الطبري:٤٢٨/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٠٧/١.
(٥) تفسير الطبري:٤٢٨/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٠٧/١.
(٨) معاني القرآن:٣٨٩/٣.
(٩) تفسير الطبري:٤٢٨/١٨.
(١٠) اخرجه الطبري:٤٢٨/١٨.

وفي رواية، قال قتادة:" قالت اليهود وطوائف من الناس: إن الله خاتن إلى الجن ، فالملائكة من الجن، قال الله سبحانه وتعالى: {بل عباد مكرمون}"[١].

قوله تعالى:{لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ} [الانبياء : ٢٧]، أي:" وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم"[٢].

قال يحيى:" فيقولون شيئا لم يقبلوه عن الله"[٣].

قال الطبري:" يقول: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لا يتقدمون بين يديه بأمر"[٥].

قال قتادة:" يثني عليهم"[٦].

قال السمعاني:" هذا ثناء من الله على الملائكة، ومعنى قوله: {لا يسبقونه بالقول} أنهم لا يقولون قولا بخلافه، وهذا مثل قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} أي: لا تقولوا قولا بخلاف الكتاب والسنة، وقد ثبت برواية عائشة - رضي الله عنها - عن النبي أنه قال: «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»[٧]. والإحداث في الدين أن يقول بخلاف الكتاب والسنة"[٨].

قوله تعالى:{وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الانبياء : ٢٧]، أي:" ولا يعملون عملا حتى يأذن لهم"[٩].

قال الطبري:" يقول: ولا يعملون عملا إلا به"[١٠].

قال السمعاني:" معناه: أنهم لا يخالفونه، لا قولا، ولا عملا، ويقال معناه: إذ أمر بأمر أطاعوا، فإذا قال لهم: افعلوا قالوا: طاعة"[١١].

قال ابن كثير:" أي : ولا يخالفونه فيما أمر به بل يبادرون إلى فعله"[١٢].

القرآن

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)} [الأنبياء : ٢٨]

التفسير:

وما من أعمال الملائكة عمل سابق أو لاحق إلا يعلمه الله سبحانه وتعالى، ويحصيه عليهم، ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له، وهم من خوف الله حذرون من مخالفة أمره ونهيه.

قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [الأنبياء : ٢٨]، أي:" وما من أعمال الملائكة عمل سابق أو لاحق إلا يعلمه الله سبحانه وتعالى، ويحصيه عليهم"[١٣].

---

(١) تفسير عبدالرزاق(١٨٥٦):ص٣٨٣/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٠٧/١.
(٤) تفسير الطبري:٤٢٨/١٨.
(٥)تفسير ابن كثير:٣٣٨/٥ .
(٦) أخرجه الطبري:٤٢٨/١٨.
(٧)رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٣٠١/٥) كتاب الصلح، حديث رقم (٢٦٩٧) . ورواه مسلم في صحيحه (١٣٤٣/٣) كتاب الأقضية، حديث رقم (١٧١٨).
(٨) تفسير السمعاني:٣٧٦/٣.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٤.
(١٠) تفسير الطبري:٤٢٨/١٨.
(١١) تفسير السمعاني:٣٧٦/٣.
(١٢)تفسير ابن كثير:٣٣٨/٥ .
(١٣) التفسير الميسر:٣٢٤.

قال الطبري:" يقول: يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون، وما خلفهم:يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء"(١).

قال ابن عباس:" يقول: يعلم ما قدّموا وما أضاعوا من أعمالهم"(٢).

قال ابن كثير:" وهو تعالى عِلْمه محيط بهم ، فلا يخفى عليه منهم خافية"(٣).

قوله تعالى:{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء : ٢٨]، أي:" ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له"(٤).

قال الطبري:" يقول: ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه"(٥).

قال ابن عباس:" يقول: الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله"(٦).

قال قتادة: لأهل التوحيد"(٧).

عن مجاهد، قوله :"{إِلا لِمَنِ ارْتَضَى}، قال: لمن رضي عنه"(٨).

قال القشيري:" قوله: {لا يشفعون إلا لمن ارتضى} دل على أنهم يشفعون لقوم، وأن الله يتقبل شفاعتهم"(٩).

قوله تعالى:{وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء : ٢٨]، أي:" وهم من خوف الله حذرون من مخالفة أمره ونهيه"(١٠).

قال مقاتل:" يعنى" خائفين"(١١).

قال السمعاني:" أي: من عذابه"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : من خوفه ورهبته"(١٣).

قال البغوي:" خائفون لا يأمنون مكره"(١٤).

قال القشيري:" ليس لهم ذنب ثم هم خائفون، ففى الآية دليل على أنه سبحانه يعذبهم وأن ذلك جائز، فإذا لم يجز أن يعذب البريء لكانوا لا يخافونه لعلمهم أنهم لم يرتكبوا زلة"(١٥).

القرآن

{وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)} [الأنبياء : ٢٩]

التفسير:

ومن يدَّع من الملائكة أنه إله مع الله - على سبيل الفرض - فجزاؤه جهنم، مثل ذلك الجزاء نجزي كل ظالم مشرك.

---

(١) تفسير الطبري:٤٢٨/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٤٢٩/١٨.
(٣)تفسير ابن كثير:٣٣٨/٥ .
(٤) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٥) تفسير الطبري:٤٢٨/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٤٢٩/١٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٤):ص٢٤٤٩/٨.
(٨) أخرجه الطبري:٤٢٩/١٨.
(٩) لطائف الإشارات:٤٩٩/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٦/٣.
(١٢) تفسير السمعاني:٣٧٦/٣.
(١٣)تفسير ابن كثير:٣٣٨/٥ .
(١٤) تفسير البغوي:٣١٥/٥.
(١٥) لطائف الإشارات:٤٩٩/٢.
وأما المعتزلة، فيرون أن الله لا يعذب البريء.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ} [الأنبياء : ٢٩]، أي:" ومن يدَّع من الملائكة أنه إله مع الله - على سبيل الفرض -"[١].

قال الضحاك:" ولم يقل ذلك أحد من الملائكة إلا إبليس، دعا إلى عبادة نفسه وشرع الكفر"[٢].

قال قتادة:" إنما كانت هذه خاصة لإبليس"[٣].

قال القشيري:" وقد علم أنهم لا يقولون ذلك، ولكن علم لو كان ذلك كيف كان يكون حكمه، فالحق- سبحانه- يعلم ما لا يكون كيف كان يكون"[٤].

قوله تعالى:{فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ} [الأنبياء : ٢٩]، أي:" فجزاؤه جهنم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : كل من قال ذلك ، وهذا شرط ، والشرط لا يلزم وقوعه ، كقوله:{ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } [الزخرف : ٨١] ، وقوله { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } [الزمر : ٦٥]"[٦].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأنبياء : ٢٩]، أي:" مثل ذلك الجزاء نجزي كل ظالم مشرك"[٧].

قال مقاتل:" النار، حين زعموا أن مع الله- عز وجل- إلها ولم يقل ذلك أحد من الملائكة غير إبليس عدو الله رأس الكفر"[٨].

قال السعدي:" وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلى الله من جميع الوجوه مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية؟"[٩].

فوائد الآيات:[٢٦-٢٩]:

١- إبطال نسبة الولد إلى الله تعالى من قبل المشركين وكذا اليهود والنصارى.

٢- بيان كمال عبودية الملائكة لله تعالى وكمال أدبهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى.

٣- بطلان دعوى المشركين في شفاعة الملائكة لهم، إذ الملائكة لا يشفعون إلا لمن رضى الله تعالى أن يشفعوا له.

٤- تقرير وجود شفاعة يوم القيامة ولكن بشروطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)} [الأنبياء : ٣٠]

التفسير:

أو لم يعلم هؤلاء الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين لا فاصل بينهما، فلا مطر من السماء ولا نبات من الأرض، ففصلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض، وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون فيصدقوا بما يشاهدونه، ويخصُّوا الله بالعبادة؟

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٤.

(٢)اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٦):ص٢٤٥٠/٨ .

(٣)اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٧):ص٢٤٥٠/٨ .

(٤) لطائف الإشارات:٥٠٠/٢.

(٥) التفسير الميسر:٣٢٤.

(٦) تفسير ابن كثير:٣٣٨/٥ .

(٧) التفسير الميسر:٣٢٤.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٦/٣.

(٩) تفسير السعدي:٥٢١.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء : ٣٠]، أي:" أولم يعلم هؤلاء الجاحدون أن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقرَّ الأرض كما هي؟"(١).

قال الطبري:" لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ليس فيهما ثقب، فصدعناهما وفرجناهما"(٢).

قال السمعاني:" أي: كانتا مظلمة بالرتق ففتقتا بالضياء"(٣).

وفي قوله تعالى:{أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء : ٣٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء ، قاله ابن عباس(٤)، والحسن(٥)، وقتادة(٦).

قال ابن عباس:" كانتا ملتصقتين، فرفع السماء ووضع الأرض"(٧).

وقال مقاتل:" يعنى: ملتزقين، وذلك أن الله- تبارك وتعالى- أمر بخار الماء فارتفع فخلق منه السموات السبع فأبان إحداهما من الأخرى، فذلك قوله: {ففتقناهما}"(٨).

الثاني : أن السموات كانت مرتتقة مطبقة ففتقها الله سبع سموات وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين ، قاله مجاهد(٩)، وأبو صالح(١٠)، والسدي(١١).

قال مجاهد:" فتقهنّ سبع سماوات، بعضهنّ فوق بعض، وسبع أرضين بعضهنّ تحت بعض"(١٢).

قال السدي:" كانت سماء واحدة ثم فتقها، فجعلها سبع سماوات في يومين، في الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض، فذلك حين يقول: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ يَقُولُ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}"(١٣).

الثالث : أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، قاله ابن عباس-في رواية-(١٤)، وعكرمة(١٥)، وعطية(١٦)، وابن زيد(١٧)، وبه قال ابن قتيبة(١٨).

قال عكرمة:" كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات"(١٩).

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٣٨-٢٣٩.
(٢) تفسير الطبري:١٨/٤٣٠.[بتصرف]
(٣) تفسير السمعاني:٣/٣٧٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣١.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣١.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣١.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٤٣١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٧٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣٢.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨/٤٣١.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٣١.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٣٩):ص٨/٢٤٥٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣٢.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٣٩):ص٨/٢٤٥٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٣٢.
(١٨) انظر: غريب القرآن:٢٨٦.
(١٩) أخرجه الطبري:١٨/٤٣١.

قال عطية العوفي: "كانت هذه رتقا لا تمطر، فأمطرت وكانت هذه رتقا لا تنبت، فأنبتت"[١].

عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: "إن رجلا أتاه يسأله عن «السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما»؟ قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعالى فأخبرني ما قال لك. قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كانت السماوات رتقا لا تمطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق الأرض أهلا فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت إن ابن عباس قد أوتى في القرآن علما صدق- هكذا كانت: قال ابن عمر قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتى في القرآن علما"[٢].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}، على ذلك، وأنه جلّ ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه"[٣].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء : ٣٠]، أي:" وجعلنا الماء أصل كل الأحياء وسبباً للحياة فلا يعيش بدونه إنسان ولا حيوان ولا نبات"[٤].

قال الطبري:يقول:" وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كلّ شيء"[٥].

قال قتادة:" كلّ شيء حيّ خُلق من الماء"[٦].

قال الحسن:" خلق كل شيء من الماء، وهو حياة كل شيء"[٧].

عن أبي هريرة، قال: "يا نبي الله، إذا زرتك قرت عيني، وطابت نفسي فأخبرني عن كل شيء، قال: كل شيء خلق من ماء"[٨].

وروي عن ابي العالية، قوله:"{وجعلنا من الماء كل شيء حي}، قال: نطفة الرجل"[٩].

قوله تعالى:{أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء : ٣٠]، أي:" أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون فيصدقوا بما يشاهدونه، ويخصُّوا الله بالعبادة؟"[١٠].

قال الطبري: " يقول: أفلا يصدّقون بذلك، ويقرّون بألوهية من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة"[١١].

القرآن

{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١)} [الأنبياء : ٣١]

التفسير:

وخلقنا في الأرض جبالا تثبتها حتى لا تضطرب، وجعلنا فيها طرقًا واسعة؛ رجاء اهتداء الخلق إلى معايشهم، وتوحيد خالقهم.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٩):ص٢٤٥٠/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٩):ص٢٤٥٠/٨.
(٣) تفسير الطبري:٤٣٣/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٣٩/٢.
(٥) تفسير الطبري:٤٣٤/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٤٣٤/١٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٤):ص٢٤٥١/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٢):ص٢٤٥١/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٣):ص٢٤٥١/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٤.
(١١) تفسير الطبري:٤٣٤/١٨.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ} [الأنبياء : ٣١]، أي:" وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت لئلا تتحرك وتضطرب فلا يستقر لهم عليها قرار"[١].

قال مقاتل:" يعني: الجبال أرسيت في الأرض فأثبتت الأرض بالجبال، لئلا تزول الأرض بهم"[٢].

قال الطبري: يقول: "فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس، وليقدروا بالثبات على ظهرها "[٣].

قال الزجاج:" معنى «تميد» في اللغة: تدور، ويقال للذي يدار به إذا ركب البحر: مائد، وميدى، و«الرواسي»، تعني: الجبال الثوابت"[٤].

عن قَتادة، قوله :"{وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ}، أي: جبالا"[٥].

قال قتادة:" كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض"[٦].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [الأنبياء : ٣١]، أي:" وجعلنا في هذه الجبال مسالك وطرقاً واسعة كي يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار"[٧].

قال الطبري:" جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهتدوا إلى السير فيها"[٨].

قال الزجاج:"«فجاج»: جمع: فج، وهوكل منخرق بين جبلين، و{سبلا}: طرقا"[٩].

عن قتادة قوله: "{فجاجا}، أي: أعلاما، {سبلا}، أي: طرقا"[١٠].

عن ابن عباس، قوله :"{وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا} سبلا، قال: بين الجبال"[١١].

القرآن

{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢)} [الأنبياء : ٣٢]

التفسير:

وجعلنا السماء سقفًا للأرض لا يرفعها عماد، وهي محفوظة لا تسقط، ولا تخترقها الشياطين، والكفار عن الاعتبار بآيات السماء (الشمس والقمر والنجوم) ، غافلون لاهون عن التفكير فيها.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} [الأنبياء : ٣٢]، أي:" جعلنا السماء كالسقف للأرض محفوظة من الوقوع والسقوط"[١٢].

قال الطبري:يقول:" {سَقْفًا} للأرض مسموكا، حفظناها من كلّ شيطان رجيم"[١٣].

عن ابن عباس:" قال رجل: يا رسول الله، ما هذه السماء، قال: «موج مكفوف[١٤] عنكم»"[١٥].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} [الأنبياء : ٣٢]، وجوه:

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٣٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٧٧.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٤٣٥.
(٤) معاني القرآن:٣/٣٩٠.
(٥) اخرجه الطبري:١٨/٤٣٤.
(٦) اخرجه الطبري:١٨/٤٣٥.
(٧) صفوة التفاسير:٢/٢٣٩.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٤٣٥.
(٩) معاني القرآن:٣/٣٩٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٥):ص٨/٢٤٥١.
(١١) اخرجه الطبري:١٨/٤٣٥.
(١٢) صفوة التفاسير:٢/٢٣٩.
(١٣) تفسير الطبري:١٨/٤٣٦.
(١٤)كأن المراد أنه محفوظ من التسفل.
(١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٧):ص٨/٢٤٥١.

أحدها : محفوظاً من أن تقع على الأرض. قاله الزجاج[١].
الثاني : محفوظاً من الشياطين بالنجوم، قاله الفراء[٢]، وابن قتيبة[٣].
يدل عليه قوله تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ(٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ} [الصافات : ٦-٧].
الثالث : بمعنى مرفوعاً، قاله مجاهد[٤].
الرابع : محفوظاً من الشرك والمعاصي. أفاده الماوردي[٥].
الخامس: محفوظا من الهدم والنقض، وعن أن يبلغه أحد بحيلة. حكاه القرطبي[٦].
قوله تعالى:{وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ٣٢]، أي:" والكفار عن الاعتبار بآيات السماء «من الشمس والقمر والنجوم وسائر الأدلة والعبر»، غافلون لاهون عن التفكير فيها"[٧].
قال يحيى:" لا يتفكرون فيما يرون فيها، فيعرفون أن لهم معادا فيؤمنوا"[٨].
عن مجاهد، قوله :"{وهم عن اياتها معرضون}، قال: الشمس والقمر والنجوم من آيات السماء"[٩].
قال الفراء:" فآياتها قمرها وشمسها ونجومها"[١٠].
قال ابن قتيبة:" أي: عما فيها: من الأدلة والعبر"[١١].
قال القرطبي:" أضاف «الآيات» إلى «السماء»، لأنها مجعولة فيها، وقد أضاف «الآيات» إلى نفسه في مواضع، لأنه الفاعل لها ، بيّن أن المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها، من ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وأفلاكها ورياحها وسحابها، وما فيها من قدرة الله تعالى، إذ لو نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعا قادرا واحدا فيستحيل أن يكون له شريك"[١٢].
قال ابن كثير:" لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم ، والارتفاع الباهر ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ، وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله ، في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها"[١٣].
ذكر ابن أبي الدنيا ، رحمه الله ، في كتابه "التفكر والاعتبار": "أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة ، وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة ، فلم ير ذلك الرجل شيئًا مما كان يرى لغيره ، فشكى ذلك إلى أمه ، فقالت له : يا بني ، فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه ، فقال : لا والله ما أعلم ، قالت : فلعلك هممت ؟ قال : لا ولا هممت. قالت : فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر ؟ فقال : نعم ، كثيرًا. قالت : فمن هاهنا أتيت"[١٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن:٣/٣٩٠.
(٢) انظر: معاني القرآن:٢/٢٠١.
(٣) انظر: غريب القرآن:٢٨٦.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٤٦):ص٨/٢٤٥١.
(٥) انظر: النكت والعيون:٣/٤٤٥.
(٦)انظر: تفسير القرطبي:١١/٢٨٥ .
(٧) التفسيرالميسر:٣٢٤، وصفوة التفاسير:٢/٢٣٩.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:١/٣١٠.
(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٤٦):ص٨/٢٤٥١.
(١٠) معاني القرآن:٢/٢٠١.
(١١) غريب القرآن:٢٨٦.
(١٢) تفسير القرطبي:١١/٢٨٥.
(١٣) تفسير ابن كثير:٥/٣٤١.
(١٤) نقلا عن تفسير ابن كثير:٥/٣٤١.

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)} [الأنبياء : ٣٣]

التفسير:

والله تعالى هو الذي خلق الليل؛ ليسكن الناس فيه، والنهار؛ ليطلبوا فيه المعايش، وخلق الشمس آية للنهار، والقمر آية لِلَّيل، ولكل منهما مدار يجري فيه وَيَسْبَح لا يحيد عنه.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} [الأنبياء : ٣٣]، أي:" والله تعالى هو الذي خلق الليل؛ ليسكن الناس فيه، والنهار؛ ليطلبوا فيه المعايش، وخلق الشمس والقمر آيتين عظيمتين دالتين على وحدانيته"(١).

قال ابن كثير:" أي : هذا في ظلامه وسكونه ، وهذا بضيائه وأنسه ، يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى ، وعكسه الآخر"(٢).

قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} [الأنبياء : ٣٣]، أي:" وخلق الشمس والقمر آيتين عظيمتين دالتين على وحدانيته"(٣).

قال ابن كثير:" هذه لها نور يخصها ، وفلك بذاته ، وزمان على حدة ، وحركة وسير خاص ، وهذا بنور خاص آخر ، وفلك آخر ، وسير آخر ، وتقدير آخر"(٤).

قوله تعالى:{كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء : ٣٣]، أي:" كلٌّ من الشمس والقمر مدار يجري فيه وَيَسْبَح لا يحيد عنه"(٥).

قال الطبري:" يقول: كلّ ذلك في فلك يسبحون"(٦).

قال ابن كثير:" أي : يدورون"(٧).

عن ابن عباس(٨)، وابن زيد(٩)، والكلبي(١٠)، وأبي عبيدة(١١)، في قوله:{ يسبحون}، قالوا: "يجرون".

وفي رواية عن ابن عباس:" {يسبحون}، قال: يدورون "(١٢).

وحكي الماتريدي عن بعضهم: "{يسبحون}: يعلمون، وكذلك روي في حرف عبد الله: «كل في فلك يعلمون»(١٣).

قال مقاتل:" يقول: يدخلان من قبل المغرب فيجريان تحت الأرض حتى يخرجا من قبل المشرق، ثم يجريانفي السماء إلى المغرب، فذلك قوله- سبحانه-: {كل}، يعني: الشمس والقمر، {في فلك}، يعني: في دوران، {يسبحون}، يعني: يجرون فذلك دورانهما"(١٤).

وفي معنى«الفلك» في قوله تعالى: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء : ٣٣]، وجوه(١٥):

أحدها: أنه كهيئة حديدة الرحى. قاله مجاهد(١٦)، وابن جريج(١).

---

(١)التفسيرالميسر:٣٢٤، وصفوة التفاسير:٢٣٩/٢.

(٢) تفسير ابن كثير:٣٤١/٥.

(٣)التفسيرالميسر:٣٢٤، وصفوة التفاسير:٢٣٩/٢.

(٤) تفسير ابن كثير:٣٤١/٥.

(٥) التفسير الميسر:٢٣٤.[بتصرف]

(٦) تفسير الطبري:٤٣٦/١٨-٤٣٧.

(٧) تفسير ابن كثير:٣٤١/٥.

(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٤٨):ص٢٤٥١/٨-٢٤٥٢.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٢):ص٢٤٥٢/٨.

(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣١٢/١.

(١١) مجاز القرآن:٣٨/٢.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٩):ص٢٤٥٢/٨.

(١٣) تأويلات أهل السنة:٣٤٢/٧.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٧/٣.

(١٥) انظر: تأويلات أهل السنة:٣٤٢/٧، والنكت والعيون:٤٤٥/٣-٤٤٦

(١٦) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨.

وقال مجاهد:" يدورون كما يدور فلك المغزل"[٢].
وعن ابن عباس، قوله:"{ كل في فلك}، قال: دوران "[٣].
الثاني: أن االفلك سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها. وهذا قول الضحاك[٤].
قال الضحاك:" الفلك: الجري والسرعة"[٥].
الثالث: أن الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه. حكاه الطبري عن بعضهم[٦].
الرابع: أن الفلك: هو القطب الذي تدور به النجوم، قاله ابو عبيدة[٧]، واستشهد بقول الشاعر[٨]:
باتَتْ تناصى الفلك الدَّوَّارَا... حتى الصباح تعمل الأُقْتارَا
الخامس: معناه: فلك السماء. وهذا قول قتادة[٩].
قال معمر: "ثم سألت قتادة عنها، فقال: فلك السماء كما رأيت"[١٠].
وقال ابن زيد:" قال ابن زيد: "الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر"[١١].
قال حسان بن عطية: "الشمس والقمر والنجوم مسخرة في فلك بين السماء والأرض"[١٢].
السادس: أن الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل. قاله ابن عباس، والحسن[١٣].
عن الحسن:" إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فلك المغزل يدورون فيها، ولو كانت ملتصقة في السماء لم تجر"[١٤].
وقال ابن عباس:" فلكة كفلكة المغزل، {يسبحون}، قال: يدورون في أبواب السماء ما تدور الفلكة في المغزل"[١٥].
وقال الكلبي:" كل شيء يدور فهو فلك"[١٦].
عن السري بن يحيى قال: "سأل رجل الحسن عن قول الله: {كل في فلك يسبحون}، قال: يعني: في استدارتهم، وقال بيده"[١٧].
قال البغوي:" «الفلك»: مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك، ومنه فلك المغزل"[١٨].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عزّ وجل: {كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى، وكما ذُكر عن الحسن

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨.
(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣١١/١.
(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٤٨):ص٢٤٥١/٨-٢٤٥٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨.
(٥) اخرجه الطبري:٤٣٧/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨.
(٧) مجاز القرآن:٣٨/٢.
(٨) البيت غير منسوب في مجاز القرآن:٣٨/٢، وتفسير الطبري:٤٣٧/١٨، وفيه: «تناجى الدوارا».
(٩) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨-٤٣٨.
(١٠) تفسير عبدالرزاق(٢٤٨٤):ص٨٣/٣.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٢):ص٢٤٥٢/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥١):ص٢٤٥٢/٨.
(١٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣١١/١، والطبري:٤٣٨/١٨.
(١٤) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣١١/١.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٩):ص٢٤٥٢/٨.
(١٦) تفسير عبدالرزاق(٢٤٨٣):ص٨٣/٣.
(١٧) تفسير القرآن منالجامع لابن وهب(١٩٥):ص٨٧/١.
(١٨) تفسير البغوي:٣١٧/٥.

كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز[١]:
باتَّتْ تُناجِي الفُلْكَ الدَّوَّارَا
وإذ كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أيّ ذلك هو من أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به. فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كلّ ذلك في دائر يسبحون"[٢].

قال القرطبي:" الأصح أن السيارة تجري في «الفلك»، وهي سبعة أفلاك دون السموات المطبقة، التي هي مجال الملائكة وأسباب الملكوت، فالقمر في الفلك الأدنى، ثم عطارد، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشتري ثم زحل، والثامن فلك البروج، والتاسع الفلك الأعظم. والفلك واحد أفلاك النجوم"[٣].

قال الزمخشري:" أى: كلهم في فلك يسبحون، والضمير للشمس والقمر، والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة، جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والأقمار، وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد.

فإن قلت: لكل واحد من القمرين فلك على حدة، فكيف قيل: جميعهم يسبحون في فلك؟

قلت: هذا كقولهم «كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفا» أى: كل واحد منهم، أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين، فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا، ولأن الغرض الدلالة على الجنس"[٤].

قال الماتريدي:" ظاهر الآية: أن يكون هنالك بحر ونهر فيه يجري الشمس والقمر وفيه يغربان ومنه يطلعان؛ لأنه قال: {في فلك يسبحون}، والسباحة هي المعروفة عند الناس، وهو ما يسبح المرء في بحر أو نهر، هذا ظاهر الآية"[٥].

وفي الإخبار عن الشمس والقمر بضمير الجمع العقلاء، «يسبحون»، وجهان:
أحدهما: أنه لما جعلهم يطيعون، شبههم بالانس، وعلى هذا القياس قوله تعالى: {قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١]. قاله الاخفش[٦].
الثاني: أنه لما خبر بفعل من يعقل، وجعلهن في الطاعة بمنزلة من يعقل خبر عنهن بـ«الواو والنون». وهذا مذهب سبويه[٧].

قال السمعاني:" وإنما ذكر {يسبحون} ولم يقل: يسبح على ما يقال لما لا يعقل؛ لأنه ذكر عنهم ما يذكر من العقلاء، وهو الجري والسبح، فذكر على ما يعقل"[٨].

قال الزمخشري:" وإنما جعل الضمير «واو» العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة"[٩].

فوائد الآيات:[٣٠-٣٣]:
١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده والإيمان به وطاعته.

---

(١) سبق تخريجه، من شواهد ابي عبيدة مجاز القرآن:٣٨/٢ .
(٢) تفسير الطبري:٤٣٨/١٨.
(٣) تفسير القرطبي:٢٨٦/١١.
(٤) الكشاف:١١٥/٣.
(٥) تاويلات أهل السنة:٣٤٣/٧. ثم قال:" ، وعلى ذلك جاءت الأخبار؛ روي عن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " خلق الله بحرا دون سماء الدنيا مقدار ثلاث فراسخ، فهو موج مكفوف قائم في الهواء بأمر الله تعالى، لا يقطر منه قطرة والبحور كلها ساكنة، وذلك البحر جار في سرعة السهم، ثم انطباقه في الهواء مستو كأنه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب، فتجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر "؛ فذلك قوله: (كل في فلك يسبحون}".
(٦) انظر: معاني القرآن:٣٩٤/١.
(٧)انظر: الكتاب ٢/ ٤٤.
(٨) تفسير السمعاني:٣٧٩/٣.
(٩) الكشاف:١١٥/٣.

٢- بيان الحكمة من خلق الجبال الراوسي.
٣- بيان دقة النظام الإلهي، وعظيم العلم والحكمة له سبحانه وتعالى.
٤- إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الآفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم.

القرآن
{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)} [الأنبياء : ٣٤]
التفسير:
وما جعلنا لبشر من قبلك - أيها الرسول - دوام البقاء في الدنيا، أفإن مت فهم يُؤمّلون الخلود بعدك؟ لا يكون هذا. وفي هذه الآية دليل على أن الخضر عليه السلام قد مات؛ لأنه بشر.
قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ} [الأنبياء : ٣٤] أي:" وما جعلنا لبشر من قبلك - أيها الرسول - دوام البقاء في الدنيا"(١).
قال يحيى:" على الاستفهام، أي: لا يخلدون"(٢).
قال الطبري:يقول:" وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا"(٣).
قوله تعالى:{أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء : ٣٤] أي:" أفإن مت فهم يُؤمّلون الخلود بعدك؟ لا يكون هذا"(٤).
قال الطبري:" يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك، لا ما ذلك كذلك، بل هم ميتون بكلّ حال عشت أو متّ، فأدخلت الفاء في إن وهي جزاء، وفي جوابه، لأن الجزاء متصل بكلام قبله، ودخلت أيضا في قوله فهم لأنه جواب للجزاء، ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة، وهي مرادة، والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء فكأنه قال: أفهم الخالدون إن متّ"(٥).

القرآن
{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)} [الأنبياء : ٣٥]
التفسير:
كل نفس ذائقة الموت لا محالة مهما عُمِّرت في الدنيا. وما وجودها في الحياة إلا ابتلاء بالتكاليف أمرًا ونهيًا، وبتقلب الأحوال خيرًا وشرًا، ثم المآل والمرجع بعد ذلك إلى الله - وحده - للحساب والجزاء.
قوله تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [الأنبياء : ٣٥]، أي:" كل نفس ذائقة الموت لا محالة مهما عُمِّرت في الدنيا"(٦).
قال الطبري:"يقول: كل نفس منفوسة من خلقه، معالجة غصص الموت ومتجرّعة كأسها"(٧).
قوله تعالى:{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء : ٣٥]، أي:" ونختبركم بالمصائب والنِّعم لنرى الشاكرين من الكافر، والصابر من القانط"(٨).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣١٢/١.
(٣) تفسير الطبري:٤٣٩/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٥) تفسير الطبري:٤٣٩/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٧) تفسير الطبري:٤٣٩/١٨.
(٨) صفوة التفاسير:٢٣٩/٢.

قال الطبري:" ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به"[١].

قال ابن كثير:" أي : نختبركم بالمصائب تارة ، وبالنعم أخرى ، لننظر من يشكر ومن يكفر ، ومن يصبر ومن يقنط"[٢].

عن ابن عباس، قوله :"{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}، قال: بالرخاء والشدة، وكلاهما بلاء"[٣].

قال ابن عباس:" يقول: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة"[٤].

قال قتادة:" يقول: نبلوكم بالشر بلاء، والخير فتنة"[٥].

قال ابن زيد:" نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون"[٦].

قوله تعالى:{وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء : ٣٥]، أي:" ، ثم المآل والمرجع بعد ذلك إلى الله - وحده - للحساب والجزاء"[٧].

قال الطبري:" يقول: وإلينا يردّون فيجازون بأعمالهم، حسنها وسيئها"[٨].

قال ابن كثير:" أي : فنجازيكم بأعمالكم "[٩].

القرآن

{وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)} [الأنبياء : ٣٦]

التفسير:

وإذا رآك الكفار - أيها الرسول - أشاروا إليك ساخرين منك بقول بعضهم لبعض: أهذا الرجل الذي يسبُّ آلهتكم؟ وجحدوا بالرحمن ونعمه، وبما أنزله من القرآن والهدى.

سبب النزول:

أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا}} [الأنبياء : ٣٦]:

قال السدي:" مر النبي ﷺ على أبى سفيان وأبي جهل وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف. فغضب أبو سفيان فقال: ما تنكرون إن يكون لبني عبد مناف نبي. فسمعها النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه وقال: ما أراك منتهيا حتى يصيبك ما أصاب عمك، وقال لأبى سفيان: أما إنك لم تقل ما قلت إلا حمية، فنزلت هذه الآية : {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا}، الآية"[١٠].

ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء : ٣٦]:

قال الكلبي: "وذلك حين نزل {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَن} [الإسراء : ١١٠]، فقال أهل مكة: ما يعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، فنزل: {وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء : ٣٦]"[١١].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٤٣٩.
(٢) تفسير ابن كثير:٥/٣٤٢.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٤٠.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٤٤٠.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٤٤٠.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٤٠.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٤٤٠.
(٩) تفسير ابن كثير:٥/٣٤٢.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٥):ص٨/٢٤٥٢-٢٤٥٣.
(١١) حكاه عنه ابو الليث السمرقندي في بحر العلوم في التفسير:٢/٤٢٦.

قوله تعالى:{وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ} [الأنبياء : ٣٦]، أي:" وإذا رآك الكفار - أيها الرسول - أشاروا إليك ساخرين منك بقول بعضهم لبعض: أهذا الرجل الذي يسبُّ آلهتكم؟"[١].

قال يحيى:" يقوله بعضهم لبعض أي: يعيبها ويشتمها"[٢].

قال الطبري:" يقول: ما يتخذونك إلا سخريا يقول بعضهم لبعض :{أَهَذَا الَّذِي} يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها، تعجبا منهم من ذلك"[٣].

قال الزجاج:" المعنى: أهذا الذي يعيب آلهتكم، يقال: فلان يذكر الناس، أي: يغتابهم ويذكرهم بالعيوب، ويقال: فلان يذكر الله، أي: يصفه بالعظمة، ويثني عليه ويوحده"[٤].

قال الصابوني:" استفهام فيه إنكار وتعجيب أي هذا الذي يسب آلهتكم ويُسفّه أحلامكم؟"[٥].

قال الماتريدي:" كانوا إذا رأوه هزئوا به، إذا خلا بعضهم إلى بعض يقولون فيما بينهم: أبعث الله بشرا رسولا، هكذا كانت عادة الكفرة يهزءون به إذا حضروه، وإذا غابوا عنه قالوا ما ذكر"[٦].

قوله تعالى:{وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء : ٣٦]، أي:" وهم كافرون بالله ومع ذلك يستهزئون برسول الله"[٧].

قال الطبري:" فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء {وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ} الذي خلقهم وأنعم عليهم، ومنه نفعهم، وبيده ضرّهم، وإليه مرجعهم بما هو أهله منهم؛ أن يذكروه به {كافرون}"[٨].

قال السمعاني:" قال هذا؛ لأنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة، {وهم}، الثانية صلة"[٩].

قال الزمخشري:" الذكر يكون بخير وبخلافه، فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد، كقولك للرجل: سمعت فلانا يذكرك، فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء، وإن كان عدوّا فذمّ، ومنه قوله تعالى : {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ} [الأنبياء : ٦٠]، وقوله :{أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ}، والمعنى: أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب أن لا تذكر به، من كونهم شفعاء وشهداء، ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك، وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية، فهم به كافرون لا يصدّقون به أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك، فإنك محق وهم مبطلون.

وقيل معنى{بِذِكْرِ الرَّحْمنِ} قولهم: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، وقولهم {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} [الفرقان : ٦٠].

وقيل: {بِذِكْرِ الرَّحْمنِ} بما أنزل عليك من القرآن، والجملة في موضع الحال، أى: يتخذونك هزؤا، وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله"[١٠].

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣١٢/١.
(٣) تفسير الطبري:٤٤٠/١٨.
(٤) معاني القرآن:٣٩٢/٣.
(٥) صفوة التفاسير:٢٤٠/٢.
(٦) تأويلات أهل السنة:٢٨/٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٤٠/٢.
(٨) تفسير الطبري:٤٤٠/١٨.
(٩) تفسير السمعاني:٣٨٠/٣.
(١٠) الكشاف:١١٦/٣-١١٧.

{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧)} [الأنبياء : ٣٧]

التفسير:

خُلق الإنسان عجولا يبادر الأشياء ويستعجل وقوعها. وقد استعجلت قريش العذاب واستبطأته، فأنذرهم الله بأنه سيريهم ما يستعجلونه من العذاب، فلا يسألوا الله تعجيله وسرعته.

سبب النزول:

قال ابن الجوزي:" هذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب"(١).

قوله تعالى:{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء : ٣٧]، أي:" خُلق الإنسان عجولا يبادر الأشياء ويستعجل وقوعها"(٢).

قال الماوردي:"«العجلة»: تقديم الشيء قبل وقته ، والسرعة تقديمه في أول أوقاته"(٣).

قال الراغب:" العجلة: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل: «العجلة من الشيطان»(٤).

قال القشيري:" العجلة مذمومة والمسارعة محمودة فالمسارعة البدار إلى الشيء فى أول وقته، والعجلة استقباله قبل وقته، والعجلة نتيجة وسوسة الشيطان، والمسارعة قضية التوفيق"(٥).

قال ابن كثير:" والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال الله تعالى:{ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل ، وينظر ثم لا يؤخر"(٦).

وفي المراد بـ«الإنسان» ها هنا، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه النضر بن الحارث، وهو الذي قال: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال : ٣٢]. رواه عطاء عن ابن عباس(٧).

القول الثاني: أنه آدم-عليه السلام- فعلى هذا في قوله :{مِنْ عَجَلٍ}، ثلاثة وجوه من التفسير: أحدها : معناه: من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل. وهذا قول مجاهد(٨)، وابن زيد(٩).

وقال الاخفش:" يقول: من تعجيل من الأمر"(١٠).

قال مجاهد:" آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق، فلما أجرى الروح في عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس"(١١).

وعن ابن زيد: قوله :"{لخُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}، قال: على عجل آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين، يريد يوم الجمعة، وخلقه على عجل، وجعله عجولا"(١٢).

---

(١) زاد المسير:١٩٠/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٣) النكت والعيون:٤٤٨/٣.
(٤) المفردات:٥٤٨.
(٥) لطائف الإشارات:٥٠٢/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٤٣/٥.
(٧) انظر: زاد المسير:١٩١/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٤٢/١٨، تفسيرابن ابي حاتم(١٣٦٥٦):ص٢٤٥٣/٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٤٤٢/١٨.
(١٠) معاني القرآن:٤٤٩/٢.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٦):ص٢٤٥٣/٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٤٢/١٨.

قال سلمان الفارسي:" أول ما خلق الله من آدم عليه السلام رأسه، فجعل ينظر وهو يخلق وبقيت رجلاه، فما كان العصر قال: يا رب، اعجل قبل الليل، فذلك قوله: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}[1]"[2].

وقال ابن عباس:" لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده، إلا صار لحما ودما؛ فلما انتهت النفخة إلى سرته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تبارك وتعالى: {وكان الإنسان عجولا}، قال: ضجرا لا صبر له على سراء، ولا ضراء"[3].

الثاني: معناه: من عجل في بنيته وخلقته، كان من العجلة، وعلى العجلة. وهذا قول سعيد بن جبير[4]، والسدي[5]، والفراء[6].

قال سعيد بن جبير:" لما نفخ فيه الروح في ركبتيه ذهب لينهض، فقال الله: {خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}"[7].

قال السدي:" لما نفخ فيه، يعني: في آدم الروح، فدخل في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله له: رحمك ربك، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة؛ فذلك حين يقول :{خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}، يقول: خلق الإنسان عجولا"[8].

قال الواحدي:" ذهب كثيرٌ من أهل التفسير إلى أن المراد بالإنسان هاهنا: آدم. وقالوا: لما نفخ فيه الروح لم تبلغ رجليه حتى استعجل، وأهوى إلى عنقود من عنب الجنة ليأكل منه، وأراد الوثوب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان، وأورث أولاده العجلة"[9].

الثالث: أنه سأل ربه بعد إكمال صورته ونفخ الروح في عينيه ولسانه أن يعجل إتمام خلقه وإجراء الروح في جميع جسده، قاله الكلبي[10].

الرابع : أن معنى :{من عجل}، أي: من طين، ذكره اليزيدي عن ابن عباس[11]، ومنه قول الشاعر[12]:

والنَّبْعُ في الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتُهُ ... والنَّخْلُ يَنْبِتُ بَيْنَ المَاءِ وَالعَجَل

قال الزمخشري بعد إنشاده عجز هذا البيت: "والله أعلم بصحته"[1].

---

(١)[الإسراء : ١١].
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٢):ص٢٣٢٠/٧.
(٣) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٤١/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٤١/١٨.
(٦) انظر: معاني القرآن:٢٠٣/٢، قال الفراء:« كأنك قلت: بنيته وخلقته من العجلة وعلى العجلة».
(٧) اخرجه الطبري:٤٤١/١٨.
(٨) اخرجه الطبري:٤٤١/١٨.
(٩) التفسير البسيط:٧٥/١٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٤٤٧/٣.
(١١)غريب القرآن وتفسيره : ٢٥٤.
(١٢)عجز هذا البيت في "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٤٦٩ "عجل"من إنشاد نفطويه، من غير نسبة لأحد. والبيت في "غريب القرآن وتفسيره" لليزيدي ص ٢٥٥، من غير نسبة، وروايته فيه:
النبع في الصخرة الصماء منبته ... والنخل منبته في السهل والعجل
و"أمالي المرتضى" ١/ ٤٦٩ وروايته:
والنبع ينبت بين الصخر ضاحية ... والنخل ينبت بين الماء والعجل
ثم قال المرتضى ١/ ٤٧٠: وقد رواه ثعلب، عن ابن الأعرابي، وخالف في شيء من ألفاظه، فرواه:
النبع في الصخرة الصماء منبته ... والنخل منبته في السهل والعجل
و"اللسان" ١١/ ٤٢٨ "عجل" بمثل رواية ثعلب، عن ابن الأعرابي، وعجزه في "الكشاف" ٢/ ٥٧٣ ثم قال: والله أعلم بصحته. والنغ: شجر تتخذ منه الفسي، وهو من أشجار الجبال، الواحدة منه نبعه. "لسان العرب" ٨/ ٣٤٥ (نبع).

قال أبو عبيد: "وكثير من أهل المعاني يقولون: «العجل»: الطين بلغة حمير"[٢].
قال الألوسي:" واعترض بأنه لا تقريب لهذا المعنى هاهنا"[٣].
وقال القرطبي:" وقيل المراد: النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار في تفسير ابن عباس، أي: لا ينبغي لمن خلق من الطين الحقير أن يستهزئ بآيات الله ورسله"[٤].
وقال الطيبي: "يكون القصد عليه تحقير شأن جنس الإنسان تتميما لمعنى التهديد في قوله تعالى: {سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُون}"[٥].
القول الثالث: أنه أنه اسم جنس، والمعنى بـ«الإنسان»: الناس كلهم، قاله علي بن أحمد النيسابوري[٦]، وعلى هذا في قوله: {مِنْ عَجَلٍ}، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها : يعني: خلق الإنسان عجولاً ، قاله قتادة[٧].
قال الواحدي:" وهذا القول اختيار جميع أهل اللغة والمعاني. والإنسان هاهنا اسم الجنس"[٨].
الثاني : أنه من المقدم والمؤخر، والمعنى: خلقت العجلة في الإنسان. قاله ابو عبيدة[٩]، و ابن قتيبة[١٠].
قال أبو عبيدة:" والعرب تفعل هذا إذا كان الشيء من سبب الشيء بدءوا بالسبب"[١١].
الثالث : يعني: أنه خلق على حُب العجلة. حكاه الماوردي[١٢].
قال الطبري:" والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عمن قال معناه: خُلق الإنسان من عجل في خلقه: أيْ على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح، وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى :{سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ} علي ذلك... عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ فِي الجُمُعَةِ لَساعَةٌ يَقَلِّلُها[١٣] ، قال لا يُوَافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسأَلُ اللهَ فِيها خَيْرًا إلا أتاهُ اللهُ إيَّاهُ فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أيّ ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله :{خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ}»"[١٤].
قوله تعالى:{سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} [الأنبياء : ٣٧]، أي:" سأوريكم انتقامي واقتداري على من عصاني فلا تتعجلوا الأمر قبل أوانه"[١٥].
قال الثعلبي:" فلا تستعجلون بالعذاب وسؤال الآيات"[١٦].
قال ابن كثير:" أي : نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني،{فَلا تَسْتَعْجِلُونِ }"[١].

---

(١) الكشاف:١١٧/٣.
(٢) نقلا عن الكشف والبيان للثعلبي:٢٧٦/٦.
(٣) روح المعاني:٤٧/٩.
(٤) انظر: تفسير القرطبي:٢٨٩/١١.
(٥) نقلا عن روح المعاني:٤٧/٩.
(٦) انظر: زاد المسير:١٩١/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٤١/١٨.
(٨) التفسير البسيط:٧٦/١٥.
(٩) انظر: مجاز القرآن:٣٨/٢-٣٩.
(١٠) انظر: تأويل مشكل القرآن:١٢٥، وغريب القرآن:٢٤٤.
(١١) مجاز القرآن:٣٩/٢.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٤٨/٣.
(١٣)في ابن كثير، رواية ابن أبي حاتم: " وقبض أصابعه يقللها ".
(١٤) تفسير الطبري:٤٤٣/١٨.
(١٥) صفوة التفاسير:٢٤٠/٢.
(١٦) الكشف والبيان:٢٧٦/٦.

قال يحيى:" وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي ﷺ، لما خوفهم به من العذاب، وذلك منهم استهزاء وتكذيب"(٢).

قال البغوي:" هذا خطاب للمشركين، نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون العذاب، ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، فقال تعالى: سأريكم آياتي أي مواعيد عذابي فلا تستعجلون، أي: فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته، فأراهم يوم بدر، وقيل: كانوا يستعجلون القيامة"(٣).

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق؟

قلت: هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها، لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة"(٤).

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)} [الأنبياء : ٣٨]

التفسير:

ويقول الكفار - مستعجلين العذاب مستهزئين -: متى حصول ما تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين؟

سبب نزول الآيتين[٣٨-٣٩]:

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي- ﷺ-: متى هذا العذاب الذي تعدنا، إن كنت صادقا، يقولون ذلك مستهزئين تكذيبا بالعذاب فأنزل الله- عز وجل- :{لو يعلم الذين كفروا} من أهل مكة {حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم}..."(٥).

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} [الأنبياء : ٣٨]، أي:" ويقول الكفار - مستعجلين العذاب مستهزئين -: متى حصول ما تَعِدُنا به يا محمد"(٦).

قال يحيى:" قول المشركين للنبي ﷺ: متى هذا الذي تعدنا به من أمر القيامة؟ قال الله تبارك وتعالى: {لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون} [الأنبياء: ٣٩] وفيها تقديم"(٧).

قال الطبري:" ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد ﷺ: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب"(٨).

قال مكي:" أي: ويقول المشركون متى يأتنا هذا الذي تعدنا يا محمد، الوعد بمعنى الموعود. كما قيل: الخلق بمعنى المخلوق"(٩).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأنبياء : ٣٨]، أي:" إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين؟"(١٠).

قال الطبري:أي:" فيما تعدوننا به من ذلك، كأنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ وللمؤمنين به"(١١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٤٣/٥.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣١٣/١.
(٣) تفسير البغوي:٢٨٩/٣.
(٤) الكشاف:١١٧/٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٠/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣١٣/١.
(٨) تفسير الطبري:٤٤٤/١٨.
(٩) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٧٥٧/٧.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٥.
(١١) تفسير الطبري:٤٤٤/١٨.

قال مكي:" يخاطبون النبي ﷺ والمؤمنين"[١].
قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضًا بوقوع العذاب بهم ، تكذيبًا وجحودًا وكفرًا وعنادًا واستبعادًا"[٢].
قال القشيري:" اعتادوا تكذيب الأنبياء عليهم السلام فيما وعدوهم، فاستعجلوا حصول ما توعدوهم به، ولو علموا ما ينالهم لكان السكون منهم، فالفزع يدل على استعجالهم"[٣].
فوائد الآيات:[٣٤-٣٨]:
١- أن الموت حتم لازم لا مناص منه لكل حي من المخلوقات، ولو نجا أحد من الموت لنجا منه خيرة الله من خلقه محمد ﷺ: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ} [الزمر: ٣٠] ، وقد واسى الله رسوله بأن الموت سنته في خلقه :{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء: ٣٤].
٢- استدلوا بعموم قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ}[الأنبياء: ٣٤]، أن الخضر ليس بحي، فقوله «لبشر» نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله. والخضر بشر من قبله. فلو كان شرب من عين الحياة وصار حيا خالدا إلى يوم القيامة لكان الله قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام"[٤].
٣- بيان العلة من وجود خير وشر في هذه الحياة الدنيا وهي الاختبار.
٤- بيان ما كان عليه المشركون من الاستهزاء بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٥- تقرير حقيقة أن الإنسان مطبوع على العجلة فلذا من غير طبعه بالتربية فأصبح ذا أناة وتؤدة كان من أكمل الناس وأشرفهم.

القرآن
{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩)} [الأنبياء : ٣٩]
التفسير:
لو يعلم هؤلاء الكفار ما يلاقونه عندما لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم وظهورهم النار، ولا يجدون لهم ناصرًا ينصرهم، لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا عذابهم.
قوله تعالى:{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ} [الأنبياء : ٣٩]، أي:" لو يعلم هؤلاء الكفار ما يلاقونه عندما لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم وظهورهم النار"[٥].
قال مقاتل:" لو علموا ذلك ما استعجلوا بالعذاب"[٦].
قال الطبري:" لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم"[٧].

---
(١) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٧٥٧/٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٤٣/٥.
(٣) لطائف الإشارات:٥٠٢/٢.
(٤) مجموع الفتاوى:١٠٠/٢٧.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٠/٣.
(٧) تفسير الطبري:٤٤٥/١٨.

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [الأنبياء : ٣٩]، أي:" ولا يجدون لهم ناصرًا ينصرهم، لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا عذابهم"(١).

قال مقاتل:" يقول: ولا هم يمنعون من العذاب"(٢).

قال الطبري:" يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء"(٣).

قال يحيى:" فيها تقديم. أي: أن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون لو يعلم الذين كفروا"(٤).

القرآن

{بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠)} [الأنبياء : ٤٠]

التفسير:

ولسوف تأتيهم الساعة فجأة، فيتحيَّرون عند ذلك، ويخافون خوفًا عظيمًا، ولا يستطيعون دَفْعَ العذاب عن أنفسهم، ولا يُمْهلون لاستدراك توبة ولا اعتذار.

قوله تعالى:{بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ} [الأنبياء : ٤٠]، أي:" بل تأتيهم الساعة فجأة فتدهشهم وتحيرهم"(٥).

قال الزجاج:"{بغتة}: فجاءة وهم غافلون عنها، {فتبهتم}: فتحيرهم"(٦).

قال الطبري:" لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه"(٧).

قوله تعالى:{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا} [الأنبياء : ٤٠]، أي:" ولا يستطيعون دَفْعَ العذاب عن أنفسهم"(٨).

قال الطبري:" يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم"(٩).

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [الأنبياء : ٤٠]، أي:" ولا يُمهلون ويُؤخرون لتوبةٍ واعتذار"(١٠).

قال الطبري:" يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها، وإنابة ينيبون، لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة"(١١).

قال السعدي:" فلو علموا هذه الحالة حق المعرفة، لما استعجلوا بالعذاب، ولخافوه أشد الخوف، ولكن لما ترحل عنهم هذا العلم، قالوا ما قالوا، ولما ذكر استهزاءهم برسوله بقولهم: {أهذا الذي يذكر آلهتكم}"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٠/٣.
(٣) تفسير الطبري:٤٤٥/١٨.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣١٣/١.
(٥) صفوة التفاسير: ٢٤٠/٢.
(٦) معاني القرآن:٣٩٣/٣.
(٧) تفسير الطبري:٤٤٥/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٩) تفسير الطبري:٤٤٥/١٨.
(١٠) صفوة التفاسير: ٢٤٠/٢.
(١١) تفسير الطبري:٤٤٥/١٨.
(١٢) تفسير السعدي:٥٢٣.

القرآن

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١)} [الأنبياء : ٤١]

التفسير:

ولقد استهزئ برسل مِن قبلك أيها الرسول، فحلَّ بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مَثار سخريتهم واستهزائهم.

قوله تعالى:{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ} [الأنبياء : ٤١]، أي:" ولقد استهزئ برسل مِن قبلك أيها الرسول"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله، واجتراء عليه، فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم"(٢).

قال المراغي:" أي: ولقد استهزىء برسل من رسلنا الذين أرسلناهم قبلك إلى أممهم"(٣).

قال السعدي:" سلاه بأن هذا دأب الأمم السالفة مع رسلهم"(٤).

قوله تعالى:{فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنبياء : ٤١]، أي:" فحلَّ بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مَثار سخريتهم واستهزائهم"(٥).

قال الطبري: يقول:" حلّ بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوّفهم نزوله بهم"(٦).

قال السمعاني:" أي: نزل بالذين سخروا منهم جزاء استهزائهم"(٧).

قال السعدي:" أي: نزل بهم العذاب، وتقطعت عنهم الأسباب، فليحذر هؤلاء، أن يصيبهم ما أصاب أولئك المكذبين"(٨).

قال المراغي:" فنزل بالذين استهزءوا بهم العذاب والبلاء الذي كانت الرسل تخوفهم نزوله، ولن يعدو أن يكون أمر هؤلاء الكفار كأمر أسلافهم من الأمم المكذبة لرسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم مثل ما نزل بمن قبلهم فانظر لهم عاقبة وخيمة كعاقبة أولئك، وسيكون لك النصر عليهم"(٩).

قال الزجاج:" «الحيق» في اللغة: ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله، ومنه قوله عز وجل: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِه} [فاطر : ٤٣]، أي: لا ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم"(١٠).

القرآن

{قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢)} [الأنبياء : ٤٢]

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٢) تفسير الطبري:١٨/٤٤٥-٤٤٦.
(٣) تفسير المراغي:١٧/٣٤.
(٤) تفسير السعدي:٥٢٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٦) تفسير الطبري:١٨/٤٤٦.
(٧) تفسير السمعاني:٣/٣٨٢.
(٨) تفسير السعدي:٥٢٣.
(٩) تفسير المراغي:١٧/٣٤.
(١٠) معاني القرآن:٢/٢٣١.

التفسير:
قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لا أحد يحفظكم ويحرسكم في ليلكم أو نهاركم، في نومكم أو يقظتكم، مِن بأس الرحمن إذا نزل بكم. بل هم عن القرآن ومواعظ ربهم لاهون غافلون.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ} [الأنبياء : ٤٢]، أي:" قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين من يحفظكم ويحرسكم في ليلكم أو نهاركم، في نومكم أو يقظتكم، مِن بأس الرحمن إذا نزل بكم"(١).

قال مقاتل:" يقول: من يحرسكم بالليل والنهار من عذاب الرحمن"(٢).

قال الفراء:" {من الرحمن}، يريد: من أمر الرحمن"(٣).

قال الزجاج:" معناه - والله أعلم - من يحفظكم من بأس الرحمن، كما قال: {فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ} [هود : ٦٣]، أي: من عذاب الله"(٤).

قال الطبري: " قل يا محمد بهؤلاء المستعجليك بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم: يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا تصرّفتم من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل {من الرحمن} اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره"(٥).

قال السعدي:" يقول تعالى - ذاكرا عجز هؤلاء، الذين اتخذوا من دونه آلهة، وأنهم محتاجون مضطرون إلى ربهم الرحمن، الذي رحمته، شملت البر والفاجر، في ليلهم ونهارهم - فقال: {قل من يكلؤكم} أي: يحرسكم ويحفظكم {بالليل} إذ كنتم نائمين على فرشكم، وذهبت حواسكم {والنهار} وقت انتشاركم وغفلتكم {من الرحمن} أي: بدله غيره، أي: هل يحفظكم أحد غيره؟ لا حافظ إلا هو"(٦).

قال ابن كثير:" ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار ، وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام ، فقال : { قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ } ؟ أي : بدل الرحمن بمعني غيره كما قال الشاعر(٧):

جَارية لَمْ تَلْبَس المُرقَّقا... وَلَم تَذق منَ البُقول الفُسْتُقا

أي : لم تذق بدل البقول الفستق"(٨).

قال أبو عبيدة:{ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ}، معناه: " يحفظكم ويمنعكم، قال ابن هرمة(٩):

إنّ سليمى والله يكلؤها ... ضنّت بشيء ما كان يرزؤها"(١٠).

قال السمعاني:" قوله: {بالليل والنهار من الرحمن}، أي: من عذاب الرحمن، والله تعالى يحفظ العباد من عذاب نفسه"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٥، وصفوة التفاسير:٢٤٠/٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٨١/٣.
(٣) معاني القرآن:٢٠٤/٢.
(٤) معاني القرآن:٣٩٣/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٤٦/١٨.
(٦) تفسير السعدي:٥٢٤.
(٧)هو أبو نخيلة يعمر بن حزن ، والبيت في اللسان مادة (فسق) وصدره : دسته لم تأكل المرقفا وقد حمل صاحب اللسان قوله بأنه ظن الفستق من البقول.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٤٤/٥.
(٩)البيت مطلع قصيدة وقد قيل له إن قريشا لا تهمز فقال لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش، بعضها فى شواهد المغني ص ٢٧٩ وهو فى الطبري ١٧/ ٢٠ والقرطبي ١١/ ٢٩١ واللسان والتاج (كلأ) .
(٤) . - ٥٨١: ديوانه ص ٢١٧ والكامل للمبرد ص ٢٠٩ والعيني ٢/ ٤٥٦.
(١٠) مجاز القرآن:٣٩/٢.
(١١) تفسير السمعاني:٣٨٢/٣.

قال القاسمي:".وتقديم «الليل» لما أن الدواهي فيه أكثر وقوعا وأشد وقعا. وفي لفظ «الرحمن» تنبيه على أنه لا حفظ لهم إلا برحمته، وتلقين للجواب. وقيل إنه إيماء إلى شدته. كغضب الحليم. وتنديم لهم حيث عذبهم من غلبت رحمته. ودلالة على شدة خبثهم"[١].

عن ابن عباس، قوله :"{قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ}، قال: يحرسكم"[٢].

قال مجاهد:" من يحفظكم بالليل والنهار"[٣].

قال قتادة:" قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن"[٤].

قوله تعالى:{بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ٤٢]، أي:" بل هم عن القرآن ومواعظ ربهم لاهون غافلون"[٥].

قال مقاتل:" يعني: القرآن، معرضون عنه"[٦].

قال الطبري:معناه:" وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالئ لهم من أمر الله إذا هو حلّ بهم ليلا أو نهارا، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتجّ بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به، جهلا منهم وسفها"[٧].

قال ابن كثير:" أي : لا يعترفون بنعمه عليهم وإحسانه إليهم ، بل يعرضون عن آياته وآلائه"[٨].

قال السعدي:" فلهذا أشركوا به، وإلا فلو أقبلوا على ذكر ربهم، وتلقوا نصائحه، لهدوا لرشدهم، ووفقوا في أمرهم"[٩].

القرآن

{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣)} [الأنبياء : ٤٣]

التفسير:

أَلَهُمْ آلهة تمنعهم من عذابنا؟ إنَّ آلهتهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم؟ وهم منا لا يُجارون.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا} [الأنبياء : ٤٣]، أي:" ألهم آلهة تمنعهم من العذاب غيرنا؟"[١٠].

قال الطبري:معناه:" أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا"[١١].

قال ابن كثير:" استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ ، أي : ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا "[١٢].

قال السعدي:" أي: إذا أردناهم بسوء هل من آلهتهم، من يقدر على منعهم من ذلك السوء، والشر النازل بهم؟"[١٣].

---

(١) محاسن التأويل:١٩٦/٧.
(٢) أخرجه الطبري:٤٤٦/١٨.
(٣) تفسير سفيان الثوري(٦٣٦: ١١: ١٧):ص٢٠١.
(٤) أخرجه الطبري:٤٤٦/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٨١/٣.
(٧) تفسير الطبري:٤٤٧/١٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٤٤/٥.
(٩) تفسير السعدي:٥٢٤.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٤٠/٢.
(١١) تفسير الطبري:٤٤٧/١٨.
(١٢) تفسير ابن كثير:٣٤٤/٥.
(١٣) تفسير السعدي:٥٢٤.

قوله تعالى:{لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ} [الأنبياء : ٤٣]، أي:" إنَّ آلهتهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم؟"[١].

قال الطبري:" ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : هذه الآلهة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم"[٣].

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء : ٤٣]، أي:" وهم منا لا يُجارون"[٤].

قال السمعاني:" أي: يجارون، يقال: أجارك الله، أي: حفظك، وتقول العرب: صحبك الله أي: حفظك ونصرك"[٥].

قال السعدي:" أي: لا يعانون على أمورهم من جهتنا، وإذا لم يعانوا من الله، فهم مخذولون في أمورهم، لا يستطيعون جلب منفعة، ولا دفع مضرة"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء : ٤٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : يُجَارُون، قاله ابن عباس[٧]، وبه قال الفراء[٨]، واب قتيبة[٩]، من قولهم : إن لك من فلان صاحباً ، أي مجيراً ، قال الشاعر[١٠]:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ... ليصحب منها والرماح دواني

عن ابن عباس، قوله :"{وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ}، يقول: ولا هم منا يجارون، وهو قوله {وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ}، يعني: الصاحب، وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف، فهو قوله يصحبون"[١١].

قال مقاتل:" يقول الله- تعالى- :لا يجيرهم مني ولا يؤمنهم مني أحد"[١٢].

قال ابن قتيبة:" أي: لا يجيرهم منا أحد؛ لأن المجير صاحب لجاره"[١٣].

وحكي يحيى بن سلام عن الحسن، قال: "لا تمنعهم من دون الله إن أراد عذابهم {ولا هم منا يصحبون}، ولا من يعبدها منا يجارون، أي ليس لهم من يجيرهم، أي يمنعهم منا إن أراد الله عذابهم"[١٤].

وكان يقول: إنما تعذب الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأصنام، ولا تعذب الأصنام

الثاني : يحفظون، قاله مجاهد[١٥].

الثالث : ينصرون، قاله ابن عباس[١٦]، ومجاهد ايضا[١٧].

---

(١)التفسير الميسر:٣٢٥.
(٢) تفسير الطبري:٤٤٧/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٤٤/٥.
(٤)التفسير الميسر:٣٢٥.
(٥) تفسير السمعاني:٣٨٢/٣.
(٦) تفسير السعدي:٥٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٤٨/١٨.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢٠٥/٢.
(٩) انظر: غريب القرآن:٢٨٦.
(١٠) من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٤٤٨/٣، والقرطبي في التفسير:٢٩١/١١. دون نسبة.
(١١) اخرجه الطبري:٤٤٨/١٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٨١/٣.
(١٣) غريب القرآن:٢٨٦.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٣١٥/١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٤٤٨/١٨.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٥٧):ص٢٤٥٣/٨.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٤٤٩/٣.

الرابع : يمنعون. وهذا مروي عن مجاهد كذلك[١].
الخامس: ولا يصحبون من الله بخير ، قاله قتادة[٢].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن {هُمْ} من قوله {ولا هُمْ} من ذكر الكفار، وأن قوله {يُصْحَبُونَ}، بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا"[٣].
فوائد الآيات:[٣٩-٤٣]:
١- تقرير أن الساعة لا تأتي إلا بغتة.
٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
٣- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما كان عليه الرسل من قبله وما لا قوه من أُممهم.
٤- بيان عجز الهة المشركين عن نصرتهم بدفع العذاب عنهم متى حل بهم.
٥- بيان أن علة إصرار المشركين على الشرك والكفر هو عدم إقبالهم على تدبر القرآن الكريم وتفكرهم في آياته وما تحمله من هدى ونور.

القرآن
{بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤)} [الأنبياء : ٤٤]
التفسير:
لقد اغترَّ الكفار وآباؤهم بالإمهال لِمَا رأوه من الأموال والبنين وطول الأعمار، فأقاموا على كفرهم لا يَبْرحونه، وظنوا أنهم لا يُعذَّبون وقد غَفَلوا عن سُنَّة ماضية، فالله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين مِن بأس في كل ناحية ومِن هزيمة، أيكون بوسع كفار «مكة» الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟
قوله تعالى:{بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} [الأنبياء : ٤٤]، أي:" لقد متعنا هؤلاء المشركين وآباءهم من قبلهم بما رزقناهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة وحسبوا أن ذلك يدوم فاغتروا بذلك"[٤].
قال يحيى:" يعني: قريشا، لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمد"[٥].
قال الطبري:" ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا، ولا جار يجيرهم من عذابنا، إذا نحن أردنا عذابهم، فاتكلوا على ذلك، وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك، ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر، وهم على كفرهم مقيمون، لا تأتيهم منا واعظة من عذاب، ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا، وعبادتهم الأوثان والأصنام، فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم، ولم يعرفوا موضع الشكر"[٦].
قوله تعالى:{أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الأنبياء : ٤٤]، أي:" أفلا ينظرون فيعْتبرون بأننا نأتي أرضهم فننقصها من أطرافها بالفتح على النبي وتسليط المسلمين عليها؟"[٧].

(١) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦٢٧: ٢: ٣٧):ص١٩٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٤٧/١٨.
(٣) تفسير الطبري:٤٤٨/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٣١٥/١.
(٦) تفسير الطبري:٤٤٩/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.

وفي قوله تعالى:{أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الأنبياء : ٤٤]، وجوه من التفسير:
أحدها: بالفتوح على المسلمين من بلاد المشركين، قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، والضحاك[٣]، وقتادة[٤]، وبه قال ابن جرير الطبري[٥]، وابن كثير[٦].
الثاني: بموت فقهائها وعلمائها ، قاله ابن عباس[٧]، ومجاهد[٨]، وبه قال ابن قتيبة[٩].
الثالث: بخرابها بعد العمارة. قاله ابن عباس أيضا[١٠]، ومجاهد[١١]، وعكرمة[١٢].
الرابع: بنقصان أهلها وقلة بركتها. قاله ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١٤]، والكلبي[١٥]، والشعبي[١٦]، وابن ابي طلحة[١٧].
الخامس: بالقتل والسبي ، حكاه الكلبي[١٨].
السادس: بجور ولاتها وأمرائها. أفاده الماوردي[١٩].
قوله تعالى:{أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الأنبياء : ٤٤]، أي:" أفهم الغالبون والحالة هذه أم المغلوبون؟"[٢٠].
قال الصابوني:" استفهام بمعنى التقريع والإنكار، والمعنى: بل هم المغلوبون الأخسرون الأرذلون"[٢١].
قال الحسن:" أي: ليسوا بغالبين، ولكن الرسول هو الغالب"[٢٢].
قال قتادة:" يقول: ليسوا بغالبين، ولكن رسول الله ﷺ هو الغالب"[٢٣].

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (٤٥)} [الأنبياء : ٤٥]

التفسير:
قل - أيها الرسول - لمن أُرسلتَ إليهم: ما أُخوِّفكم من العذاب إلا بوحي من الله، وهو القرآن، ولكن الكفار لا يسمعون ما يُلقى إليهم سماع تدبر إذا أُنذِورا، فلا ينتفعون به.

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٤):ص٤٩٣/١٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٧):ص٤٩٤/١٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٦):ص٤٩٤/١٦.
(٤) انظر: النكت والعيون:١١٩/٣.
(٥) انظر: التفسير:٤٩٧/١٦-٤٩٨.
(٦) انظر: التفسير:٤٧٣/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٣٣):ص٤٩٧/١٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٣٤):ص٤٩٧/١٦.
(٩) غريب القرآن:٢٢٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٩):ص٤٩٤/١٦-٤٩٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٠)، (٢٠٥٢١):ص٤٩٥/١٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٢):ص٤٩٥/١٦.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٣):ص٤٩٥/١٦.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٤):ص٤٩٥/١٦.
(١٥) انظر: النكت والعيون:١١٩/٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٥):ص٤٩٦/١٦.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٤٤٩/٣.
(١٨) انظر: النكت والعيون:٤٤٩/٣.
(١٩) انظر: النكت والعيون:٤٤٩/٣.
(٢٠) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٢١) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٢٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٢٤٥٣/٨.
(٢٣) اخرجه الطبري:٤٤٩/١٨.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ} [الأنبياء : ٤٥]، أي:" قل - أيها الرسول - لمن أُرسلتَ إليهم: ما أُخوّفكم من العذاب إلا بوحي من الله، وهو القرآن"[١].

قال قتادة:" أي: بهذا القرآن"[٢].

قال مقاتل:" بما في القرآن من الوعيد"[٣].

قال الطبري:يقول:" قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون: إنما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحيه إلى من عنده، وأخوّفكم به بأسه"[٤].

قوله تعالى:{وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ} [الأنبياء : ٤٥]، أي:" ولكن الكفار لا يسمعون ما يُلقى إليهم سماع تدبر إذا أُنذِورا، فلا ينتفعون به"[٥].

قال قتادة:" يقول: إن الكافر أصم عن كتاب الله، لا يسمعه ولا ينتفع به، ولا يعقله كما يسمعه أهل الإيمان"[٦].

قال السمعاني:" «الصم»: هم الكفار، وسماهم صما، لأنهم لم يسمعوا ما ينفعهم، وقوله: {إذا ما ينذرون}، أي: يخوفون بالوحي"[٧].

القرآن

{وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦)} [الأنبياء : ٤٦]

التفسير:

لو أصاب الكفارَ نصيب من عذاب الله لعلموا عاقبة تكذيبهم، وقابلوا ذلك بالدعاء على أنفسهم بالهلاك؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بعبادتهم غير الله.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ} [الأنبياء : ٤٦]، أي:" لو أصاب الكفارَ نصيب من عذاب الله"[٨].

قال قتادة:" يقول: لئن أصابتهم عقوبة"[٩].

قال الزجاج:" أي: إن مستهم أدنى شيء من العذاب"[١٠].

قال السمعاني:" أي: طرف من عذاب ربك"[١١].

قال الطبري:يقول:" ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك، يعني بالنفحة النصيب والحظّ، من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال"[١٢].

قوله تعالى:{لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء : ٤٦]، أي:" ليعترفنَّ بجريمتهم ويقولون: يا هلاكنا لقد كنا ظالمين لأنفسنا بتكذيبنا رسل الله"[١٣].

قال الطبري: "وليقولن يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا، ووضعنا العبادة غير موضعها"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٦.
(٢) أخرجه الطبري:٤٤٩/١٨، وابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٢٤٥٣/٨
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٢/٣.
(٤) تفسير الطبري:٤٤٩/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٦.
(٦) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٨، وابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٢٤٥٣/٨
(٧) تفسير السمعاني:٣٨٣/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٦.
(٩) اخرجه الطبري:٤٥٠/١٨، وابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٢٤٥٣/٨.
(١٠) معاني القرآن:٣٩٣/٣.
(١١) تفسير السمعاني:٣٨٣/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٤٥٠/١٨.
(١٣) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(١٤) تفسير الطبري:٤٥٠/١٨.

قال الزجاج:" «الويل» ينادى به، وينادي به كل من وقع في هلكة"[١].

القرآن

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)} [الأنبياء : ٤٧]

التفسير:

ويضع الله تعالى الميزان العادل للحساب في يوم القيامة، ولا يظلم هؤلاء ولا غيرهم شيئًا، وإن كان هذا العمل قدْرَ ذرة مِن خير أو شر اعتبرت في حساب صاحبها. وكفى بالله محصيًا أعمال عباده، ومجازيًا لهم عليها.

قوله تعالى:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء : ٤٧]، أي:" ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها الأعمال في يوم القيامة"[٢].

قال الزجاج:" «القسط»: العدل، المعنى: ونضع الموازين ذوات القسط، و«الميزان» في القيامة - جاء في التفسير - أن له لسانا وكفتين، وتمثل الأعمال بما يوزن، وجاء في التفسير أنه يوزن خاتمة العمل، فمن كانت خاتمة عمله خيرا جوزي بخير، ومن كانت خاتمة عمله شرا فجزاؤه الشر"[٣].

قال ابن عباس:" يعني بـ«الوزن»: القسط بينهم بالحقّ في الأعمال الحسنات والسيئات، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه، يقول: أذهبت حسناته سيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفَّت موازينه وأمه هاوية، يقول: أذهبت سيئاته حسناته"[٤].

عن مجاهد:" {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ}، قال: العدل"[٥].

قال مجاهد:"إنما هو مثل، كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحقّ"[٦].

قال عمرو بن دينار:" إنا نرى ميزانًا وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يُجْعَل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب"[٧].

عن عبيد بن عمير، قوله :"{والوزن يومئذ الحق}، قال: يقول يؤتى بالرجل الطويل العظيم الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة"[٨].

قال الزمخشري:" وصفت «الْمَوازِينَ» بالقسط وهو العدل، مبالغة، كأنها في أنفسها قسط"[٩].

قوله تعالى:{فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء : ٤٧]، أي:" فلا يُنقص محسنٌ من إحسانه، ولا يُزاد مسيءٌ على إساءته"[١٠].

عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: «قال رجل: يا رسول الله، كيف ترى في رقيقنا نضربهم؟ فقال: توزن ذنوبهم وعقوبتكم إياهم، فإن كانت عقوبتكم أكثر من ذنوبهم أخذوا منكم. قال: أفرأيت سبنا إياهم؟ قال: توزن ذنوبهم وأذاكم إياهم، فإن كان أذاكم إياهم أكثر أعطوا منكم قال: أرأيت يا رسول الله ولدي أضربهم؟ قال: إنك لا تتهم في ولدك ولا تطيب نفسك، تشبع ويجوعون وتكسى ويعرون»[١١].

---

(١) معاني القرآن:٣٩٤/٣.
(٢) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٣) معاني القرآن:٣٩٤/٣.
(٤) اخرجه الطبري:٤٥١/١٨.
(٥) اخرجه الطبري:٤٥١/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٤٥١/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٣١١/١٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٢٢)ً:١٤٤٠/٥.
(٩) الكشاف:١٢٠/٣.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦١):ص٢٤٥٤/٨.

قوله تعالى:{وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا} [الأنبياء : ٤٧]، أي:" وإن كان العمل الذي عملته زنة حبةٍ من خردل جئا بها وأحضرناها"[١].

قال الطبري:" يقول: وإن كان الذي من عمل الحسنات، أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه"[٢].

عن السدى قوله: "{وإن كان مثقال حبة}، قال: وزن حبة"[٣].

عن مجاهد: قوله: {وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا}، قال: جازينا بها"[٤].

عن ابن زيد، قوله :"{وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا}، قال: كتبناها وأحصيناها له وعليه"[٥].

قال ابن زيد:" يؤتي بها لك وعليك، ثم يعفو إن شاء أو يأخذ، ويجزي بما عمل له من طاعة"[٦].

عن مجاهد أنه كان يقرأ: "«وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها» بمد الألف. قال: جازينا بها"[٧].

عن عاصم بن أبي النجود، أنه كان يقرأ: "«وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها» على معنى جئنا بها لا يمد «أتينا»"[٨].

قرأ أهل المدينة :{مثقال} برفع اللام، أي: وإن وقع مثقال حبة، ونصبها الآخرون على معنى: وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة[٩].

قوله تعالى:{وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء : ٤٧]، أي:" كفى بربك أن يكون محصياً لأعمال العباد مجازياً عليها"[١٠].

قال يحيى:" يعني: عالمين"[١١].

قال الطبري:" يقول: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين، لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف في الدنا من صالح أو سيئ منا"[١٢].

قال الزجاج:" المعنى: اكتفوا بالله حسيبا"[١٣].

عن السدى قوله: "{وكفى بنا حاسبين}، قال: محصين"[١٤].

قال الخازن:" الغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه"[١٥].

فوائد الآيات:[٤٤-٤٧]:

١- طول العمر والرزق الواسع كثيراً ما يُسبب الغرور لصاحبه.

٢- حب الشيء يعمي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه.

---

(١) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٥٢/١٨.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٦٤):ص٢٤٥٤/٨.
(٤) اخرجه الطبري:٤٥٢/١٨.
(٥) اخرجه الطبري:٤٥٢/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٤٥٢/١٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٢):ص٢٤٥٤/٨.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٣):ص٢٤٥٤/٨.
(٩) انظر: تفسير البغوي:٣٢١/٥-٣٢٢.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٣١٨/١.
(١٢)تفسير الطبري:٤٥٢/١٨ .
(١٣) معاني القرآن:٣٩٤/٣.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٦٤):ص٢٤٥٤/٨.
(١٥) تفسير الخازن:٢٢٧/٣.

٣- بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحمله ويصرخ داعياً يا هلاكاه.
٤- تقرير البعث والحساب والجزاء.

القرآن
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩)} [الأنبياء : ٤٨ - ٤٩]
التفسير:
ولقد آتينا موسى وهارون حجة ونصرًا على عدوهما، وكتابًا - وهو التوراة - فَرَقْنا به بين الحق والباطل، ونورًا يهتدي به المتقون الذين يخافون عقاب ربهم، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة خائفون وجلون.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً} [الأنبياء : ٤٨]، أي:" ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة الفارقة بين الحق والباطل والهدى والضلال نوراً وضياءً"(١).
قال الثعلبي:" الفرقان، يعني: الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة"(٢).
قال الواحدي:" و«ضياء» من صفة التوراة، مثل قوله: {فيها هدى ونور} [المائدة: ٤٤] والمعنى أنهم استضاءوا بها حتى اهتدوا في دينهم"(٣).
وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ} [الأنبياء : ٤٨]، أقوال:
أحدها : التوراة التي فرق فيها بين الحق والباطل ، قاله مجاهد(٤)، وقتادة(٥).
قال قتادة:" الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق والباطل"(٦).
وروي عن مجاهد، قال:" الفرقان: الكتاب "(٧).
الثاني : هو الحق الذي آتاه الله موسى وهارون، فرق بينهما وبين فرعون، قضى بينهم بالحق. قاله ابن زيد(٨).
قال الثعلبي:" دليله قوله {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ} [الأنفال : ٤١]، يعني: يوم بدر، وهذا القول أشبه بظاهر الآية لدخول الواو في «الضياء» والذكر للمتقين، وعلى هذا التأويل تكون الواو مقحمة زائدة كقوله سبحانه وتعالى: {بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ(٦) {وَحِفْظًا} [الصافات : ٦-٧] "(٩).
الثالث : هو النصر والنجاة، فنصر موسى وأشياعه، وأهلك فرعون وأتباعه. قال الكلبي(١٠).
قال الطبري:" وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في «الضياء»، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرّهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء"(١١).

---

(١) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٢) الكشف والبيان:٢٧٧/٦.
(٣) التفسير الوسيط:٢٤١/٣.
(٤) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦٣٩: ١٤: ٣٨):ص١٠١.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٥٣/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٤٥٣/١٨.
(٧) تفسير مجاهد:٤٧٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٥٣/١٨.
(٩) الكشف والبيان:٢٧٨/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٤٥٠/٣.
(١١) تفسير الطبري:٤٥٣/١٨.

قال ابن كثير:" وجامع القول في ذلك:أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام، وعلى ما يحصل نورًا في القلوب، وهداية وخوفًا وإنابة وخشية"[١].

وروي عن ابن عباس في قوله: {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء}، قال: انزعوا هذه «الواو» واجعلوها في : {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه}[٢]"[٣].

قال الزمخشري:" وقرأ ابن عباس: «ضياء»، بغير واو: وهو حال عن الفرقان"[٤].

قوله تعالى:{وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} [الأنبياء : ٤٨]، أي:" وتذكيراً للمؤمنين المتقين"[٥].

قال مقاتل:" {وذكرا}، يعني: وتفكرا للمتقين الشرك"[٦].

قال ابن كثير:" أي : تذكيرًا لهم وعظة"[٧].

قال الواحدي:" معنى: {وذكرا للمتقين}، أنهم يذكرونه ويعلمون بما فيه، ويتعظون بمواعظه"[٨].

قال الزمخشري:" الذكر: الموعظة، أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم. أو الشرف"[٩].

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} [الأنبياء : ٤٩] أي:" الذين يخافون عذاب ربهم وهو غائب عنهم غير مرئى لهم"[١٠].

قال مقاتل:" فأطاعوه ولم يروه"[١١].

قال الواحدي:" أي: في الدنيا، غائبين عن الآخرة وأحكامها"[١٢].

قال السمعاني:" إنما قال: {بالغيب} ؛ لأن المؤمنين يخشونه ولا يرونه، فأما هو يراهم وليسوا بغيب عنه"[١٣].

قوله تعالى:{وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء : ٤٩] أي:" وهم من أهوال يوم القيامة وشدائدها خائفون وجلون"[١٤].

قال مقاتل:" يعنى: من القيامة خائفين"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : خائفون وجلون"[١٦].

قال الواحدي:" أي: من أهوالها وعذابها، مشفقون خائفون"[١٧].

القرآن

{وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٠)} [الأنبياء : ٥٠]

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٥.
(٢)[غافر : ٧].
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٥):ص٢٤٥٤/٨.
(٤) الكشاف:١٢١/٣.
(٥) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٢/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٥.
(٨) التفسير الوسيط:٢٤١/٣.
(٩) الكشاف:١٢١/٣.
(١٠) تفسير المراغي:٤١/١٧.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٢/٣.
(١٢) التفسير الوسيط:٢٤١/٣.
(١٣) تفسير السمعاني:٣٨٥/٣.
(١٤) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٢/٣.
(١٦) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٥.
(١٧) التفسير الوسيط:٢٤١/٣.

التفسير:
وهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ ذِكْرٌ لمن تذكَّر به، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه، كثير الخير، عظيم النفع، أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟

قوله تعالى:{وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} [الأنبياء : ٥٠]، أي:" وهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ ذِكْرٌ لمن تذكَّر به، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه، كثير الخير، عظيم النفع"(١).

قال قتادة:" أي: هذا القرآن"(٢).

قال الزمخشري:" هو القرآن. وبركته: كثرة منافعه، وغزارة خيره"(٣).

قال الطبري:" وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به {مُبَارَكٌ أَنزلْنَاهُ} كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين"(٤).

قال ابن كثير:" يعني: القرآن العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "(٥).

قال القشيري:" وصف القرآن بأنه «مبارك» ، وهو إخبار عن دوامه، من قولهم: برك الطائر على الماء أي دام، وإن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما لا ابتداء له- وهو كلامه القديم- فلا انتهاء للكتاب الدال عليه"(٦).

عن ميمون بن مهران قال: "خصلتان فيهما البركة: القرآن والمطر، وتلا: {وأنزلنا من السماء ماء} ، {وهذا ذكر مبارك}"(٧).

قوله تعالى:{أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [الأنبياء : ٥٠]، أي:" أفأنتم يا معشر العرب منكرون له وهو في غاية الجلاء والظهور؟"(٨).

قال الطبري:" أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون وتقولون هو لأضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون}، وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين، كالذي آتينا موسى وهارون ذكرا للمتقين"(٩).

قال ابن كثير:" أي : أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور ؟"(١٠).

فوائد الآيات:[٤٨-٥٠]:

١- إظهار منة الله تعالى على موسى وقومه ومحمد وأمته بإنزال التوراة على موسى والقرآن على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢ بيان صفات المتقين وهم الذين يخشون ربهم بالغيب فلا يعصونه بترك واجب ولا بفعل محرم: وهم دائماً في اشفاق وخوف من يوم القيامة.

٣- الإشادة بالقرآن الكريم حيث أنزله تعالى مباركاً.

٤- توبيخ وتقريع من يكفر بالقرآن وينكر ما فيه من الهدى والنور.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)} [الأنبياء : ٥١]

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٦.
(٢) اخرجه الطبري:٤٥٤/١٨.
(٣) الكشاف:١٢١/٣.
(٤) تفسير الطبري:٤٥٤/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٥.
(٦) لطائف الإشارات:٥٠٦/٢.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٧):ص٢٤٥٤/٨.
(٨) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.
(٩) تفسير الطبري:٤٥٤/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٥.

التفسير:
ولقد آتينا إبراهيم هداه، الذي دعا الناس إليه من قبل موسى وهارون، وكنَّا عالمين أنه أهل لذلك.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ} [الأنبياء : ٥١]، أي:" ولقد آتينا إبراهيم هداه، الذي دعا الناس إليه من قبل موسى وهارون"(١).
عن مجاهد: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ}، قال:" هديناه صغيرا"(٢).
قال قتادة:" يقول: آتينا هداه"(٣).
قال مقاتل:" يقول: ولقد أعطينا إبراهيم هداه فى السرب وهو صغير"(٤).
قال الفراء:أي:" هداه، إذ كان في السرب حتى بلغه الله ما بلغه"(٥).
قال ابن قتيبة: {من قبل}، " أي: وهو غلام"(٦).
قال الزجاج:" أي: آتيناه هداه حدثا، وهو مثل قوله: {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها}"(٧).
وحكي السمعاني، قوله:"{من قبل}، أي: من قبل موسى وهارون"(٨).
قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن خليله إبراهيم ، عليه السلام ، أنه آتاه رشده من قبل ، أي : من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه ، كما قال تعالى : { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ } [الأنعام : ٨٣] ، وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب ، وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام ، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات ، فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم - فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وفقًا ، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها ، وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة. والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ، لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة.
والمقصود هاهنا : أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده ، من قبل ، أي : من قبل ذلك"(٩).
قوله تعالى:{وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} [الأنبياء : ٥١]، أي:" وكنَّا عالمين أنه أهل لذلك"(١٠).
قال مقاتل:" وكنا بإبراهيم عالمين بطاعته لنا"(١١).
قال السمعاني:" أي: عارفين"(١٢).
قال ابن كثير:" أي : وكان أهلا لذلك"(١٣).
قال الطبري:" يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئا"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٦.
(٢) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٣/٣.
(٥) معاني القرآن:٢٠٦/٢.
(٦) غريب القرآن:٢٨٦.
(٧) معاني القرآن:٣٩٥/٣.
(٨) تفسير السمعاتي:٣٨٥/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٥-٣٤٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٦.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٣/٣.
(١٢) تفسير السمعاتي:٣٨٥/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير:٣٤٨/٥.

القرآن

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)} [الأنبياء : ٥٢]

التفسير:

حين قال لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم أقمتم على عبادتها ملازمين لها؟

قال الطبري:" قال لهم: أيّ شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها"(٢).

قال ابن كثير:" هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره ، الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله، عز وجل، فقال : { مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } أي : معتكفون على عبادتها"(٣).

عن مجاهد، قوله :"{مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ}، قال: الأصنام"(٤).

عن قتادة، قوله: "{التي أنتم لها عاكفون}، قال: عابدون"(٥).

عن الأصبغ بن نباته ، قال : "مر عليّ ، على قوم يلعبون بالشطرنج ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها"(٦).

القرآن

{قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣)} [الأنبياء : ٥٣]

التفسير:

قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها، ونحن نعبدها اقتداء بهم.

قال الطبري:" قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون"(٧).

قال السمعاني:" معناه: وجدناهم كذلك فاتبعناهم"(٨).

قال الواحدي:" فاقتدينا بهم"(٩).

قال ابن كثير:" لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال"(١٠).

عن قتادة، قوله: "{ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدي}، أي: على دين، وإنا متبعوهم على ذلك"(١١).

قال الزمخشري:" ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادّون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم"(١٢).

القرآن

{قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤)} [الأنبياء : ٥٤]

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٤٥٥.
(٢) تفسير الطبري:١٨/٤٥٥.
(٣) تفسير ابن كثير:٥/٣٤٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٤٥٥.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٩):ص٨/٢٤٥٥.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥/٣٤٨.
(٧) تفسير الطبري:١٨/٤٥٦.
(٨) تفسير السمعاني:٣/٣٨٦.
(٩) الوجيز:٧١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٥/٣٤٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٩):ص٨/٢٤٥٥.
(١٢) الكشاف:٣/١٢١-١٢٢.

التفسير:
قال لهم إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في عبادتكم لهذه الأصنام في بُعْد واضح بيّن عن الحق.
قال البغوي:أي: في" خطأ بين بعبادتكم إياها"[١].
قال السمعاني:" أي: في خطأ بين، و«البين»: الواضح، و«المبين»: الموضح"[٢].
قال ابن كثير:"الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم ، فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم"[٣].

القرآن
{قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥)} [الأنبياء : ٥٥]
التفسير:
قالوا: أهذا القول الذي جئتنا به حق وَجِدٌّ، أم كلامك لنا كلام لاعبٍ مستهزئ لا يدري ما يقول؟
قال ابن كثير:" فلما سفه أحلامهم ، وضلل آباءهم ، واحتقر آلهتهم {قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ} يقولون: هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبًا أو محقًّا فيه ؟ فإنا لم نسمع به قبلك "[٤].
قال الزمخشري:" بقوا متعجبين من تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة، لا على طريق الجدّ، فقالوا له: هذا الذي جئتنا به، أهو جدّ وحق، أم لعب وهزل؟"[٥].

القرآن
{قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)} [الأنبياء : ٥٦]
التفسير:
قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السموات والأرض الذي خلقهنَّ، وأنا من الشاهدين على ذلك.
قوله تعالى:{قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ} [الأنبياء : ٥٦]، أي:" قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السموات والأرض الذي خلقهنَّ"[٦].
قال الطبري:" قال إبراهيم لهم: بل جئتكم بالحق لا اللعب، ربكم ربّ السماوات والأرض الذي خلقهن"[٧].
قال ابن كثير:" أي : ربكم الذي لا إله غيره ، هو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن ، وهو الخالق لجميع الأشياء"[٨].
قوله تعالى:{وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [الأنبياء : ٥٦]، أي:" وأنا من الشاهدين على ذلك"[٩].
قال ابن كثير:" أي : وأنا أشهد أنه لا إله غيره ، ولا رب سواه "[١].

---

(١) تفسير البغوي:٣٢٣/٥.
(٢) تفسير السمعاني:٣٨٦/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٤٨/٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٤٨/٥.
(٥) الكشاف:١٢٢/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٦.
(٧) تفسير الطبري:٤٥٦/١٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٤٨/٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٦.

قال أبو الليث:" بأن الذي خلق السموات والأرض هو ربكم"[٢].
قال الطبري:" وأنا على ذلكم من أن ربكم هو ربّ السماوات والأرض الذي فطرهنّ، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كلّ أحد سواه شاهد من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضرّ ولا تنفع"[٣].

القرآن

{وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧)} [الأنبياء : ٥٧]

التفسير:

وتالله لأمكرنَّ بأصنامكم وأكسِّرها بعد أن تتولَّوا عنها ذاهبين.

قال أبو الليث:" أي: قال إبراهيم عليه السلام: والله لأكسرن أصنامكم. بعد أن تولوا مدبرين، يعني: بعد أن تنطلقوا ذاهبين إلى عيدكم"[٤].

قال ابن كثير:" أقسم الخليل قسمًا أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم ، أي : ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين، أي : إلى عيدهم. وكان لهم عيد يخرجون إليه"[٥].

قال القرطبي:" أخبر أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل كسر أصنامهم فعل واثق بالله تعالى، موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين"[٦].

عن مجاهد، قوله :"{وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ}، قال: [هذا][٧] قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم فأبى وقال: إني سقيم، فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر، وهو الذي يقول {سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}"[٨].

عن قتادة، قوله: "{وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ}، قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولَّوا مدبرين"[٩].

قال الشافعي:" «تالله»: يمين، ولو قال بالله، أو تالله، فهي يمين، نوى أو لم ينو"[١٠].

القرآن

{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)} [الأنبياء : ٥٨]

التفسير:

فحطم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة، وترك كبيرها؛ كي يرجع القوم إليه ويسألوه، فيتبين عجزهم وضلالهم، وتقوم الحجة عليهم.

قوله تعالى:{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا} [الأنبياء : ٥٨]، أي:" فحطم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة"[١١].

عن ابن عباس، قوله :"{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا}، يقول: حُطاما"[١٢].

عن ابن عباس، قوله: { جُذَاذًا}، قال: فتاتا"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٤٨/٥.
(٢) بحر العلوم:٤٢٩/٢.
(٣) تفسير الطبري:٤٥٦/١٨.
(٤) بحر العلوم:٤٢٩/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٤٨/٥.
(٦) تفسير القرطبي:٢٩٧/١١.
(٧) زيادة في تفسير مجاهد:٤٧٢.
(٨) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٨.
(١٠) تفسير الإمام الشافعي:١٠٧٣/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٢٧.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٨.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٧٤):ص٢٤٥٥/٨.

عن مجاهد: "{جُذَاذًا}، كالصَّريم"[١]
عن قَتادة، قوله :"{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا}، أي: قطعا"[٢].
قال ابن قتيبة: { جُذَاذًا}،" أي: فتاتا. وكل شيء كسرته: فقد جذذته. ومنه قيل للسويق: جذيذ"[٣].
قوله تعالى:{إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ} [الأنبياء : ٥٨]، أي:" إلا الصنم الكبير فإنه لم يكسره"[٤].
قال ابن عباس:"إلا عظيما لهم، عظيم آلهته"[٥].
قال مجاهد:" جعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مُسْندة إلى صدر كبيرهم الذي تَرَك"[٦].
قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} [الأنبياء : ٥٨]، أي:" لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه عمن كسَّر الأصنام فيتبين لهم عجزه وتقون الحجة عليهم"[٧].
عن قتادة:" {لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ}، قال: كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون"[٨].
قال ابن كثير:" ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم ، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غَارَ لنفسه ، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار ، فكسرها"[٩].
عن السديّ :"أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيدا لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعْفَى الناس {وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ}، فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاما، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام {قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} فلما لم تجبه، قال {مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}، فأخذ فأس حديد، فنقر كلّ صنم في حافتيه، ثم علَّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}"[١٠].
فوائد الآيات:[٥١-٥٨]:
١- مظاهر إنعام الله وإكرامه لمن أصطفى من عباده.
٢- تقرير النبوة والتوحيد، والتنديد بالشرك والمشركين.
٣- ذم التقليد وأنه ليس بدليل ولا برهان للمقلد على ما يعتقد أو يفعل.
٤- مشروعية الشهادة وفضلها في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها.
٥- تغيير المنكر باليد لمن قدر عليه مقدم على تغييره باللسان والجمع بينهما أفضل.

القرآن

(١) أخرجه الطبري:٤٥٨/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٤٥٨/١٨.
(٣) غريب القرآن:٢٨٦.
(٤) صفوة التفاسير:٢٤٤/٢.
(٥) أخرجه الطبري:٤٥٩/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٤٥٩/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٤٤/٢.
(٨) أخرجه الطبري:٤٥٩/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٤٩/٥.
(١٠) أخرجه الطبري:٤٥٨/١٨.

{قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩)} [الأنبياء : ٥٩]

التفسير:

ورجع القوم، ورأوا أصنامهم محطمة مهانة، فسأل بعضهم بعضًا: مَن فعل هذا بآلهتنا؟ إنه لظالم في اجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير.

قال الطبري:" قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذّت، إلا الذي ربط به الفأسَ إبراهيم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إن الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله"(١).

قال ابن كثير:" أي : حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها ، وعلى سخافة عقول عابديها { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } أي : في صنيعه هذا"(٢).

القرآن

{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)} [الأنبياء : ٦٠]

التفسير:

قال مَن سمع إبراهيم يحلف بأنه سيكيد أصنامهم: سمعنا فتى يذكر الأصنام بسوء يقال له إبراهيم.

قال الفراء:" يذكرهم بالعيب والشتم وبما قال من الكيد"(٣).

قال الطبري:" سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : قال من سمعه يحلف أنه ليكيدنهم:{سَمِعْنَا فَتًى}، أي: شابًا{ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }"(٥).

قال ابن جريج:" {يَذْكُرُهُمْ}: يعيبهم"(٦).

قال ابن إسحاق:" سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها، لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره، وهو الذي نظن صنع هذا بها"(٧).

القرآن

{قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١)} [الأنبياء : ٦١]

التفسير:

قال رؤساؤهم: فَأْتوا بإبراهيم على مرأى من الناس؛ كي يشهدوا على اعترافه بما قال؛ ليكون ذلك حجة عليه.

قوله تعالى:{قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ} [الأنبياء : ٦١]، أي:" قال رؤساؤهم: فَأْتوا بإبراهيم على مرأى من الناس"(٨).

قال الطبري:" قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس "(٩).

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} [الأنبياء : ٦١]، أي:" كي يشهدوا على اعترافه بما قال؛ ليكون ذلك حجة عليه"(١).

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٤٥٩-٤٦٠.
(٢) تفسير ابن كثير:٥/٣٤٩.
(٣) معاني القرآن:٢/٢٠٦.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٤٦٠.
(٥) تفسير ابن كثير:٥/٣٤٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٠.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٠.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٩) تفسير الطبري:١٨/٤٦٠.

وفي قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} [الأنبياء : ٦١]، وجوه:
أحدها: معناهيشهدون عليه بما فعل ، لأنهم كرهوا أن يعاقبوه بغير بينة. وهذا قول الحسن[٢]، وقتادة[٣]، والسدي[٤].
قال قتادة:" كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة"[٥].
الثاني: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمد بن إسحاق[٦].
الثالث: يشهدون بما يقول من حجة ، وما يقال له من جواب ، قاله ابن كامل[٧].

القرآن
{قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢)} [الأنبياء : ٦٢]
التفسير:
وجيء بإبراهيم وسألوه منكرين: أأنت الذي كسَّرْتَ آلهتنا؟ يعنون أصنامهم.
قال مقاتل:" قال نمروذ: أنت كسرتها"[٨].
قال الطبري:" فأتوا بإبراهيم، فلما أتوا به قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟"[٩].
قال السمعاني:" طلبوا منه الإقرار والاعتراف بما فعل"[١٠].

القرآن
{قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣)} [الأنبياء : ٦٣]
التفسير:
وتمَّ لإبراهيم ما أراد من إظهار سفههم على مرأى منهم. فقال محتجًا عليهم معرِّضًا بغباوتهم: بل الذي كسَّرها هذا الصنم الكبير، فاسألوا آلهتكم المزعومة عن ذلك، إن كانت تتكلم أو ترد جوابًا.
قوله تعالى:{قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} [الأنبياء : ٦٣]، أي:" قال إبراهيم بل حطَّمها الصنم الكبير"[١١].
قال الطبري:" فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم"[١٢].
قال الواحدي:" أسند فعله إلى كبير الأصنام، إقامة للحجة عليهم، قال: غضب من أن يعبدوا معه الصغار فكسرهن"[١٣].
قال ابن كثير:" وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم ، فيعترفوا أنهم لا ينطقون ، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم ، لأنه جماد"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٢) انظر: النكت والعيون:٤٥١/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٦٠/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٦٠/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٤٦٠/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٦٠/١٨-٤٦١.
(٧) انظر: النكت والعيون:٤٥١/٣.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٥/٣.
(٩) تفسير الطبري:٤٦١/١٨.
(١٠) تفسير السمعاني:٣٨٨/٣.
(١١) صفوة التفاسير:٢٤٤/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٤٦١/١٨.
(١٣) التفسير الوسيط:٢٤٢/٣.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٤٩/٥.

قال ابن إسحاق:" أُتِي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ}، غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها، فكسرهن"(١).

عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: « إن إبراهيم ، عليه السلام ، لم يكذب غير ثلاث : ثنتين في ذات الله، قوله : { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا } وقوله { إِنِّي سَقِيمٌ } قال : "وبينا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة ، إذ نزل منزلا فأتى الجبار رجل ، فقال : إنه قد نزل بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس ، فأرسل إليه فجاء ، فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هي أختي. قال : فاذهب فأرسل بها إليّ ، فانطلق إلى سارة فقال : إن هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده ، فإنك أختي في كتاب الله ، وأنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي. فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها ، فتناولها ، فأخذ أخذًا شديدًا ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ، فأهوى إليها ، فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد. ففعل ذلك الثالثة فأخذ ، فذكر مثل المرتين الأوليين، فقال ادعي الله فلا أضرك. فدعت ، له فأرسل ، ثم دعا أدنى حجابه ، فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، وإنما أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، قال: مَهْيَم ؟ قالت : كفى الله كيد الكافر الفاجر ، وأخدمني هاجر". قال محمد بن سيرين وكان: أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : فتلك أمكم يا بني ماء السماء"(٢).

قوله تعالى:{فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} [الأنبياء : ٦٣]، أي:" اسألوا هذه الأصنام من كسرها؟ إن كانوا يقدرون على النطق"(٣).

قال مقاتل:" يقول سلوا الأصنام المجذوذة من قطعها؟ إن قدروا على الكلام"(٤).

قال الطبري:" فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها"(٥).

القرآن

{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤)} [الأنبياء : ٦٤]

التفسير:

فأُسقِط في أيديهم، وبدا لهم ضلالهم؛ كيف يعبدونها، وهي عاجزة عن أن تدفع عن نفسها شيئًا أو أن تجيب سائلها؟ وأقرُّوا على أنفسهم بالظلم والشرك.

قوله تعالى:{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ} [الأنبياء : ٦٤]، أي:" رجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم"(٦).

قال الطبري:" رجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض"(٧).

قال ابن كثير:" أي : بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم"(٨).

عن ابن جُرَيج :"{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ}، قال: نظر بعضهم إلى بعض"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:٤٦١/١٨.

(٢)رواه أبو داود في السنن برقم (٢٢١٢) من طريق عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان. ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٨٣٧٤) من طريق أبي أسامة عن هشام بن حسان. وهو في الصحيحين من طريق أيوب عن محمد بن سيرين ؛ صحيح البخاري برقم (٥٠٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧١)، وأخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٧٥):ص٢٤٥٦/٨. ملخصا.

(٣) صفوة التفاسير:٢٤٤/٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٥/٣.

(٥) تفسير الطبري:٤٦١/١٨.

(٦) صفوة التفاسير:٢٤٥/٢.

(٧) تفسير الطبري:٤٦٢/١٨.

(٨) تفسير ابن كثير:٣٥٠/٥.

قال ابن إسحاق:" أرعوَوْا ورجعوا عنه- يعني: عن إبراهيم-، فيما ادّعوا عليه من كسرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم"[٢].

قوله تعالى:{فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ} [الأنبياء : ٦٤]، أي:"فقالوا:" أنتم الظالمون في عبادة ما لا ينطق"[٣].

قال ابن كثير:أي: "في تركككم لها مهملة لا حافظ عندها"[٤].

قال الطبري:" فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم، وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها"[٥].

قال ابن إسحاق:" فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال"[٦].

القرآن

{ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥)} [الأنبياء : ٦٥]

التفسير:

وسُرعان ما عاد إليهم عنادهم بعد إفحامهم، فانقلبوا إلى الباطل، واحتجُّوا على إبراهيم بما هو حجة له عليهم، فقالوا: كيف نسألها، وقد علمتَ أنها لا تنطق؟

قوله تعالى:{ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ} [الأنبياء : ٦٥]، أي:"ثم أنقلبوا من الإذعان إلى المكابرة والطغيان"[٧].

قال ابن كثير:" أي : ثم أطرقوا في الأرض"[٨].

قال الطبري:" ثم غُلبوا في الحجة، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم"[٩].

قال السعدي:" أي: انقلب الأمر عليهم، وانتكست عقولهم وضلت أحلامهم"[١٠].

عن قتادة، قوله: {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ}، قال:" أدركت الناس حَيرة سَوْء"[١١].

قال السدي:"نكسوا في الفتنة على رءوسهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون"[١٢].

وقال ابن زيد : "أي: في الرأي"[١٣].

قال ابن كثير:" وقول قتادة أظهر في المعنى؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا ؛ ولهذا قالوا له : { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ}"[١٤].

قال السمعاني:" قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى حقا على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: {ثم نكسوا على رءوسهم} ومعناه: رجعوا إلى شركهم، ويقال: نكس المريض إذا رجع إلى حاله الأول، وقيل: نكسوا على رءوسهم أي: رجعوا، ومعناه: إلى الاحتجاج عن الأصنام"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري:٤٦٢/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٤٦٢/١٨.
(٣) صفوة التفاسير:٢٤٥/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٥٠/٥.
(٥) تفسير الطبري:٤٦٢/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٤٦٢/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٤٥/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٥٠/٥.
(٩) تفسير الطبري:٤٦٢/١٨.
(١٠) تفسير السعدي:٥٢٦.
(١١) أخرجه الطبري:٤٦٣/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٦٣/١٨.
(١٣) حكاه عنه ابن كثير في التفسير:٣٥٠/٥.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٥٠/٥.
(١٥) تفسير السمعاني:٣٨٩/٣.

قوله تعالى:{لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ} [الأنبياء : ٦٥]، أي:" قالوا في لجاجهم وعنادهم: لقد علمتَ يا إبراهيم أن هذه الأصنام لا تتكلم ولا تجيب فكيف تأمرنا بسؤالها؟"(١).

قال الطبري:" فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون"(٢).

قال السمعاني:" معناه: فكيف نسألهم؟"(٣).

قال ابن كثير:" فكيف تقول لنا : سلوهم إن كانوا ينطقون ، وأنت تعلم أنها لا تنطق"(٤).

قال السعدي: أي: "فكيف تهكم بنا وتستهزئ بنا وتأمرنا أن نسألها وأنت تعلم أنها لا تنطق؟"(٥).

قال ابن إسحاق:" ثم قالوا: -يعني قوم إبراهيم- وعرفوا أنها، -يعني: آلهتهم- لا تضرّ ولا تنفع ولا تبطش: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ}، أي: لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها، وما تبطش بالأيدي فنصدّقك، يقول الله {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ}، في الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ}"(٦).

فوائد الآيات:[٥٩-٦٥]:

١- الظلم معروف لدى البشر كلهم ومنكر بينهم ولولا ظلمة النفوس لما أقروه بينهم.

٢- إقامة البينة على الدعاوي أمر مقرر في عرف الناس وجاءت به الشرائع من قبل.

٣- أسلوب المحاكمة يعتمد على الاستنطاق والاستجواب أولا.

٤- مشروعية التورية خشية القول بالكذب.

القرآن

{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)} [الأنبياء : ٦٦ - ٦٧]

التفسير:

قال إبراهيم محقِّرًا لشأن الأصنام: كيف تعبدون أصنامًا لا تنفع إذا عُبدت، ولا تضرُّ إذا تُركت؟ قبحًا لكم ولآلهتكم التي تعبدونها من دون الله تعالى، أفلا تعقلون فتدركون سوء ما أنتم عليه؟

قوله تعالى:{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ} [الأنبياء : ٦٦]، أي:" قال إبراهيم محقِّرًا لشأن الأصنام: كيف تعبدون أصنامًا لا تنفع إذا عُبدت، ولا تضرُّ إذا تُركت؟"(٧).

قال الطبري:" قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا"(٨).

قال البغوي: يقول:" {ما لا ينفعكم شيئا} إن عبدتموه، {ولا يضركم} إن تركتم عبادته"(٩).

قال ابن إسحاق:" يقول يرحمه الله: ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضرّ الذي أصابهم، وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم، فكيف ينفعونكم أو يضرّون"(١).

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٤٥.
(٢) تفسير الطبري:١٨/٤٦٢.
(٣) تفسير السمعاني:٣/٣٨٩.
(٤) تفسير ابن كثير:٥/٣٥٠.
(٥) تفسير السعدي:٥٢٦.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٢.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٤٦٤.
(٩) تفسير البغوي:٥/٣٢٦.

قوله تعالى:{أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأنبياء : ٦٧]، أي:" قبحًا لكم ولآلهتكم التي تعبدونها من دون الله تعالى"[٢].

قال الطبري:" يقول: قُبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله"[٣].

قال السعدي:" أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسكم، أنتم وما عبدتم من دون الله"[٤].

قوله تعالى:{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء : ٦٧]، أي:" أفلا تعقلون فتدركون سوء ما أنتم عليه؟"[٥].

قال البغوي:" أي: أليس لكم عقل تعرفون هذا"[٦].

قال الطبري:" أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضر"[٧].

قال السعدي:" إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عدمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم، أحسن حالا منكم"[٨].

القرآن

{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)} [الأنبياء : ٦٨ - ٦٩]

التفسير:

لما بطلت حجتهم وظهر الحق عدلوا إلى استعمال سلطانهم، وقالوا: حَرِّقوا إبراهيم بالنار؛ غضبًا لآلهتكم إن كنتم ناصرين لها. فأشْعَلوا نارًا عظيمة وألقوه فيها، فانتصر الله لرسوله وقال للنار: كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، فلم يَنَلْه فيها أذى، ولم يصبه مكروه.

قوله تعالى:{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ} [الأنبياء : ٦٨]، أي:" فقالوا: احرقوا إبراهيم بالنار انتقاماً لآلهتكم ونصرةً لها"[٩].

قال الطبري:" قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار"[١٠].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [الأنبياء : ٦٨]، أي:" إن كنتم ناصري آلهتكم حقاً"[١١].

قال الطبري:" يقول: إن كنتم ناصريها، ولم تريدوا ترك عبادتها، قيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس"[١٢].

عن مجاهد، قوله: "{حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آ}، قال: قالها رجل من أعراب فارس، يعني: الأكراد"[١٣].

قال مجاهد:" تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر، فقال: أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت لا قال: رجل من أعراب فارس. قلت: يا أبا عبد

---

(١) أخرجه الطبري:٤٦٤/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٣) تفسير الطبري:٤٦٤/١٨.
(٤) تفسير السعدي:٥٢٦.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٦) تفسير البغوي:٣٢٦/٥.
(٧) تفسير الطبري:٤٦٤/١٨.
(٨) تفسير السعدي:٥٢٦.
(٩) صفوة التفاسير:٢٤٥/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٤٦٤/١٨.
(١١) صفوة التفاسير:٢٤٥/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٤٦٤/١٨.
(١٣) اخرجه الطبري:٤٦٤/١٨.

الرحمن، أو هل للفرس أعراب؟ قال: نعم الكرد هم أعراب فارس، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار"[١].

قال شعيب الجبئي: "إن الذي قال حرّقوه "هيزن" فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة"[٢].

قال ابن إسحاق:" أجمع نمرود وقومه في إبراهيم فقالوا :{حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}، أي: لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصريها"[٣].

قوله تعالى:{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء : ٦٩]، أي:" وقال للنار: كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم"[٤].

قال الطبري: في الكلام محذوف، تقديره:" فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم"[٥].

قال السدي:" فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطبا، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنّ حطبا لإبراهيم، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم ﷺ رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فقذفوه في النار، فناداها فقال: {يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، فكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها"[٦].

قال علي-رضي الله عنه-:"بردت عليه حتى كادت تقتله، حتى قيل: وسلاما، قال: لا تضرّيه"[٧].

عن أبي العالية، في قوله :"{قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، قال: السلام لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال: وسلاما لكان البرد أشدّ عليه من الحرّ"[٨].

عن ابن جُرَيج، قوله :"{بَرْدًا}، قال: بردت عليه، {وَسَلَاما}، لا تؤذيه"[٩].

قال ابن عباس:"لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، ظنت أنها هي تعنى، فلما طُفئت النار نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظلّ، وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه"[١٠].

عن قتادة، قوله :"{قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، قال: ذُكر لنا أن كعبا كان يقول: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وكان كعب يقول: ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه"[١١].

قال قتادة: "لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ"[١٢].

---

(١) اخرجه الطبري:١٨/٤٦٥.
(٢) اخرجه الطبري:١٨/٤٦٥.
(٣) اخرجه الطبري:١٨/٤٦٥.
(٤) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٥) تفسير الطبري:١٨/٤٦٥.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٥.
(٧)أخرجه الطبري:١٨/٤٦٦ .
(٨) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٧.
(٩) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٧.
(١٠)أخرجه الطبري:١٨/٤٦٦ .
(١١)أخرجه الطبري:١٨/٤٦٦ .
(١٢) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٧.

قال الزهري: "أمر النبي ﷺ بقتله، وسماه فُوَيسقا"[١].

عن الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت : دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحا. فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت : نقتل به هذه الأوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن إبراهيم حين ألقي في النار ، لم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار ، غير الوَزَغ ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم" ، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله"[٢].

قال سعيد: لمَّا ألقي إبراهيم خليل الله ﷺ في النار، قال الملك خازن المطر: رب خليلك إبراهيم، رجا أن يؤذن له فيرسل المطر، قال: فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال: {قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، فلم يبق في الأرض نار إلا طُفئت"[٣].

قال أبو هريرة-رضي الله عنه-:" إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجده يرشح جبينه، فقال عند ذلك: نعم الربّ ربك يا إبراهيم"[٤].

قال المنهال بن عمرو: "قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قطّ أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار"[٥].

قال شعيب الجَبَسِي: "ألقي إبراهيم في النار وهو ابن ستّ عشرة سنة، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين، وولدته سارة وهي ابنة تسعين سنة، وكان مذبحه من بيت إيلياء على ميلين، ولما علمت سارة بما أراد بإسحاق بُطِنت يومين، وماتت اليوم الثالث، قال ابن جُرَيج: قال كعب الأحبار: ما أحرقت النار من إبراهيم شيئا غير وثاقه الذي أوثقوه به"[٦].

عن معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض أصحابه قال: "جاء جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمَّط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا"[٧].

عن أرقم: "أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك ربّ العالمين، لك الحمد، ولك الملك لا شريك لك"[٨].

القرآن

{وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)} [الأنبياء : ٧٠]

التفسير:

وأراد القوم بإبراهيم الهلاك فأبطل الله كيدهم، وجعلهم المغلوبين الأسفلين.

قال الطبري:" وأرادوا بإبراهيم كيدا {فَجَعَلْنَاهُمُ} الهالكين"[٩].

قال ابن كثير:" أي : المغلوبين الأسفلين ؛ لأنهم أرادوا بنبي الله كيدا ، فكادهم الله ونجاه من النار ، فغلبوا هنالك"[١٠].

قال السعدي:" حيث عزموا على إحراقه، {فجعلناهم الأخسرين} أي: في الدنيا والآخرة، كما جعل الله خليله وأتباعه، هم الرابحين المفلحين"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٥٢/٥، ورواه أحمد في المسند (٨٣/٦ ، ١٠٩) وابن ماجه في السنن برقم (٣٢٣١) من طريق نافع عن سائبة مولاة الفاكه به.

(٣)أخرجه الطبري:٤٦٦/١٨ .

(٤) أخرجه الطبري:٤٦٦/١٨-٤٦٧.

(٥)أخرجه الطبري:٤٦٦/١٨ . وفي رواية ابن أبي حاتم:" عن المِنْهَال بن عمرو قال : أخبرت أن إبراهيم ألقي في النار ، فقال : كان فيها إما خمسين وإما أربعين ، قال : ما كنت أيامًا ولياليّ قط أطيب عيشًا إذ كنت فيها ، وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها". [انظر: تفسير ابن كثير:٣٥٢/٥].

(٦) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.

(٧) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.

(٨) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.

(٩) تفسير الطبري:٤٦٧/١٨.

(١٠) تفسير ابن كثير:٣٥٣/٥.

(١١) تفسير السعدي:٥٢٦.

قال عطية العوفي : "لما ألقِيَ إبراهيم في النار، جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه ، فأحرقته مثل الصوفة"[١].

قال ابن جريج:" ألقوا شيخا منهم في النار لأن يصيبوا نجاته، كما نجي إبراهيم ﷺ، فاحترق"[٢].

القرآن

{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)} [الأنبياء : ٧١]

التفسير:

ونجينا إبراهيم ولوطًا الذي آمن به من «العراق» ، وأخرجناهما إلى أرض «الشام» التي باركنا فيها بكثرة الخيرات، وفيها أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الطبري:يقول: " ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق [إلى] أرض الشأم، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشأم، وهذه القصة التي قص، الله من نبأ إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد ﷺ من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشأم، مسلٍّ بذلك نبيه محمدا ﷺ عما يلقى من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبراهيم من كفرة قومه"[٣].

وفي قوله تعالى:{إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : ٧١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : من أرض العراق إلى أرض الشام قاله أبيّ بن كعب، والحسن[٤]، وقتادة[٥]، وابن جريج[٦]، وابن زيد[٧].

قال السدي:" انطلق إبراهيم ولوط قبل الشأم، فلقي إبراهيم سارة، وهي بنت ملك حران، وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها على أن لا يغيرها"[٨].

قال ابن كثير:" رواه ابن جرير ، وهو غريب، والمشهور أنها ابنة عمه ، وأنه خرج بها مهاجرًا من بلاده"[٩].

الثاني : إلى أرض بيت المقدس ، قاله أبو العوام[١٠].

الثالث : إلى مكة، قاله ابن عباس[١١].

قال ابن عباس:" يعني مكة ونزول إسماعيل البيت. ألا ترى أنه يقول: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين}"[١٢].

قال الطبري:" لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٥٣/٥.
(٢) اخرجه الطبري:٤٦٨/١٨.
(٣) تفسير الطبري:٤٦٨/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٦٨/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٦٩/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٧٠/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٧٠/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٤٦٩/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٥٣/٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٤٥٤/٣.
(١١) انظر:تفسير الطبري:٤٧٠/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٧٠/١٨.

ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"[١].

وفي بركتها ثلاثة أقوال[٢]:

أحدها : أن منها بعث الله أكثر الأنبياء .

الثاني : لكثرة خصبها ونمو نباتها .

الثالث : عذوبة مائها وتفرقه في الأرض منها .

قال أبو العالية :" ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرّق في الأرض"[٣].

قال كعب الأحبار :"والذي نفسي بيده إن العين التي بدارين لتخرج من تحت هذه الصخرة ، يعني: عيناً في البحر"[٤].

قال ابن إسحاق: "خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجرا، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حرّان، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برّية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب من ذلك، فبعثه الله نبيا ﷺ"[٥].

عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: " إنى رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادى فاتبعته بصرى فإذا هو نور ساطع فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام"[٦].

عن ابن حوالة: أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «سيصير الأمر إلى أن يكون جنود مجندة: جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق» ، فقال ابن حوالة: خر لى يا رسول الله إن أدركت ذاك. قال: «عليك بالشام، فإنه خيرة الله فى أرضه يدتبى إليه خيرته، من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم فإن الله قد تكفل لى بالشام وأهله»[٧].

عن قتادة وغيره: "أن عمر بن الخطاب قال لكعب ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله - ﷺ - وقبره فقال كعب يا أمير المؤمنين إنى وجدت فى كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه فيها كنز من عباده"[٨].

القرآن

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)} [الأنبياء : ٧٢]

التفسير:

وأنعم الله على إبراهيم، فوهب له ابنه إسحاق حين دعاه، ووهب له من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك، وكلٌّ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحًا مطيعًا له.

قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً} [الأنبياء : ٧٢]، أي:" أعطينا إبراهيم - بعدما سأل ربه الولد - إسحاق وأعطيناه كذلك يعقوب نافلةً أي زيادة وفضلاً من غير سؤال"[٩].

قال الطبري:يقول:" ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده، نافلة لك"[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٤٧٠.

(٢) انظر: النكت والعيون:٣/٤٥٤.

(٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٠.

(٤) انظر: النكت والعيون:٣/٤٥٤.

(٥) اخرجه الطبري:١٨/٤٦٩-٤٧٠.

(٦)أخرجه الطبرانى (٨/١٧٠، رقم ٧٧١٤) ، والحاكم (٤/٥٥٥، رقم ٨٥٥٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وابن عساكر (١/١٠٢) قال الهيثمى (١٠/٥٨) : رواه الطبرانى فى الكبير، والأوسط بأسانيد، وفى أحدها ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وقد توبع على هذا، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٧)المسند: ٤/١١٠، و أخرجه أبو داود فى الجهاد (باب فى سكنى الشام) : سنن أبى داود: ٣/٤.

(٨)أخرجه ابن عساكر :١/١٢١.

(٩) صفوة التفاسير:٢/٢٤٥.

وفي معنى «النافلة»، ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها بمعنى: الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكأنه سأل واحدا، فأعطي اثنين، وهذا مذهب ابن عباس[٢]، وقتادة[٣]، وابن زيد[٤]، والفراء[٥].
قال ابن عباس:" يقول: ووهبنا له إسحاق ولدا، ويعقوب ابن ابن نافلة"[٦].
قال ابن زيد:" سأل واحدا فقال :{رب هب لي من الصالحين}، فأعطاه واحدا، وزاده يعقوب، ويعقوب ولد ولده"[٧].
قال الفراء:" «النافلة»: ليعقوب خاصة، لأنه ولد الولد، كذلك بلغني"[٨].
قال ابن قتيبة:" دعا بإسحاق فاستجيب له، وزيد يعقوب نافلة. كأنه تطوع من الله وتفضل بلا دعاء، وإن كان كل بفضله"[٩].
قال الراغب:" هو ولد الولد، ويقال: نفلته كذا. أي: أعطيته نفلا، ونفله السلطان: أعطاه سلب قتيله نفلا. أي: تفضلا وتبرعا، والنوفل: الكثير العطاء، وانتفلت من كذا: انتقيت منه"[١٠].
الثاني: أن «النافلة» بمعنى: العطية، والمراد بها: إسحاق ويعقوب، وهذا مذهب مجاهد[١١]، وعطاء[١٢].
الثالث: أن «النافلة» بمعنى: غنيمة، قاله أبو عبيدة[١٣]، وأنشد قول لبيد بن ربيعة[١٤]:
لله نافلة الأعزّ الأفضل
قال الطبري:" «النافلة»: الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم، وهبة منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله له لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة"[١٥].
قوله تعالى:{وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ} [الأنبياء : ٧٢]، أي:" وكلاً من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلناه من أهل الخير والصلاح"[١٦].
قال ابن كثير:" أي : الجميع أهل خير وصلاح"[١٧].
فوائد الآيات:[٦٦-٧٢]:
١- بيان قوة حجة إبراهيم عليه السلام، ومتانة أسلوبه في دعوته٢ وذلك مما آتاه ربّه.
٢- مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم.

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.
(٥) انظر: معاني القرآن:٢/٢٠٧.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٥٧.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٤٥٧.
(٨) معاني القرآن:٢/٢٠٧.
(٩) غريب القرآن:٢٧٨.
(١٠) المفردات في غريب القرآن:٨٢٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.
(١٣)ديوانه ٢/ ٣٣ واللسان (أثل، نفل).
(١٤) مجاز القرآن:٢/٤٠.
(١٥) تفسير الطبري:١٨/٤٧٢.
(١٦) صفوة التفاسير:٢/٢٤٥.
(١٧) تفسير ابن كثير:٥/٣٥٤.

٣- آية إبطال مفعول النار فلم تحرق إبراهيم إلا وثاقه لما أراد الله تعالى ذلك.
٤- قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم حسبي الله ونعم الوكيل.

القرآن
{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)} [الأنبياء : ٧٣]
التفسير:
وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة للناس يدعونهم إلى عبادة الله وطاعته بإذنه تعالى، وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات من العمل بشرائع الأنبياء، وإقام الصلاة على وجهها، وإيتاء الزكاة، فامتثلوا لذلك، وكانوا منقادين مطيعين لله وحده دون سواه.
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [الأنبياء : ٧٣]، أي:" وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة للناس يدعونهم إلى عبادة الله وطاعته بإذنه تعالى"(١).
قال ابن كثير:" { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً } أي : يقتدي بهم ، { يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا } أي : يدعون إلى الله بإذنه"(٢).
قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ} [الأنبياء : ٧٣]، أي:" وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات من العمل بشرائع الأنبياء، وإقام الصلاة على وجهها، وإيتاء الزكاة"(٣).
قال الطبري: يقول: " وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات"(٤).
قال أبو الليث:" يعني: أمرناهم بالأعمال الصالحة، ويقال: بالدعاء إلى الله عز وجل، أي قول لا إله إلا الله"(٥).
قال السمعاني:" معناه: العمل بالشرائع"(٦).
قال ابن عباس: شرائع النبوة"(٧).
قال الماتريدي:" دل قوله: {وأوحينا إليهم}، أنهم كانوا رسلا"(٨).
قوله تعالى:{وَإِقَامَ الصَّلَاةِ} [الأنبياء : ٧٣]، أي:" وإقام الصلاة على وجهها"(٩).
قال أبو الليث:" يعني: إتمام الصلاة"(١٠).
قال السمعاني:" أي: المحافظة عليها"(١١).
قوله تعالى:{وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ} [الأنبياء : ٧٣]، أي:" وإعطاء الزكاة"(١٢).
قال أبو الليث:" يعني: الزكاة المفروضة وصدقة التطوع"(١٣).
قوله تعالى:{وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} [الأنبياء : ٧٣]، أي:" وكانوا منقادين مطيعين لله وحده دون سواه"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٥٤/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤) تفسير الطبري:٤٧٢/١٨.
(٥) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(٦) تفسير السمعاني:٣٩٢/٣.
(٧) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٤٥/٣.
(٨) تأويلات أهل السنة:٣٦٠/٧.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٨.
(١٠) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(١١) تفسير السمعاني:٣٩٢/٣.
(١٢) تفسير السمعاني:٣٩٢/٣.
(١٣) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(١٤) التفسير الميسر:٣٢٨.

قال الطبري:" يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا"[١].
قال أبو الليث:" يعني: مطيعين"[٢].
قال الماتريدي:أي:" عابدين له في كل وقت"[٣].
قال ابن كثير:" أي : فاعلين لما يأمرون الناس به "[٤].

القرآن
{وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤)} [الأنبياء : ٧٤]
التفسير:
وآتينا لوطًا النبوة وفصل القضاء بين الخصوم وعلمًا بأمر الله ودينه، ونجيناه من قريته «سدوم» التي كان يعمل أهلها الخبائث. إنهم كانوا بسبب الخبائث والمنكرات التي يأتونها أهل سوء وقُبْح، خارجين عن طاعة الله.
قوله تعالى:{وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [الأنبياء : ٧٤]، أي:" وآتينا لوطًا النبوة وفصل القضاء بين الخصوم وعلمًا بأمر الله ودينه"[٥].
قال يحيى:" النبوة فيها الحكم والعلم"[٦].
قال الطبري: يقول:" وآتينا لوطا حكما، وهو فصل القضاء بين الخصوم، وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه"[٧].
قوله تعالى:{وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ} [الأنبياء : ٧٤]، أي:" ونجيناه من قريته «سدوم» التي كان يعمل أهلها الخبائث"[٨].
قال الطبري: يقول: ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهي قرية سدوم التي كان لوط بعث إلى أهلها، وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أدبارهم، وخذفهم الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام"[٩].
قال يحيى:" يعني: أن أهلها كانوا يعملون الخبائث، وكانوا مما يعملون إتيانهم الرجال في أدبارهم"[١٠].
قال السمعاني:" القرية: هي سدوم، وأما الخبائث قيل: إتيانهم الذكور، ويقال هو: التضارط في الأندية"[١١].
قال السدي:" أخرجهم الله، يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه"[١٢].
قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ} [الأنبياء : ٧٤]، أي:" إنهم كانوا بسبب الخبائث والمنكرات التي يأتونها أهل سوء وقُبْح، خارجين عن طاعة الله"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٤٧٢/١٨.
(٢) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(٣) تأويلات أهل السنة:٣٦٠/٧.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٥٤/٥.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٣٢٦/١.
(٧) تفسير الطبري:٤٧٢/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٩) تفسير الطبري:٤٧٢/١٨-٤٧٣.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٢٦/١.
(١١) تفسير السمعاني:٣٩٢/٣.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٧٣/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٢٨.

قال يحيى:" يعني: مشركين، والشرك أعظم الفسق"[١].
قال الطبري:يعني:" مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل"[٢].

القرآن
{وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)} [الأنبياء : ٧٥]
التفسير:
وأتمَّ الله عليه النعمة فأدخله في رحمته بإنجائه ممَّا حلَّ بقومه؛ لأنه كان من الذين يعملون بطاعة الله.
قوله تعالى:{وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا} [الأنبياء : ٧٥]، أي:" وأتمَّ الله عليه النعمة فأدخله في رحمته بإنجائه ممَّا حلَّ بقومه"[٣].
قال مقاتل:" يعني نعمتنا وهي النبوة كقوله- عز وجل- : {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ} [الزخرف : ٥٩]، بالنبوة"[٤].
قال الطبري:يقول:" وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجائنا إياه ما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذناه منه"[٥].
قال يحيى:" يعني: لوطا، ورحمتنا هاهنا: الجنة"[٦].
قال أبو الليث:" يعني: أكرمنا لوطا عليه السلام في الدنيا بطاعتنا وفي الآخرة بالجنة"[٧].
قال المراغي:أي:" وجعلناه فى جملة من يستحقون رحمتنا ولطفنا، بإدخاله جنتنا"[٨].
وفى الحديث الصحيح: «قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتى، أرحم بك من أشاء من عبادى»[٩].
روي عن ابن زيد، قوله: "{وأدخلناه في رحمت}، قال: في الإسلام"[١٠].
قوله تعالى:{إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [الأنبياء : ٧٥]، أي:"إنه كان من الذين يعملون بطاعة الله"[١١].
قال الطبري:" يقول: إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا، وينتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا"[١٢].
قال أبو الليث:" أي: من المرسلين"[١٣].
قال يحيى:" الصالحون أهل الجنة"[١٤].

القرآن
{وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)} [الأنبياء : ٧٦]

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٣٢٦/١.
(٢) تفسير الطبري:٤٧٣/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٧/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٧٣/١٨.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٣٢٦/١.
(٧) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(٨) تفسير المراغي:٥٤/١٧.
(٩).
(١٠) أخرجه الطبري:٤٧٣/١٨.
(١١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٧٨٥/٧.
(١٢) تفسير الطبري:٤٧٣/١٨.
(١٣) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٢٦/١.

التفسير:
واذكر - أيها الرسول - نوحا حين نادى ربه مِن قبلك ومِن قبل إبراهيم ولوط، فاستجبنا له دعاءه، فنجيناه وأهله المؤمنين به من الغم الشديد.

قوله تعالى:{وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ} [الأنبياء : ٧٦]، أي:" واذكر - أيها الرسول - نوحا حين نادى ربه مِن قبلك ومِن قبل إبراهيم ولوط"[١].

قال الطبري:" واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك، ومن قبل إبراهيم ولوط، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده، وكذبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه: {قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [نوح : ٢٦] "[٢].

قال أبو الليث:" يعني: واذكر نوحا عليه السلام إذ دعا على قومه من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام"[٣].

قال مقاتل:" وكان نداؤه حين قال: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ} [القمر : ١٠]"[٤].

قوله تعالى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} [الأنبياء : ٧٦]، أي:" فاستجبنا له دعاءه"[٥].

قوله تعالى:{فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]، أي:" فنجيناه وأهله المؤمنين به من الغم الشديد"[٦].

قال الطبري:"يعني: بـ«أهل»: أهل الإيمان من ولده وحلائلهم، يعني بـ«الكرب العظيم»: العذاب الذي أحل بالمكذبين من الطوفان والغرق، والكرب: شدة الغم"[٧].

قال مقاتل:" يعني: الهول الشديد، يعني: الغرق"[٨].

قال الماتريدي:" قال عامة أهل التأويل: {من الكرب العظيم} هو الغرق والهول الشديد الذي كان به، وجائز أن يكون {من الكرب العظيم}: هو ما قاسى من قومه ولقي منهم بدعائه إياهم إلى دين الله في تسعمائة وخمسين عاما، وما كانوا يسخرون به ويؤذونه من أنواع الأذى؛ كقوله: (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم)، ونحو ذلك من الأذى الذي قاساه منهم، فأنجاه من ذلك الكرب، والله أعلم"[٩].

قال ابن كثير:"{ وَأَهْلَهُ}، أي : الذين آمنوا به كما قال :{وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ } [هود : ٤٠]، قوله : { مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } أي : من الشدة والتكذيب والأذى ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل ، فلم يؤمن به منهم إلا القليل ، وكانوا يقصدون لأذاه ويتواصون قرنًا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل على خلافه"[١٠].

قال الجصاص:" سمى أتباعه في دينه :«أهله»"[١١].

القرآن

{وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)}
[الأنبياء : ٧٧]

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٢) تفسير الطبري:٤٧٣/١٨.
(٣) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٧/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٧٣/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٧) تفسير الطبري:٤٧٣/١٨-٤٧٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٨٧/٣.
(٩) تأويلات أهل السنة:٣٦١/٧.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٥٤/٥.
(١١) أحكام القرآن:١٩٩/٣.

التفسير:
ونصرناه مِن كيد القوم الذين كذَّبوا بآياتنا الدالة على صدقه، إنهم كانوا أهل قُبْح، فأغرقناهم بالطوفان أجمعين.

قوله تعالى:{وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأنبياء : ٧٧]، أي:" ونصرناه مِن كيد القوم الذين كذَّبوا بآياتنا الدالة على صدقه"(١).

قال الطبري:" يقول: ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا، فأنجيناه منهم"(٢).

قال السمعاني:" أي: منعناه وحفظناه"(٣).

قال البغوي:أي: " منعناه، {من القوم الذين كذبوا بآياتنا} أن يصلوا إليه بسوء"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ} [الأنبياء : ٧٧]، أي:" إنهم كانوا أهل قُبْح"(٥).

قال أبو الليث:" يعني: كفارا"(٦).

قوله تعالى:{فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنبياء : ٧٧]، أي:" فأغرقناهم بالطوفان أجمعين"(٧).

قال الطبري:يقول:" إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء، يسيئون الأعمال، فيعصون الله ويخالفون أمره"(٨).

قال أبو الليث:" يعني: الصغير والكبير فلم يبق منهم أحد إلا هلك بالطوفان"(٩).

قال ابن كثير:" أي : أهلكهم الله بعامة ، ولم يُبْقِ على وجه الأرض منهم أحدًا ؛ إذ دعا عليهم نبيهم "(١٠).

فوائد الآيات:[٧٣-٧٧]:

١- فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها.
٢- فضل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات.
٣- ثناء الله تعالى على أوليائه وصالحي عباده بعبادتهم، وخشوعهم له.
٤- الخبث إذا كثر في الأمة استوجبت الهلاك والدمار.
٥- التنديد بالفسق والتحذير من عواقبه فإنها مدمرة والعياذ بالله.
٦- تقرير النبوة المحمدية وتأكيدها إذ مثل هذا القصص لا يتأتى إلا لمن يوحى إليه.

القرآن

{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨)} [الأنبياء : ٧٨]

التفسير:
واذكر - أيها الرسول - نبي الله داود وابنه سليمان، إذ يحكمان في قضية عرَضَها خصمان، عَدَت غنم أحدهما على زرع الآخر، وانتشرت فيه ليلا فأتلفت الزرع، فحكم داود بأن تكون الغنم لصاحب الزرع ملْكًا بما أتلفته، فقيمتهما سواء، وكنَّا لحكمهم شاهدين لم يَغِبْ عنا.

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٢) تفسير الطبري:٤٧٤/١٨.
(٣) تفسير السمعاني:٣٩٣/٣.
(٤) تفسير البغوي:٣٣١/٥.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٦) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٨) تفسير الطبري:٤٧٤/١٨.
(٩) بحر العلوم:٤٣٣/٢.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٥٤/٥.

قوله تعالى:{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ} [الأنبياء : ٧٨]، أي:" واذكر قصة داود وسليمان حين يحكمان في شأن الزرع"[١].

وفي نوع الحرث، قولان:

أحدهما: أنه كان عنبا، قاله ابن مسعود[٢]، ومسروق[٣]، وشريح[٤].

قال ابن مسعود:" كرم قد أنبت عناقيده"[٥].

الثاني: كان زرعا، قاله قتادة[٦].

قال قتادة:" ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا"[٧].

قال مرة:" كان الحرث نبتا"[٨].

قال الطبري:"الحرث: إنما هو حرث الأرض، وجائز أن يكون ذلك كان زرعا، وجائز أن يكون غرسا، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان"[٩].

قوله تعالى:{إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ} [الأنبياء : ٧٨]، أي:" وقت رعت فيه غنم القوم ليلاً فأفسدته"[١٠].

قال الطبري:" يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو أفسدته"[١١].

عن ابن عباس، قوله: "{إذ نفشت فيه غنم القوم}، قال: رعت"[١٢].

قال ابن إسحاق:" النفش: الرعية تحت الليل"[١٣].

قال قتادة:" النفش بالليل، والهمل بالنهار"[١٤].

قوله تعالى:{وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} [الأنبياء : ٧٨]، أي:" وكنا مطَّلعين على حكم كلٍ منهما عالمين به"[١٥].

قال الطبري:" يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه"[١٦].

قال ابن عباس:" يقول: كنا لما حكما شاهدين، وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يبق من حرثي شيئا، فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك، فقضى بذلك داود، ومر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقالا يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت، فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن

---

(١) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٧٤/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٧٥/١٨.
(٤) انظر: الطبري:٤٧٧/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٧٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٨.
(٩) تفسير الطبري:٤٧٥/١٨.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.
(١١) تفسير الطبري:٤٧٥/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٧٨/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٤٧٨/١٨.
(١٤)أخرجه الطبري:٤٧٧/١٨ .
(١٥) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.
(١٦) تفسير الطبري:٤٧٥/١٨.

الحرث، فإن الغنم لها نسل في كل عام، فقال داود: قد أصبت، القضاء كما قضيت، ففهمها الله سليمان"[١].

القرآن

{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)} [الأنبياء : ٧٩]

التفسير:

فَفَهَّمنا سليمان مراعاة مصلحة الطرفين مع العدل، فحكم على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف في فترة يستفيد فيها صاحب الزرع بمنافع الغنم من لبن وصوف ونحوهما، ثم تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه؛ لمساواة قيمة ما تلف من الزرع لمنفعة الغنم، وكلا من داود وسليمان أعطيناه حكمًا وعلمًا، ومننَّا على داود بتطويع الجبال تسبِّح معه إذا سبَّح، وكذلك الطير تسبِّح، وكنا فاعلين ذلك.

قوله تعالى:{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} [الأنبياء : ٧٩]، أي:" علمنا وألهمنا سليمان الحكم في القضية"[٢].

قال الطبري:" يقول: ففهمنا القضية في ذلك «سليمان» دون داود"[٣].

قال ابن مسعود:" فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: {ففهمناها سليمان}"[٤].

قال ابن عباس:" قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرعاة معهم الكلاب، فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه، فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا، فأخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه، أخذ أصحاب الحرث الحرث، وردوا الغنم إلى أصحابها"[٥].

قال مجاهد:" أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث، وحكم سليمان بجزة الغنم وألبانها لأهل الحرث، وعليهم رعايتها على أهل الحرث، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل، ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم"[٦].

قال ابن زيد:" انفلت غنم رجل على حرث رجل فأكلته، فجاء إلى داود، فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت، وكأنه رأى أنه وجه ذلك، فمروا بسليمان، فقال: ما قضى بينكم نبي الله؟ فأخبروه، فقال: ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا نعم. فقال: أما أنت يا صاحب الحرث، فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب، وأحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك، فأعطه حرثه، وخذ غنمك، فذلك قول الله تبارك وتعالى {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم}، وقرأ حتى بلغ قوله: {وكلا آتينا حكما وعلما}"[٧].

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٥-٤٧٦.
(٢) صفوة التفاسير:٢/٢٤٦.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٤٧٥.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٥.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٦.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٦.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٨.

قال شريح:" كان النفش ليلا وكان الحرث كرما، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم، قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه، فاجعل له أصوافها وألبانها! قال: فهو قول الله :{ففهمناها سليمان}"[١].

عن عامر، قال: "جاء رجلان إلى شريح، فقال أحدهما: إن شياه هذا قطعت غزلا لي، فقال شريح: نهارا أم ليلا؟ قال: إن كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه، وإن كان ليلا فقد ضمن، ثم قرأ :{وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم}، قال: كان النفش ليلا"[٢].

قال ابن مسعود:"دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار فأفسدته، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: {إذ نفشت فيه غنم القوم}، فقضى على البراء بما أفسدته الناقة، وقال على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم بالنهار"[٣].

قوله تعالى:{وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} [الأنبياء : ٧٩]، أي:" وكلاً من داود وسليمان أعطيناه الحكمة والعلم الواسع مع النبوة"[٤].

قال الطبري:" يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أول هذه السورة {آتينا حكما} وهو النبوة، {وعلما}: يعني وعلما بأحكام الله"[٥].

قال الحسن:" كان الحكم بما قضى به سليمان، ولم يعنف الله داود في حكمه"[٦].

عن حميد ؛ أن إياس بن معاوية لما استقضى أتاه الحسن فبكى ، قال ما يبكيك ؟ قال يا أبا سعيد ، بلغني أن القضاة : رجل اجتهد فأخطأ ، فهو في النار ، ورجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة. فقال الحسن البصري : إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان ، عليهما السلام ، والأنبياء حكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم ، قال الله تعالى : { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود. ثم قال - يعني : الحسن - : إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثًا : لا يشترون به ثمنًا قليلا ولا يتبعون فيه الهوى ، ولا يخشون فيه أحدًا ، ثم تلا { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٥) } [ص : ٢٦] وقال : { فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } [المائدة : ٤٤] ، وقال { وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا } [المائدة : ٤٤].

قلت-ابن كثير- : أما الأنبياء ، عليهم السلام ، فكلهم معصومون مُؤيَّدون من الله عز وجل. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف ، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري ، عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[٧]، فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه "إياس" من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار ، والله أعلم.

وفي السنن : «القضاة ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار : رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه ، فهو في النار»[٨].

وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ما رواه الإمام أحمد في مسنده ... عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «بينما امرأتان معهما ابنان لهما ، جاء الذئب فأخذ أحد

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٧.
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٧.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٩.
(٤) صفوة التفاسير:٢/٢٤٦.
(٥) تفسير الطبري:١٨/٤٧٥.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٩.
(٧)صحيح البخاري برقم (٧٣٥٢).
(٨)سنن أبي داود برقم (٣٥٧٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (٥٩٢٢) وسنن ابن ماجه برقم (٢٣١٥).

الابنين ، فتحاكمتا إلى داود ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا. فدعاهما سليمان فقال : هاتوا السكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها ، لا تَشُقه ، فقضى به للصغرى»[1]"[2].

قوله تعالى:{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} [الأنبياء : ٧٩]، أي:" ومننَّا على داود بتطويع الجبال تسبّح معه إذا سبَّح، وكذلك الطير تسبّح"[3].

قال الطبري:" وسخرنا مع داود الجبال، والطير يسبحن معه إذا سبح"[4].

قال قتادة:" أي: يصلين مع داود إذا صلى"[5].

قال ابن كثير:" وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا تَرَنَّم به تقف الطير في الهواء ، فتجاوبه ، وتَرد عليه الجبال تأويبًا ؛ ولهذا لمَّا مَرَّ النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري ، وهو يتلو القرآن من الليل ، وكان له صوت طيب جدًا ، فوقف واستمع لقراءته ، وقال : "لقد أوتي هذا مزامير آل داود". قال يا رسول الله ، لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا.

وقال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صَنْج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ، ومع هذا قال :«لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود»[6]"[7].

وفي رواية:« يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»[8].

قوله تعالى:{وَكُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء : ٧٩]، أي:" وكنا قادرين على فعل ذلك"[9].

قال الطبري:" يقول: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير في أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام "[10].

قال الشافعي -رحمه الله-: "قال الله تبارك وتعالى: {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا(٧٩)}الآيتان، قال الحسن بن أبي الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن الحكام قد هلكوا. ولكن الله حمد هذا لصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده"[11].

القرآن

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠)} [الأنبياء : ٨٠]

التفسير:

واختصَّ الله داود عليه السلام بأن علَّمه صناعة الدروع يعملها حِلَقًا متشابكة، تسهِّل حركة الجسم؛ لتحمي المحاربين مِن وَقْع السلاح فيهم، فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجراها على يد عبده داود؟

قوله تعالى:{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ} [الأنبياء : ٨٠]، أي:" وعلمنا داود صنع الدروع بإلانةِ الحديد له"[12].

---

(١)المسند (٣٢٢/٢).

(٢) تفسير ابن كثير:٣٥٦/٥-٣٥٧.

(٣) التفسير الميسر:٣٢٨.

(٤) تفسير الطبري:٤٧٩/١٨.

(٥) أخرجه الطبري:٤٧٩/١٨.

(٦) الحديث:« لقد أوتى أبو موسى مزمارا من مزامير آل داود».

حديث أنس: ذكره الحكيم (٣٢/٣) ، وأبو نعيم فى الحلية (٢٥٨/١) .

حديث أبى هريرة: أخرجه ابن أبى شيبة (١١٨/٦، رقم ٢٩٩٣٧) .

(٧) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٥.

(٨)أخرجه البخارى (١٩٢٥/٤، رقم ٤٧٦١) ، والترمذى (٦٩٣/٥، رقم ٣٨٥٥) وقال: غريب.

وللحديث أطراف أخرى منها: "إن عبد الله بن قيس"، "لقد أوتى هذا من مزامير آل داود".

(٩) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.

(١٠) تفسير الطبري:٤٧٩/١٨.

(١١) تفسير الإمام الشافعي:١٠٧٤/٣.

(١٢) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢-٢٤٧.

قال الطبري:" اللبوس عند العرب: السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا، يدل على ذلك قول الهذلي[١]:
ومعي لبوس للبيس كأنه ... روق بجبهة ذي نعاج مجفل
وإنما يصف بذلك رمحا، وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع"[٢].
قال قتادة:" كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود"[٣].
قوله تعالى:{لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ} [الأنبياء : ٨٠]، أي:" لتقيكم في القتال شرُّ الأعداء"[٤].
وقرئ: «ليحصنكم» بالياء، بمعنى: ليحصنكم اللبوس من بأسكم[٥].
قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} [الأنبياء : ٨٠]، أي:" فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجراها على يد عبده داود؟"[٦].
قال ابن كثير:" أي : نعم الله عليكم ، لما ألهم به عبده داود ، فعلمه ذلك من أجلكم"[٧].
قال الطبري:" يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم، يقول: فاشكروني على ذلك"[٨].
قال الصابوني:" استفهامٌ يراد به الأمر، أي: اشكروا الله على ما أنعم به عليكم"[٩].

القرآن
{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١)} [الأنبياء : ٨١]
التفسير:
وسخَّرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومَن معه، تجري بأمره إلى أرض «بيت المقدس» بـ «الشام» التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء.
قوله تعالى:{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً} [الأنبياء : ٨١]، أي:" وسخَّرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومَن معه"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : وسخرنا لسليمان الريح العاصفة"[١١].
قال الطبري:" عصوفها: شدة هبوبها"[١٢].
قال ابن زيد:" عاصفة شديدة"[١٣].
قرأ عبد الرحمن الأعرج: «الريح» رفعا بالكلام في «سليمان» على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح[١٤].
قال سعيد بن جبير:"كان يُوضَع لسليمان ستمائة ألف كرسي ، فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس ، ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ، ثم يأمر الطير فتظلهم ، ثم يأمر الريح فتحمله ﷺ"[١].

---

(١)البيت في (اللسان: لبس).
(٢) تفسير الطبري:١٨/٤٨٠.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٨٠.
(٤) صفوة التفاسير:٢/٢٤٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٨٠.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٥/٣٥٨.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٤٨١.
(٩) صفوة التفاسير:٢/٢٤٧.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٨.
(١١) تفسير ابن كثير:٥/٣٥٨.
(١٢) تفسير الطبري:١٨/٤٨١.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٨٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٨٢.

وقال عبد الله بن عُبَيْد بن عمير : كان سليمان يأمر الريح ، فتجتَمع كالطَّود العظيم ، كالجبل ، ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ، ثم يدعو بفَرَس من ذوات الأجنحة ، فترتفع حتى تصعد على فراشه ، ثم يأمر الريح فترتفع به كُل شَرَف دون السماء ، وهو مطأطئ رأسه ، ما يلتفت يمينا ولا شمالا تعظيمًا لله عز وجل ، وشكرًا لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله تعالى حتى تضعه الريح حيث شاء أن تضعه"[٢].

قوله تعالى:{تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأنبياء : ٨١]، أي:" تجري بأمره إلى أرض «بيت المقدس» بـ «الشام» التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة"[٣].

قال الطبري:" يقول: تجري الريح بأمر سليمان إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام"[٤].

قال ابن كثير:" وذلك أنه كان له بساط من خشب ، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة ، والخيل والجمال والخيام والجند ، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته ، ثم تحمله فترفعه وتسير به ، وتظله الطير من الحر ، إلى حيث يشاء من الأرض ، فينزل وتوضع آلاته وخشبه، قال الله تعالى : { فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ } [ص : ٣٦] ، وقال { غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ } [سبأ : ١٢]"[٥].

عن ابن زيد:" {تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها}، قال: الشام"[٦].

قال قتادة:" ورث الله سليمان داود، فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين"[٧].

قال وهب:" كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس إلى سريره، وكان امرءا غزاء، قلما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو، أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلت أمر الرخاء، فمدته شهرا في روحته، وشهرا في غدوته إلى حيث أراد، يقول الله عز وجل {فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر}، قال: فذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان، إما من الجن وإما من الإنس، نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيا وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن راحلون منه إن شاء الله قائلون الشام"[٨].

قوله تعالى:{وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} [الأنبياء : ٨١]، أي:" وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء"[٩].

قال الطبري:" يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له، وإعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا، ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء"[١٠].

القرآن

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٥٨/٥.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٥-٣٥٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤) تفسير الطبري:٤٨١/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٤٨٢/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٤٨٢:١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٤٨١/١٨-٤٨٢.
(٩) التفسير الميسر:٣٢٨.
(١٠) تفسير الطبري:٤٨٢/١٨.

{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)} [الأنبياء : ٨٢]

التفسير:

وسخَّرنا لسليمان من الشياطين شياطين يستخدمهم فيما يَعْجِز عنه غيرهم، فكانوا يغوصون في البحر يستخرجون له اللآلئ والجواهر، وكانوا يعملون كذلك في صناعة ما يريده منهم، لا يقدرون على الامتناع مما يريده منهم، حفظهم الله له بقوته وعزه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ} [الأنبياء : ٨٢]، أي:" وسخرنا لسليمان بعض الشياطين يغوصون في الماء ويدخلون أعماق البحار ليستخرجوا له الجواهر واللآلئ"(١). واللآلئ"(١).

قال ابن كثير:" أي : في الماء يستخرجون اللآلئ وغير ذلك "(٢).

قال الطبري:" وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر"(٣).

قوله تعالى:{وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ} [الأنبياء : ٨٢]، أي:" ويعملون أعمالاً أخرى سوى الغوص"(٤).

قال ابن كثير:" غير ذلك ، كما قال تعالى : { وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ }. [ص : ٣٧ ، ٣٨]"(٥).

قال الطبري:أي:" من البنيان والتماثيل والمحاريب"(٦).

قال الصابوني:" كبناء المدن والقصور الشاهقة والأمور التي يعجز عنها البشر"(٧).

قوله تعالى:{وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} [الأنبياء : ٨٢]، أي:" وكنا نحفظهم عن الزيغ عن أمره أو الخروج عن طاعته"(٨).

قال الطبري:" يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين، لا يئودنا حفظ ذلك كله"(٩).

قال ابن كثير:" يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء ، بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه ، بل هو مُحَكَّم فيهم ، إن شاء أطلق ، وإن شاء حبس منهم من يشاء ؛ ولهذا قال : { وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ }"(١٠).

فوائد الآيات:[٧٨-٨٢]:

١- وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس.

٢- بيان حكم الماشية ترعى في حرث الناس وإن كان شرعنا على خلاف شرع من سبقنا فالحكم عندنا إن رعت الماشية ليلاً قوم المتلف على صاحب الماشية ودفعه لصاحب الزرع، وإن رعت نهاراً فلا شيء لصاحب الزرع لأن عليه أن يحفظ زرعه من أن ترعى فيه مواشي الناس لحديث العجماء جبار وحديث ناقة البراء بن عازب.

٣- فضل التسبيح.

٤- وجوب صنع آلة الحرب وإعدادها للجهاد في سبيل الله.

٥- وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد.

٦- بيان تسخير الله تعالى الجن لسليمان يعملون له أشياء.

---

(١) صفوة التفاسير:٢٤٧/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٥٩/٥.
(٣) تفسير الطبري:٤٨٢/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٤٧/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٥٩/٥.
(٦) تفسير الطبري:٤٨٢/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٤٧/٢.
(٨) صفوة التفاسير:٢٤٧/٢.
(٩) تفسير الطبري:٤٨٢/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٥٩/٥.

٧- تقرير نبوة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ من أرسل هؤلاء الرسل وأنعم عليهم بما أنعم لا يستنكر عليه إرسال محمد رسولاً وقد أرسل من قبله رسلاً.
٨- كل ما يحدث في الكون من أحداث يحدث بعلم الله تعالى وتقديره ولحكمة تقضيه.

القرآن
{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)} [الأنبياء : ٨٣]
التفسير:
واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب، إذ ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده، وفقد أهله وماله وولده، فصبر واحتسب، ونادى ربه عز وجل أني قد أصابني الضر، وأنت أرحم الراحمين، فاكشفه عني.
قوله تعالى:{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ} [الأنبياء : ٨٣]، أي:" واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب حين دعا ربَّه بتضرع وخشوع"[١].
قال الطبري:يقول:" واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء"[٢].
قال السدي:" وقال أيوب عليه السلام: يا رب، إنك أعطيتني المال والولد، فلم يقم على بابي أحد يشكوني لظلم ظلمته، وأنت تعلم ذلك. وإنه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسي: يا نفس، إنك لم تخلقي لوطئ الفرش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك"[٣].
قوله تعالى:{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ} [الأنبياء : ٨٣]، أي:" أني قد أصابني الضر"[٤].
و«الضر»: المرض ، قاله قتادة[٥]، والضحاك[٦]، والربيع[٧]، وابن جريج[٨].
قال الربيع:" الضراء: في النفس، من وجع أو مرض يصيبه في جسده"[٩].
وفي سبب سؤاله العافية ستة أقوال:
أحدها: أنه اشتهى إداما، فلم تصبه امرأته حتى باعت قرونا من شعرها، فلما علم ذلك قال: «مسني الضر» ، رواه الضحاك عن ابن عباس[١٠].
الثاني: أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره الله، فلما انتهى أجل البلاء، يسر الله له الدعاء، فاستجاب له، رواه العوفي عن ابن عباس[١١].
الثالث: أن نفرا من بني إسرائيل مروا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك قال: «مسني الضر» ، قاله نوف البكالي[١٢].
وقال عبيدالله بن عمير:" كان لأيوب عليه السلام أخوان فجاءا يوما فلم يستطيعا إن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا؟ فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يخرج من شيء قط، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع، فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار، فصدقني فصدق من السماء وهما

---

(١) انظر: صفوة التفاسير:٢٤٩/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٨٣/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٩٤):ص٢٤٥٩/٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٤):ص٣٥٠/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٧):ص٣٥٠/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٣):ص٣٥٠/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٦):ص٣٥٠/٣.
(٩) اخرجه الطبري(٢٥٤٣):ص٣٥٠/٣.
(١٠) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.
(١١) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.
(١٢) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.

يسمعان. الله بعزتك ثم خر ساجدا، ثم قال: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدا حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف عنه"[١].

قلت: وأهل السنة نصوا على أن الأنبياء لا يمرضون أمراضا منفرة تحط من قدرهم وهذا الخبر وأمثاله لو لم يذكرها المفسرون لكان أولى. وإنما اشرت إليه للتنبه. والله أعلم.

الرابع: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله؟! ثم طردها عنه، فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق، خر ساجدا وقال: «مسني الضر» ، قاله الحسن[٢].

وقال ابن عباس:" الشيطان الذي مس أيوب يقال له: مسوط. فقالت امرأة أيوب: ادع الله يشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض: ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه، فعند ذلك قال: «رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين»"[٣].

الخامس: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في عنفوان شبابه: إني مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصب عليه من البلاء ما سمعتم، حتى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أني معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: «مسني الضر». قاله إبراهيم بن شيبان القرميسي[٤].

السادس: أن الوحي انقطع عنه أربعين يوما، فخاف هجران ربه، فقال: «مسني الضر» ، حكاه الماوردي عن جعفر الصادق -رحمه الله-[٥].

وفي مخرج قوله :{مَسَّنِيَ الضُّرُّ}، أربعة وجوه[٦]:

أحدها : أنه خارج مخرج الاستفهام ، وتقديره: أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

الثاني : أنت أرحم بي أن يمسني الضر .

الثالث : أنه قال ذلك استقالة من ذنبه ورغبة إلى ربه .

الرابع : أنه شكا ضعفه وضره استعطافاً لرحمته.

قال أبو عمرو الدمشقي :"أي: مسني الضر فصبرني لأنك أرحم الراحمين"[٧].

قوله تعالى:{وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء : ٨٣]، أي:" وأنت أرحم الراحمين، فاكشفه عني"[٨].

قال ابن الجوزي:" أي: أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بسؤال الرحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت"[٩].

القرآن

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤)} [الأنبياء : ٨٤]

التفسير:

فاستجبنا له دعاءه، ورفعنا عنه البلاء، ورددنا عليه ما فقده من أهل وولد ومال مضاعفًا، فَعَلْنا به ذلك رحمة منَّا، وليكون قدوة لكل صابر على البلاء، راجٍ رحمة ربه، عابد له.

قوله تعالى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" أجبنا دعاءه وتضرعه"[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٩٥):ص٢٤٥٩/٨.
(٢) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٦٢):ص٣٢٤٥/١٠.
(٤) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.
(٥) انظر: النكت والعيون:٤٦٣/٣.
(٦) انظر: النكت والعيون:٤٦٢/٣.
(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف:٩٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٩) زاد المسير:٢٠٥/٣.

قال الطبري:يقول:" فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ ناداناً"[٢].

قوله تعالى:{فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" أزلنا ما أصابه من ضر وبلاء"[٣].

قال الطبري:يقول:" فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانا من الله له واختبارا"[٤].

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" إن الشيطان عرج إلى السماء قال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام قال الله: قد سلطتك على ماله وولده، ولم أسلطك على جسده فنزل فجمع جنوده فقال لهم: قد سلطت على أيوب عليه السلام، فأروني سلطانكم، فصاروا نيرانا، ثم صاروا ماء، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره وطائفة إلى غنمه، وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف. فأتوه بالمصائب بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك عدوا فذهب به وجاء صاحب الإبل فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك عدوا، فذهب بها؟ وتفرد هو ببنيه جمعهم في بيت أكبرهم.

فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم؟ فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتني أمي، فقام فحلق رأسه وقام يصلي، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء، وأهل الأرض ثم خرج إلى السماء فقال: أي رب إنه قد اعتصم فسلطني عليه، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك قال: قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه. فنزل فنفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرنه فصار قرحة واحدة، وألقي على الرماد حتى بدا حجاب قلبه فكانت امرأته تسعى إليه حتى قالت له: أما ترى يا أيوب؟ نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف فأطعمك فادع الله أن يشفيك ويريحك قال: ويحك..! كنا في النعيم سبعين عاما فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاما، فكان في البلاء سبع سنين ودعا.

فجاء جبريل عليه السلام يوما فأخذ بيده ثم قال: قم فقام فنحاه، عن مكانه وقال: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين فقال: اغتسل منها ثم جاء أيضا فقال: اركض برجلك فنبعت عين أخرى فقال له: اشرب منها وهو قوله: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وألبسه الله تعالى حلة من الجنة، فتنحى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت: يا عبد الله أين المبتلى الذي كان هاهنا لعل الكلاب ذهبت به والذئاب؟ وجعلت تكلمه ساعة فقال: ويحك..! أنا أيوب قد رد الله علي جسدي، ورد الله عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم وأمطر عليهم جرادا من ذهب فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعله في ثوبه وينشر كساءه فيجعل فيه فأوحى الله إليه يا أيوب، أما شبعت؟ قال: يا رب من ذا الذي يشبع من فضلك ورحمتك"[٥].

قال وهب بن منبه: "كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه، أنه كان صابرا نعم العبد، قال وهب: إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة من الله والفضيلة عنده، وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه، ثم تلقاه ميكائيل، وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش، وشاع ذلك في الملائكة المقربين، صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السماوات، فإذا صلت عليه ملائكة السماوات،

---

(١) صفوة التفاسير:٢٤٩/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٨٣/١٨.
(٣) صفوة التفاسير:٢٤٩/٢.
(٤) تفسير الطبري:٤٨٣/١٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٣٦٠):ص٣٢٤٤/١٠-٣٢٤٥.

هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض، وكان إبليس لا يحجب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أرادوا. ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السماوات، حتى رفع الله عيسى ابن مريم، فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله محمدا ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السماوات إلى يوم القيامة {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت: {وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا}... إلى قوله (شهابا رصدا}.

قال وهب: فلم يرع إبليس إلا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة، أدركه البغي والحسد، وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه، فقال: يا إلهي، نظرت في أمر عبدك أيوب، فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثم لم تجربه بشدة ولم تجربه ببلاء، وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك وليعبدن غيرك، قال الله تبارك وتعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ماله، فإنه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني، ليس لك سلطان على جسده، ولا على عقله، فانقض عدو الله، حتى وقع على الأرض، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم، وكان لأيوب البشنية من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها، وكان له بها ألف شاة برعاتها وخمس مئة فدان يتبعها خمس مئة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وحمل آلة كل فدان أتان، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، فلما جمع إبليس الشياطين، قال لهم: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإني قد سلطت على مال أيوب، فهي المصيبة الفادحة، والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، قال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار فأحرقت كل شيء آتي عليه، فقال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها، فانطلق يؤم الإبل، وذلك حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفخ منها أرواح السموم، لا يدنو منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها، فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها براعيها، ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي، فقال: يا أيوب، قال: لبيك، قال: هل تدري ما الذي صنع ربك؟ الذي اخترت وعبدت ووحدت بإبلك ورعاتها، قال أيوب: إنها ماله أعارنيه، وهو أولى به إذا شاء نزعه، وقديما ما وطنت نفسي ومالي على الفناء، قال إبليس: وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها، حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها، فتركت الناس مبهوتين، وهم وقوف عليها يتعجبون، منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو فعل الذي فعل ليشمت به عدوه، وليفجع به صديقه، قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني، وحين نزع مني، عريانا خرجت من بطن أمي، وعريانا أعود في التراب، وعريانا أحشر إلى الله، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته، الله أولى بك، وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع ملك الأرواح، فآجرني فيك وصرت شهيدا، ولكنه علم منك شرا فأخرك من أجله، فعراك الله من المصيبة، وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخلاص.

ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم: ماذا عندكم من القوة، فإني لم أكلم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما إذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق يؤم الغنم ورعاتها، حتى إذا وسطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ورعاءها، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الرعاء ، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي، فقال له القول الأول، ورد عليه أيوب الرد الأول، ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه، فقال لهم: ماذا عندكم من القوة، فإني لم أكلم قلب أيوب؟ فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوة إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه، حتى لا أبقي شيئا، قال له إبليس: فأت الفدادين والحرث، فانطلق يؤمهم، وذلك حين قربوا

الفدادين وأنشئوا في الحرث، والأتن وأولادها رتوع، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء من ذلك، حتى كأنه لم يكن، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الحرث، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأول، ورد عليه أيوب مثل رده الأول.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله، ولم ينجح منه، صعد سريعا، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه، فقال: يا إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده، فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده؟ فإنها الفتنة المضلة، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، ولا يقوى عليها صبرهم، فقال الله تعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ولده، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده، ولا على عقله، فانقض عدو الله جوادا، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح الجدر بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجندل، حتى إذا مثل بهم كل مثلة، رفع بهم القصر، حتى إذا أقله بهم فصاروا فيه منكسين، انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه، متغيرا لا يكاد يعرف من شدة التغير، والمثلة التي جاء متمثلا فيها، فلما نظر إليه أيوب هاله، وحزن ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أفلت من حيث أفلت، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عذبوا، وكيف مثل بهم، وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رءوسهم، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم، وتقطر من أشفارهم، ولو رأيت كيف شقت بطونهم، فتناثرت أمعاؤهم، ولو رأيت كيف قذفوا بالخشب والجندل يشدخ دماغهم، وكيف دق الخشب عظامهم، وخرق جلودهم، وقطع عصبهم، ولو رأيت العصب عريانا، ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة، ولو رأيت الجدر تناطح عليهم، ولو رأيت ما رأيت، قطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرققه حتى رق أيوب فبكى، وقبض قبضة من تراب، فوضعها على رأسه، فاغتنم إبليس الفرصة منه عند ذلك، فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رفع إليه من توبة أيوب، فوقف إبليس خازيا ذليلا فقال: يا إلهي، إنما هون على أيوب خطر المال والولد، أنه يرى أنك ما متعته بنفسه، فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليجحدنك نعمتك، قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، ولا على عقله.

فانقض عدو الله جوادا، فوجد أيوب ساجدا، فعجل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قبل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخه اشتعل منها جسده، فترهل، ونبتت به: ثآليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حك بالعظام، وحك بالحجارة الخشنة، وبقطع المسوح الخشنة، فلم يزل يحكه حتى نفد لحمه وتقطع، ولما نغل جلد أيوب وتغير وأنتن، أخرجه أهل القرية، فجعلوه على تل وجعلوا له عريشا، ورفضه خلق الله غير امرأته، فكانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه، فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه، يقال لأحدهم بلدد، وأليفز، وصافر، قال: فانطلق إليه الثلاثة، وهو في بلائه، فبكتوه: فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب ﷺ: رب لأي شيء خلقتني؟ لو كنت إذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ألقتني أمي، ويا ليتني مت في بطنها، فلم أعرف شيئا ولم تعرفني، ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري، وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي، فالموت كان أجمل بي، فأسوة لي بالسلاطين الذي صفت من دونهم الجيوش، يضربون عنهم بالسيوف بخلا بهم عن الموت، وحرصا على بقائهم، أصبحوا في القبور جاثمين، حتى ظنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز، وطمروا المطامير، وجمعوا الجموع، وظنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن

والحصون، وعاشوا فيها المئين من السنين، ثم أصبحت خرابا، مأوى للوحوش، ومثنى للشياطين.

قال أليفز التيماني: قد أعيانا أمرك يا أيوب، إن كلمناك فما نرج للحديث منك موضعا، وإن نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء، فذلك علينا، قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا، فإنما يحصد امرؤ ما زرع، ويجزى بما عمل، أشهد على الله الذي لا يقدر قدر عظمته، ولا يحصى عدد نعمه، الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت، ويرفع به الخافض، ويقوي به الضعيف: الذي تضل حكمة الحكماء عند حكمته، وعلم العلماء عند علمه، حتى تراهم من العي في ظلمة يموجون، أن من رجا معونة الله هو القوي، وإن من توكل عليه هو المكفي، هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويداوي.

قال أيوب: لذلك سكت فعضضت على لساني، ووضعت لسوء الخدمة رأسي، لأني علمت أن عقوبته غيرت نور وجهي، وأن قوته نزعت قوة جسدي، فأنا عبده، ما قضى علي أصابني، ولا قوة لي إلا ما حمل علي، لو كانت عظامي من حديد، وجسدي من نحاس، وقلبي من حجارة، لم أطق هذا الأمر، ولكن هو ابتلاني، وهو يحمله عني، أتيتموني غضابا، رهبتم قبل أن تسترهبوا، وبكيتم من قبل أن تضربوا، كيف بي لو قلت لكم: تصدقوا عني بأموالكم، لعل الله أن يخلصني، أو قربوا عني قربانا لعل الله أن يتقبله مني ويرضى عني، إذا استيقظت تمنيت النوم رجاء أن أستريح، فإذا نمت كادت تجود نفسي، تقطعت أصابعي، فإني لأرفع اللقمة من الطعام بيدي جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني، تساقطت لهواتي ونخر رأسي، فما بين أذني من سداد، حتى إن إحداهما لترى من الأخرى، وإن دماغي ليسيل من فمي، تساقط شعري عني، فكأنما حرق بالنار وجهي، وحدقتاي هما متدليتان على خدي، ورم لساني حتى ملأ فمي، فما أدخل فيه طعاما إلا غصني، وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي، والسفلى ذقني، تقطعت أمعائي في بطني، فإني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل، ما أحسه ولا ينفعني، ذهبت قوة رجلي، فكأنهما قربتا ماء ملئتا، لا أطيق حملهما، أحمل لحافي بيدي وأسناني، فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري، ذهب المال فصرت أسأل بكفي، فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمنها علي ويعيرني، هلك بني وبناتي، ولو بقي منهم أحد أعانني على بلائي ونفعني، وليس العذاب بعذاب الدنيا، إنه يزول عن أهلها، ويموتون عنه، ولكن طوبى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها، ولا يتحولون عن منازلهم، السعيد من سعد هنالك والشقي من شقي فيها.

قال بلدد: كيف يقوم لسانك بهذا القول، وكيف تفصح به، أتقول إن العدل يجور، أم تقول إن القوي يضعف؟ ابك على خطيئتك وتضرع إلى ربك عسى أن يرحمك، ويتجاوز عن ذنبك، وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك، وإن كان قلبك قد قسا فإن قولنا لن ينفعك، ولن يأخذ فيك، هيهات أن تنبت الآجام في المفاوز، وهيهات أن ينبت البردي في الفلاة، من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه، ومن جحد الحق كيف يرجو أن يوفي حقه؟.

قال أيوب: إني لأعلم أن هذا هو الحق، لن يفلج العبد على ربه، ولا يطيق أن يخاصمه، فأي كلام لي معه، وإن كان إلي القوة هو الذي سمك السماء فأقامها وحده، وهو الذي يكشطها إذا شاء فتنطوي له، وهو الذي سطح الأرض فدحاها وحده، ونصب فيها الجبال الراسيات، ثم هو الذي يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها، وإن كان في الكلام، فأي كلام لي معه، من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة، فحشاه السماوات والأرض وما فيهما من الخلق، فوسعه وهو في سعة واسعة، وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله، وأمرها، فلم تعد أمره، وهو الذي يفقه الحيتان والطير وكل دابة، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ويأمرها فتطيعه.

قال أليفز: عظيم ما تقول يا أيوب، إن الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول، إنما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته، مثل هذه الحدة، وهذا القول أنزلك هذه المنزلة، عظمت خطيئتك، وكثر طلابك، وغصبت أهل الأموال على أموالهم، فلبست وهم عراة، وأكلت وهم جياع، وحبست عن

الضعيف بابك، وعن الجائع طعامك، وعن المحتاج معروفك، وأسررت ذلك وأخفيته في بيتك، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها، فظننت أن الله لا يجزيك إلا على ما ظهر منك، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء؟.

قال أيوب ﷺ: إن تكلمت لم ينفعني الكلام، وإن سكت لم تعذروني، قد وقع علي كيدي، وأسخطت ربي بخطيئتي، وأشمت أعدائي، وأمكنتهم من عنقي، وجعلتني للبلاء غرضا، وجعلتني للفتنة نصبا، لم تنفسني مع ذلك، ولكن أتبعني ببلاء على إثر بلاء، ألم أكن للغريب دارا، وللمسكين قرارا، ولليتيم وليا، وللأرملة قيما؟ ما رأيت غريبا إلا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره، ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالا مكان ماله وأهلا مكان أهله، وما رأيت يتيما إلا كنت له أبا مكان أبيه، وما رأيت أيما إلا كنت لها قيما ترضى قيامه، وأنا عبد ذليل، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان، لأن المن لربي وليس لي، وإن أسأت فبيده عقوبتي، وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟.

قال أليفز: أتحاج الله يا أيوب في أمره، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ، أو تبرئها وأنت غير بريء؟ خلق السماوات والأرض بالحق، وأحصى ما فيهما من الخلق، فكيف لا يعلم ما أسررت، وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيك به؟ وضع الله ملائكة صفوفا حول عرشه وعلى أرجاء سماواته، ثم احتجب بالنور، فأبصارهم عنه كليلة، وقوتهم عنه ضعيفة، وعزيزهم عنه ذليل، وأنت تزعم أن لو خاصمك، وأدلى إلى الحكم معك، وهل تراه فتناصفه، أم هل تسمعه فتحاوره؟ قد عرفنا فيك قضاءه، إنه من أراد أن يرتفع وضعه، ومن اتضع له رفعه.

قال أيوب ﷺ: إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره، لا يرد غضبه شيء إلا رحمته، ولا ينفع عبده إلا التضرع له، قال: رب أقبل علي برحمتك، وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت؟ أو لأي شيء صرفت وجهك الكريم عني، وجعلتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني، ليس يغيب عنك شيء تحصي قطر الأمطار، وورق الأشجار، وذر التراب، أصبح جلدي كالثوب العفن، بأيه أمسكت سقط في يدي، فهب لي قربانا من عندك، وفرجا من بلائي، بالقدرة التي تبعث موتى العباد، وتنشر بها ميت البلاد، ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي، ولا تفسد عمل يديك، وإن كنت غنيا عني، ليس ينبغي في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجل، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وإنما يعجل من يخاف الفوت، ولا تذكرني خطئي وذنوبي، اذكر كيف خلقتني من طين، فجعلت مضغة، ثم خلقت المضغة عظاما، وكسوت العظام لحما وجلدا، وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة، وربيتني صغيرا، ورزقتني كبيرا، ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك، فإن أخطأت فبين لي، ولا تهلكني غما، وأعلمني ذنبي، فإن لم أرضك فأنا أهل أن تعذبني، وإن كنت من بين خلقك تحصي علي عملي، وأستغفرك فلا تغفر لي، إن أحسنت لم أرفع رأسي، وإن أسأت لم تبلعني ريقي، ولم تقلني عثرتي، وقد ترى ضعفي تحتك، وتضرعي لك، فلم خلقتني، أو لم أخرجتني من بطن أمي، لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك، وليس جسدي يقوم بعذابك، فارحمني وأذقني طعم العافية من قبل أن أصير إلى ضيق القبر وظلمة الأرض، وغم الموت.

قال صافر: قد تكلمت يا أيوب، وما يطيق أحد أن يحبس فمك، تزعم أنك بريء، فهل ينفعك إن كنت بريئا وعليك من يحصي عملك، وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك، هل تعلم سمك السماء كم بعده؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده؟ أم هل تعلم أي الأرض أعرضها؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به؟ أم هل تعلم أي البحر أعمقه؟ أم هل تعلم بأي شيء تحبسه؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه، فإن الله خلقه وهو يحصيه، لو تركت كثرة الحديث، وطلبت إلى ربك رجوت أن يرحمك، فبذلك تستخرج رحمته، وإن كنت تقيم على خطيئتك وترفع إلى الله يديك عند الحاجة وأنت مصر على ذنبك إصرار الماء الجاري في صبب لا يستطاع إحباسه، فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوه الأشرار، وتظلم عيونهم، وعند ذلك يسر بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم، وتقدموا في التضرع،

ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها، وهم الذين كابدوا الليل، واعتزلوا الفرش، وانتظروا الأسحار.

قال أيوب: أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم، وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني، وأنا معروف حقي منتصف من خصمي، قاهر لمن هو اليوم يقهرني، يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه ويسألني، فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك، ولكنه يبكي معه، وإن كنت جادا فإن عقلي يقصر عن الذي تسألني عنه، فسل طير السماء هل تخبرك، وسل وحوش الأرض هل ترجع إليك؟ وسل سباع البرية هل تجيبك؟ وسل حيتان البحر هل تصف لك كل ما عددت؟ تعلم أن صنع هذا بحكمته، وهيأه بلطفه. أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه، وما طعم بفيه، وما شم بأنفه، وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه، له الحكمة والجبروت، وله العظمة واللطف، وله الجلال والقدرة، إن أفسد فمن ذا الذي يصلح؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يفصح؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه، وإن أذن لها ابتلعت الأرض، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه، وتطيش العلماء عند علمه، وتعيا الحكماء عند حكمته، ويخسأ المبطلون عند سلطانه، هو الذي يذكر المنسي، وينسى المذكور، ويجري الظلمات والنور، هذا علمي، وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي، وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي.

قال بلدد: إن المنافق يجزى بما أسر من نفاقه، وتضل عنه العلانية التي خادع بها، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها، ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة، ويوحش سبيله، وتوقعه في الأحبولة سريرته، وينقطع اسمه من الأرض، فلا ذكر فيها ولا عمران، لا يرثه ولد مصلحون من بعده، ولا يبقى له أصل يعرف به، ويبهت من يراه، وتقف الأشعار عند ذكره.

قال أيوب: إن أكن غويا فعلي غواي، وإن أكن بريا فأي منعة عندي، إن صرخت فمن ذا الذي يصرخني، وإن سكت فمن ذا الذي يعذرني، ذهب رجائي وانقضت أحلامي، وتنكرت لي معارفي؛ دعوت غلامي، فلم يجبني، وتضرعت لأمتي فلم ترحمني، وقع علي البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي، انظروا وابهتوا من العجائب التي في جسدي، أما سمعتم بما أصابني، وما شغلكم عني ما رأيتم بي، لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سماواته، وألقاني هاهنا، وهنت عليه، لا هو عذرني بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمعه، ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلى لي لذابت كليتاي، وصعق روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي، ونزع الهيبة مني، علمت بأي ذنب عذبني، نودي فقيل: يا أيوب، قال: لبيك، قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار في فم الأسد، والسخال في فم العنقاء، واللحم في فم التنين، ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرة من الشمس، ويرد أمس لغد، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ودعتك إليه تذكرت أي مرام رام بك، أردت أن تخاصمني بغيك؟ أم أردت أن تحاجيني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمر بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل ماء الأرض؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال، هل لك من ذراع تطيق حملها، أم هل تدري كم مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب،

وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أي شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل؟ وأين طريق النور؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزانة الريح، كيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار، ومن ذلت الملائكة لملكه، وقهر الجبارين بجبروته، وقسم أرزاق الدواب بحكمته، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معايشها، وعطفها على أفراخها، من أعتق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلطين، أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير، وأولاد الدواب لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت مكانه في منقطع التراب، والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤوسهما، كأنها آكام الحبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكأن جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أأنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السحاب، عيناه توقدان نارا، ومنخراه يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخله الهموم، تمر به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل [زبر] الحديد عنده مثل التين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من النشاب، ولا يحس وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كل شيء يمر به ملك الوحوش، وإياه آثرت بالقوة على خلقي، هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه، أو واضع اللجام في شدقه، أتظنه يوفي بعهدك، أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره، أم هل تدري أجله، أو تفوت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى؟

قال أيوب ﷺ: قصرت عن هذا الأمر الذي تعرض لي، ليت الأرض انشقت بي، فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع علي البلاء، إلهي حملتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية، ولا تغيب عنك غائبة، من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا، فأما الآن فهو بصر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي، وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، ودست وجهي لصغاري، وسكت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك غضبي، إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صحابتك قربانا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك"[1].

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٤٨٣-٤٩٣. وهذه القصة من الإسرائيليات المروية عن وهب بن منبه أوردها المفسرون.
وانظر سفر أيوب الأصحاح الأول والثاني والثالث.

وأعلم أيها القاريء بأن هذا الخبر بطوله، من أساطير الإسرائيليين وافتراءاتهم، فإن علماء العقيدة قد نصوا على أن الأنبياء لا يمرضون أمراضا منفرة تحط من قدرهم، فتنبه والله أعلم.

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" ورددنا عليه ما فقده من أهل وولد ومال مضاعفًا"(١).

واختلف في الأهل الذي ذكر الله في قوله: {وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [الأنبياء : ٨٤]، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة. قاله عكرمة(٢)، ومجاهد-في رواية(٣).

قال ليث: "أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب {وآتيناه أهله ومثلهم معهم}، فقال: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب"(٤).

الثاني: أنهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا، إذ ردهم إليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم. وهذا قول ابن مسعود(٥)، وابن عباس(٦)، والحسن-في رواية-(٧)، وقتادة(٨)، ومجاهد –في رواية أخرى(٩).

قال ابن عباس:" لما دعا أيوب استجاب الله له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين، رد إليه أهله ومثلهم معهم"(١٠).

قال مجاهد:" أحياهم بأعيانهم، ورد إليه مثلهم"(١١).

قال مجاهد:" قيل له: إن شئت أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا"(١٢).

قال الحسن وقتادة: "أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم"(١٣).

الثالث: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه. وهذا قول الحسن-في رواية أخرى-(١٤).

قوله تعالى:{رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" فَعَلْنا به ذلك رحمة منَّا"(١٥).

قال الطبري:معناه:" فعلنا بهم ذلك رحمة منا له"(١٦).

قوله تعالى:{وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" وتذكرة لغيره من العابدين ليصبوا كما صبر"(١٧).

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨-٥٠٧.
(١٣) أخرجه الطبري:٥٠٧/١٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(١٥) التفسير الميسر:٣٢٩.
(١٦) تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(١٧) صفوة التفاسير:٢٤٩/٢.

قال الطبري:" يقول: وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به، ويعلموا أن الله قد يبتلي أولياءه ومن أحب من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختبارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده"(١).

قال القرطبي:" أي: وتذكيرا للعباد، لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحنته له وهو أفضل أهل زمانه وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيها لهم على إدامة العبادة، واحتمال الضرر"(٢).

قال كعب القرظي:" أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء"(٣).

واختلف في مدة إقامة النبي أيوب-عليه السلام- في البلاء، على أربعة أقوال:

أحدها: كانت مدة البلاء ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ(٤).
الثاني: سبع سنين. قاله ابن عباس(٥).
الثالث: ثلاثين سنة. قاله وهب(٦).
الرابع: سبع سنين وستة أشهر. قاله الحسن(٧).

القرآن

{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)} [الأنبياء : ٨٥]

التفسير:

واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل.

قوله تعالى:{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ} [الأنبياء : ٨٥]، أي:" واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل"(٨).

قال الطبري:" يعني تعالى ذكره بإسماعيل: إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد، وبإدريس: أخنوخ، وبذي الكفل: رجلا تكفل من بعض الناس، إما من نبي وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله"(٩).

قال السعدي:" أي: واذكر عبادنا المصطفين، وأنبياءنا المرسلين بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الثناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبيين من أنبياء بني إسرائيل"(١٠).

---

(١) تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(٢) تفسير القرطبي:٣٢٧/١١.
(٣) أخرجه الطبري:٥٠٧/١٨.
(٤)غريب. أخرجه البزار ٢٣٥٧ «كشف» وأبو يعلى ٣٦١٧ وابن حبان ٢٨٩٨ والحاكم ٢/ ٥٨١ والطبراني «الطوال» ٤٠ وأبو نعيم ٣/ ٣٧٤- ٣٧٥ من حديث أنس، ورجاله رجال البخاري ومسلم، وقال الحاكم على شرطهما!، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي ١٣٨٠٠: رجال البزار رجال الصحيح اه. وقال أبو نعيم: غريب من حديث الزهري لم يروه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم. ومع ذلك استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٣٩، وانظر: «البداية والنهاية» ١/ ٢٢٢- ٢٢٣.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٦٠):ص٣٢٤٤/١٠-٣٢٤٥.
(٦) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٢٧/١١.
(٧) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٢٧/١١.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٩) تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(١٠) تفسير السعدي:٥٢٩.

قال الزمخشري:" قيل في ذى الكفل: هو إلياس. وقيل: زكريا. وقيل: يوشع بن نون، وكأنه سمى بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود[١] على الحقيقة. وقيل: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم. وقيل: خمسة من الأنبياء ذوو اسمين: إسرائيل ويعقوب. إلياس وذو الكفل. عيسى والمسيح. يونس وذو النون. محمد وأحمد: صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[٢].

وفي {وَذَا الْكِفْلِ}[الأنبياء : ٨٥]، قولان:

أحدهما: أنه لم يكن نبيا، ولكنه كان عبدا صالحا، قاله أبو موسى الأشعري[٣]، ومجاهد[٤].

ثم اختلف أرباب هذا القول في عله تسميته بذي الكفل على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجلا كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسمي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري[٥].

الثاني: أنه تكفل للنبي بقومه أن يكفيه أمرهم ويقيمه ويقضي بينهم بالعدل ففعل، فسمي: ذا الكفل، قاله مجاهد[٦].

وقال ابن عباس:" كان قاض في بني إسرائيل، فحضره الموت فقال: من يقوم مقامي على إن لا يغضب؟ قال: فقال رجل: أنا فسمى ذا الكفل قال: فكان ليله جميعا يصلي، ثم يصبح صائما فيقضي بين الناس. قال: وله ساعة يقيلها قال: فكان كذلك، فأتاه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه: مالك؟ قال: إنسان مسكين له على رجل حق، وقد غلبني عليه، قالوا: كما أنت حتى يستيقظ، قال: وهو فوق نائم- قال: فجعل يصيح عمدا حتى يوقظه قال: فسمع، فقال: مالك؟ قال: إنسان مسكين، له على رجل حق قال: اذهب فقل له: يعطيك، قال: قد أبي قال: اذهب أنت إليه قال: فذهب، ثم جاء من الغد فقال: مالك؟ قال: ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأسا. قال: اذهب إليه فقل له: يعطيك حقك، قال: فذهب، ثم جاء من الغد حين قال: قال: فقال له أصحابه: اخرج فعل الله بك، تجيء كل يوم حين ينام، لا تدعه ينام؟ فجعل يصيح: من أجل أني إنسان مسكين لو كنت غنيا؟ قال: فسمع أيضا، فقال: مالك؟ قال: ذهبت إليه فضربني، قال: امش حتى أجئ معك قال: فهو ممسك بيده فلما راه ذهب معه نثر يده منه ففر"[٧].

قال مجاهد:" لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس، فقال: من يتقبل لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، قال: فقام رجل تزدريه العين، فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم، قال: فردهم ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل، فقال: أنا، فاستخلفه، قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان، فأعياهم، فقال: دعوني وإياه، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة، فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقص عليه، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا، فجعل يطول عليه، حتى حضر الرواح، وذهبت القائلة، وقال: إذا رحت فأتني آخذ لك بحقك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرى الشيخ، فلم يره، فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة، فأخذ مضجعه، أتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم، ففتح له، فقال: ألم أقل

---

(١)في الصحاح «الجد» الحظ والبخت. تقول: جددت يا فلان، أى: صرت ذا جد، فأنت جديد حظيظ، ومجدود محظوظ.

(٢) الكشاف:١٣١/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٨-٥١١.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٨-٥١١.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١٨.

(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٠٣):ص٢٤٦٢/٨.

لك إذا قعدت فأتني، فقال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد، قالوا نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلق فإذا رحت فأتني، قال: ففاتته القائلة، فراح فجعل ينظر فلا يراه، فشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام، فإني قد شق علي النوم، فلما كان تلك الساعة جاء، فقال له الرجل وراءك، فقال: إني قد أتيته أمس فذكرت له أمري، قال: والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت، فتسور منها، فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب، قال: واستيقظ الرجل فقال: يا فلان، ألم آمرك؟ قال: أما من قبلي والله فلم تؤت، فانظر من أين أتيت، قال: فقام إلى الباب، فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا هو معه في البيت، فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال: نعم أعييتني في كل شيء، ففعلت ما ترى لأغضبك، فسماه: ذا الكفل، لأنه تكفل بأمر فوفى به"[١].

وعن عبد الله بن الحارث: "أن نبيا من الأنبياء، قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس: ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: تقوم الليل، وتصوم النهار، ولا تغضب فمات ذلك النبي، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس، فكان لا يغضب، فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل، فضرب الباب ضربا شديدا، فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة، فأرسل معه رجلا فقال: لا أرضى بهذا الرجل، فأرسل معه آخر، فقال: لا أرضى بهذا، فخرج إليه فأخذ بيده، فانطلق معه، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب، فسمي ذا الكفل"[٢].

الثالث: أن ملكا قتل في يوم ثلاثمائة نبي، وفر منه مائة نبي، فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسمي ذا الكفل، قاله ابن السائب[٣].

القول الثاني: أنه كان نبيا، قاله الحسن[٤]، وعطاء[٥].

قال عطاء: "أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسمي: ذا الكفل"[٦].

وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ في الكفل: «أنه كان رجلا لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائبا، ومات من ليلته، فأصبح مكتوبا على بابه: قد غفر الله للكفل»[٧].

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٥٠٨-٥٠٩.
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٥٠٨.
(٣) انظر: زاد المسير:٣/٢٠٧.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣/٤٦٤، وزاد المسير:٣/٢٠٧.
(٥) انظر: زاد المسير:٣/٢٠-٢٠٨.
(٦)زاد المسير:٣/٢٠-٢٠٨.
(٧) تفسير الثعلبي:٦/٢٩٩، والحديث ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٤٩٦ وأحمد ٢/ ٢٣ والحاكم ٤/ ٢٥٤ ح ٧٦٥١ من حديث ابن عمر. صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وكذا صححه أحمد شاكر في «المسند» ! مع أن مداره على سعد مولى طلحة، وهو مجهول كما في «التقريب» .
وأخرجه ابن حبان ٣٨٧ عن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهذا إسناد ظاهره الحسن، لكنه معلول. وقال الترمذي عقب روايته: حديث حسن، ورواه غير واحد عن الأعمش فرفعوه.
ورواه بعضهم فلم يرفعه، ورواه أبو بكر بن عياش فأخطأ فيه، فقال: عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو غير محفوظ اه. وهو كما قال الترمذي رحمه الله. وهذا الحديث إنما يعرف بسعد مولى طلحة، وهو مجهول. وهناك علة أخرى، وهي الاضطراب في المتن. ففي «مسند أحمد» و «سنن الترمذي» و «المستدرك» ، «كان الكفل» ، وعند ابن حبان «كان ذو الكفل» وعند ابن حبان «سمعته أكثر من عشرين مرة» وعند غيره «سبع مرات» وهذه الرواية تدل على وهنه. فلو كرره النبي ﷺ عشرين مرة أو سبع مرات لرواه عدد من

قال ابن الجوزي:" فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا، وإذا قلنا: إنه نبي، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر، فوافقني، وقال: ليس هذا بذاك"[١].

قوله تعالى:{كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الأنبياء : ٨٥]، أي:" ، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره"[٢].

قال الطبري:" كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله"[٣].

قال ابن الجوزي:" أي: على طاعة الله وترك معصيته"[٤].

قال السعدي:" الصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها.

فهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبا من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي. فبصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفا وفضلا"[٥].

القرآن

{وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)} [الأنبياء : ٨٦]

التفسير:

وأدخلناهم في رحمتنا، إنهم ممن صلح باطنه وظاهره، فأطاع الله وعمل بما أمره به.

قوله تعالى:{وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا} [الأنبياء : ٨٦]، أي:" أدخلناهم بصبرهم وصلاحهم الجنة دار الرحمة والنعيم"[٦].

قال الطبري:يقول:" وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل {فِي رَحْمَتِنَا}"[٧].

قال مقاتل:" يعني: في نعمتنا وهي النبوة"[٨].

قال الحسن: "أدخلناهم في رحمتنا وهي الجنة"[٩].

قال الماتريدي:" جائز أن يكون جميع ما نالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله رحمة الله وفضله، وهكذا أن من نال شيئا من الخيرات والطاعات فإنما ينال ذلك كله برحمته"[١].

الصحابة. ولحمله جماعة من التابعين. كيف ولم يروه سوى رجل مجهول. فالخبر واه، وقد استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٤١ لكنه ذكر أنه لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة، والصواب أن الترمذي قد رواه كما تقدم. وقال الحافظ ابن كثير في «تاريخه» ١/ ٢٢٦: غريب جدا. وفي إسناده نظر، فإن سعدا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد. ووثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله الرازي اه. وقد ورد نحو هذه القصة في خبر الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار. ومما يدل على وهن هذا الحديث أن الكفل هذا أو «ذا الكفل» مات في الليلة التي تاب فيها، فكيف ذلك والآية وصفت إياه بالصبر؟! فتنبه والله أعلم.

(١) زاد المسير:٢٩٨/٣.

(٢) التفسير الميسر:٣٢٩.

(٣) تفسير الطبري:٥١١/١٨.

(٤) زاد المسير:٢٩٨/٣.

(٥) تفسير السعدي:٥٢٩.

(٦) صفوة التفاسير:٢٥٠/٢.

(٧) تفسير الطبري:٥١١/١٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٩٠/٣.

(٩) حكاه عنه الماتريدي في تأويلات أهل السنة:٣٦٨/٧.

قال السمعاني:" قال بعض أهل المعاني: إن قوله: {وأدخلناهم في رحمتنا} أبلغ من قوله: ورحمناهم؛ لأن قوله: {وأدخلناهم في رحمتنا} يقتضي أنهم غمروا بالرحمة، وقوله: ورحمناهم يقتضي أنه أصابهم رحمته"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ} [الأنبياء : ٨٦]، أي:" لأنهم من أهل الفضل والصلاح"(٣).

قال الطبري:" يقول: إنهم ممن صلح، فأطاع الله، وعمل بما أمره"(٤).

قال مقاتل:" يعني: من المؤمنين"(٥).

قال السمعاني:" «الصلاح»: اسم يجمع جميع خصال الخير"(٦).

فوائد الآيات:[٨٣-٨٦]:

١- علو مقام الصبر ومثله الشكر فالأول على البأساء والثاني على النعماء.
٢- فضيلة الدعاء وهو باب الاستجابة وطريقها من ألهمه ألهم الاستجابة
٣- التوسل إلى الله تعالى بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله، كما قال أيوب عليه السلام: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء: ٨٣]، فتوسل إلى الله بالإخبار عن حالة نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة.
٤- في سير الصالحين مواعظ وفي قصص الماضيين عبر.
٥- من ابتلى بفقد مال أو أهل أو ولد فصبر كان له من الله الخلف، وفي الحديث:« ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف الله له خيرا منها»(٧).

القرآن

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)} [الأنبياء : ٨٩]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كَبِرت سنُّه قائلا رب لا تتركني وحيدًا لا عقب لي، هب لي وارثًا يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي، وأنت خير الباقين وخير مَن خلفني بخير.

قوله تعالى:{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا} [الأنبياء : ٨٩]، أي:" واذكر - أيها الرسول - خبر رسولنا زكريا حين دعا ربه دعاء مخلص منيب قائلاً: ربّ لا تتركني وحيداً بلا ولد ولا وارث"(٨).

قال الطبري:يقول:" واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه {رب لا تذرني} وحيدا {فردا} لا ولد لي ولا عقب، فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني"(٩).

قوله تعالى:{وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} [الأنبياء : ٨٩]، أي:" وأنت خير الباقين وخير مَن خلفني بخير"(١٠).

قال الطبري:" ثم رد الأمر إلى الله فقال :{وأنت خير الوارثين}"(١).

---

(١) تأويلات أهل النسة:٣٦٨/٧.
(٢) تفسير السمعاني:٤٠٢/٣.
(٣) صفوة التفاسير:٢٥٠/٢.
(٤) تفسير الطبري:٥١١/١٨.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٩٠/٣.
(٦) تفسير السمعاني:٤٠٢/٣.
(٧)حديث أم سلمة: أخرجه مسلم (٦٣١/٢، رقم ٩١٨) ، وابن ماجه (٥٠٩/١، رقم ١٥٩٨) .
حديث أبى سلمة: أخرجه أحمد (٣٠٩/٦، رقم ٢٦٦٧٧).
(٨) صفوة التفاسير:٢٥٠/٢.
(٩) تفسير الطبري:٥٢٠/١٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٩.

قال الصابوني:أي:" وأنت يا رب خير من يبقى بعد كل من يموت"[٢].
قال الآلوسي:أي:" وأنت خير حي يبقى بعد ميت، وفيه مدح له تعالى بالبقاء وإشارة إلى فناء من سواه من الأحياء، وفي ذلك استمطار لسحائب لطفه عز وجل، وقيل أراد بذلك رد الأمر إليه سبحانه كأنه قال: إن لم ترزقني ولدا يرثني فأنت خير وارث فحسبي أنت"[٣].

القرآن

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)} [الأنبياء : ٩٠]

التفسير:

فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقرًا، إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير، ويدعوننا راغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا، وكانوا لنا خاضعين متواضعين.

قوله تعالى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" فاستجبنا له دعاءه"[٤].
قال الطبري:" فاستجبنا لزكريا دعاءه"[٥].
قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى"[٦].
قال الطبري:" ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه"[٧].
قوله تعالى:{وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقرًا"[٨].
قال الفراء:" يقول: كانت عقيما فجعلناها تلد فذلك صلاحها"[٩].
قال مقاتل:" يعني: امرأته فحاضت وكانت لا تحيض من الكبر"[١٠].
قال سعيد بن جبير:" كانت لا تلد"[١١].
قال قتادة:" كانت عاقرا فجعلها الله ولودا ووهب له منها يحيي"[١٢].
وقال محمد بن كعب القرظي:" كان في خلقها شيء"[١٣].
قال عطاء:" كان في خلقها سوء وفي لسانها طول وهو البذاء، فأصلح الله ذلك
قال الطبري:" إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخلق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض"[١٥].

---

(١) تفسير الطبري:٥٢٠/١٨.
(٢) صفوة التفاسير:٢٥٠/٢.
(٣) روح المعاني:٨٣/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٥) تفسير الطبري:٥٢٠/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٧) تفسير الطبري:٥٢٠/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٩) معاني القرآن:٢١٠/٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٩١/٣.
(١١) أخرجه الطبري:٥٢٠/١٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٧):ص٢٤٦٥/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٦):ص٢٤٦٥/٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٥):ص٢٤٦٥/٨.
(١٥) تفسير الطبري:٥٢١/١٨.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير"[١].

قال الطبري:" يقول الله: إن الذين سميناهم، يعني زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقربهم إلينا"[٢].

قال الصابوني:أي:" إنما استجبنا دعاء من ذُكر من الأنبياء لأنهم كانوا صالحين يجدّون في طاعة الله ويتسابقون في فعل الطاعات وعمل الصالحات"[٣].

قال مقاتل:" يعني: أعمال الصالحات، يعني: زكريا وامرأته"[٤].

قوله تعالى:{وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" ويدعوننا راغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا"[٥].

قال الطبري:" وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال {وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا} ويعنى بقوله {رغبا} أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله {ورهبا}، يعني: رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته"[٦].

قال مقاتل:" {ويدعوننا رغبا} في ثواب الله- عز وجل- {ورهبا} من عذاب الله- عز وجل"[٧].

عن ابن جريج قوله: "{ويدعوننا رغبا ورهبا}، قال: رغبا: طمعا وخوفا، وليس ينبغي لأحدهما إن يفارق الآخر"[٨].

عن ابن زيد، قوله: "{ويدعوننا رغبا ورهبا}، قال: خوفا وطمعا، قال: وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر"[٩].

قال سفيان:" رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا"[١٠].

قوله تعالى:{وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" وكانوا لنا خاضعين متواضعين"[١١].

قال الطبري:" يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا"[١٢].

عن قتادة: قوله: "{وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}، قال: أذلاء"[١٣].

قال مقاتل:" يعني لله- سبحانه- متواضعين"[١٤].

قال الحسن:" الخشوع الخوف الدايم في القلب"[١٥].

عن عبد الله بن حكيم قال: "خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن

---

(١) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٢) تفسير الطبري:٥٢١/١٨.
(٣) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٩١/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٦) تفسير الطبري:٥٢١/١٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٩١/٣.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧١٨):ص٢٤٦٦/٨.
(٩) أخرجه الطبري:٥٢١/١٨.
(١٠) تفسير سفيان الثوري(٦٥٠: ٢٥: ٣٤):ص٢٠٤-٢٠٥.
(١١) التفسير الميسر:٣٢٩.
(١٢) تفسير الطبري:٥٢٢/١٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٧):ص٢٤٦٥/٨.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٩١/٣.
(١٥)تفسير سفيان الثوري(٦٥١: ٢٦: ١٤):ص٢٠٥ .

الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: {إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين}"[1].

القرآن

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١)} [الأنبياء : ٩١]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحرام، ولم تأتِ فاحشة في حياتها، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فخلق الله بذلك النفخ المسيح عيسى عليه السلام، فحملت به من غير زوج، فكانت هي وابنها بذلك علامة على قدرة الله، وعبرة للخلق إلى قيام الساعة.

قوله تعالى:{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} [الأنبياء : ٩١]، أي:" واذكر - أيها الرسول - قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحرام"[2].

قال الطبري:" واذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران، حفظت فرجها ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه"[3].

قال مقاتل:" {أحصنت فرجها} من الفواحش، لأنها قذفت وهي مريم بنة عمران أم عيسى- صلى الله عليهما-"[4].

قال ابن كثير:" قَرَن تعالى قصة مريم وابنها عيسى ، عليه السلام ، بقصة زكريا وابنه يحيى ، عليهما السلام ، فيذكر أولا قصة زكريا ، ثم يتبعها بقصة مريم ؛ لأن تلك مُوَطِّئة لهذه ، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طَعَن في السن ، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها ، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب ، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر. هكذا وقع في سورة "آل عمران" ، وفي سورة "مريم" ، وهاهنا ذكر قصة زكريا ، ثم أتبعها بقصة مريم"[5].

عن ابن عباس قال: "كتب قيصر إلى معاوية: سلام عليك أما بعد.... فأنبئني بأكرم عباد الله عليه وأكرم إمائه عليه، فكتب إليه: أما بعد.. كتبت إلي تسألني فقلت: أما أكرم عباده عليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها، وأما أكرم إمائه عليه فمريم بنت عمران التي أحصنت فرجها"[6].

قوله تعالى:{فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} [الأنبياء : ٩١]، أي:" فأمرنا جبريل فنفخ في فتحة درعها - قميصها - فدخلت النفخة إلى جوفها فحملت بعيسى"[7].

قال قتادة:" نفخ في جيبها"[8].

قال مقاتل:" نفخ جبريل- عليه السلام- في جيبها فحملت من نفخة جبريل بعيسى- صلى الله عليهم-"[9].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : ٩١]، أي:" وجعلنا مريم مع ولدها عيسى علامةً وأعجوبة للخلق تدل عدرتنا الباهرة ليعتبر بها الناس"[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧١٩):ص٢٤٦٦/٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٣) تفسير الطبري:٥٢٢/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٩١/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٧١/٥.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٠):ص٢٤٦٦/٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢١):ص٢٤٦٦/٨.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٩١/٣.

قال ابن كثير:" أي : دلالة على أن الله على كل شيء قدير ، وأنه يخلق ما يشاء ، و { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس : ٨٢]. وهذا كقوله : { وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ } [مريم : ٢١]"[٢].

قال مقاتل:" يعني: عبرة لبني إسرائيل، فكانا آية إذ حملت مريم- عليها السلام- من غير بشر، وولدت عيسى من غير أب- صلى الله عليه-"[٣].

قال الطبري:" يقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء"[٤].

عن ابن عباس ، قوله : "{ لِلْعَالَمِينَ } قال: الجن والإنس"[٥].

قال الفراء:" ولم يقل: آيتين، لأن شأنهما واحد. ولو قيل: آيتين لكان صوابا لأنها ولدت وهي بكر، وتكلم عيسى في المهد فتكون آيتين إذ اختلفتا"[٦].

فوائد الآيات:[٨٧-٩١]:

١- فضيلة دعوة ذي النون: {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} . إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له، وقوله تعالى: {وكذلك ننجي المؤمنين} يقوي هذا الخبر.

٢- استحباب سؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهو به فقط.

٣- تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا.

٤- فضيلة المسارعة في الخيرات والدعاء برغبة ورهبة والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء.

٥- فضيلة العفة والاحصان للفرج.

٦- كون مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير فحل، ولأن عيسى كان كذلك وكلم الناس في المهد، وكان يحيى الموتى بإذن الله تعالى.

القرآن

{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)} [الأنبياء : ٨٧]

التفسير:

واذكر قصة صاحب الحوت، وهو يونس بن مَتَّى عليه السلام، أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعَّدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج مِن بينهم غاضبًا عليهم، ضائقًا صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر، فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه؛ لتركه الصبر على قومه، قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين.

قوله تعالى:{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا} [الأنبياء : ٨٧]، أي:" واذكر قصة صاحب الحوت، حين خرج من بلده مغاضباً لقومه إذ كان يدعوهم إلى الإيمان فيكفرون حتى أصابه ضجر منهم فخرج عنهم"[٧].

قال الطبري:يقول:" واذكر يا محمد صاحب الحوت، يونس بن متى حين ذهب مغاضبا"[١].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٧١/٥.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٩١/٣.
(٤) تفسير الطبري:٥٢٢/١٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٥٥):ص٢٦٦٠/٨.
(٦) معاني القرآن:٢١٠/٢.
(٧) انظر: صفوة التفاسير:٢٥٠/٢.

قال ابن كثير:" وذلك أن يونس بن مَتَّى ، عليه السلام ، بعثه الله إلى أهل قرية "نينوى" ، وهي قرية من أرض الموصل ، فدعاهم إلى الله ، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث. فلما تحققوا منه ذلك ، وعلموا أن النبي لا يكذب ، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، وفرقوا بين الأمهات وأولادها ، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل ، وجأروا إليه ، ورغت الإبل وفُصْلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وحُمْلانها ، فرفع الله عنهم العذاب ، قال الله تعالى : { فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } [يونس : ٩٨].

وأما يونس ، عليه السلام ، فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فَلَجَّجت بهم ، وخافوا أن يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه ، فوقعت القرعة على يونس ، فأبوا أن يلقوه ، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا ، فأبوا ، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا ، قال الله تعالى : { فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ } [الصافات : ١٤١] ، أي : وقعت عليه القرعة، فقام يونس ، عليه السلام ، وتجرد من ثيابه ، ثم ألقى نفسه في البحر ، وقد أرسل الله ، سبحانه وتعالى ، من البحر الأخضر - فيما قاله ابن مسعود - حوتًا يشق البحار ، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة ، فأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا ، ولا تهشم له عظما ؛ فإن يونس ليس لك رزقا ، وإنما بطنك له يكون سجنًا"[٢].

وفي قوله تعالى:{إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا} [الأنبياء : ٨٧]، وجوه:

أحدها : يعني: مراغماً للملك وكان اسمه حزقيا ولم يكن به بأس ، حكاه النقاش[٣].

الثاني : مغاضباً عن قومه ، قاله ابن عباس[٤]، والحسن[٥]، والضحاك[٦].

الثالث : مغاضباً لربه ، إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه. قاله ابن عباس[٧]، والشعبي[٨].

قال ابن عباس:" بعثه الله، يعني يونس إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه، فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبحها أدلج ورآه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم، وفرقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجوا إلى الله، فاستقالوه، فأقالهم، وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها، حتى مر به مار، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها، وعجوا إلى الله وتابوا إليه، فقبل منهم، وأخر عنهم العذاب، قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا، وعدتهم العذاب في يوم ثم رد عنهم، ومضى على وجهه مغاضبا"[٩].

الرابع: إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه، ويدعوهم إليه، فسأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له: الأمر أسرع من ذلك، ولم ينظر حتى شاء أن

---

(١) تفسير الطبري:٥١١/١٨.[بتصرف]
(٢) تفسير ابن كثير:٣٦٦/٥.
(٣) انظر: النكت والعيون:٤٦٥/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٨.
(٥) انظر: النكت والعيون:٤٦٥/٣.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٠٤):ص٢٤٦٣/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٨-٥١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥١٢/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٥١٢/١٨.

ينظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها، فقيل له نحو القول الأول، وكان رجلا في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا. وهذا قول الحسن[١].

الخامس: وهو ما قاله عمرو بن قيس:" كانت تكون أنبياء جميعا يكون عليهم واحد، فكان يوحى إلى ذلك النبي ﷺ: أرسل فلان إلى بني فلان، فقال الله: إذ ذهب مغاضبا قال: مغاضبا لذلك النبي"[٢].

قوله تعالى:{فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} [الأنبياء : ٨٧]، أي:" فظنَّ يونس أنْ لن نضيّق عليه بالعقوبة"[٣].

وفي قوله تعالى:{فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} [الأنبياء : ٨٧]، أربعة وجوه من التفسير:

أحدها : معناه:فظن أن لن نضيّق عليه، وأنّا نخلّيه ونهمله. والعرب تقول: فلان مقدّر عليه في الرزق، ومقتّر عليه، بمعنى واحد، أي مضيّق عليه. ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر: ١٦]، أي: ضيق عليه. قاله ابن قتيبة[٤].

الثاني : فظن أن لن نعاقبه بما صنع ، قاله قتادة[٥]، ومجاهد[٦]، والضحاك[٧]، والكلبي[٨]، ومقاتل[٩].

قال الاخفش:" أي: لن نقدر عليه العقوبة، لأنه قد اذنب بتركه قومه وانما غاضب بعض الملوك ولم يغاضب ربه كان بالله عز وجل اعلم من ذلك"[١٠].

وقال ابن عباس:" ظن أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه إذ غضب عليهم، وفراره وعقوبته أخذ النون إياه"[١١].

الثالث : فظن أن لن نحكم عليه بما حكمنا ، حكاه ابن شجرة[١٢].

قال الفراء : يريد أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرنا"[١٣].

وقرأ ابن عباس : «نقدّر» بالتشديد[١٤]، وهو معنى ما ذكره الفراء.

قال الماوردي:"ولا يجوز أن يكون محمولاً على العجز عن القدرة عليه لأنه كفر"[١٥].

وروي عن عوف سعيد بن أبي الحسن، قال: "بلغني أن يونس لما أصاب الذنب، انطلق مغاضبا لربه، واستزله الشيطان، حتى ظن أن لن نقدر عليه، قال: وكان له سلف وعبادة وتسبيح، فأبى الله أن يدعه للشيطان، فأخذه فقذفه في بطن الحوت، فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم، فأمسك الله نفسه فلم يقتله هناك، فتاب إلى ربه في بطن الحوت، وراجع نفسه، قال: فقال: {سبحانك إني كنت من الظالمين}، قال: فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته، بما كان سلف من العبادة والتسبيح، فجعله من الصالحين، قال عوف: وبلغني أنه قال في دعائه: وبنيت لك مسجدا في مكان لم يبنه أحد قبلي"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٥١٣/١٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٠٥):ص٢٤٦٣/٨.
(٣) صفوة التفاسير:٢٥٠/٢.
(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن:٢٣٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٤/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥١٤/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٨.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٩٠/٣.
(١٠) معاني القرآن:٤٤٩/٢.
(١١) أخرجه الطبري:٥١٤/١٨.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٦٦/٣.
(١٣) معاني القرآن:٢٠٩/٢.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٤٦٦/٣.
(١٥) النكت والعيون:٤٦٦/٣.
(١٦) أخرجه الطبري:٥١٥/١٨.

عن إياس بن معاوية المدني، :"أنه كان إذا ذكر عنده يونس، وقوله {فظن أن لن نقدر عليه}، يقول إياس: فلم فر؟"[١].

الرابع : أنه على معنى استفهام ، تقديره : أفظن أن لن نقدر عليه ، فحذف ألف الاستفهام إيجازاً ، قاله ابن زيد[٢]، وسليمان بن المعتمر[٣].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عنى به: فظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه، لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك، وأما ما قاله ابن زيد، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلا على أنه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في قوله :{فظن أن لن نقدر عليه}، دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد، كان معلوما أنه ليس به وإذا فسد هذان الوجهان، صح الثالث وهو ما قلنا"[٤].

قوله تعالى:{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء : ٨٧]، أي:" فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه؛ لتركه الصبر على قومه، قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين"[٥].

قال الطبري:" يقول: نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائبا من خطيئته {إني كنت من الظالمين} في معصيتي إياك"[٦].

قال ابن عباس:" معترفا بذنبه، تائبا من خطيئته"[٧].

محمد بن قيس: قوله :"{لا إله إلا أنت سبحانك}، ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك، {إني كنت من الظالمين}، حين عصيتك"[٨].

قال عوف الأعرابي: "لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات، ثم حرك رجله، فلما تحركت سجد مكانه، ثم نادى: يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع ما اتخذه أحد"[٩].

عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت: أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر عظما، فأخذه، ثم هوى به إلى مسكنه من البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس حسا، فقال في نفسه: ما هذا؟ قال: فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبه؟ قال: ذاك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر، قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم ، قال: فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في الساحل، كما قال الله تبارك وتعالى:{وهو سقيم}"[١٠].

وفي قوله تعالى:{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ} [الأنبياء : ٨٧]، ثلاثة أقوال:

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٥١٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥١٥-٥١٦.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣/٤٦٧.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٥١٦.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٦) تفسير الطبري:١٨/٥١٧.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٥١٧.
(٨) أخرجه الطبري:١٨/٥١٧-٥١٨.
(٩) أخرجه الطبري:١٨/٥١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٥١٨.

أحدها : أنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، قاله ابن عباس[١]، وقتادة[٢]، وعمرو بن ميمون[٣]، وابن جريج[٤]، ومحمد بن كعب[٥].
الثاني : أنها ظلمة الحوت في بطن الحوت ، قاله سالم بن أبي الجعد[٦].
قال سالم بن أبي الجعد:" أوحى الله إلى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما، ثم ابتلع الحوت حوت آخر، قال: {فنادى في الظلمات}، قال: ظلمة الحوت، ثم حوت، ثم ظلمة البحر"[٧].
الثالث : أنها ظلمة الخطيئة ، وظلمة الشدة ، وظلمة الوحدة . أفاده الماوردي[٨].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات :{أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين}، ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات: بطن الحوت، وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، وجائز أن تكون تلك الثالثة: ظلمة الليل، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل"[٩].

القرآن
{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)} [الأنبياء : ٨٨]
التفسير:
فاستجبنا له دعاءه، وخلَّصناه مِن غَم هذه الشدة، وكذلك ننجي المصدِّقين العاملين بشرعنا.
قوله تعالى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} [الأنبياء : ٨٨]، أي:" فاستجبنا له دعاءه"[١٠].
قال الطبري:" {فاستجنا} ليونس دعاءه إيانا، إذ دعانا في بطن الحوت، ونجيناه من الغم الذي كان فيه بحبسناه في بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه"[١١].
قوله تعالى:{وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ} [الأنبياء : ٨٨]، أي:" وخلَّصناه مِن غَم هذه الشدة"[١٢].
قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا"[١٣].
قال ابن كثير:" أي : أخرجناه من بطن الحوت ، وتلك الظلمات"[١٤].
وفي مدة لبثه في بطن الحوت ثلاثة أقوال:
أحدها : أربعون يوماً. قاله سعيد بن ابي الحسن[١٥].
الثاني : ثلاثة أيام[١٦].
الثالث : من ارتفاع النهار إلى آخره[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٥١٧/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥١٧/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٥١٧/١٨.
(٨) انظر: النكت والعيون:٤٦٦/٣.
(٩) تفسير الطبري:٥١٧/١٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٢٩.
(١١) تفسير الطبري:٥١٨/١٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٢٩.
(١٣) تفسير الطبري:٥١٨/١٨.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٦٨/٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٤٦٨/٣.

قال الشعبي : "أربع ساعات ، ثم فتح الحوت فاه فرأى يونس ضوء الشمس ، فقال : سبحانك إني كنت من الظالمين ، فلفظه الحوت"[٢].

قال ابن زيد: "ما لفظه الحوت حتى صار مثل الصبي المنفوس، قد نشر اللحم والعظم، فصار مثل الصبي المنفوس، فألقاه في موضع، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين"[٣].

قال ابن عباس: "كانت رسالة يونس بعد أن ألقاه الحوت"[٤].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء : ٨٨]، أي:" وكذلك ننجي المصدِّقين العاملين بشرعنا"[٥].

قال ابن كثير:" أي : إذا كانوا في الشدائد ودَعَونا منيبين إلينا ، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء ، فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الأنبياء "[٦].

عن سعد بن مالك، قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، دعوة يونس بن متى، قال: فقلت: يا رسول الله، هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هي ليونس بن متى خاصة، وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى :{فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين}،فهو شرط الله لمن دعاه بها"[٧].

عن سعد ابن أبي وقاص - قال : "مررت بعثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، في المسجد ، فسلمت عليه ، فملأ عينيه مني ثم لم يَرُدْ عليّ السلام ، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت : يا أمير المؤمنين ، هل حدث في الإسلام شيء ؟ مرتين ، قال : لا وما ذاك ؟ قلت : لا إلا أني مررتُ بعثمان آنفا في المسجد ، فسلمت عليه ، فملأ عينيه مني ، ثم لم يَرْدُد علي السلام. قال : فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه ، فقال : ما منعك ألا تكون رَدَدت على أخيك السلام ؟ قال : ما فعلتُ. قال سعد : قلتُ : بلى حتى حلفَ وحلفت ، قال : ثم إن عثمان ذكرَ فقال : بلى ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، إنك مررت بي آنفا وأنا أحدّث نفسي بكلمة سمعتُها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرتها قط إلا تَغْشَى بصري وقلبي غشَاوة. قال سعد : فأنا أنبئك بها ، إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله ، حتى قَام رسولُ الله ﷺ فاتبعته ، فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض ، فالتفت إليّ رسولُ الله ﷺ فقال : "من هذا ؟ أبو إسحاق ؟" قال : قلت : نعم ، يا رسول الله. قال : "فمه ؟" قلت : لا والله ، إلا أنك ذكرتَ لنا أول دعوة ، ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك. قال : "نعم ، دعوةُ ذي النون ، إذ هو في بطن الحوت : { لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ، فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له"[٨].

القرآن

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)} [الأنبياء : ٩٢]

التفسير:

هؤلاء الأنبياء جميعًا دينهم واحد، الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة وإفراده بالعبادة، والله سبحانه وتعالى رب الخلق فاعبدوه - أيها الناس - وحده لا شريك له.

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤٦٨/٣.
(٢) انظر: النكت والعيون:٤٦٨/٣.
(٣) أخرجه الطبري:١١٢/٢١.
(٤) حكاه عنه مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية:٦١٦٤/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٦٨/٥.
(٧) أخرجه الطبري:٥١٩/١٨.
(٨)المسند (١٧٠/١) وسنن الترمذي برقم (٣٥٠٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٤٩٢).

قوله تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [الأنبياء : ٩٢]، أي:" هؤلاء الأنبياء جميعًا دينهم واحد، الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة وإفراده بالعبادة"[١].

قال ابن عباس:" إن هذا دينكم دينا واحدا"[٢].

قال قتادة:" أي دينكم دين واحد، وربكم واحد والشريعة مختلفة"[٣].

قال الطبري:يقول:" إن هذه ملتكم ملة واحدة"[٤].

قال الزجاج:" المعنى: أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلا فيها"[٥].

قال مقاتل:" يقول: إن هذه ملتكم التي أنتم عليها، يعني شريعة الإسلام هي ملة واحدة كانت عليها الأنبياء والمؤمنون الذين نجوا من عذاب الله- عز وجل-"[٦].

قال ابن كثير:" أي : سنتكم سنة واحدة "[٧].

قال السعدي:" أي: هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضا واحد"[٨].

قوله تعالى:{وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء : ٩٢]، أي:" والله سبحانه وتعالى رب الخلق فاعبدوه - أيها الناس - وحده لا شريك له"[٩].

قال الطبري:يقول:" وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني"[١٠].

قال السعدي:" {وأنا ربكم} الذي خلقتكم، وربيتكم بنعمتي، في الدين والدنيا، فإذا كان الرب واحدا، والنبي واحدا، والدين واحدا، وهو عبادة الله، وحده لا شريك له، بجميع أنواع العبادة كان وظيفتكم والواجب عليكم، القيام بها، ولهذا قال: {فاعبدون} فرتب العبادة على ما سبق بالفاء، ترتيب المسبب على سببه"[١١].

القرآن

{وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣)} [الأنبياء : ٩٣]

التفسير:

لكن الناس اختلفوا على رسلهم، وتفرَّق كثير من أتباعهم في الدين شيعًا وأحزابًا، فعبدوا المخلوقين والأهواء، وكلهم راجعون إلينا ومحاسبون على ما فعلوا.

قوله تعالى:{وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} [الأنبياء : ٩٣]، أي:" لكن الناس اختلفوا على رسلهم، وتفرَّق كثير من أتباعهم في الدين شيعًا وأحزابًا"[١٢].

قال الطبري:يقول:" وتفرق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه، فصاروا فيه أحزابا، فهودت اليهود، وتنصرت النصارى وعبدت الأوثان"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : اختلفت الأمم على رسلها ، فمن بين مُصَدق لهم ومكذب"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٩٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٢):ص٢٤٦٦/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٣):ص٢٤٦٦/٨.
(٤) تفسير الطبري:٥٢٣/١٨.
(٥) معاني القرآن:٤٠٤/٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٩٢/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٧١/٥.
(٨) تفسير السعدي:٥٣٠.
(٩) التفسير الميسر:٣٩٠.
(١٠) تفسير الطبري:٥٢٣/١٨.
(١١) تفسير السعدي:٥٣٠.
(١٢) التفسير الميسر:٣٩٠.
(١٣) تفسير الطبري:٥٢٣/١٨.

قال مقاتل:" فرقوا دينهم الإسلام الذي أمروا به فيما بينهم فصاروا زبرا، يعني: فرقا"[٢].

قال الواحدي:" أي: اختلفوا في الدين فصاروا فيه فرقا وأحزابا، يعني: طوائف اليهود والنصارى، و«التقطع» في هذه الآية بمنزلة: التقطيع"[٣].

قال الكلبي: "فرقوا دينهم فيما بينهم، يلعن بعضهم بعضا، وتبرأ بعضهم من بعض"[٤].

قال ابن زيد:" تقطعوا: اختلفوا، في الدين"[٥].

قال السعدي:" كان اللائق، الاجتماع على هذا الأمر، وعدم التفرق فيه، ولكن البغي والاعتداء، أبيا إلا الافتراق والتقطع. ولهذا قال: {وتقطعوا أمرهم بينهم} أي: تفرق الأحزاب المنتسبون لاتباع الأنبياء فرقا، وتشتتوا، كل يدعي أن الحق معه، والباطل مع الفريق الآخر و {كل حزب بما لديهم فرحون}"[٦].

قوله تعالى:{كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ} [الأنبياء : ٩٣]، أي:" وكلهم راجعون إلينا ومحاسبون على ما فعلوا"[٧].

قال الواحدي:" أخبر أن مرجع جميع أهل الأديان إليه، وأنه مجاز جميعهم"[٨].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، فيجازَى كل بحسب عمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر"[٩].

قال السعدي:" قد علم أن المصيب منهم، من كان سالكا للدين القويم، والصراط المستقيم، مؤتما بالأنبياء وسيظهر هذا، إذا انكشف الغطاء، وبرح الخفاء، وحشر الله الناس لفصل القضاء، فحينئذ يتبين الصادق من الكاذب، ولهذا قال: {كل} من الفرق المتفرقة وغيرهم {إلينا راجعون} أي: فنجازيهم أتم الجزاء"[١٠].

القرآن

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤)} [الأنبياء : ٩٤]

التفسير:

فمن التزم الإيمان بالله ورسله، وعمل ما يستطيع من صالح الأعمال طاعةً لله وعبادة له فلا يضيع الله عمله ولا يبطله، بل يضاعفه كله أضعافًا كثيرة، وسيجد ما عمله في كتابه يوم يُبْعث بعد موته.

قوله تعالى:{فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الأنبياء : ٩٤]، أي:" من يعمل شيئاً من الطاعات وأعمال البرّ والخير بشرط الإيمان"[١١].

قال الطبري:" فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح، وأطاعه في أمره ونهيه، وهو مقر بوحدانية الله؛ مصدق بوعده ووعيده متبرئ من الأنداد والآلهة"[١٢].

قال مقاتل:" يقول وهو مصدق بتوحيد الله- عز وجل-"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٧١/٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٩٢/٣.
(٣) التفسير الوسيط:٢٥١/٣.
(٤) التفسير الوسيط:٢٥١/٣.
(٥) أخرجه الطبري:٥٢٤/١٨.
(٦) تفسير السعدي:٥٣٠.
(٧) التفسير الميسر:٣٩٠.
(٨) التفسير الوسيط:٢٥١/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٧١/٥.
(١٠) تفسير السعدي:٥٣٠.
(١١) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٥٢٤/١٨.

قوله تعالى:{فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ} [الأنبياء : ٩٤]، أي:" لا بُطلان لثواب عمله ولا يضيع شيء من جزائه"[٢].

قال أبو عبيدة:" أي: فلا كفر لعمله، وقال[٣]:

من الناس ناس لا تنام جدودهم ... وجدّى ولا كفران لله نائم"[٤].

قال الطبري:" يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له، وهو به مؤمن، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه، ولا يكفر ذلك له فيجحده، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح"[٥].

قال الزجاج:" كفران: مصدر مثل الغفران والشكران، والعرب تقول: غفرانك لا كفرانك"[٦].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} [الأنبياء : ٩٤]، أي:" وسيجد ما عمله في كتابه يوم يُبْعث بعد موته"[٧].

قال الطبري:" يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره"[٨].

قال يحي:" تكتب له حسناته حتى يجزى بها الجنة"[٩].

قال الواحدي:أي:" نأمر الحفظة أن يكتبوا لذلك العامل ما عمل ليجازى به"[١٠].

القرآن

{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)} [الأنبياء : ٩٥]

التفسير:

وممتنع على أهل القرى التي أهلكناها بسبب كفرهم وظلمهم، رجوعهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة؛ ليستدركوا ما فرطوا فيه.

قال الطبري: يقول:" حرام على أهل قرية أهلكناهم بطبعنا على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم، إذ صدوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا، أن يتوبوا ويراجعوا الإيمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا"[١١].

وفي تفسير هذه الآية وجهان:

أحدهما : معناه: حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة، وهو قول عكرمة[١٢].

عن عكرمة: "«وحرم»، قال: وجب {على قرية أهلكناها} قال: كتبنا عليها الهلاك في دينها {أنهم لا يرجعون} عما هم عليه"[١٣].

عن عكرمة: "{وحرم}، قال: وجب بالحبشية"[١٤].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٩٢/٣.
(٢) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.
(٣) البيت غير منسوب في الجمهرة ٣/ ٤١٥، وتفسير الطبري:٥٢٤/١٨.
(٤) مجاز القرآن٤٢/٢.
(٥) تفسير الطبري:٥٢٤/١٨.
(٦) معاني القرآن:٤٠٤/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٩٠.
(٨) تفسير الطبري:٥٢٤/١٨.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٣٤٠/١.
التفسير الوسيط:٢٥١/٣(١٠) .
(١١) تفسير الطبري:٥٢٦/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٢٥/١٨.
(١٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦٧٢/٥، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٦):ص٢٤٦٧/٨.

الثاني : وحرام على قرية أهلكناها بالعذاب أنهم لا يرجعون إلى الدنيا ، وهذا قول ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وقتادة[٣]، وبه قال ابن كثير[٤].

قال قتادة:" أي" وجب عليها أنها إذا هلكت لا ترجع إلى دنياها"[٥].

عن ابن عباس: "أنه كان يقرأ هذه الآية :«وحرم على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون»، فلا يرجع منهم راجع، ولا يتوب منهم تائب"[٦].

وقال ابن عباس:" وجب على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون، كما قال: {ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون}"[٧].

قال الطبري:" والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي بالصواب، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بعث به إليهم الرسل، ثم أخبر عن صنيعه بمن عم بما دعته إليه رسله من الإيمان به والعمل بطاعته، ثم أتبع ذلك قوله: {وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون}، فلأن يكون ذلك خبرا عن صنيعه بمن أبى إجابة رسله وعمل بمعصيته، وكفر به، أحرى، ليكون بيانا عن حال القرية الأخرى التي لم تعمل الصالحات وكفرت به "[٨].

القرآن

{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)}

[الأنبياء : ٩٦ - ٩٧]

التفسير:

فإذا فُتِح سد يأجوج ومأجوج، وانطلقوا من مرتفعات الأرض وانتشروا في جنباتها مسرعين، دنا يوم القيامة وبدَتْ أهواله فإذا أبصار الكفار مِن شدة الفزع مفتوحة لا تكاد تَطْرِف، يدعون على أنفسهم بالويل في حسرة: يا ويلنا قد كنا لاهين غافلين عن هذا اليوم وعن الإعداد له، وكنا بذلك ظالمين.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ} [الأنبياء : ٩٦]، أي:" حتى إذا فتح سدُّ يأجوج ومأجوج"[٩].

قال يحيى:" يعني: فلما فتحت يأجوج ومأجوج"[١٠].

قال الطبري:يقول:" حتى إذا فتح عن يأجوج ومأجوج، وهما أمتان من الأمم ردمهما"[١١].

قال ابن جريج:" أمتان من وراء ردم ذي القرنين"[١٢].

قال ألو العالية:" إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضعف، وإن الجن يزيدون على الإنس الضعف، وإن يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج"[١٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٧٢٤)، (١٣٧٢٥):ص٢٤٦٧/٨.
(٢) انظر: النكت والعيون:٤٧٠/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٢٧):ص٢٤٦٧/٨.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير:٣٧٢/٥.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٧):ص٢٤٦٧/٨.
(٦) أخرجه الطبري:٥٢٥/١٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٥):ص٢٤٦٧/٨.
(٨) تفسير الطبري:٥٢٥/١٨-٥٢٦.
(٩) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٤١/١.
(١١) تفسير الطبري:٥٢٦/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٢٩/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٨.

عن عبد الله بن عمرو أنه قال: "إن يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة، ويمر آخرهم فيقول: قد كان في هذا مرة ماء، لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، وقال: من بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله: تأويل، وتاريس، وناسك أو منسك، شك شعبة"(١).

قال عبد الله بن عمرو: "يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقمون ما شاءوا، ونساء يجامعون ما شاءوا، وشجر يلقمون ما شاءوا، ولا يموت رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا"(٢).

قال عمرو البكالي،: "إن الله جزأ الملائكة والإنس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون وهم الملائكة الذي يحملون العرش، ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، قال: ومن بقي من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته، ثم جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء، فتسعة منهم الجن، لا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة، ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج، وسائر الإنس جزء"(٣).

عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: "رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج"(٤).

قال أبو سعيد: "يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا إلا قتلوه، إلا أهل الحصون، فيمرون على البحيرة فيشربونها، فيمر المار فيقول: كأنه كان ههنا ماء، قال: فبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصيروا خبالا فتقول أهل الحصون: لقد هلك أعداء الله، فيدلون رجلا لينظر، ويشترط عليهم إن وجدهم أحياء أن يرفعوه، فيجدهم قد هلكوا، قال: فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم في البحر، فتطهر الأرض منهم، ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل، وتخرج الأرض ثمرتها كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج"(٥).

قال كعب:"إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل قالوا: نجيء غدا فنخرج، فيعيدها الله كما كانت، فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان، فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول: نجيء غدا فنخرج إن شاء الله، فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه، فيحفرون ثم يخرجون، فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها، ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان ههنا مرة ماء - وتفر الناس منهم، فلا يقوم لهم شيء، يرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: غلبنا أهل الأرض وأهل السماء، فيدعو عليهم عيسى ابن مريم، فيقول: اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم، فاكفناهم بما شئت، فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف، فتفرس رقابهم، ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الأرض منهم وتنبتها، حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن، قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت، قال: فبينا الناس كذلك، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده، فيبعث عيسى طليعة سبع مائة، أو بين السبع مائة والثمان مائة، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن، ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم، فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع، فمن تكلف بعد قولي هذا شيئا أو على هذا شيئا فهو المتلكف"(٦).

عن حذيفة بن اليمان، قال رسول الله ﷺ: "أول الآيات: الدجال، ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر، تقيل معهم إذا قالوا، والدخان، والدابة، ثم

---

(١) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٥٢٨/١٨-٥٢٩.
(٤) أخرجه الطبري:٥٢٨/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٥٢٨/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٥٢٩/١٨.

يأجوج ومأجوج. قال حذيفة: قلت: يا رسول الله، وما يأجوج ومأجوج؟ قال: يأجوج ومأجوج أمم كل أمة أربع مائة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه، وهم ولد آدم، فيسيرون إلى خراب الدنيا، يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق، فيمرون بأنهار الدنيا، فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس، فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء، فيرمون بالنشاب إلى السماء، فترجع نشابهم مخضبة بالدم، فيقولون قد قتلنا من في السماء، وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين، فيوحي الله ﷻ إلى عيسى: أن أحرز عبادي بالطور وما يلي أيلة، ثم إن عيسى يرفع رأسه إلى السماء ويؤمن المسلمون، فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النغف، تدخل من مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام إلى حاق العراق، حتى تنتن الأرض من جيفهم، ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب، فتغسل الأرض من جيفهم ونتنهم، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها"[١].

قوله تعالى:{وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [الأنبياء : ٩٦]، أي:" وهم لكثرتهم من كل مرتفع من الأرض ومن كل أكمة وناحية يسرعون للنزول"[٢].

قال الطبري:" يعني: وهم من كل شرف ونشز وأكمة يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب، كما قال الشاعر[٣]:

عسلان الذئب أمسى قاربا ... برد الليل عليه فنسل"[٤].

قال الفراء:" الحدب كل أكمة ومكان مرتفع"[٥].

قال الزجاج:" رويت أيضا :«من كل جدث ينسلون»، - بالجيم والثاء - والأجود في هذا الحرف، {حدب ينسلون} بالحاء، والحدب كل أكمة، و {ينسلون}: يسرعون"[٦].

عن ابن عباس، قوله :"{من كل حدب ينسلون}، يقول: من كل شرف يقبلون"[٧].

قال قتادة:" من كل أكمة"[٨].

قال ابن زيد:" الحدب: الشيء المشرف"[٩]. قال ابن زيد:" هذا مبتدأ يوم القيامة"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [الأنبياء : ٩٦]، قولان:

أحدهما: أنهم بنو آدم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة. وهذا قول مجاهد[١١].

قال مجاهد:" جمع الناس من كل مكان جاءوا منه يوم القيامة، فهو حدب"[١٢].

الثاني: عني بذلك يأجوج، ومأجوج. وأن قوله {وهم} كناية عن أسمائه، موهذا قول عبدالله[١٣]، وبه قال الطبري[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري:٥٢٦/١٨-٥٢٧.
(٢) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.
(٣)البيت للبيد أو للنابغة الجعدي (اللسان: عسل، ونسل) . وعسل الذئب والثعلب يعسل عسلا وعسلانا: مضى مسرعا، واضطرب في عدوه، وهز رأسه. والقارب: الذي يطلب الماء ليلا، يسير إليه مسرعا. ونسل الماشي ينسل (كيضرب ويقتل) نسلا (بالتسكين والتحريك) ونسلانا: أسرع. وأصل النسلان للذئب، ثم استعمل في غيره.
(٤) تفسير الطبري:٥٣٢/١٨.
(٥) معاني القرآن:٢١١/٢.
(٦) معاني القرآن:٤٠٥/٣.
(٧) أخرجه الطبري:٥٣٢/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٥٣٢/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٥٣٢/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٥٣٢/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٣٠/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٣٠/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٣١/١٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٣١/١٨.

عن عبدالله، قال:" يخرج يأجوج ومأجوج فيمرحون في الأرض، فيفسدون فيها، ثم قرأ عبد الله {وهم من كل حدب ينسلون}، قال: ثم يبعث الله عليهم دابة مثل النغف، فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها فتنتن الأرض منهم، فيرسل الله عز وجل ماء فيطهر الأرض منهم"[١].

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله :{من كل حدب ينسلون}، فيغشون الأرض"[٢].

قوله تعالى:{وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ} [الأنبياء : ٩٧]، أي:" دنا يوم القيامة وبدَتْ أهواله"[٣].

قال يحيى:" يعني: النفخة الآخرة"[٤].

قال الطبري:يقول:" حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، اقترب الوعد الحق، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه"[٥].

قال الفراء:" معناه- والله أعلم-: حتى إذا فتحت اقترب"[٦].

عن ابن زيد، قوله : "{وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ}، اقترب يوم القيامة منهم"[٧].

قال حذيفة: "لو أن رجلا افتلى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة"[٨].

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الأنبياء : ٩٧]، أي:" فإذا أبصار الكفار مِن شدة الفزع مفتوحة لا تكاد تَطْرِف"[٩].

قال الطبري: يقول:" فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله وقيام الساعة بحقائقها"[١٠].

قال الكلبي:" شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم"[١١].

قال السمعاني:" أي: منزعجة"[١٢].

قال النسفي:" أي: مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه"[١٣].

قوله تعالى:{يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} [الأنبياء : ٩٧]، أي:" ويقولون يا ويلنا قد كنا لاهين غافلين عن هذا اليوم وعن الإعداد له"[١٤].

قال الطبري: "وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء"[١٥].

قال يحيى:" يعنون تكذيبهم بالساعة"[١٦].

قوله تعالى:{بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء : ٩٧]، أي:" وكنا بذلك ظالمين"[١].

---

(١) اخرجه الطبري:٥٣١/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٥٣١/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:١٣٤٥.
(٥) تفسير الطبري:٥٣٣/١٨.
(٦) معاني القرآن:٢١١/٢.
(٧) اخرجه الطبري:٥٣٣/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٥٣٣/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٠.
(١٠) تفسير الطبري:٥٣٤/١٨.
(١١) التفسير الوسيط:٢٥٢/٣.
(١٢) تفسير السمعاني:٤٠٩/٣.
(١٣) تفسير السمعاني:٤٢١/٢.
(١٤) التفسير الميسر:٣٣٠.
(١٥) تفسير الطبري:٥٣٤/١٨.
(١٦) تفسير يحيى بن سلام:١٣٤٥.

قال يحيى:أي:" لأنفسنا"[٢].
قال الواحدي:أي:" أنفسنا بتكذيب الرسل"[٣].
قال البغوي:أي:" بوضعنا العبادة في غير موضعها"[٤].
قال الطبري: أي:" ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل"[٥].
قال الصابوني:" أضربوا عن القول السابق وأخبروا بالحقيقة المؤلمة والمعنى لم نكن في غفلةٍ حيث ذكَّرتنا الرسلُ ونبَّهتنا الآيات، بل كنا ظالمين لأنفسنا بالتكذيب وعدم الإيمان"[٦].

فوائد الآيات:[٩٢-٩٧]:

١- وحدة الدين وكون الإسلام هو دين البشرية كافة لأنه قائم على أساس توحيد الله تعالى في عبادته التي شرعها ليعبد بها.
٢- بيان ما حدث للبشرية من تمزيق الدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض.
٣- وعد الله لأهل الإيمان والعمل الصالح بالجزاء الحسن وهو الجنة.
٤- تقرير حقيقة وهي إذا قَضِي بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس إلى ربهم، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة.

القرآن

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)} [الأنبياء : ٩٨]

التفسير:

إنكم - أيها الكفار - وما كنتم تعبدون من دون الله من الأصنام ومَن رضي بعبادتكم إياه من الجن والإنس، وقود جهنم وحطبها، أنتم وهم فيها داخلون.

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء : ٩٨]، أي:" إنكم أيها المشركون وما تعبدونه من الأوثان والأصنام، حطب جهنم ووقودها"[٧].

قال الطبري:يقول:" إنكم أيها المشركون بالله، العابدون من دونه الأوثان والأصنام، وما تعبدون من دون الله من الآلهة {حَصَبُ جَهَنَّمَ}"[٨].

وفي قوله تعالى:{حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء : ٩٨]، أقوال:

أحدها : وقود جهنم ، وهو قول بن عباس[٩].

وقال ابن عباس:" شجر جهنم"[١٠].

الثاني : معناه: حطب جهنم، قاله مجاهد[١١]، وقتادة[١٢]، وعكرمة[١٣].

قال ابن سلام البغدادي:" يعني: حطب جهنم بلغة قريش"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:١٣٤٥.
(٣) التفسير الوسيط:٢٥٢/٣.
(٤) تفسير البغوي:٣٥٦/٥.
(٥) تفسير الطبري:٥٣٤/١٨.
(٦) صفوة التفاسير:٢٥٢/٢.
(٧) صفوة التفاسير:٢٥٢/٢.
(٨) تفسير الطبري:٥٣٥/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٥٣٥/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٨.

وقرأ علي بن أبي طالب وعائشة : «حطب جهنم»[٢].
قال قتادة:" حطب جهنم يقذفون فيها"[٣].
الثالث : أنهم يُرمَون فيها كما يُرْمَى بالحصباء، حتى كأن جهنم تحصب بهم ، وهذا قول الضحاك[٤]، ومنه قول الفرزدق[٥]:
مستقبلين شمال الشام يضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثور
يعني: الثلج.
وقرأ ابن عباس : «حضب جهنم»، بالضاد معجمة[٦].
قال الطبري:" أراد أنهم الذين تسجر بهم جهنم، ويوقد بهم فيها النار، وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به، فهو عند العرب حضب لها"[٧].
قال أبو عبيدة:" كل شيء ألقيته فى نار فقد حصبتها، ويقال: حصب فى الأرض أي ذهب فيها"[٨].
قال الكسائي : "حضبت النار، بالضاد المعجمة، إذا أججتها فألقيت فيها ما يشعلها من الحطب"[٩] .
قوله تعالى:{أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء : ٩٨]، أي أنتم داخلوها مع الأصنام"[١٠].
قال الطبري:" معناه: أنتم عليها أيها الناس أو إليها داخلون"[١١].
قال الصابوني:" وإنما جمع الله الكفار مع معبوداتهم في النار لزيادة غمّهم وحسرتهم برؤيتهم الآلهة التي عبدوها معهم في عذاب الجحيم"[١٢].

القرآن
{لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩)} [الأنبياء : ٩٩]
التفسير:
لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله تعالى آلهة تستحق العبادة ما دخلوا نار جهنم معكم أيها المشركون، إنَّ كلا من العابدين والمعبودين خالدون في نار جهنم.
قوله تعالى:{لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا} [الأنبياء : ٩٩]، أي:" لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله تعالى آلهة تستحق العبادة ما دخلوا نار جهنم معكم أيها المشركون"[١٣].
قال ابن زيد:" الآلهة التي عبد القوم "[١٤].
قال الطبري:" أنتم أيها المشركون، وما تعبدون من دون الله واردو جهنم، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين، ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضر عنها، فهي من أن يكون ذلك

---

(١) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٥٣٥/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٨.
(٥) .
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٨.
(٧)تفسير الطبري:٥٣٦/١٨ .
(٨) مجاز القرآن:٤٢/٢.
(٩) النكت والعيون:٤٧٢/٣.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٥٢/٢.
(١١)تفسير الطبري:٥٣٦/١٨ .
(١٢) صفوة التفاسير:٢٥٢/٢.
(١٣) التفسير الميسر:٣٣٠.
(١٤) أخرجه الطبري:٥٣٧/١٨.

عندها لغيرها أبعد، ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء، فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون إلها"[١].

قوله تعالى:{وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأنبياء : ٩٩]، أي:" إنَّ كلا من العابدين والمعبودين خالدون في نار جهنم"[٢].

قال ابن زيد:" العابد والمعبود"[٣].

قال الطبري:" يعني: الآلهة ومن عبدها أنهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية"[٤].

القرآن

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)} [الأنبياء : ١٠٠]

التفسير:

لهؤلاء المعذبين في النار آلام ينبئ عنها زفيرهم الذي تندفع فيه أنفاسهم من صدورهم بشدة، وهم في النار لا يسمعون؛ من هول عذابهم.

قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ} [الأنبياء : ١٠٠]، أي:" لهؤلاء المعذبين في النار آلام ينبئ عنها زفيرهم الذي تندفع فيه أنفاسهم من صدورهم بشدة"[٥].

قوله تعالى:{وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء : ١٠٠]، أي:" وهم في النار لا يسمعون؛ من هول عذابهم"[٦].

قال القرطبي:" وفي سماع الأشياء روح وأنس، فمنع الله الكفار ذلك في النار. وقيل: لا يسمعون ما يسرهم، بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية. وقيل: إذا قيل لهم: {اخسؤا فيها ولا تكلمون} [المؤمنون: ١٠٨] يصيرون حينئذ صما بكما"[٧].

قال ابن مسعود:"إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره، ثم قرأ :{لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون}"[٨].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)} [الأنبياء : ١٠١]

التفسير:

إن الذين سبقت لهم منا سابقة السعادة الحسنة في علمنا بكونهم من أهل الجنة، أولئك عن النار مبعدون، فلا يدخلونها ولا يكونون قريبًا منها.

سبب النزول:

عن أبي يحيى، عن ابن عباس قال: "آية لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها؟ قال: وما هي؟ قال: لما نزلت: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون} شق على قريش، فقالوا: أيشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبعرى فقال: ما لكم؟ قالوا يشتم آلهتنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دَونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} قال: ادعوه لي، فلما دعي النبي - ﷺ - قال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: "لا، بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبعرى: خصمت ورب هذه

---

(١) تفسير الطبري:٥٣٧/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٣) أخرجه الطبري:٥٣٧/١٨.
(٤) تفسير الطبري:٥٣٧/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٧) تفسير القرطبي:٣٤٥/١١.
(٨) أخرجه الطبري:٥٣٧/١٨-٥٣٨.

البنية – يعني الكعبة - ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيرا عبد صالح، قال: "بلى"، قال: فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى عليه السلام، وهذه اليهود يعبدون عزيرا، قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى} الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام {أُولئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}"[١].

وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس، قال:"لما نزلت {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون}، قال المشركون: فإن عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون، فأنزل الله: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، لعيسى وغيره"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} [الأنبياء : ١٠١]، أي:" إن الذين سبقت لهم منا سابقة السعادة الحسنة في علمنا بكونهم من أهل الجنة"[٣].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} [الأنبياء : ١٠١]، وجوه:

أحدها : أنها الطاعة لله تعالى : حكاه ابن عيسى[٤].

والثاني : السعادة من الله ، وهذا قول ابن زيد[٥].

قال ابن زيد:" الحسنى: السعادة، سبقت السعادة لأهلها من الله، وسبق الشقاء لأهله من الله"[٦].

والثالث : الجنة ، وهو قول الحسن[٧]، والسدي[٨]، ومقاتل[٩].

قال الحسن:" الحسنى: الجنة، سبقت من الله عز وجل لكل مؤمن"[١٠].

الرابع : أنها الوعد. حكاه النحاس[١١].

الخامس: أنها التوبة. أفاده الماوردي[١٢].

قال الطبري:" «الحسنى»: من «الحسن»، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم"[١٣].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠١]، أي:" أولئك عن النار مبعدون، فلا يدخلونها ولا يكونون قريبًا منها"[١٤].

وفي قوله تعالى:{أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم عيسى والعزير والملائكة الذين عُبِدوا من دون الله وهم كارهون وهذا قول الحسن[١٥]، وعكرمة[١٦]، ومجاهد[١٧].

وقال ابو صالح[١٨]، والضحاك[١] :" عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة".

---

(١)أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٠٥-٣٠٦، والطبراني (المعجم الكبير: ١٥٣/١٢ - ح: ١٢٧٣٩). وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٦٩) وقال: "فيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة".

(٢) تفسير الطبري:٥٤٠/١٨. من طريق عطاء بن السائب، وعطاء اختلط.

(٣) التفسير الميسر:٣٣٠.

(٤) انظر: النكت والعيون:٤٧٣/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٨.

(٦) اخرجه الطبري:٥٤١/١٨.

(٧) انظر: تفسير مجاهد:٤٧٥.

(٨) انظر: النكت والعيون:٤٧٣/٣.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٩٤/٣.

(١٠) انظر: تفسير مجاهد:٤٧٥.

(١١) انظر: إعراب القرآن:٥٨/٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٧٣/٣.

(١٣) تفسير الطبري:٥٤٠/١٨-٥٤١.

(١٤) التفسير الميسر:٣٣٠.

(١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٣٨/١٨.

(١٦) انظر: تفسير الطبري:٥٣٨/١٨.

(١٧) انظر: تفسير الطبري:٥٣٨/١٨.

(١٨) انظر: تفسير الطبري:٥٣٩/١٨.

وقال ابن إسحاق:أي:" عيسى ابن مريم، وعزير، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله"[٢].

وقال سعيد بن جبير أنه :"عيسى-عليه السلام-"[٣].

وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: "{إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، قال: «عيسى وعزير، والملائكة»"[٤].

الثاني: أنهم علي بن ابي طالب، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن العفان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبدالرحمن. رواه النعمان بن بشيرعن علي بن أبي طالب[٥].

وروي عن علي بن ابي طالب، قال:" عثمان بن عفان"[٦].

الثالث : أنها عامة في كل من سبقت له من الله الحسنى، فإنه مبعد عن النار. ذكره الماوردي[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عني به: ما كان من معبود، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفار"[٨].

قال البغوي:" قيل: الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره"[٩].

قال ابن عباس، قوله:{ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى}، قال:"أولئك أولياء الله، يمرون على الصراط مرا هو أسرع من البرق فلا تصيبهم يسمعون حسيسها ويبقى الكافر فيها حبيسا"[١٠].

القرآن

{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)} [الأنبياء : ١٠٢]

التفسير:

لا يسمعون صوت لهيبها واحتراق الأجساد فيها فقد سكنوا منازلهم في الجنة، وأصبحوا فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها مقيمين إقامةً دائمة.

قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا} [الأنبياء : ١٠٢]، أي:" لا يسمعون حسَّ النار ولا حركة لهبها وصوتها"[١١].

قال ابن سلام البغدادي:أي:" لا يسمعون جلبتها بلغة قريش"[١٢].

قال مقاتل:" يقول: لا يسمع أهل الجنة صوت جهنم حين يقال لهم: اخسئوا فيها، ولا تكلموا، فتغلق عليهم أبوابها فلا تفتح عنهم أبدا ولا يسمع أحد صوتها"[١٣].

قال أبو عبيدة:"{ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها}، أي: صوتها والحسيس والحسّ واحد «٣» قال عبيد بن الأبرص[١٤]:

فاشتال وارتاع من حسيسها ... وفعله يفعل المذءوب"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٣٩-٥٤٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٣٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٣٨-٥٣٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٣٤):ص٨/٢٤٦٨.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٣٦):ص٨/٢٤٦٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٥٣٨.
(٧) انظر: النكت والعيون:٣/٤٧٣.
(٨) تفسير الطبري:١٨/٥٤٠. [باختصار]
(٩) تفسير البغوي:٥/٣٥٧.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٣٥):ص٨/٢٤٦٩.
(١١) صفوة التفاسير:٢/٢٥٢.
(١٢) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٩٤.
(١٤)يوانه: ١١، وشعراء النصرانية ١/ ٦١٠.

عن أبي عثمان النهدي، قوله: "{لا يسمعون حسيسها}، قال: حيات على الصراط تلسعهم، فإذا لسعتهم قالوا: حس.. حس"[٢].

عن ابن عم النعمان بن بشير قال: "وسمر مع علي ذات ليلة، فقرأ: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، قال: أنا منهم، وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم، وطلحة منهم، وعبد الرحمن منهم أو قال: سعد منهم، قال: وأقيمت الصلاة فقام، وأظنه يجر ثوبه، وهو يقول: {لا يسمعون حسيسها}"[٣].

قوله تعالى:{وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ} [الأنبياء : ١٠٢]، أي:" وأصبحوا فيما تشتهيه نفوسهم من نعيم الجنة ولذاتها مقيمين إقامةً دائمة"[٤].

قال مقاتل:" يعني: لايموتون"[٥].

قال ابن كثير:" فسلمهم من المحذور والمرهوب ، وحصل لهم المطلوب والمحبوب"[٦].

القرآن

{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)} [الأنبياء : ١٠٣ - ١٠٤]

التفسير:

لا يخيفهم الهول العظيم يوم القيامة، بل تبشرهم الملائكة: هذا يومكم الذي وُعِدتُم فيه الكرامة من الله وجزيل الثواب. يوم نطوي السماء كما تُطْوى الصحيفة على ما كُتب فيها، ونبعث فيه الخلق على هيئة خَلْقنا لهم أول مرة كما ولدتهم أمهاتهم، ذلك وعد الله الذي لا يتخلَّف، وَعَدْنا بذلك وعدًا حقًّا علينا، إنا كنا فاعلين دائمًا ما نَعِدُ به.

قوله تعالى:{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} [الأنبياء : ١٠٣]، أي:" لا يخيفهم الهول العظيم يوم القيامة"[٧].

وفي قوله تعالى:{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} [الأنبياء : ١٠٣]، اقوال:

أحدها : أن «الفزع الأكبر»: النفخة الأخيرة ، وهذا قول ابن عباس[٨]، والحسن[٩].

الثاني : أنه ذبْحُ الموتِ بين الجنة والنار، قاله ابن جريج[١٠]، وأبو بكر الهذلي[١١].

الثالث : أنه الموت. قاله عطاء[١٢].

الرابع: أنه انصراف العبد حين يؤمر به إلى النار. قاله الحسن[١٣].

الخامس: حين تطبق جهنم على أهلها ، وهذا قول سعيد بن جبير[١٤]، والكلبي[١٥].

السادس : أنه العرض في المحشر . افاده الماوردي[١].

---

(١) مجاز القرآن:٤٢/٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٣٧):ص٢٤٦٩/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٤٨):ص٢٤٦٩/٨.
(٤)التفسير الميسر:٣٣١.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٩٤/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٧٧/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٣١.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٤٩):ص٢٤٦٩/٨.
(٩) انظر: النكت والعيون:٤٧٣/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٤٢/١٨.
(١١) رواه ابن ابي حاتم، انظر: تفسير ابن كثير:٣٨١/٥.
(١٢) انظر: تفسير ابن كثير:٣٨١/٥.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٤٩):ص٢٤٦٩/٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٨-٥٤٢.
(١٥) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٨٩١):ص٣٩٤/٢.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده"[٢].

قوله تعالى:{وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠٣]، أي:" تبشرهم الملائكة، قائلين: هذا يومكم الذي وُعِدتُم فيه الكرامة من الله وجزيل الثواب"[٣].

قال الطبري:" يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون:{هذا يومكم الذي كنتم توعدون} فيه الكرامة من الله والحباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصبون في الدنيا لله في طاعته"[٤].

قال ابن زيد:" هذا قبل أن يدخلوا الجنة"[٥].

قوله تعالى:{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} [الأنبياء : ١٠٤]، أي:" يوم نطوي السماء كما تُطْوى الصحيفة على ما كُتب فيها"[٦].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} [الأنبياء : ١٠٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن السجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة ، وهذا قول ابن عباس[٧]، ومجاهد[٨].

الثاني : أنه الملك. قاله ابن عمر[٩]، والسدي[١٠].

قال ابن عمر:" السجل: ملك، فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبها نورا"[١١].

قال السدي:" السجل ملك موكل بالصحف، فإذا مات دفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعه إلى يوم القيامة"[١٢].

الثالث : أنه كاتب يكتب بين يدي رسول الله -ﷺ-، وهذا قول ابن عباس أيضا[١٣].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه"[١٤].

وقرئ:«يوم تطوى السماء» بالتاء وضمها، على وجه ما لم يسم فاعله[١٥].

قوله تعالى:{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء : ١٠٤]، أي:" ونبعث فيه الخلق على هيئة خَلْقنا لهم أول مرة كما ولدتهم أمهاتهم"[١٦].

وفي قوله تعالى:{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء : ١٠٤]، وجهان:

أحدهما: معناه: نعيد الخلق عراة حفاة غرلا يوم القيامة، كما بدأناهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم. وهذا قول ابن عباس[١]، ومجاهد[٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤٧٣/٣.
(٢) تفسير الطبري:٥٤٢/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٣١.
(٤) تفسير الطبري:٥٤٢/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٥٤٢/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٣١.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٤٣/١٨-٥٤٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٤٣/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٤٣/١٨.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٥١):ص٢٤٦٩/٨.
(١١) اخرجه الطبري:٥٤٣/١٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٥١):ص٢٤٦٩/٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٤٣/١٨.
(١٤) تفسير الطبري:٥٤٤/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٤٤/١٨.
(١٦) التفسير الميسر:٣٣١.

عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "يحشر الناس حفاة عراة غزلا فأول من يكسى إبراهيم" ثم قرأ :{كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين}"[٣].

عن مجاهد، "{أول خلق نعيده}، قال: حفاة عراة غرلا"[٤].

عن عقبة بن عامر الجهني، قال: "يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة، كما خلقوا أول يوم"[٥].

عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا قلت: يا أبا عبد الله ما الغرل؟ قال: الغلف، فقال بعض أزواجه: يا رسول الله، أينظر بعضنا إلى بعض إلى عورته؟ فقال لكل امرئ يومئذ ما يشغله عن النظر إلى عورة أخيه"، قال هلال: قال سعيد بن جبير {ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة}، قال: كيوم ولدته أمه، يرد عليه كل شيء انتقص منه مثل يوم ولد"[٦].

قالت عائشة-رضي الله عنها-: "دخل علي رسول الله ﷺ وعندي عجوز من بني عامر، فقال: من هذه العجوز يا عائشة؟ فقلت: إحدى خالاتي، فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها العجزة، قالت: فأخذ العجوز ما أخذها، فقال: إن الله ينشئهن خلقا غير خلقهن، ثم قال: يحشرون حفاة عراة غلفا، فقالت: حاش لله من ذلك، قال رسول الله ﷺ: بلى إن الله قال: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا} ... إلى آخر الآية، فأول من يكسى إبراهيم خليل الله"[٧].

الثاني: معناه: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا، كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية، حتى لا يكون شيء سوانا. وهذا قول ابن عباس[٨].

قال ابن عباس:" نهلك كل شيء كما كان أول مرة"[٩].

قوله تعالى:{وَعْدًا عَلَيْنَا} [الأنبياء : ١٠٤]، أي:" وَعَدْنا بذلك وعدًا حقًّا علينا"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وعدناكم ذلك وعدا حقا علينا أن نوفي بما وعدنا"[١١].

قال ابن كثير:" يعني : هذا كائن لا محالة ، يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا ، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع ، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل ، وهو القادر على ذلك"[١٢].

قوله تعالى:{إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء : ١٠٤]، أي:" إنا كنا فاعلين دائمًا ما نَعِدُ به"[١٣].

قال الطبري: يقول: "إنا كنا فاعلي ما وعدناكم من ذلك أيها الناس، لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله، على يقين بأن ذلك كائن، واستعدوا وتأهبوا"[١٤].

قال الصابوني:" أي قادرين على ما نشاء، وهو تأكيد لوقوع البعث"[١٥].

فوائد الآيات:[٩٨-١٠٤]:

١- تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

---

(١) انظر: تفسيرالطبري:١٨/٥٤٥.
(٢)انظر: تفسيرالطبري:١٨/٥٤٥.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٥.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٥.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٦.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٦.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٦.
(٩) اخرجه الطبري:١٨/٥٤٦.
(١٠) التفسير الميسر:٣٣١.
(١١) تفسير الطبري:١٨/٥٤٧.
(١٢) تفسير ابن كثير:٥/٣٨٣-٣٨٤.
(١٣) التفسير الميسر:٣٣١.
(١٤) تفسير الطبري:١٨/٥٤٧.
(١٥) صفوة التفاسير:٢/٢٥٣.

٢- من عبد من دون الله بأمره أو برضاه سيكون ومن عبده وقوداً لجهنم ومن لم يأمر ولم يرض فلا يدخل النار مع من عبده بل العابد له وحده في النار.
٣- بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه، والأرض في قبضته يوم القيامة.
٤- بعث الناس حفاة عراة غرلا لم ينزع منهم شيء ولا غلفة الذكر إنجاز الله وعده في قوله: {كما بدأكم تعودون} فسبحان الواحد القهار العزيز الجبار.

القرآن

{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)} [الأنبياء : ١٠٥]

التفسير:

ولقد كتبنا في الكتب المنزلة من بعد ما كُتِب في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون الذين قاموا بما أُمروا به، واجتنبوا ما نُهوا عنه، وهم أمة محمد ﷺ.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} [الأنبياء : ١٠٥]، أي:" ولقد كتبنا في الكتب المنزلة من بعد ما كُتِب في اللوح المحفوظ"(١).

قال الطبري: يقول:" ولقد قضينا، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب"(٢).

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} [الأنبياء : ١٠٥]، أربعة أقوال:

أحدها : أن الزبور الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه، و«الذكر» أُمّ الكتاب الذي عنده في السماء ، وهذا قول مجاهد(٣)، وابن زيد(٤).

قال ابن زيد:" الزبور: الكتب التي أنزلت على الأنبياء، و«الذكر»: أم الكتاب الذي تكتب فيه الأشياء قبل ذلك"(٥).

وقال سعيد بن جبير:" {الذكر}: الذي في السماء"(٦).

قال الزجاج:" الزبور: جميع الكتب، التوراة، والإنجيل، والفرقان، زبور، لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد. ويقال زبرت وكتبت بمعنى واحد، والمعنى: ولقد كتبنا في الكتب من بعد ذكرنا في السماء {الأرض يرثها عبادي الصالحون}"(٧).

والثاني : أن «الذكر»: التوراة، و«الزبور»: الكتب. قاله ابن عباس(٨)، والضحاك(٩).

قال الضحاك:" «الذكر»: التوراة، ويعني بـ«الزبور من بعد التوراة»: الكتب"(١٠).

الثالث: أن «الزبور»: القرآن، و«الذكر»: التوراة، والمعنى: كتبنا في القرآن بعد التوراة. وهذا قول سعيد بن جبير(١١).

الرابع: أن «الزبور»: زبور داود، و«الذكر»: توراة موسى صلى الله عليهما. وهذا قول عامر الشعبي(١٢).

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي

---

(١) التفسير الميسر:٣٣١.
(٢) تفسير الطبري:٥٤٩/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٥٤٧/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٤٧/١٨.
(٥) اخرجه الطبري:٥٤٧/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٥٤٧/١٨.
(٧) معاني القرآن:٤٠٧/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٤٨/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٤٨/١٨.
(١٠) اخرجه الطبري:٥٤٧/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٤٩/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٤٨/١٨.

كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال منه: زبرت الكتاب وذبرته: إذا كتبته، وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه، فهو ذكر. فإذ كان ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر، الدلالة البينة أنه معني به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم، فقد كان قبل زبور داود"[١].

قوله تعالى:{أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء : ١٠٥]، أي:" أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون الذين قاموا بما أُمروا به، واجتنبوا ما نُهوا عنه"[٢].

قال الطبري: " يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده، دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته"[٣].

قال سهل بن عبدالله:" أضافهم إلى نفسه وحلاهم بحلية الصلاح، معناه: لا يصلح إلا ما كان خالصا لي، لا يكون لغيري فيه أثر، وهم الذين أصلحوا سريرتهم مع الله، وانقطعوا بالكلية عن جميع ما دونه"[٤].

وفي قوله تعالى:{أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء : ١٠٥]، وجوه:

أحدها : أنها أرض الجنة يرثها أهل الطاعة ، وهذا قول ابن عباس[٥]، سعيد بن جبير[٦]، وابي العالية[٧]، ومجاهد[٨]، وابن زيد[٩].

قال الزجاج:" قيل في التفسير إنها أرض الجنة، ودليل هذا القول قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ} [المؤمنون : ١٠ - ١١]"[١٠].

قال ابن عباس:" أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض، أن يورث أمة محمد ﷺ الأرض، ويدخلهم الجنة، وهم الصالحون"[١١].

قال ابن زيد:" فالجنة مبتدؤها في الأرض ثم تذهب درجات علوا، والنار مبتدؤها في الأرض، وبينهما حجاب سور ما يدري أحد ما ذاك السور، وقرأ {باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب}- قال: ودرجها تذهب سفالا في الأرض، ودرج الجنة تذهب علوا في السماوات"[١٢].

الثاني: أنها أرض الدنيا، والذي يرثها أمة محمد -ﷺ-، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[١٣].

قال الزجاج:" وهذا القول أشبه، كما قال الله عز وجل: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الجمعة : ١، التغابن:١]، والأرض إذا ذكرت فهي دليلة على الأرض التي نعرفها، ودليل هذا القول أيضا: قوله: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأعراف : ١٣٧]. وهذه الآية من أجل شواهد الفقهاء أن الأرض ليس مجراها مجرى سائر ما يعمر"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٥٤٨-٥٤٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٣١.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.
(٤) تفسير التستري:١٠٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٥٠.
(١٠) معاني القرآن:٣/٤٠٧.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٩.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨/٥٥٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٥٠.
(١٤) معاني القرآن:٣/٤٠٧.

الثالث: أنها الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث. وهذا قول عامر بن عبدالله[١].

قال صفوان:" سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ قال: فقال: إن الأرض التي يقول الله :{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون}، قال: هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث"[٢].

الرابع : أنها الأرض المقدسة يرثها بنو إسرائيل ، وهذا قول الكلبي[٣].

قال القرطبي:" أحسن ما قيل فيه أنه يراد بها أرض الجنة كما قال سعيد بن جبير، لأن الأرض في الدنيا قال قد ورثها الصالحون وغيرهم"[٤].

القرآن

{إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦)} [الأنبياء : ١٠٦]

التفسير:

إن في هذا المتلوّ من الموعظة لَعبرة كافية لقوم عابدين الله بما شرعه لهم ورضيه منهم.

قال الطبري:" إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله إلى رضوانه، وإدراك الطلبة عنده"[٥].

قال ابن الجوزي: المعنى:" أن من اتبع القرآن وعمل به، كان القرآن بلاغه إلى الجنة"[٦].

عن كعب، قوله :"{إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين}ـ قال: صوم شهر رمضان، وصلاة الخمس، قال: هي ملء اليدين والبحر عبادة"[٧].

قال كعب:" والذي نفس كعب بيده، إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين، إنهم لأهل، أو أصحاب الصلوات الخمس، سماهم الله عابدين"[٨].

عن الجريري، قال: "قال كعب الأحبار {إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين}: لأمة محمد"[٩].

عن ابن عباس، قوله :"{إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين}، يقول: عاملين"[١٠].

قال ابن جريج:" يقولون في هذه السورة لبلاغا"[١١].

وقال ابن زيد:" إن في هذا لمنفعة وعلما لقوم عابدين، ذاك البلاغ"[١٢].

قال سهل بن عبدالله:" لم يجعله بلاغا لجميع عباده، بل خصه لقوم عابدين، وهم الذين عبدوا الله تعالى، وبذلوا له مهجهم، لا من أجل عوض، ولا من أجل الجنة، ولا من أجل النار، بل حبا له وافتخارا بما أهلهم لعبادتهم إياه، والله سبحانه وتعالى أعلم"[١٣].

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)} [الأنبياء : ١٠٧]

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٥٠.
(٢) أخرجه الطبري:١٨/٥٥٠.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣/٤٧٥.
(٤) تفسير القرطبي:١١/٣٤٩.
(٥) تفسير الطبري: ١٨/٥٥٠.
(٦) زاد المسير:٣/٢١٨.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٥٥١.
(٨) أخرجه الطبري:١٨/٥٥١.
(٩) أخرجه الطبري:١٨/٥٥١.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٥٥١.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٥٥١.
(١٢) أخرجه الطبري:١٨/٥٥١.
(١٣) تفسير التستري:١٠٥.

التفسير:
وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا رحمة لجميع الناس، فمن آمن بك سَعِد ونجا، ومن لم يؤمن خاب وخسر.

قال الطبري:يقول: " وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي"[١].

وفي الحديث:« إنما بعثت رحمة مهداة»[٢]. قال السمعاني:" أي: هدية من الله"[٣].

وقال-ﷺ-:« إنى لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة»[٤].

قال الزمخشري:" أرسل ﷺ رحمة للعالمين لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه. ومن خالف ولم يتبع. فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها. ومثاله: أن يفجر الله عينا غديقة، فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجرة في نفسها، نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه، حيث حرمها ما ينفعها. وقيل: كونه رحمة للفجار، من حيث أن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال"[٥].

واختلف أهل التفسير في معنى هذه الآية، على قولين:

أحدهما: عني بها جميع العالم المؤمن والكافر. قاله ابن عباس[٦].

قال السمعاني:" وهذا القول أشهر، وأما معنى رحمته للكافرين فهو تأخير العذاب عنهم، وقيل: هو رفع عذاب الاستئصال عنهم، وأما رحمته للمؤمنين فمعلومة"[٧].

قال ابن عباس:" من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف"[٨].

وقال ابن عباس:" تمت الرحمة لمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم قبل"[٩].

قال مقاتل:" يعنى: الجن والإنس فمن تبع محمدا -ﷺ- على دينه فهو له رحمة"[١٠].

الثاني: أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر. وهذا قول ابن زيد[١١].

قال ابن زيد:" العالمون: من آمن به وصدقه"[١٢].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب.القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٥٥١/١٨.

(٢)أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢٥٧/٨) ، قال الهيثمى (٢٥٧/٨) : رجاله رجال الصحيح. والطبرانى فى الصغير (١٦٨/١، رقم ٢٦٤) . وأخرجه أيضا: الحاكم (٩١/١، رقم ١٠٠) ، والطبرانى فى الأوسط (٢٢٣/٣، رقم ٢٩٨١). من حديث ابي هريرة-رضي الله عنه-.

(٣) تفسير السمعاني:٤١٣/٣.

(٤)أخرجه مسلم (٢٠٠٦/٤، رقم ٢٥٩٩).

(٥) الكشاف:١٣٨/٣-١٣٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٨.

(٧) تفسير السمعاني:٤١٣/٣.

(٨) أخرجه الطبري:٥٥٢/١٨.

(٩) أخرجه الطبري:٥٥٢/١٨.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٩٧/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٨.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٥٢/١٨.

(١٣) تفسير الطبري:٥٥٢/١٨.

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨)} [الأنبياء : ١٠٨]

التفسير:

قل: إن الذي أُوحي إليَّ وبُعِثت به: أن إلهكم الذي يستحق العبادة وحده هو الله، فأسلموا له، وانقادوا لعبادته.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الأنبياء : ١٠٨]، أي:" قل: إن الذي أُوحي إليَّ وبُعِثت به: أن إلهكم الذي يستحق العبادة وحده هو الله"(١).

قال الطبري: يقول:" قل يا محمد: ما يوحي إلي ربي إلا أنه لا إله لكم يجوز أن يعبد إلا إله واحد، لا تصلح العبادة إلا له ولا ينبغي ذلك لغيره"(٢).

قال الزمخشري:" «إنما» لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم، كقولك: إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد. وقد اجتمع المثالان في هذه الآية، لأن إنما يوحى إلي مع فاعله، بمنزلة: إنما يقوم زيد. وأنما إلهكم إله واحد بمنزلة: إنما زيد قائم. وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أن الوحى إلى رسول الله ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية"(٣).

قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [الأنبياء : ١٠٨]، أي:" فأسلموا له، وانقادوا لعبادته"(٤).

قال الطبري:" فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك، ومتبرئون من عبادة ما دونه من آلهتكم؟"(٥).

قال الصابوني:" استفهام ومعناه الأمر أي فأسلموا له وانقادوا لحكمه وأمره"(٦).

قال الزمخشري:" في قوله :{فهل أنتم مسلمون}، أن الوحى الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله، وأن تخلعوا الأنداد، وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع"(٧).

القرآن

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩)} [الأنبياء : ١٠٩]

التفسير:

فإن أعرض هؤلاء عن الإسلام فقل لهم: أبلغكم جميعًا ما أوحاه الله تعالى إليَّ، فأنا وأنتم مستوون في العلم لمَّا أنذرتكم وحذرتكم، ولستُ أعلم - بعد ذلك - متى يحل بكم ما وُعِدْتُم به من العذاب؟

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا} [الأنبياء : ١٠٩]، أي:" فإن أعرض هؤلاء عن الإسلام"(٨).

قال ابن جريج:" {فإن تولوا}، يعنى: قريشا"(٩).

قوله تعالى:{فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ} [الأنبياء : ١٠٩]، أي:" فقل لهم أعلمتكم بالحق على استواءٍ في الإعلام لم أخصَّ أحداً دون أحد"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣١.
(٢) تفسير الطبري:٥٥٣/١٨.
(٣) الكشاف:١٣٩/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٣١.
(٥) تفسير الطبري:٥٥٣/١٨.
(٦) صفوة التفاسير:٢٥٣/٢.
(٧) الكشاف:١٣٩/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٣١.
(٩) اخرجه الطبري:٥٥٣/١٨.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٥٣/٢.

قال الطبري:" يقول: أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب، لا صلح بينكم ولا سلم"[١].

قال الزمخشري:" «آذن»: منقول من: أذن، إذا علم، ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الإنذار. ومنه قوله تعالى: {فأذنوا بحرب من الله ورسوله}، وقول ابن حلزة[٢]:

آذنتنا ببينها أسماء

والمعنى: أنى بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء، كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة، فنبذ اليهم العهد، وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء، أى: مستوين في الإعلام به، لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم، وقشر العصا عن لحائها"[٣].

قوله تعالى:{وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠٩]، أي:" ولستُ أعلم - بعد ذلك - متى يحل بكم ما وُعِدْتُم به من العذاب؟"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه: قل وما أدري متى الوقت الذي يحل بكم عقاب الله الذي وعدكم، فينتقم به منكم، أقريب نزوله بكم أم بعيد؟"[٥].

قال يحيى:" يعني به: الساعة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : هو واقع لا محالة ، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده "[٧].

قال الزمخشري:يعني:" ما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة، ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار، وإن كنت لا أدرى متى يكون ذلك لأن الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه"[٨].

القرآن

{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠)} [الأنبياء : ١١٠]

التفسير:

إن الله يعلم ما تجهرون به من أقوالكم، وما تكتمونه في سرائركم، وسيحاسبكم عليه.

قوله تعالى:{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ} [الأنبياء : ١١٠]، أي:" إن الله يعلم ما تجهرون به من أقوالكم"[٩].

قال الطبري: يقول:" قل لهؤلاء المشركين، إن الله يعلم الجهر الذي يجهرون به من القول"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٥٥٣.

(٢)عجزه: رب ثاو يمل منه الثواء والبيت من الخفيف، وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ص ١٩، والأغاني ١١/ ٣٦، وإنباه الرواة ٣/ ٩٤، وتخليص الشواهد ص ٤٧٢، وخزانة الأدب ٣/ ١٨١، ١٨٢، ٤١٥، وزهر الآداب ١/ ٥٦١، وشرح شواهد الشافية ص ٢٤٤، وشرح القصائد السبع ص ٤٣٢، ٤٣٣، وشرح القصائد العشر ص ٣٧٠، وشرح المعلقات السبع ص ٢١٦، وشرح المعلقات العشر ص ١١٩، والشعر والشعراء ١/ ٢٠٣، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٥١، والعقد الفريد ٥/ ٢٧٠، والعمدة ١/ ١١٤، ولسان العرب (أذن) ، (قفا) ، (قوا) ، ومعاهد التنصيص ١/ ٣١٠، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٤٥، وبلا نسبة في الخصائص ١/ ٣٤١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣١٧.

(٣) الكشاف:٣/١٣٩-١٤٠.

(٤) التفسير الميسر:٣٣١.

(٥) تفسير الطبري:١٨/٥٥٣.

(٦) تفسير يحيى بن سلام:١/٣٥١.

(٧) تفسير ابن كثير:٥/٣٨٨.

(٨) الكشاف:٣/١٤٠.

(٩) التفسير الميسر:٣٣١.

(١٠) تفسير الطبري:١٨/٥٥٤.

قال الزمخشري:يعني: "والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الإسلام"[١].

قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ} [الأنبياء : ١١٠]، أي:" وما تكتمونه في سرائركم"[٢].

قال يحيى:" يعني: ما تسرون"[٣].

قال الطبري: يقول:" ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به، سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته، إنه لا يخفى عليه منه شيء"[٤].

قال الزمخشري:يعني: " وما تكتمون في صدوركم من الإحن والأحقاد للمسلمين، وهو يجازيكم عليه"[٥].

قال ابن كثير في تفسير الآية:" أي : إن الله يعلم الغيب جميعَه ، ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون ، يعلم الظواهر والضمائر ، ويعلم السر وأخفى ، ويعلم ما العباد عاملون في أجهارهم وأسرارهم ، وسيجزيهم على ذلك ، على القليل والجليل "[٦].

القرآن

{وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (١١١)} [الأنبياء : ١١١]

التفسير:

ولست أدري لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم وابتلاء، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين؛ لتزدادوا كفرًا، ثم يكون أعظم لعقوبتكم.

قوله تعالى:{وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ} [الأنبياء : ١١١]، أي:" ولست أدري لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم وابتلاء م"[٧].

قال ابن كثير:" أي : وما أدري لعل هذا فتنة لكم"[٨].

قال الطبري: يقول:" فإن أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به، فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعل تأخيره ذلك عنكم مع وعده إياكم لفتنة يريدها بكم"[٩].

قال الزمخشري:يعني: " لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون"[١٠].

قوله تعالى:{وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [الأنبياء : ١١١]، أي:" ولعلَّ هذا التأخير لتستمتعوا في الدنيا إلى حين؛ فتزدادوا كفرًا، ثم يكون أعظم لعقوبتكم"[١١].

قال الطبري: يقول:" ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه، ثم ينزل بكم حينئذ نقمته"[١٢].

قال الزمخشري:يعني: " أو تمتيع لكم إلى حين ليكون ذلك حجة عليكم، وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة"[١٣].

---

(١) الكشاف:١٤٠/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٣١.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٥١/١.
(٤) تفسير الطبري:٥٥٤/١٨.
(٥) الكشاف:١٤٠/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٨٨/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٣١.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٨٨/٥.
(٩) تفسير الطبري:٥٥٤/١٨.
(١٠) الكشاف:١٤٠/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٣١.[بتصرف]
(١٢) تفسير الطبري:٥٥٤/١٨.
(١٣) الكشاف:١٤٠/٣.

عن ابن عباس :"{وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين}، يقول: لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة، أن يؤخر عنكم لمدتكم، ومتاع إلى حين، فيصير قولي ذلك لكم فتنة"[١].

القرآن

{قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١١٢)} [الأنبياء : ١١٢]

التفسير:

قال النبي ﷺ: ربِّ افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالقضاء الحق. ونسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تَصِفونه - أيها الكفار - من الشرك والتكذيب والافتراء عليه، وما تتوعدوننا به من الظهور والغلبة.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ} [الأنبياء : ١١٢]، أي:" قال النبي صلى الله عليه وسلم: ربِّ افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالقضاء الحق"[٢].

قال الطبري: يقول:" قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذبني من مشركي قومي وكفر بك، وعبد غيرك، بإحلال عذابك ونقمتك بهم، وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به، وهو نظير قوله جل ثناؤه :{ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين}"[٣].

قال ابن كثير:" أي : افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق"[٤].

قال ابن عباس:" لا يحكم بالحق إلا الله، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا، يسأل ربه على قومه"[٥].

عن قتادة: "أن النبي ﷺ، كان إذا شهد قتالا قال: {رب احكم بالحق}"[٦].

وقرأ أبو جعفر: «رب احكم» بضم الباء من «الرب»، على وجه نداء المفرد، وقرأ ضحاك بن مزاحم:«ربي أحكم» بتثبيت الياء في «الرب»، وهمز الألف من «أحكم»، ورفع «أحكم» على أنه خبر للرب تبارك وتعالى، بأن الله أحكم بالحق من كل حاكم[٧].

قوله تعالى:{وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [الأنبياء : ١١٢]، أي:" ونسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تَصِفونه - أيها الكفار - من الشرك والتكذيب والافتراء عليه"[٨].

قال الطبري:" وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله {هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون}، وقولكم {بل افتراه بل هو شاعر}، وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم {اتخذ الرحمن ولدا}، فإنه هين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك"[٩].

قال ابن كثير:" أي : على ما يقولون ويفترون من الكذب ، ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك ، والله المستعان عليكم في ذلك"[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٥٥٤.
(٢) التفسير الميسر:٣٣١.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٥٥٤.
(٤) تفسير ابن كثير:٥/٣٨٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٥٥٤.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٥٥٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٥٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٣١.
(٩) تفسير الطبري:١٨/٥٥٥.
(١٠) تفسير ابن كثير:٥/٣٨٨.

قال الصابوني:" ختم السورة الكريمة بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتفويض الأمر إليه وتوقع الفرج من عنده، فهو نعم الناصر ونعم المعين"[1].

قال الزمخشري:" كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه، وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة، فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم، ونصر رسول الله ﷺ والمؤمنين، وخذلهم"[2].

فوائد الآيات:[١٠٥-١١٢]:

١- المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم.

٢- في القرآن الكريم البُلغة الكافية لمن آمن به وعمل بما فيه بتحقيق ما يصبو إليه من سعادة الدار الآخرة.

٣- بيان فضل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكرامته على ربه حيث جعله رحمة للعالمين.

٤- وجوب المفاصلة بين أهل الشرك وأهل التوحيد.

٥- طلب الاستعانة بالله على كل ما يواجه العبد من صعاب وأتعاب.

«آخر تفسير سورة (الأنبياء)، والحمد لله وحده»

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٥٣.

(٢) الكشاف:٣/١٤٠.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « الحج»

سورة «الحج»: هي السورة «الثانية والعشرون» في ترتيب المصحف، وقد عُدَّت السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة«النور»[١]، وعدد آياتها: وعدد آياتها ثمان وسبعون فى عد الكوفيين، وسبع للمدنيين، وخمس للبصريين، وأربع للشاميين. وكلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة. وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون[٢].

والآيات المختلف فيها خمس: {الْحَمِيمُ} [الحج : ١٩]، {الْجُلُود} [الحج : ٢٠] ، {وَعَادٌ وَثَمُودُ} [الحج : ٤٢]، {وَقَوْمُ لُوطٍ} [الحج : ٤٣]، {سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِين} [الحج : ٧٨]، مجموع فواصل آياتها :«انتظم زبرجد قط» على الهمزة منها : {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج : ١٨][٣].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الحج»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الانبياء»، في عهد الرسول-ﷺ-، وعهد اصحابه-رضوان الله عليهم- ، وبذلك سميت في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة، وفيما ياتي بعض الآثار عن هذه التسمية:

- عن عقبة بن عامر، قال: "قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على القرآن بأن جعل فيها سجدتان؟ فقال:«نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»[٤].
- عن عمرو بن العاص-رضي الله عنه-: "أن رسول الله - ﷺ - أقرأه خمس عشرة سجدة فى القرآن: منها ثلاث فى المفصل، وسجدتان فى الحج"[٥].
- عن ابن عباس-رضي الله عنهما-:"نزلت سورة الحج بالمدينة"[٦].
- عن ابن مسعود-رضي الله عنه-:"أول سورة نزلت فيها السجدة: الحج، قرأها رسول الله فسجد وسجد الناس إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافرا"[٧].

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الحج» لإعلان فريضة الحج فيها على الناس، على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}

---

(١) قاله الكلبي، انظر: التسهيل:٣٢/٢. والمخللاني، انظر: القول الوجيز:٢٤٠، وحكاه ابن عاشور ان ابن عباس، انظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/١٧.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤)سيأتي تخريجه في فضائل السورة.

(٥) رواه ابو داود(١٤٠١):ص٥٨/٢، وابن ماجة(١٠٥٧):ص٣٣٥/١.

(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك(٨٠٣):ص٣٤٢/١.

[الحج : ٢٧]، وذلك بعد بناء البيت العتيق، فأذن، فبلغ صوته أنحاء الأرض، وأسمع النطف في الأصلاب والأجنة في الأرحام، وأجابوا النداء: «لبيك اللهم لبيك»[١].

وليس لهذه السورة غير اسمها التوفيقي، ولذلك لم يعدها السخاوي أو السيوطي في عداد السور ذوات الاسمين أو اكثر.

وقد ورد لفظ«الحج» في بعض سور القرن الكريم، كسورة البقرة في آيات عدة[٢]، وفي سورة التوبة آية واحدة[٣]، وقد وردت بلفظ« حِجُّ» في آل عمران[٤].

▪مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية. قاله النسفي[٥]، وعبدالقاهر الجرجاني[٦]، وابن كثير[٧].

الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس[٨]، وابن الزبير[٩]، والضحاك[١٠].

قال ابن عاشور:"عدت سورة الحج :"السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن في رواية جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: «نزلت بعد سورة النور وقبل سورة المنافقين». وهذا يقتضي أنها عنده مدنية كلها لأن سورة النور وسورة المنافقين مدنيتان فينبغي أن يتوقف في اعتماد هذا فيها"[١١].

الثالث: أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، والتي تليها. رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٢].

الرابع: أنها نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)} [الحج : ٢١]. قاله ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١٤]، وعطاء بن السائب[١٥]، وبه قال القرطبي[١٦].

الخامس: أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهنّ الآيات: [٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥][١٧]. قاله ابن عباس[١٨]، وقتادة[١٩].

---

(١) انظر: التفسير المنير:١٤٨/١٧.

(٢) انظر الآيات:[١٨٩، ١٩٦، ١٩٧.

(٣) الآية [٣].

(٤){فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٩٧].

(٥) تفسير النسفي:٩٤/٣.

(٦) انظر: درج الدرر:١٢٤٥/٣.

(٧) تفسير ابن كثير:٣٨٩/٥.

(٨) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤.

(١١)التحرير والتنوير:١٨٣/١٧ .

(١٢) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(١٣)حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٤١٦/٣، وقال أنه أظهر روايتي ابن عباس، وحكاه عنه أيضا ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير:١/١٢.

(١٤) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير:١/١٢.

(١٥) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(١٦)انظر: تفسير القرطبي:١/١٢ .

(١٧) وهن الآيات: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)} [الحج : ٥٢ - ٥٥].

(١٨) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(١٩) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

السادس: أنها مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج : ٢٤]. قاله الثعلبي[١]، والفيروزآبادي[٢]، والبغوي[٣]، والزمخشري[٤]، والبيضاوي[٥].
السابع: أنها مكية، إلا الآيات:[١، ٢،١١،٢٥، ٣٩، ٤٠، ٥٤، ٥٨، ٥٩]. قاله مقاتل[٦].

الثامن: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج : ٣٧]، وسائرها مكي. قاله أبو سليمان الدمشقي[٧].
قال ابن عطية:" قال الجمهور مختلطة فيها مكي ومدني، وهذا هو الأصح والله أعلم لأن الآيات تقتضي ذلك"[٨].
عن أنس، قال: "نزلت {يا أيها الناس اتقوا ربكم} [الحج: ١] إلى قوله {ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ٢] على النبي ﷺ وهو في مسير له، فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه، فقال: " أتدرون أي يوم؟ هذا يوم يقول الله لآدم: قم فابعث بعثا إلى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة " فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي ﷺ: «سددوا، وقاربوا، وأبشروا، فوالذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس»"[٩].
ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج: "هي من أعاجيب السور، نزلت ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، مكيا ومدنيا، سلميا وحربيا، ناسخا ومنسوخا، محكما ومتشابها، مختلف العدد"[١٠].
وقال هبة الله بن سلامة :سورة الحج: " نزلت في مواطن مختلفة وهي من أعاجيب سور القرآن لأنها نزلت ليلا ونهارا، وفيها مكي ومدني وسفري وحضري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه... فأما المكي منها فمن رأس الثلاثين منها الى آخرها، وأما المدني منها فمن رأس خمسة عشر الى رأس ثلاثين، وأما الليلي منها فمن أولها الى رأس خمس آيات، وأما النهاري فمن راس خمس الى رأس تسع، وأما السفري فمن رأس تسع الى رأس تسع إلى اثنتي عشرة، وأما الحضري منها فألى رأس العشرين، نسبت الى المدينه لقرب مدته"[١١].

---

(١) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.
(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٣.
(٣) انظر: تفسير البغوي:٣٦١/٥.
(٤) انظر: الكشاف:١٤١/٣.
(٥) انظر: تفسير البيضاوي:٦٤/٤.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١١١/٣-١١٢.
(٧) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.
(٨) المحرر الوجيز:١٠٥/٤.
(٩)حديث أنس: أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٥٨، رقم ١١٨٧) ، وأبو يعلى (٤٣٠/٥، رقم ٣١٢٢) ، قال الهيثمى (٣٩٤/١٠) : رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن مهدى، وهو ثقة. والحاكم (٦١٠/٤، رقم ٨٦٩٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: ابن حبان (٣٥٢/١٦، رقم ٧٣٥٤) ، والضياء (٧٣/٧، رقم ٢٤٨٣)
حديث عمران بن حصين: أخرجه أحمد (٤٣٥/٤، رقم ١٩٩١٥) ، والترمذى (٣٢٣/٥، رقم ٣١٦٩) ، وقال: حسن صحيح، والطبرانى (١٤٤/١٨، رقم ٣٠٦) ، والحاكم (٦١١/٤، رقم ٨٦٩٥) . ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١١٢ رقم ٨٣٥) ، والنسائى فى الكبرى (٤١٠/٦، رقم ١١٣٤٠) .
حديث ابن عباس: أخرجه الحاكم (٦١٢/٤، رقم ٨٦٩٧) ، وقال: صحيح. ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: البزار كما فى كشف الأستار (٥٩/٣ رقم ٢٢٣٥) . قال الهيثمى (٧٠/٧) : رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب، وهو ثقة.
(١٠) تفسير القرطبي:١/١٢.
(١١) الناسخ والمنسوخ:١٢٦.

- **مناسبة سورة«الحج» مع سورة «الانبياء»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- هناك تناسب وارتباط بين بداية هذه السورة، وخاتمة السورة السابقة، فقد ختم الله سورة «الأنبياء» ببيان اقتراب الساعة ووصف أهوالها في قوله: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء : ٩٧]، وافتتح هذه السورة بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)} [الحج : ١ - ٢].

٢- قد أقيمت فى السورة السالفة الحجج الطبيعية على الوحدانية- وفى هذه جعل العلم الطبيعي من براهين البعث.

٣- في سورة «الأنبياء» بيان قصص أكثر من عشرة من الأنبياء تدور على ما قاموا به من إثبات توحيد الله، ونبذ الشرك، والإيمان بالبعث، وفي هذه السورة استدلال بخلق الإنسان بأطواره المتعددة وبإبداع السموات والأرض على قدرة الله على إحياء البشر للبعث، وعلى وجوده تعالى ووحدانيته، ثم تنبيه الأفكار على الالتفات لأحوال أهل القرى الظالمة التي أهلكها الله، والاتعاظ بها بسبب تكذيبهم الرسل(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

لقد تضمنت سورة «الحج» جملة من المقاصد، نسوقها على النحو التالي :

١- خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله، ويخشوا يوم الجزاء وأهواله، فهو يوم عظيم تشيب لهوله الوِلْدان، وتضع كل ذات حَمْلٍ حملها؛ خوفاً ورعباً.

٢- الاستدلال على نفي الشرك، وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالإلوهية، وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئاً، ولا ينصرونهم في الدنيا وفي الآخرة.

٣- تفظيع جدال المشركين في الوحدانية بأنهم لا يستندون إلى علم، وأنهم يعرضون عن الحُجة؛ ليضلوا الناس.

٤- أن المشركين يرتابون في البعث، وهو ثابت لا ريب فيه، وكيف يرتابون فيه بعلة استحالة الإحياء بعد الإماتة، ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم طوره أطواراً.

٥- أن الله ينزل الماء على الأرض الميتة، فتحيا، وتُخرج من أصناف النبات، فالله هو القادر على كل ذلك، فهو يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فعال لما يريد.

٦- أن مجادلة المشركين بإنكار البعث صادرة عن جهالة وتكبر عن الامتثال لقول الرسول عليه الصلاة والسلام.

٧- وصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام.

٨- التعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عليه السلام، الذي ينتمون إليه، ويحسبون أنهم حماة دينه، وأمناء بيته، وهم يخالفونه في أصل الدين.

٩- تذكير المشركين بما منَّ الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع فكفروا نعمته.

١٠- تشبيه المشركين في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة، الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر، فحل بهم العذاب.

١١- أنه يوشك أن يحل بهؤلاء مثله، فلا يغرهم تأخير العذاب؛ فإنه إملاء من الله لهم، كما أملى للأمم من قبلهم، وفي ذلك تطمين للرسول عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق.

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن: ١١١، وتفسير المراغي:٨٣/١٧، التفسير المنير:٦/١٧.

١٢- أن اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلال أمرٌافترق الناس به إلى ملل كثيرة.
١٣- أن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم؛ لمشاهدة جزاء أهل الهدى، وجزاء أهل الضلال.
١٤- أن المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله، فكان لكل فريق جزاؤه.
١٥- سلَّى الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن الشيطان يفسد في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل، ولكن الله يُحْكِمُ دينه، ويبطل ما يلقي الشيطان؛ فلذلك ترى الكافرين يُعرضون عن هدى الله، وينكرون آيات القرآن.
١٦- التنويه بالقرآن والمتلقين له بخشية وصبر، ووصف الكفار بكراهيتهم القرآن وبغض المرسَل به، والثناء على المؤمنين وأن الله يسر لهم اتباع الحنيفية، وسماهم المسلمين.
١٧- الإذن للمسلمين بقتال المشركين الذين يقاتلونهم، وضمان النصر والتمكين في الأرض لهم.
١٨- خُتمت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم، وأن الله اصطفى خلقاً من الملائكة، ومن الناس، فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زلفى، وأن الله هو مولاهم وناصرهم(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عقبة بن عامر، قال: "قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على القرآن بأن جعل فيها سجدتان؟ فقال:«نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»(٢).
- عن ابن عمر، عن عمر، أنه سجد في الحج سجدتين، ثم قال: «إن هذه السورة فضلت على سائر السور بسجدتين»"(٣).

قال الفيروزآبادي:" ذكر المفسرون فيه أحاديث واهية. منها: «من قرأ من سورة الحج أعطى من الأجر كحجة حجها، وعمرة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر، من مضى منهم ومن بقى، ويكتب له بعدد كل واحد منهم حجة وعمرة وله بكل آية قرأها مثل ثواب من حج عن أبويه»"(٤).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: اسلام ويب، موقع التكروني..
(٢)أخرجه أحمد (١٥١/٤، رقم ١٧٤٠٢) ، والترمذى (٤٧٠/٢، رقم ٥٧٨) وقال: إسناده ليس بالقوى. والطبرانى(٣٠٧/١٧، رقم ٨٤٧) ، والحاكم (٣٤٣/١، رقم ٨٠٥).
والحديث حسن بطرقه وشواهده دون قوله: "ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما"، وهذا الإسناد ضعيف.
وجاء أيضا: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين».
أخرجه أبو داود فى المراسيل (ص ١١٣، رقم ٧٨) ، والبيهقى (٣١٧/٢، رقم ٣٥٤٥)، عن خالد بن معدان مرسلا.
(٣) أخرجه ابن ابي شيبة في المصنف(٤٢٨٧):ص٣٧٢/١، ورجاله ثقات.
وأخرجه مالك في الموطأ كتاب القرآن باب ما جاء في سجود القرآن رقم "١٣".
وأورده السيوطي في الدر المنثور:٢/٦، ووزاد نسبته إلى سعيد بن منصور والإسماعيلي وابن مردويه والبيهقي.
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٣٢٨/١.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)} [الحج : ١]

التفسير:

يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تتصدع منها كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقْدر قدره ولا يُبْلغ كنهه، ولا يعلم كيفيَّته إلا رب العالمين.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ} [الحج : ١]، أي:" يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه"(١).

قال مقاتل:" يخوفهم يقول اخشوا ربكم"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد"(٣).

قوله تعالى:{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج : ١]، أي:" إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تتصدع منها كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقْدر قدره ولا يُبْلغ كنهه، ولا يعلم كيفيَّته إلا رب العالمين"(٤).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج : ١]، قولان:

أحدهما : أنها في الدنيا ، وهي أشراط ظهورها ، وآيات مجيئها. قاله علقمة(٥)، وعامر(٦)، وابن جريج(٧).

قال الزجاج:" قيل إن هذه الزلزلة في الدنيا وأن يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها"(٨).

عن علقمة، قوله :"{إن زلزلة الساعة شيء عظيم}، قال: الزلزلة قبل الساعة"(٩).

قال عامر:" هذا في الدنيا من آيات الساعة"(١٠).

قال جرير: "هذا بين يدي الساعة"(١١).

والثاني : أنها في القيامة. وهذا مروي عن رسول الله-ﷺ-، وبه قال ابن زيد(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٣/٣.
(٣) تفسير الطبري:٥٥٧/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٥٧/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٥٧/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٥٧/١٨.
(٨) معاني القرآن:٤٠٩/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧١):ص٢٤٧٣/٨، والطبري:٥٥٧/١٨. ملخصا.
(١٠) اخرجه الطبري:٥٥٨/١٨.
(١١) مصنف ابن ابي شيبة(٣٤٨٩٤):ص١٥١/٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٦١/١٨-٥٦٢.

عن عمران بن حصين، قال: «بينما رسول الله ﷺ في بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه، إذ نادى رسول الله ﷺ بهذه الآية: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم}. قال: فحثوا المطي، حتى كانوا حول رسول الله ﷺ قال " هل تدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم ينادى آدم، يناديه ربه: ابعث بعث النار، من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار، قال: فأبلس القوم، فما وضح منهم ضاحك، فقال النبي ﷺ: ألا اعملوا وأبشروا، فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه، فمن هلك من بني آدم، ومن هلك من بني إبليس ويأجوج ومأجوج. قال: أبشروا، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في جناح الدابة"»[1].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإنه -ﷺ-أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله"[2].

عن أنس بن مالك قال: «نزلت: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم}، على النبي ﷺ وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه ثم قال: "أتدرون أي يوم هذا؟ يوم يقول الله جلا وعلا لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين"، فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي ﷺ: "سددوا وقاربوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وإن معكم لخليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفر الجن

القرآن

{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)} [الحج : ٢]

التفسير:

يوم ترون قيام الساعة تنسى الوالدةُ رضيعَها الذي ألقمته ثديها؛ لِمَا نزل بها من الكرب، وتُسْقط الحامل حملها من الرعب، وتغيب عقول الناس، فهم كالسكارى من شدة الهول والفزع، وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم.

قوله تعالى:{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} [الحج : ٢]، أي:" يوم ترون قيام الساعة تنسى الوالدةُ رضيعَها الذي ألقمته ثديها؛ لِمَا نزل بها من الكرب"[4].

قال مقاتل:" وتدع المراضع البنين من الفزع الشديد"[1].

---

(١) أخرجه الطبري:٥٥٩/١٨.

(٢) تفسير الطبري:٥٥٩/١٨.[بتصرف]

(٣) صحيح ابن حبان(٧٣٥٤):ص٣٥٢/١٦، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه أبو يعلى"٣١٢٢"، والحاكم ٢٩/١ و ٥٦٦/٤-٥٦٧ من طرق عن عبد الرزاق، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وذكره الهيثمي في "المجمع" ٣٩٤/١٠ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان"٥٦١/١٨، وابن أبي حاتم في "تفسيره" فيما ذكره الحافظ ابن كثير في"تفسيره" ٣٩٠/٥-٣٩١-من طريقين عن معمر، به.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٥/٦، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند البخاري "٦٥٣٠"، ومسلم "٢٢٢"، وأحمد ٣٢/٣-٣٣، وابن جرير الطبري١١٢/١٧، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٢١٩ من طرق عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد.

وعن عمران بن حصين عند أحمد ٤٣٢/٤، والترمذي "٣١٦٨" و"٣١٦٩"، والطبري في "جامع البيان" ١١١/١٧، والحاكم ٥٦٧/٤ من طريق الحسن وغيره عن عمران بن حصين.

وقوله: "سددوا وقاربوا" أي: اطلبوا القصد والصواب، واتركوا الغلو والإفراط.

و"الرقمة": الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها.

(٤) التفسير الميسر:٣٣٢.

قال الطبري:" يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تنسى وتترك -من عظمها- كل مرضعة مولود عما أرضعت"[٢].

قال ابن كثير:" أي : تشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها ، والتي هي أشفق الناس عليه ، تدهش عنه في حال إرضاعها له ؛ ولهذا قال : { كُلُّ مُرْضِعَةٍ } ، ولم يقل : "مرضع" وقال : { عَمَّا أَرْضَعَتْ } أي : عن رضيعها قبل فطامه"[٣].

قال الزمخشري:" أى: تذهلها الزلزلة. والذهول: الذهاب عن الأمر مع دهشة. فإن قلت: لم قيل مرضعة دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى. والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو الطفل"[٤].

عن سفيان قوله: "{يوم ترونها تذهل}، قال: تغفل"[٥].

قال الحسن:" تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام"[٦].

قوله تعالى:{وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا} [الحج : ٢]، أي:" وتُسْقط الحامل حملها من الرعب"[٧].

قال ابن كثير:" أي : قبل تمامه لشدة الهول"[٨].

قال مقاتل:أي: "النساء والدواب [تضع] حملها من شدة الفزع، لشدة الفزع من الساعة، وذلك قبل النفخة الأولى ينادي منادمن السماء الدنيا: يأيها الناس جاء أمر الله، فيسمع صوته أهل الأرض جميعا فيفزعون فزعا شديدا، ويموج بعضهم في بعض ويشيب فيها الصغير ويسكر فيها الكبير وتضع الحوامل ما في بطونها"[٩].

قال الحسن:" وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام"[١٠].

قوله تعالى:{وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى} [الحج : ٢]، أي:" وتغيب عقول الناس، فهم كالسكارى من شدة الهول والفزع"[١١].

قال مقاتل: " {وترى الناس سكارى} من الخوف"[١٢].

قال الزجاج:" التفسير: أنك تراهم سكارى من العذاب والخوف"[١٣].

قال الزمخشري:" المعنى: وتراهم سكارى على التشبيه"[١٤].

قال ابن كثير:" أي: من شدة الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم ، فمن رآهم حسب أنهم سُكارى"[١٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٣/٣.
(٢) تفسير الطبري:٥٦٢/١٨.
(٣) تفسيرابن كثير:٣٩٤/٥.
(٤) الكشاف:١٤٢/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٣):ص٢٤٧٣/٨.
(٦) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:١٤٢/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٨) تفسيرابن كثير:٣٩٤/٥.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٣/٣.[بتصرف لتستقيم المعنى]
(١٠) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:١٤٢/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٣٢.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٣/٣.
(١٣) معاني القرآن:٤١/٣.
(١٤) الكشاف:١٤٢/٣.
(١٥) تفسيرابن كثير:٣٩٤/٥.

قال الزمخشري:أي:" {وما هم بسكارى} على التحقيق، ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه"[١].

عن الربيع :"{وترى الناس سكارى}، قال: ذلك عند الساعة، يسكر الكبير ويشيب الصغير وتضع الحوامل ما في بطونها"[٢].

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو :«سكرى وما هم بسكرى»، بضم السين فيهما وبالألف، وقرأ حمزة والكسائى :«وترى الناس سكرى وما هم بسكرى»، بغير ألف فيهما والسين مفتوحة[٣].

عن أبي نهيك، أنه قرأ :«وترى الناس»، يعني: تحسب الناس، قال: لو كانت منصوبة كانوا سكارى، ولكنها «ترى»: تحسب"[٤].

قوله تعالى:{وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج : ٢]، أي:" وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم"[٥].

قال مقاتل: " {وما هم بسكارى} من الشراب، {ولكن عذاب الله شديد}"[٦].

قال الزجاج:" {وما هم بسكارى} من الشراب، ويدل عليه: {ولكن عذاب الله شديد}"[٧].

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣)} [الحج : ٣]

التفسير:

وبعض رؤوس الكفر من الناس يخاصمون ويشككون في قدرة الله على البعث؛ جهلا منهم بحقيقة هذه القدرة، واتباعًا لأئمة الضلال من كل شيطان متمرد على الله ورسله.

سبب النزول:

عن أبي مالك في قوله: "{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم}، قال: نزلت في النضر بن الحارث"[٨].

قال مقاتل:" نزلت في النضر بن الحارث القرشي وأمه اسمها صفية بنت الحارث بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، قال: ويتبع النضر {كل شيطان مريد}، يعني: مارد.."[٩].

قال السمعاني:" الأكثرون على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، وكان ينكر البعث ويجادل فيه"[١٠].

قال الزمخشري:" قيل: نزلت في النضر بن الحرث، وكان جدلا يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلى وصار ترابا. وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله"[١١].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الحج : ٣]، أي:" وبعضٌ من الناس من يخاصم وينازع في قدرة الله وصفاته بغير دليل ولا برهان"[١٢].

---

(١) الكشاف:١٤٢/٣-١٤٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٥):ص٢٤٧٤/٨.
(٣) انظر: السبعة في القراءات:٤٣٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٤):ص٢٤٧٣/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٣/٣.
(٧) معاني القرآن:٤١/٣.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٦):ص٢٤٧٤/٨.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٥/٣.
(١٠) تفسير السمعاني:٤١٨/٣.
(١١) الكشاف:١٤٣/٣.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٥٧/٢.

قال الطبري: يقول:[ومن الناس]" من يخاصم في الله، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي وصار ترابا، بغير علم يعلمه، بل بجهل منه بما يقول، {ويتبع} في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم {كل شيطان مريد}"[١].

قال يحيى:" يعني: المشرك يلحد في الله فيجعل معه آلهة، {بغير علم} أتاه من الله"[٢].

قال سهل بن عبدالله:" أي يخاصم في الدين بالهوى والقياس دون الاقتداء، فعند ذلك يضل الناس ويبتدع"[٣].

عن ابن جريج :"{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم}، قال: النضر بن الحارث"[٤].

قال ابن كثير:" يقول تعالى ذامًا لمن كذب بالبعث ، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى ، معرضا عما أنزل الله على أنبيائه ، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد ، من الإنس والجن ، وهذا حال أهل الضلال والبدع ، المعرضين عن الحق ، المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رءوس الضلالة ، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء ، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ، أي : علم صحيح"[٥].

قوله تعالى:{وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} [الحج : ٣]، أي:" يطيع ويقتدي بكل عات متمرد كرؤساء الكفر الصادّين عن الحق"[٦].

قال الزجاج:" أي: يتبع ما يسول له الشيطان، و«مريد» و«مارد»، معناه: أنه قد مرد في الشر، وأصله في اللغة: املساس الشيء، من ذلك قولك للإنسان: أمرد، إذا لم يكن في وجهه شعر، ويقال للصخرة: مرداء، إذا كانت ملساء"[٧].

قال السمعاني:" المريد: المتمرد، والمتمرد: هو المستمر في الشر، يقال: حائط ممرد أي: مطول، وقيل: المريد هو العاري عن الخير، يقال صبي أمرد إذا كان عاريا خده من الشعر"[٨].

عن قتادة قوله: "{ويتبع كل شيطان مريد}، قال: تمرد على معاصي الله"[٩].

قال يحيى:" مرد، يعني اجترأ على المعصية"[١٠].

القرآن

{كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)} [الحج : ٤]

التفسير:

قضى الله وقدَّر على هذا الشيطان أنه يُضِل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق، بل يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه.

قوله تعالى:{كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ} [الحج : ٤]، أي:" قضى الله وقدَّر على هذا الشيطان أنه يُضِل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق"[١١].

قال الطبري: يقول:" قضى على الشيطان أنه يضل أتباعه، ولا يهديهم إلى الحق، فمعنى {كتب}، ههنا: قضي"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٥٦٦/١٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٥٤/١.
(٣) تفسير التستري:١٠٦.
(٤) اخرجه الطبري:٥٦٦/١٨.
(٥) تفسيرابن كثير:٣٩٤/٥.
(٦) صفوة التفاسير:٢٥٧/٢.
(٧) معاني القرآن:٤١/٣-٤٢.
(٨) تفسير السمعاني:٤١٨/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٧):ص٢٤٧٤/٨.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٥٤/١.
(١١) التفسير الميسر:٣٣٢.

قال الزجاج:أي:" كتب على الشيطان إضلال متوليه"[٢].
قال ابن كثير:" يعني : كتب عليه كتابة قدرية { أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ } أي : اتبعه وقلده"[٣].
عن قتادة قوله: {كتب عليه أنه من تولاه}، قال: كتب على الشيطان، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله"[٤].
عن مجاهد قوله: "{كتب عليه}، قال: على الشيطان، {أنه من تولاه}، قال: اتبعه"[٥].
قال ابن عباس: "قضى الله أن من أطاع إبليس أضله ولم يرشده"[٦].
قوله تعالى:{وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [الحج : ٤]، أي:" يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه"[٧].
قال ابن عباس: " وجره إلى عذاب السعير"[٨].
قال الطبري: يقول:" يقول: ويسوق من اتبعه إلى عذاب جهنم الموقدة، وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصية الرحمن، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم"[٩].
قال ابن كثير:" أي : يضله في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير ، وهو الحار المؤلم المزعج المقلق"[١٠].
قال يحيى:" «السعير»: اسم من أسماء جهنم"[١١].
قال أبو كعب المكي: "قال خبيث من خُبثاء قريش : أخبرنا عن ربكم ، من ذهب هو ، أو من فضة هو ، أو من نحاس هو ؟ فقعقعت السماء قعقعة - والقعقعة في كلام العرب : الرعد - فإذا قِحْف رأسه ساقط بين يديه"[١٢].
وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : "جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرنا عن ربك : من أي شيء هو ؟ من در أم من ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته"[١٣].

فوائد الآيات:[١-٤]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما.
٢- حرمة الجدال بالباطل لإدحاض الحق وإبطاله.
٣- حرمة الكلام في ذات الله وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح.
٤- موالاة الشياطين وأتباعهم يفضي بالموالي المتابع لهم إلى جهنم وعذاب السعير.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)} [الحج : ٥]

---

(١) تفسير الطبري:٥٦٦/١٨.
(٢) معاني القرآن:٤١١/٣.
(٣) تفسيرابن كثير:٣٩٤/٥.
(٤) أخرجه الطبري:٥٦٦/١٨، وابن ابي حاتم(١٣٧٧٨):ص٢٤٧٤/٨. ملخصا.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٩):ص٢٤٧٤/٨.
(٦) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٥٩/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٨) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٥٩/٣.
(٩) تفسير الطبري:٥٦٦/١٨-٥٦٧.
(١٠) تفسيرابن كثير:٣٩٤/٥.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٣٥٤/١.
(١٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٩٤/٥، وانظر: الدر المنثور:٣٤٦/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير:٣٩٤/٥، والدر المنثور:٣٤٦/٥.

التفسير:
يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نطفة، هي المنيُّ يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقة، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمْضَغ، فتكون تارة مخلَّقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حيًا، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فتسقط لغير تمام؛ لنبيّن لكم تمام قدرتنا بتصريف أطوار الخلق، ونبقي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلَّق إلى وقت ولادته، وتكتمل الأطوار بولادة الأجنَّة أطفالا صغارًا تكبَرُ حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبَرُ حتى يبلغ سن الهرم وضَعْف العقل؛ فلا يعلم هذا المعمَّر شيئًا مما كان يعلمه قبل ذلك. وترى الأرض يابسةً ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها، وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يَسُرُّ الناظرين.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [الحج : ٥]، أي:" يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم آدم من تراب"(١).

قال القرطبي:" هذا احتجاج على العالم بالبداءة الأولى، والمعنى: يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة، [فإنا] خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر، يعني آدم عليه السلام {من تراب}"(٢).

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى المخالف للبعث ، المنكر للمعاد ، ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد ، بما يشاهد من بدئه للخلق، فقال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ } أي : في شك { مِنَ الْبَعْثِ } وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة { فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ } أي : أصل بَرْئه لكم من تراب ، وهو الذي خلق منه آدم ، عليه السلام"(٣).

قرأ الحسن: «من البعث»، بالتحريك(٤).

قال الزمخشري:" كأنه قيل: إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم"(٥).

قال المراغي:" أي إن كنتم فى شك من مجىء البعث فانظروا إلى مبدإ خلقكم ليزول ريبكم وتعلموا أن القادر على خلقكم أول مرة قادر على إعادة خلقكم ثانيا، وعبر سبحانه بالريب مع أنهم موقنون بعدم حصوله، إيذانا بأن أقصى ما يمكن صدوره منهم وإن بلغوا غاية المكابرة والعناد- هو الارتياب فى شأنه، أما الجزم بعدم إمكانه فلا يدور بخلد عاقل على حال"(٦).

قوله تعالى:{ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} [الحج : ٥]، أي:" ثم جعلنا نسله من المني الذي ينطف من صلب الرجل"(٧).

قال المراغي:" أي: ثم من منى مكون من الدم المتولد من الغذاء المنتهى إلى التراب"(٨).

قال ابن كثير:" أي : ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين "(٩).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٢) تفسير القرطبي:٦/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.
(٤) انظر: الكشاف:١٤٤/٣.
(٥) الكشاف:١٤٤/٣.
(٦) تفسير القرطبي:٦/١٢.
(٧) صفوة التفاسير:٢٥٧/٢.
(٨) تفسير القرطبي:٦/١٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.

قال القرطبي:"«النظفة» هو المني، سمي نطفة لقلته، وهو القليل من الماء، وقد يقع على الكثير منه، ومنه الحديث: «حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا»[١]. أراد المشرق وبحر المغرب. والنطف: القطر. نطف ينطف وينطف. وليلة نطوفة دائمة القطر"[٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ} [الحج : ٥]، أي:" ثم من دم جامد غليظ"[٣].

قال ابن كثير:" ذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة ، مكثت أربعين يوما كذلك ، يضاف إليه ما يجتمع إليها ، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله "[٤].

قال عكرمة:" العلقة: الدم"[٥].

قال الزمخشري:" العلقة: قطعة الدم الجامدة"[٦].

قال القرطبي:" العلق: الدم العبيط، أي: الطري. وقيل: الشديد الحمرة"[٧].

قال الصابوني:" هو الدم الجامد الذي يشبه العلقة التي تظهر حول الأحواض والمياه"[٨].

قال المراغي:" ولا يخفى ما بين الماء والدم من المباينة والمخالفة"[٩].

قوله تعالى:{ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} [الحج : ٥]، أي:" ثم من قطعة من اللحم مسواة، لا نقص فيها ولا عيب فى ابتداء خلقها، ومضغة غير مسواة، فيها عيب"[١٠].

قال ابن كثير:" فتمكث-العلقة- كذلك أربعين يوما ، ثم تستحيل فتصير مضغة - قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط - ثم يشرع في التشكيل والتخطيط ، فيصور منها رأس ويدان ، وصدر وبطن ، وفخذان ورجلان ، وسائر الأعضاء. فتارة تُسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط ، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط "[١١].

قال المراغي:" وبهذا التفاوت فى الخلق يتفاضل الناس فى صورهم وأشكالهم وطولهم وقصرهم"[١٢].

قال القرطبي: «المضغة»: "هي لحمة قليلة قدر ما يمضغ، ومنه الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة»[١٣]. وهذه الأطوار أربعة أشهر"[١٤].

قال ابن عباس:" «المخلقة»: ما كان حيا، و«غير مخلقة»: ما كان من سقط"[١].

---

(١) الحديث: عن أبى أمامة قال قال النبى - ﷺ -: إن الله استقبل بى الشام واستدبر بى اليمن ثم قال يا محمد إنى جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقا وما خلف ظهرك مددا والذى نفسى بيده لا يزال الله يزيد الإسلام وأهله وينقص الشرك وأهله حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى إلا جورا يعنى جور السلطان قيل يا رسول الله وما النطفتان قال بحر المشرق والمغرب والذى نفسى بيده ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل".
أخرجه ابن عساكر (٣٩١/١).

(٢) تفسير القرطبي:٦/١٢.

(٣) تفسير المراغي:٨٨/١٧.

(٤) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٣):ص٢٤٧٥/٨.

(٦) الكشاف:١٤٤/٣.

(٧) تفسير القرطبي:٦/١٢.

(٨) صفوة التفاسير:٢٥٧/٢.

(٩) تفسير القرطبي:٦/١٢.

(١٠) تفسير المراغي:٨٩/١٧.

(١١) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.

(١٢) تفسير المراغي:٨٩/١٧.

(١٣)أخرجه أحمد (٢٧٠/٤، رقم ١٨٣٩٨) ، والبخارى (٢٨/١، رقم ٥٢) ، ومسلم (١٢١٩/٣، رقم ١٥٩٩) ، وأبو داود (٢٤٣/٣، رقم ٣٣٢٩، رقم ٣٣٣٠) ، والترمذى (٥١١/٣، رقم ١٢٠٥) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٢٤١/٧، رقم ٤٤٥٣) ، وابن ماجه (١٣١٨/٢، رقم ٣٩٨٤) ، وأخرجه أيضا: الدارمى (٣١٩/٢، رقم ٢٥٣١) ، والبيهقى (٢٦٤/٥، رقم ١٠١٨٠).

(١٤) تفسير القرطبي:٦/١٢.

قال عكرمة:" «المضغة»: اللحم، و«المخلقة»: التي تم خلقها، و«غير مخلقة»: السقط"[٢].

عن مجاهد: "{مخلقة وغير مخلقة}، قال: السقط مخلوق وغير مخلوق"[٣].

قال أبو العالية:" ينفخ فيه الروح في العشر"[٤]. يعني: في العشر بعد الأشهر الأربعة.

قال ابن عباس:" قال ابن عباس: ثم يصوّر في العشر بعد الأربعة الأشهر، ثم ينفخ فيه الروح، فذلك عدة المُتوفَّى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرًا، فإذا تحرَّك في جوفها علمت أن فيه ولدًا[٥].

قال الزمخشري:" المضغة: اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب. يقال: خلق السواك والعود، إذا سواه وملسه، من قولهم: صخرة خلقاء، وإذا كانت ملساة، كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم، وتمامهم ونقصانهم"[٦].

وفي الحديث الشريف:" إن الله قد وكل بالرحم ملكا يقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال أى رب شقى أو سعيد ذكر أو أنثى فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه"[٧].

روي عن ابن مسعود، عن رسول الله-ﷺ-، قال:«إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا ويؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة"[٨].

قوله تعالى:{لِنُبَيِّنَ لَكُمْ} [الحج : ٥]، أي:" خلقناكم على هذا النمط البديع، لنبين لكم جميل نظامنا، وعظيم حكمتنا، التي من جملتها أمر البعث"[٩].

قال الزمخشري:يقول:" وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا، ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر، ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما: قدر على إعادة ما أبداه، بل هذا أدخل في القدرة من تلك، وأهون في

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٢):ص٢٤٧٥/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٣):ص٢٤٧٥/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٤):ص٢٤٧٥/٨.
(٤) اخرجه الطبري(٥٠٩١):ص٩٢/٥.
(٥) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط:٢٥٩/١٥، والقرطبي في التفسير:٦/١٢.
(٦) الكشاف:١٤٤/٣.
(٧)حديث أنس: أخرجه الطيالسى (ص ٢٧٦، رقم ٢٠٧٣) ، وأحمد (١٤٨/٣، رقم ١٢٥٢١) ، والبخارى (١٢١/١، رقم ٣١٢) ، ومسلم (٢٠٣٨/٤، رقم ٢٦٤٦) ، وأبو عوانة كما فى إتحاف المهرة للحافظ (١٣٣/٢، رقم ١٣٨٦) .
حديث حذيفة بن أسيد: أخرجه مسلم (٢٠٣٨/٤، رقم ٢٦٤٥) .
ومن غريب الحديث: "نطفة": منى. "علقة": قطعة من دم جامدة. "مضغة": قطعة لحم قدر ما يمضغ. "يقضى خلقه": يأذن فى إتمام خلقه.
(٨)أخرجه أحمد (٣٨٢/١، رقم ٣٦٢٤) ، والبخارى (١١٧٤/٣، رقم ٣٠٣٦) ، ومسلم (٢٠٣٦/٤، رقم ٢٦٤٣) ، وأبو داود (٢٢٨/٤، رقم ٤٧٠٨) والترمذى (٤٤٦/٤، رقم ٢١٣٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢٩/١، رقم ٧٦).
(٩) تفسير المراغي:٨٩/١٧.

القياس. وورود الفعل غير معدى إلى المبين: إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف"[١].

عن قتادة قوله: "{لنبين لكم}، قال: إنكم كنتم في بطون أمهاتكم كذلك"[٢].

وقرأ ابن أبى عبلة: «ليبين لكم»[٣].

قوله تعالى:{وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الحج : ٥]، أي:" ونبقي ما نشاء من الأجنة إلى الوقت الذي قدر أن تلد فيه المرأة"[٤].

قال ابن كثير:" أي : وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها "[٥].

عن مجاهد: "{ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى}، قال: التمام"[٦].

عن ابن زيد قوله: "{ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى}، قال: إقامته في الرحم حتى يخرج"[٧].

وقرئ: «ويقرّ»، بالياء، وقرأ يعقوب: «نقر»، بالنون وضم القاف، من قر الماء إذا صبه[٨].

قال الزمخشري:" فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام ما نشاء أن يقره من ذلك إلى أجل مسمى، وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر، أو تسعة، أو سنتين، أو أربع، أو كما شاء وقدر، وما لم يشأ إقراره محته الأرحام أو أسقطته. والقراءة بالنصب: تعليل معطوف على تعليل ومعناه: خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين، أحدهما: أن نبين قدرتنا. والثاني: أن نقر في الأرحام من نقر، حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم. ويعضد هذه القراءة قوله: {ثم لتبلغوا أشدكم} وحّده لأن الغرض الدلالة على الجنس. ويحتمل: نخرج كل واحد منكم طفل"[٩].

قوله تعالى:{ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} [الحج : ٥]، أي:" ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها أطفالا صغارا فى المهد"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : ضعيفا في بدنه ، وسمعه وبصره وحواسه ، وبطشه وعقله. ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا ، ويلطف به ، ويحنن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار"[١١].

وقرئ: « ونخرجكم»، بالنون والنصب، «ويخرجكم»، بالنصب والرفع[١٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ} [الحج : ٥]، أي:" ثم يعمركم ويسهل تربيتكم حتى تبلغوا كمال عقولكم، ونهاية قواكم"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : يتكامل القوى ويتزايد ، ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر"[١٤].

قال الزمخشري:" الأشد: كمال القوة والعقل والتمييز"[١٥].

---

(١) الكشاف:١٤٤/٣.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٦):ص٢٤٧٥/٨.
(٣) انظر: الكشاف:١٤٤/٣.
(٤) تفسير المراغي:٨٩/١٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٤):ص٢٤٧٥/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٥):ص٢٤٧٥/٨.
(٨) انظر: الكشاف:١٤٤/٣.
(٩) الكشاف:١٤٤/٣-١٤٥.
(١٠) تفسير المراغي:٨٩/١٧.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.
(١٢) انظر: الكشاف:١٤٤/٣.
(١٣) تفسير المراغي:٨٩/١٧.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.
(١٥) الكشاف:١٤٥/٣.

قوله تعالى:{وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى} [الحج : ٥]، أي:" ومنكم من يتوفى على كمال قوته وكمال عقله"[١].

قال ابن كثير:" أي : في حال شبابه وقواه "[٢].

قوله تعالى:{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} [الحج : ٥]، أي:" ومنكم من يعمر حتى يصل إلى الشيخوخة والهرم وضعف القوة والخرف"[٣].

قال ابن كثير:" وهو الشيخوخة والهَرَم وضعف القوة والعقل والفهم ، وتناقص الأحوال من الخَرَف وضعف الفكر "[٤].

قال الزمخشري:" «أرذل العمر»: الهرم والخرف، حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته: ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم. بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام، فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهى به إلى الحالة السفلى"[٥].

قال المراغي:" وخلاصة ذلك- إنه إما أن يميتكم أو يردكم إلى أرذل العمر الذي يسلب فيه العلم والقدرة على العمل"[٦].

قوله تعالى:{لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج : ٥]، أي:" فلا يعلم هذا المعمَّر شيئًا مما كان يعلمه قبل ذلك"[٧].

قال الصابوني:"أي: ليعود إلى ما كان عليه في أوان الطفولة من ضعف البنية، وسخافة العقل، وقلة الفهم، فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه"[٨].

قال الزمخشري:" أى: ليصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك: من هذا؟ فتقول: فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه"[٩].

وقرأ أبو عمرو: «العمر»، بسكون الميم[١٠].

عن أنس بن مالك - رفع الحديث - قال : "المولود حتى يبلغ الحنث ، ما عمل من حسنة ، كتبت لوالده أو لوالدته (١٠) وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه ، فإذا بلغ الحنث جرى الله عليه القلم أمر الملكان اللذان معه أن يحفظا وأن يشددا ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص. فإذا بلغ الخمسين ، خفف الله حسابه. فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه في أهل بيته ، وكان أسير الله في أرضه ، فإذا بلغ أرذل العمر { لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، فإذا عمل سيئة لم تكتب عليه"[١١].

---

(١) تفسير المراغي:٨٩/١٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.
(٣) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٩٦/٥.
(٥) الكشاف:١٤٥/٣.
(٦) تفسير المراغي:٨٩/١٧.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٨) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٩) الكشاف:١٤٥/٣.
(١٠) انظر: الكشاف:١٤٥/٣.
(١١)مسند أبي يعلى (٣٥٢/٦).
قال ابن كثير:" هذا حديث غريب جدا ، وفيه نكارة شديدة. ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده:[٨٩/٢] مرفوعا وموقوفا فقال : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج ، حدثنا محمد بن عامر ، عن محمد بن عبد الله العامري، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس قال : إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة ، أمنه الله من أنواع البلايا ، من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ الخمسين لَيَّن الله حسابه ، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها ،

قوله تعالى:{وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً} [الحج : ٥]، أي:" وترى الأرض يابسةً ميتة لا نبات فيها"[١].

قال قتادة:" أي: غبراء متهشمة"[٢].

قال الزمخشري:" الهامدة: الميتة اليابسة. وهذه دلالة ثانية على البعث، ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة، كررها الله في كتابه"[٣].

قال ابن كثير:" هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى ، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة ، وهي القحلَة التي لا نبت فيها ولا شيء"[٤].

قوله تعالى:{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [الحج : ٥]، أي:" فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها"[٥].

قال ابن كثير:" أي : فإذا أنزل الله عليها المطر، تحركت وحييت بعد موتها ،وارتفعت لما سكن فيها الثرى"[٦].

قال قتادة:" يقول: نفرق الغيث في سبختها وربوها"[٧].

قال الزمخشري:أي:" تحركت بالنبات وانتفخت"[٨].

وقرئ: «ربأت»، أى: ارتفعت[٩].

قوله تعالى:{وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج : ٥]، أي:" وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يَسُرُّ الناظرين"[١٠].

قال ابن كثير:" ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون ، من ثمار وزروع ، وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها ، وروائحها وأشكالها ومنافعها ؛ ولهذا قال تعالى : { وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } أي : حسن المنظر طيب الريح"[١١].

قال الزمخشري:" البهيج: الحسن السار للناظر إليه"[١٢].

عن ابن عباس[١٣]، وقتادة: قوله{ زوج بهيج}، قالا: "حسن"[١٤].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦)} [الحج : ٦]

التفسير:

ذلك المذكور مما تقدَّم من آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة على أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهو يُحيي الموتى، وهو قادر على كل شيء.

وإذا بلغ السبعين أحبه الله ، وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ، ومحا عنه سيئاته ، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمي أسير الله في الأرض ، وشفع في أهله".[تفسير ابن كثير:٣٩٧/٥].

(١) التفسير الميسر:٣٣٢.

(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٧):ص٢٤٧٥/٨.

(٣) الكشاف:١٤٥/٣.

(٤) تفسير ابن كثير:٣٩٨/٥.

(٥) التفسير الميسر:٣٣٢.

(٦) تفسير ابن كثير:٣٩٨/٥.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٧):ص٢٤٧٥/٨.

(٨) الكشاف:١٤٥/٣.

(٩) انظر: الكشاف:١٤٥/٣.

(١٠) التفسير الميسر:٣٣٢.

(١١) تفسير ابن كثير:٣٩٨/٥.

(١٢) الكشاف:١٤٥/٣.

(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٨):ص٢٤٧٥/٨.

(١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٧):ص٢٤٧٥/٨.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} [الحج : ٦]، أي:" ذلك المذكور مما تقدَّم من آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة على أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له"(١).

قال ابن كثير:" أي : الخالق المدبر الفعال لما يشاء "(٢).

قال الطبري: يقول:" ذلك هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده، طفلا وكهلا وشيخا هرما وتنبيهناكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث، لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذي فعل ذلك الله الذي هو الحق لا شك فيه، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك"(٣).

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى} [الحج : ٦]، أي:" وبأنه القادر على إحياء الموتى كما أحيا الأرض الميتة بالنبات"(٤).

قال ابن كثير:" أي : كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع"(٥).

قال الطبري: يقول:" وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب"(٦).

عن عون، قال: "قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور"(٧).

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحج : ٦]، أي:" وبأنه قادر على ما أراد"(٨).

قال الطبري: يقول:" وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء أراده"(٩).

القرآن

{وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)} [الحج : ٧]

التفسير:

وأن ساعة البعث آتية، لا شك في ذلك، وأن الله يبعث الموتى مِن قبورهم لحسابهم وجزائهم.

قوله تعالى:{وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الحج : ٧]، أي:" وليعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها ولا مرية"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : كائنة لا شك فيها ولا مرية"(١١).

قال الطبري: يقول:" ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لا محالة، لا شك في مجيئها وحدوثها"(١٢).

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج : ٧]، أي:" وأن الله يبعث الموتى مِن قبورهم لحسابهم وجزائهم"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٩٨/٥.
(٣) تفسير الطبري:٥٧٣/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٩٨/٥.
(٦) تفسير الطبري:٥٧٣/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٨.
(٨) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٩) تفسير الطبري:٥٧٣/١٨.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٩٨/٥.
(١٢) تفسير الطبري:٥٧٣/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٣٢.

قال الطبري: يقول:"{ :{وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ} حينئذ { مَنْ فِي الْقُبُورِ} من الأموات أحياء إلى موقف الحساب، فلا تشكوا في ذلك، ولا تمتروا فيه"[١].

قال ابن كثير:" أي : يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمما ، ويوجدهم بعد العدم ، كما قال تعالى : { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ } [يس : ٧٨ - ٨٠] والآيات في هذا كثيرة"[٢].

عن أبي رَزين العقيلي - واسمه لَقِيط بن عامر- أنه قال :« يا رسول الله ، أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال رسول الله ﷺ : "أليس كلكم ينظر إلى القمر مُخْليا به ؟ " قلنا : بلى. قال : "فالله أعظم". قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتى ، وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : "أما مررت بوادي أهلك محلا، " قال : بلى. قال : "ثم مررت به يهتز خضرا ؟". قال : بلى. قال : "فكذلك يحيي الله الموتى ، وذلك آيته في خلقه"[٣].

عن معاذ بن جبل قال : "من علم أن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور - دخل الجنة"[٤].

فوائد الآيات:[٥-٧]:

١- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الأعمال يوم القيامة.

٢ بيان تطور خلق الإنسان ودلالته على قدرة الله وعلمه وحكمته.

٣- الاستدلال على الغائب بالحاضر المحسوس وهذا من شأن العقلاء فإن المعادلات الحسابية والجبرية قائمة على مثل ذلك.

٤- تقرير عقيدة التوحيد وهي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩)} [الحج : ٨ - ٩]

التفسير:

ومن الكفار مَن يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله ﷺ وإنزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة، لاويًا عنقه في تكبر، معرضًا عن الحق؛ ليصد غيره عن الدخول في دين الله، فسوف يلقى خزيًا في الدنيا باندحاره وافتضاح أمره، ونحرقه يوم القيامة بالنار.

سبب النزول:

عن مجاهد، قوله: {ثاني عطفه}، قال :" أنزلت في النضر بن الحارث"[٥].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الحج : ٨]، أي:" ومن الكفار مَن يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله ﷺ وإنزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم"[٦].

قال مقاتل:" يعني: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن السياف ابن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة، يخاصم في الله- عز وجل- أن الملائكة بنات الله- تعالى-"[٧].

قوله تعالى:{وَلَا هُدًى} [الحج : ٨]، أي:" ولا بيان"[٨].

---

(١) تفسير الطبري:٥٧٣/١٨.[بتصرف]

(٢) تفسير ابن كثير:٣٩٨/٥.

(٣)المسند (١١/٤) وسنن أبي داود برقم (٤٧٣١) وسنن ابن ماجه برقم (١٨٠).

(٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٩٩/٥.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٣):ص٢٤٧٦/٨.

(٦) انظر:التفسير الميسر:٣٣٣

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٦/٣.

(٨) انظر:التفسير الميسر:٣٣٣

قال مقاتل:"«ولا كتاب» من الله- تعالى- «منير» يعني: مضيئا فيه حجة بأن الملائكة بنات الله فيخاصم بهذا"[١].

قوله تعالى:{وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [الحج : ٨]، أي:" ولا كتاب نير بيّن الحجة"[٢].

قال مقاتل:" ولا بيان معه من الله- عز وجل- بما يقول"[٣].

قوله تعالى:{ثَانِيَ عِطْفِهِ} [الحج : ٩]، أي:" معرضاً عن الحق لاوياً عنقه كفرا"[٤].

وفي قوله تعالى:{ثَانِيَ عِطْفِهِ} [الحج : ٩]، قولان:

أحدهما : لاَوِي عنقه إعراضاً عن الله ورسوله ، وهذا قول مجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وابن زيد[٧].

وقال الفراء:" يجادل معرضا عن الذكر"[٨].

قال يحيى:" ثاني رقبته، معرض عن الله، وعن رسوله، ودينه"[٩].

قال مجاهد:" يعرض عن الحق"[١٠].

قال قتادة:" لاوي عنقه"[١١].

وقال قتادة:" هو المعرض من العظمة، إنما ينظر في جانب واحد"[١٢].

قال ابن زيد:" لاوي رأسه معرضا موليا لا يريد إن يسمع ما قيل له"[١٣].

وقال ابن عباس:" يعرض عن ذكري"[١٤].

الثاني : معناه: لاَوِي عنقه كِبْرا عن الإجابة ، وهذا قول ابن عباس[١٥].

قال ابن عباس:" مستكبرا في نفسه"[١٦].

قال ابن قتيبة:" أي: متكبر معرض"[١٧].

قال أبو عبيدة:" يقال: جاءنى فلان ثانى عطفه أي يتبختر من التكبر ، قال الشّمّاخ[١٨]:

نبّئت أن ربيعا أن رعى إبلا ... يهدى إلىّ خناه ثانى الجيد

قال أبو زبيد[١٩]:

فجاءهم يستنّ ثانى عطفه ... له غيب كأنما بات يمكر"[٢٠].

قال الطبري:" وهذه الأقوال.. متقاربات المعنى، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولي عنقه عنه والإعراض.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دعي إلى الله، أعرض عن داعيه، لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٦/٣.
(٢) انظر: صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٦/٣.
(٤) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٥) انظر تفسير مجاهد:٤٧٧، وتفسير الطبري:٥٧٤/١٨
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٩٢):ص٢٤٧٦/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٩١):ص٢٤٧٦/٨.
(٨) معاني القرآن:٢١٦/٢.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٣٥٦/١.
(١٠)أخرجه الطبري:٥٧٤/١٨ .
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٢):ص٢٤٧٦/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٠):ص٢٤٧٦/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩١):ص٢٤٧٦/٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٤):ص٢٤٧٦/٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٧٣/١٨.
(١٦) أخرجه الطبري:٥٧٣/١٨.
(١٧) غريب القرآن:٢٩٠.
(١٨) ديوانه : ٢٢، والكامل للمبرد: ٨، والسمط: ٢١٤.
(١٩)شعراء النصرانية: ٢/ ٧٢.
(٢٠) مجاز القرآن:٤٥/٢-٤٦.

قوله تعالى:{لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج : ٩]، أي:" ليصُدَّ الناس عن دين الله وشرعه"[٢].

قال الطبري:يقول:" يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا، ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه"[٣].

قوله تعالى:{لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ} [الحج : ٩]، أي:" له هوان وذل في الحياة الدنيا"[٤].

قال يحيى:يعني:" القتل"[٥].

قال الطبري:يقول:" لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي، وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين، فقتله الله بأيديهم يوم بدر"[٦].

عن ابن جريج، قوله :"{في الدنيا خزي}، قال: قتل يوم بدر"[٧].

قوله تعالى:{وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج : ٩]، أي:" ونذيقه في الآخرة النار المحرقة"[٨].

قال الطبري:يقول: "ونحرقه يوم القيامة بالنار"[٩].

قال يحيى:" عذاب جهنم، يحرق بالنار، وتفسير الكلبي: أنها نزلت في النضر بن الحارث فقتل، أحسبه قال: يوم بدر"[١٠].

قال الحسن:" بلغني إن أحدهم حرق في اليوم سبعين ألف مرة"[١١].

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ} [الحج : ١٠]، أي:" ذلك الخزي والعذاب بسبب ما اقترفته من الكفر والضلال"[١٢].

قال الطبري:" ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام، واكتسبته فيها من الإجرام"[١٣].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [الحج : ١٠]، أي:" وأن الله عادل لا يظلم أحداً من خلقه"[١٤].

قال الطبري:" يقول: وفعلنا ذلك لأن الله ليس بظلام للعبيد، فيعاقب بعض عبيده على جرم، وهو يغفر مثله من آخر غيره، أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب، فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب، ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرمه، ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته"[١٥].

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا

---

(١) تفسير الطبري:٥٧٤/١٨.
(٢) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٣) تفسير الطبري:٥٧٤/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٣٥٦/١.
(٦) تفسير الطبري:٥٧٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٥٧٤/١٨.
(٨) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٩) تفسير الطبري:٥٧٤/١٨.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٥٦/١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٦).:ص٢٤٧٦/٨
(١٢) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٥٧٤/١٨.
(١٤) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(١٥) تفسير الطبري:٥٧٤/١٨-٥٧٥.

لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣)} [الحج : ١١ - ١٣]

التفسير:

ومن الناس مَن يدخل في الإسلام على ضعف وشكٍّ، فيعبد الله على تردد، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتماسك في وقفته، ويربط إيمانه بدنياه، فإن عاش في صحة وسَعَة استمر على عبادته، وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن ينقلب على وجهه بعد استقامة، فهو بذلك قد خسر الدنيا؛ إذ لا يغيّر كفرُه ما قُدِّر له في دنياه، وخسر الآخرة بدخوله النار، وذلك خسران بيّن واضح. يعبد ذلك الخاسر من دون الله ما لا يضره إن تركه، ولا ينفعه إذا عبده، ذلك هو الضلال البعيد عن الحق. يدعو مَن ضررُه المحقق أقرب من نفعه، قبح ذلك المعبود نصيرًا، وقبح عشيرًا.

سبب النزول:

قال ابن عباس:"كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا صالح فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير. فأنزل الله {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ}"[١].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، أي:" ومن الناس من يعبد الله على جانب وطرفٍ من الدين"[٢].

قال ابن عباس:" كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صلاح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله. قال: هذا دين سوء"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: على شكّ. قاله مجاهد[٤]، وقتادة[٥].

قال الماوردي:"لكونه منحرفاً بين الإيمان والكفر"[٦].

قال أبو عبيدة:" كل شاك فى شىء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم، وتقول: إنما أنت لى على حرف، أي: لا أثق بك"[٧].

قال الزجاج:" جاء في التفسير: على شك، وحقيقته أنه يعبد الله على حرف الطريقة في الدين، لا يدخل فيه دخول متمكن"[٨].

الثاني : على شرط ، وهو قول ابن كامل[٩].

الثالث : على ضعف في العبادة كالقيام على حرف ، وهو قول علي بن عيسى[١٠].

الرابع : معناه: على وجه واحد ومذهب واحد. قاله ابن قتيبة[١١].

الخامس: أن «حرف» الشي بعضه ، فكأنه يعبد الله بلسانه ويعصيه بقلبه. أفاده الماوردي[١٢].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٨):ص٢٤٧٦/٨.
(٢) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٧):ص٢٤٧٦/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٧٦/١٨.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٢٤٧٧/٨.
(٦) النكت والعيون:١٠/٤.
(٧) مجاز القرآن:٤٦/٢.
(٨) معاني القرآن:٤١٤/٣.
(٩) انظر النكت والعيون:١٠/٤.
(١٠) انظر النكت والعيون:١٠/٤.
(١١) انظر: غريب القرآن:٢٩٠.
(١٢) انظر النكت والعيون:١٠/٤.

قال الصابوني:" وهذا تمثيلٌ للمذبذبين الذين لا يعبدون الله عن ثقة ويقين بل عن قلق واضطراب كالذي يكون على طرف من الجيش فإن أحسَّ بظفر أو غنيمة استقر وإلا فر"[١].

قوله تعالى:{فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ} [الحج : ١١]، أي:" فإن ناله خير في حياته من صحةٍ ورخاء أقام على دينه"[٢].

قال الزجاج:" أي: إن أصابه خصث وكثر ماله وماشيته اطمأن بما أصابه ورضي بدينه"[٣].

قال ابن زيد:" هذا المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة"[٤].

قال قتادة: " يقول: إن أصاب خصبا وسلوة من عش وما يشتهي، اطمأن إليه وقال: أنا على حق وأنا أعرف الذي أنا عليه"[٥].

وعن قتادة: "{فإن أصابه خير}، يقول: أكثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن وقال: لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير"[٦].

عن مجاهد، قوله :{فإن أصابه خير}، قال :"رخاء وعافية، {اطمأن به}، استقر"[٧].

قوله تعالى:{وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} [الحج : ١١]، أي:" وإن ناله شيء يفتتن به من مكروه وبلاء ارتد فرجع إلى ما كان عليه من الكفر"[٨].

قال الزجاج:أي:" اختبار بجدب وقلة مال، رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: ارتد"[١٠].

قال ابن زيد:" وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه. وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر"[١١].

عن قتادة: "{وإن أصابته فتنة}، أي: بلاء {انقلب على وجهه}، يقول: ترك ما كان عليه من الحق فأنكر معرفته"[١٢].

وعن قتادة: " {وإن إصابته فتنة}، يقول: وإن ذهب ماله، وذهبت ماشيته"[١٣].

عن مجاهد، قوله : "{وأن أصابته فتنة}، عذاب ومصيبة {انقلب} ارتد {على وجهه} كافرا"[١٤].

قال ابن عباس:" كان أحدهم إذا قدم المدينة وهى أرض وبيئة- فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما، ورضى به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن رجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا. وذلك «الفتنة»"[١٥].

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٥٨-٢٥٩.
(٢) صفوة التفاسير:٢/٢٥٩.
(٣) معاني القرآن:٣/٤١٤.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٥٧٧.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٨/٢٤٧٧.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٥٧٦.
(٧) أخرجه الطبري:١٨/٥٧٦.
(٨) صفوة التفاسير:٢/٢٥٩.
(٩) معاني القرآن:٣/٤١٤.
(١٠) غريب القرآن:٢٩١.
(١١) أخرجه الطبري:١٨/٥٧٧.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٨/٢٤٧٧.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨/٥٧٦.
(١٤) أخرجه الطبري:١٨/٥٧٦.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٩):ص٨/٢٤٧٧.
وفي رواية الطبري:١٨/٥٧٥-٥٧٦، قال:" الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة، فإن صح بها جسمه، ونتجت فرسه مهرا حسنا، وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان

قال ابن جريج:" كان ناس من قبائل العرب ومن حولهم من أهل القرى يقولون: نأتي محمدا ﷺ، فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه، وإلا لحقنا بأهلنا"[١].

قال الضحاك:" كان ناس من قبائل العرب ومن حول المدينة من القرى كانوا يقولون: نأتي محمدا ﷺ فننظر في شأنه، فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه، وإلا لحقنا بمنازلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه فيقولون: نحن على دينك! فإن أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان، اطمأنوا وقالوا: هذا دين صدق، وإن تأخر عنهم الرزق، وأزلقت خيولهم، وولدت نساؤهم البنات، قالوا: هذا دين سوء، فانقلبوا على وجوههم"[٢].

قوله تعالى:{خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} [الحج : ١١]، أي:" أضاع دنياه وآخرته فشقي الشقاوة الأبدية"[٣].

قال الطبري:" يقول: غبن هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه، لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة: يقول: وخسر الآخرة، فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة"[٤].

قال قتادة: "يقول: خسر دنياه التي كان لها يحزن وبها يفرح ولها يسخط ولها يرضى، وهي همه وسدمه وطلبته ونيته، ثم أفضى إلى الآخرة وليس له حسنة يعطي بها خيرا فـ {ذلك هو الخسران المبين}"[٥].

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج : ١١]، أي:" ذلك هو الخسران الواضح الذي لا خسران مثله"[٦].

قال الطبري:" يقول: وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران: يعني الهلاك المبين: يقول: يبين لمن فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة"[٧].

قوله تعالى:{يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ} [الحج : ١٢]، أي:" يعبد ذلك الخاسر من دون الله ما لا يضره إن تركه، ولا ينفعه إذا عبده"[٨].

قال الطبري:" وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتد عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها "[٩].

قال الزجاج:" يعنى: يدعو الوثن الذي لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر"[١٠].

عن السدى قوله: "{يدعوا من دون الله ما لا يضره}، إن عصاه في الدنيا، {وما لا ينفعه}، إن أطاعه وهو الصنم"[١١].

قال ابن زيد:" يكفر بعد إيمانه"[١٢].

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [الحج : ١٢]، أي:" ذلك هو الضلال البعيد عن الحق"[١٣].

فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، وذلك الفتنة".

(١) تفسير الطبري:٥٧٦/١٨.

(٢) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٨-٥٧٧.

(٣) صفوة التفاسير:٢٥٩/٢.

(٤) تفسير الطبري:٥٧٧/١٨.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٢٤٧٧/٨.

(٦) صفوة التفاسير:٢٥٩/٢.

(٧) تفسير الطبري:٥٧٧/١٨.

(٨) التفسير الميسر:٣٣٣.

(٩) تفسير الطبري:٥٧٧/١٨.

(١٠) معاني القرآن:٤١٤/٣.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠١):ص٢٤٧٧/٨.

(١٢)أخرجه الطبري:٥٧٨/١٨ .

(١٣) التفسير الميسر:٣٣٣.

قال الطبري:" يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة، والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا"[١].

قوله تعالى:{يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} [الحج : ١٣]، أي:" يعبد وثناً أو صنماً ضره في الدنيا بالخزي والذل أسرع من نفعه الذي يتوقعه بعبادته وهو الشفاعة له يوم القيامة"[٢].

قال الطبري:يقول: " يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة لضرها في الآخرة له، أقرب وأسرع إليه من نفعها"[٣].

قال السدي:" يقول: ضره في الآخرة من أجل عبادته إياه في الدنيا"[٤].

وقرئ ابن مسعود:« يدعو من ضره أقرب من نفعه»[٥].

قال الزجاج:" فإن قال قائل: كيف يقال: {أقرب من نفعه}، ولا نفع من قبله ألبتة؟ فالعرب تقول لما لا يكون: هذا بعيد، والدليل على ذلك قوله تعالى: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} [ق : ٣]"[٦].

قوله تعالى:{لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} [الحج : ١٣]، أي:" قبح ذلك المعبود نصيرًا، وقبح عشيرًا"[٧].

قال الطبري:" يقول: لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف، ولبئس الخليط المعاشر والصاحب"[٨].

قال ابن قتيبة:" {لبئس المولى} أي الولي، {ولبئس العشير} أي الصاحب والخليل"[٩].

قال أبو عبيدة:" «لَبِئْسَ الْمَوْلَى»: معناه –هاهنا-: ابن العم، «وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ»: الخليط المعاشر"[١٠].

قال السدي:" {لبئس المولى}، يقول: الصنم"[١١].

عن مجاهد: "{لبئس المولى ولبئس العشير}، قال: الصاحب"[١٢].

قال ابن زيد:" العشير: هو المعاشر الصاحب"[١٣].

فوائد الآيات:[٨-١٣]:

١- قبح جدال الجاهل فيما ليس له به علم.

٢- ذم الكبر والخيلاء وسواء من كافر أو من مؤمن.

٣- عدم جدوى عِبَادَةٍ صاحبُها شاك في نفعها غير مؤمن بوجوبها ومشروعيتها.

٤- لا يصح دين مع الشك.

٥- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين.

القرآن

---

(١) تفسير الطبري:٥٧٧/١٨.

(٢) صفوة التفاسير:٢٥٩/٢.

(٣) تفسير الطبري:٥٧٨/١٨.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠١):ص٢٤٧٧/٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٧٨/١٨.

(٦) معاني القرآن:٤١٥/٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٣٣.

(٨) تفسير الطبري:٥٧٨/١٨-٥٧٩..

(٩) غريب القرآن:٢٩١.

(١٠) مجاز القرآن:٤٦/٢.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠١):ص٢٤٧٧/٨. وفي رواية الطبري:٥٧٩/١٨: قال«الوثن».

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٢):ص٢٤٧٧/٨.

(١٣)أخرجه الطبري:٥٧٩/١٨ .

{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤)} [الحج : ١٤]

التفسير:

إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلا وعقاب أهل معصيته عدلا.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الحج : ١٤]، أي:" إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(١).

قال سهل بن عبدالله:" هم الذين صدقوا الله في السر والعلانية، واتبعوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ولم يبتدعوا بحال"(٢).

قال القرطبي:" لما ذكر حال المشركين وحال المنافقين والشياطين ذكر حال المؤمنين في الآخرة أيضا"(٣).

قال ابن كثير:" لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء ، عطف بذكر الأبرار السعداء ، من الذين آمنوا بقلوبهم ، وصدّقوا إيمانهم بأفعالهم ، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات ، وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات، في روضات الجنات"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج : ١٤]، أي:" إن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلا وعقاب أهل معصيته عدلا"(٥).

قال القرطبي:" أي يثيب من يشاء ويعذب من يشاء، فللمؤمنين الجنة بحكم وعده الصدق وبفضله، وللكافرين النار بما سبق من عدله، لا أن فعل الرب معلل بفعل العبيد"(٦).

قال ابن كثير:" لما ذكر أنه أضل أولئك ، وهدى هؤلاء ، قال : { إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}"(٧).

قال الماتريدي:" المعتزلة كذبت هذه الآية والآية التي تلي هذه الآية، وهو قوله: {وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ} [الحج : ١٦]؛ لأنهم يقولون: أراد إيمان جميع الخلائق ثتم لم يفعل ذلك، وأراد جميع الخيرات والكف عن الشرور ثم لم يقدر على وفاء ما أراد، ويقولون: لا صنع له في أفعال العباد، ولا تدبير؛ فعلى قولهم: لم يفعل الله مما أراد واحدا من ألوف، ويقولون: إن الله أراد هدى جميع الخلائق، لكنهم لم يهتدوا، وهو أخبر أنه يهدي من يريد، وهم يقولون: يريد هدى الخلق كلهم فلم يهتدوا.

ونحن نقول: من أراد الله هداه اهتدى، وما أراد أن يفعل فعل، وهو ما أخبر {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد} [هود : ١٠٧/ البروج: ١٦]، أخبر أنه يفعل ما يريد"(٨).

القرآن

{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥)} [الحج : ١٥]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٢) تفسير التستري:١٠٦.
(٣) تفسير القرطبي:٢١/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٠١/٥.
(٥) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٦) تفسير القرطبي:٢١/١٢.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٠١/٥.
(٨) تاويلات أهل السنة:٣٩٧/٧-٣٩٨.

من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمدًا بالنصر في الدنيا بإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، وعذابِ مَن كذَّبه، فلْيَمدُدْ حبلا إلى سقف بيته وليخنق به نفسه، ثم ليقطع ذلك الحبل، ثم لينظر: هل يُذْهِبنَّ ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصرٌ نبيه محمدًا ﷺ لا محالة.

قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [الحج : ١٥]، أي:" من كان يظن أن لن ينصر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة"[١].

وفي قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ} [الحج : ١٥]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا. حكاه ابن قتيبة عن المفسرين[٢].

الثاني: أن لن يرزقه الله، وهو قول ابن عباس[٣]، مجاهد[٤]، وأبي عبيدة[٥].

و«النصر»: الرزق والعطية، ومنه قول الشاعر[٦]:

أبوك الذي أجدى عليّ بنصره ... فانصت عنى بعده كلّ قائل

أي: بعطيّته.

قال ابن قتيبة:" كأنه يريد: من كان قانطا من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك، فلينظر هل يذهب كيده، أي حيلته غيظه لتأخر الرزق عنه؟"[٧].

الثالث : معناه: أن لن يمطر أرضه، قاله ابو عبيدة[٨]، يقال: نصر المطر أرض كذا، أي جادها وأحياها، قال الراعي[٩]:

إذا أدبر الشهر الحرام فودعى ... بلاد تميم وانصرى أرض عامر

وقال الشاعر: [١٠]:

وإنك لا تعطى امرأ فوق حظه ... ولا تملك الشقّ الذي الغيث ناصره".

ومنه قول رؤبة[١١]:

إني وأسطار سطران سطرا ... لقائل يا نصرَ نصرٍ نصرا

وفي قوله تعالى:{ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [الحج : ١٥]، وجهان[١٢]:

أحدهما: أن النصر في الدنيا بالغلبة ، وفي الآخرة بظهور الحجة.

قال الفراء:" «الهاء» فى قوله :{ينصره الله} للنبي ﷺ. أي من كان منكم يظن أن الله لن ينصر محمدا بالغلبة حتى يظهر دين الله"[١٣].

الثاني: أن النصر في الدنيا علو الكلمة ، وفي الآخرة علو المنزلة.

---

(١) صفوة التفاسير:٢٥٩/٢.

(٢) انظر: غريب القرآن:٢٩١، وانظر: تفسير القرطبي ٢١/١٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٥٨١/١٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٨١/١٨.

(٥) انظر: مجاز القرآن:٤٦/٢-٤٧.

(٦)البيت للكميت في "البحر" ٤/ ٤٣٨، و"الدر المصون" ٥/ ٥٥١ وهو للراعي النميري في "ديوانه" ص ٧٨، و"مجاز القرآن" ٢/ ٤٧، و"الجمهرة" ١/ ٣٩٨، ٣/ ١٢٦١، و"الاشتقاق" ص ١١٠، وبلا نسبة في: "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٥٨٢، و"اللسان" ٧/ ٤٤٣٧ (نصت).

(٧) تأويل مشكل القرآن:٢١٣.

(٨) انظر: مجاز القرآن:٤٦/٢-٤٧.

(٩) فى الجمهرة ٢/ ٣٥٩ واللسان والتاج (نصر).

(١٠)نسب البيت فى الطبري (١٨/ ٥٨١) والقرطبي ١٢/ ٢٢ للفقعسى.

(١١)البيت في ديوان رؤبة بن العجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج ١٧٤) . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن:٢٦٤/٢، عند قوله تعالى: (والقلم وما يسطرون) قال: وما يكتبون قال رؤبة: "إني وأسطار ... " البيت. والأسطار: جمع سطر، وهو الصف من النخل أو من حروف الكتابة المنسوقة.

.

(١٢) انظر: النكت والعيون:١٢/٤.

(١٣) معاني القرآن:٢١٨/٢.

قوله تعالى:{فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} [الحج : ١٥]، أي:" فليمدد بحبل إلى السقف ثم ليقطع عنقه وليختنق به، فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ؟"[١].

وفي قوله تعالى:{فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} [الحج : ١٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : فليمدد بحبل إلى سماء الدنيا ليقطع الوحي عن محمد--ﷺ-، ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ أي: يذهب الكيد منه ما يغيظه من نزول الوحي عليه ، وهذا قول ابن زيد[٢].

قال ابن زيد:" من كان يظن إن لن ينصر الله نبيه ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه، فليقطع ذلك من أصله حتى يأتيه، فإن أصله في السماء ثم ليقطع أي عن النبي الوحي الذي يأتيه من الله إن قدر"[٣].

قال ابن قتيبة:" «السماء» هاهنا: السماء بعينها لا «السقف»، كأنه قال: فليمدد بسبب إليها أي بحبل، وليرتق فيه، ثم ليقطع حتى يخر فيهلك، أي: ليفعل هذا إن بلغه جهده، فلينظر هل ينفعه.

ومثله قوله لرسول الله، ﷺ- حين سأله المشركون أن يأتيهم بآية ولم يشأ الله أن يأتيهم بها، فشق ذلك عليه-: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [الأنعام : ٣٥]، يريد: اجهد إن بلغ هذا جهدك"[٤].

قال ابن قتيبة:"وروى ابن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن كردم: أن رجلا سأل أبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس، عن رجل قتل مؤمنا متعمدا، هل له توبة؟ فكلهم قال: هل يستطيع أن يحييه؟ هل يستطيع أن يبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء؟.

يريدون: أنه لا توبة له، كما أن هذا لا يكون"[٥].

والثاني :معناه: فليمدد بحبل إلى سماء بيته وهو سقفه ، ثم لِيخْنقَ به نفسه فلينظر هل يذهب ذلك بغيظه من ألا يرزقه الله تعالى ، وهذا قول ابن عباس[٦]، وقتادة[٧]، وعكرمة[٨]، والضحاك[٩]، وبه قال الفراء[١٠]، وابن قتيبة[١١].

وعلى هذا القول أن المراد بـ«السماء»: سقف البيت. قال ابن قتيبة:" وكل شيء علاك وأظلك فهو سماء، والسحاب: سماء، يقول الله تعالى: {ونزلنا من السماء ماء مباركا} [ق: ٩] ، وقال سلامة بن جندل يذكر قتل كسرى النعمان [١٢]:

هو المدخل النعمان بيتا سماؤه ... نحور الفيول بعد بيت مسردق

يعني: سقفه، وذلك أنه أدخله بيتا فيه فيلة فتوطأته حتى قتلته"[١].

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٥٩.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٠٥):ص٨/٢٤٧٨، وتفسير الطبري:١٨/٥٨٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٥):ص٨/٢٤٧٨.
(٤) غريب القرآن:٢١٢.
(٥) غريب القرآن:٢١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٨١.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٨٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٨٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٨٣.
(١٠) انظر: معاني القرآن:٢/٢١٨.
(١١) انظر: غريب القرءن:٢٩١.
(١٢)يروى عجز البيت بلفظ:
صدور الفيول بعد بيت مسردق والبيت من الطويل، وهو لسلامة بن جندل في ديوانه ص ١٨٢، ولسان العرب (سردق) ، وجمهرة اللغة ص ١١٤٦، وتاج العروس (سردق) ، والأصمعيات ص ١٣٧، وللأعشى في تهذيب اللغة ٩/ ٣٩٤، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في المخصص ٦/ ٧، وكتاب العين ٥/ ٢٥١.

قال ابن عباس:" السماء التي أمر الله أن يمد إليها بسبب سقف البيت أمر أن يمد إليه بحبل فيختنق به، قال: فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ إذا اختنق إن خشي أن لا ينصره الله!"[٢].

قال قتادة:" من كان يظن أن الله غير ناصر دينه فليمدد بحبل إلى السماء سماء البيت فليختنق فلينظر ما يرد ذلك في يده"[٣].

قال ابن كثير:" وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى ، وأبلغ في التهكم ؛ فإن المعنى : من ظن أن الله ليس بناصر محمدًا وكتابه ودينه ، فليذهب فليقتل نفسه ، إن كان ذلك غائظه ، فإن الله ناصره لا محالة ، قال الله تعالى : { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ. يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } [غافر : ٥١ ، ٥٢]"[٤].

قال الطبري: معنى الكلام:" من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا ﷺ وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه؛ حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجل قبل حينه، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان، تباطئوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف أن لا ينصر محمد ﷺ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يروواننا، فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد، فليمدد بسبب إلى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه، هل هو مذهب غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه"[٥].

قال النحاس:" فمن أحسن ما قيل فيها أن المعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله جل وعز محمدا ﷺ، وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه، فليمدد بسب إلى السماء أي فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ثم ليقطع أي ثم ليقطع النصر إن تهيأ له فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظه من نصر النبي ﷺ والفائدة في الكلام أنه إذا لم يتهيأ له الكيد والحيلة بأن يفعل مثل هذا لم يصل إلى قطع النصر"[٦].

وفي قراءة عبد الله :«ثم ليقطعه»[٧].

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦)} [الحج : ١٦]

التفسير:

وكما أقام الله الحجة من دلائل قدرته على الكافرين بالبعث أنزل القرآن، آياته واضحة في لفظها ومعناها، يهدي بها الله مَن أراد هدايته؛ لأنه لا هادي سواه.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الحج : ١٦]، أي:" وكما أقام الله الحجة من دلائل قدرته على الكافرين بالبعث أنزل القرآن، آياته واضحة في لفظها ومعناها"[٨].

---

(١) غريب القرآن:٢١٢.
(٢) أخرجه الطبري:٥٨٢/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٦):ص٢٤٧٨/٨.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٠٢/٥.
(٥) تفسير الطبري:٥٨٣/١٨.
(٦) إعراب القرن:٦٤/٣.
(٧) انظر: معاني القرآن للفراء:٢١٨/٢.
(٨) التفسير الميسر:٣٣٤.

قال الطبري:يقول: " وكما بينت لكم حججي على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه، فأوضحتها أيها الناس، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن آيات بينات، يعني: دلالات واضحات، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحق"[١].

قال الزمخشري:" أى: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات"[٢].

قال ابن كثير:" أي: القرآن { آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } أي : واضحات في لفظها ومعناها ، حجةً من الله على الناس "[٣].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ} [الحج : ١٦]، أي:" يهدي بها الله مَن أراد هدايته"[٤].

قال الطبري:يقول: " ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد، أنزل هذا القرآن آيات بينات"[٥].

قال الزمخشري:أي:" ولـ{أن الله يهدي} به الذين يعلم أنهم يؤمنون. أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى، أنزله كذلك مبينا"[٦].

قال ابن كثير:" أي : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك ، {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء : ٢٣] ، أما هو فلحكمته ورحمته وعدله ، وعلمه وقهره وعظمته ، لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب"[٧].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)} [الحج : ١٧]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ ﷺ واليهود والصابئين وهم: (قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه) والنصارى والمجوس (وهم عبدة النار) والذين أشركوا وهم: عبدة الأوثان، إنَّ الله يفصل بينهم جميعًا يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار، إن الله على كل شيء شهيد، شهد أعمال العباد كلَّها، وأحصاها وحفظها، وسيجازي كلا بما يستحق جزاء وفاقًا للأعمال التي عملوها.

سبب النزول:

قال عكرمة:" قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئة: نحن نعبد الملائكة من دون الله. وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والعمر من دون الله. وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان من دون الله. فأوحى الله إلى نبيه ليكذب قولهم: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}[٨]، إلى آخرها، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}[٩]، وأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ}"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج : ١٧]، أي:" إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ ﷺ"[١١].

---

(١) تفسير الطبري:٥٨٤/١٨.
(٢) الكشاف:١٤٨/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٠٢/٥.
(٤) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٥) تفسير الطبري:٥٨٤/١٨.
(٦) الكشاف:١٤٨/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٠٢/٥.
(٨)[الإخلاص : ١].
(٩)[الإسراء : ١١١].
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٩):ص٢٤٧٨/٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٣٣.

قال الطبري:أي:" هم المصدقون رسول الله فيما أتاهم به من الحق من عند الله، وإيمانهم بذلك، تصديقهم به"[١].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَادُوا} [الحج : ١٧]، أي: "والذين انتسبوا إلى دين اليهود. وهي شريعة موسى"[٢].

وفي أصل كلمة«اليهود»، أقوال:

أحدها: أنها من «هاد» بمعنى: رجع، سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل[٣].

الثاني: أنهم سمّوا بذلك، لقولهم:{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[سورة الأعراف : ١٥٦]، أي: تبنا، قاله ابن جريج[٤].

الثالث: أن الهوادة: السكون والموادعة. ومنه قوله تعالى: {هُدْنَا إِلَيْكَ} [الأعراف : ١٥٦]، أي: سكنا إلى أمرك، قاله ابن عرفة[٥].

الرابع: أنها من كلمة: «يهوذا» بالذال المعجمة، وغيّرتها العرب إلى «يهودا»، وقيل: «يهودي» في نسبة الواحد إلى الاسم، ثم حذف الياء في الجمع، فقيل :«يهود»[٦].

الخامس: أنها مشتقة من: «هاد، يهود»؛ بمعنى: الميل والرجوع؛ لأن اليهود كانوا كلما جاءهم نبي أو رسول هادوا إلى ملكهم ودلوه عليه ليقتلوه[٧].

السادس: أنها من «التهويد»، وهو النطق في سكون ووقار ولين، وسموا بذلك لأنهم يتهودون عند قراءة التوراة. حكاه ابن عطية عن الزهراوي[٨]، وأنشد قول الراعي النميري[٩]:

وخودٌ من اللائي تَسَمَّعْنَ بالضُّحَى قريضَ الرُّدَافَى بالغِنَاءِ المُهَوَّدِ

السابع: أنه من :«الهوادة»، وهي: الخضوع، فـ{هدنا إليك}، أي: خضعنا إليك[١٠].

الثامن: أن أصلها من :«هاد، يهيد» ، أي: تحرك، ومنه سمي اليهود؛ لتحركهم في دراستهم، قاله أبو عمرو بن العلاء [١١].

قوله تعالى:{وَالصَّابِئِينَ} [الحج : ١٧]، أي:" والصابئين- وهم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه-"[١٢].

قال البيضاوي:" قوم بين النصارى والمجوس"[١٣].

قال النسفي: أي"الخارجين من دين مشهور إلى غيره، من صبأ إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٤٣/٢.

(٢) تفسير ابن عثيمين:٢٢١/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/٢، وتفسير القرطبي:١/ ٤٣٢-٤٣٣، والمحرر الوجيز:١/ ١٥٧، والدر المصون :١/ ٤٠٥، واللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢،واللسان، مادة: "هود".

(٤) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٤):ص١٤٣/٢.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٤٣٢/١، وفتح القدير للشوكاني:١١٠/١، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ:٢٦٤/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/٢، وتفسير القرطبي:١/ ٤٣٢-٤٣٣، والمحرر الوجيز:١/ ١٥٧، والدر المصون :١/ ٤٠٥، واللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢،واللسان، مادة: "هود".

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/٢، وتفسير القرطبي:١/ ٤٣٢-٤٣٣، والمحرر الوجيز:١/ ١٥٧، والدر المصون :١/ ٤٠٥، واللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢،واللسان، مادة: "هود".

(٨) انظر: المحرر الوجيز:١٥٧/١.

(٩) انظر: تهذيب اللغة، باب ا"الهاء والدال"، و"خوط"، ومقاييس اللغة، مادة"ردف"، وأساس البلاغة، باب"ردف"، والعباب الزاخر،"ردف"، واللسان، مادة"ردف"، وتاج العروس، مادة"وخد"، "هود"، "ردف"، وغريب الحديث للقاسم بن سلام:٢٨٧/٤، والمحرر الوجيز:١٥٧/١، وواللباب:٦٣..

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/٢، وتفسير القرطبي:١/ ٤٣٢-٤٣٣، والمحرر الوجيز:١/ ١٥٧، والدر المصون :١/ ٤٠٥، واللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢،واللسان، مادة: "هود".

(١١) انظر: اللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢.

(١٢) التفسير الميسر:٣٣٣.

(١٣) تفسير البيضاوي: ٨٤/١.

قال الثعلبي: يقال: صبا يصبوا صبوءا، إذا مال وخرج من دين إلى دين"[٢].

وفي الأصل اللغوي لكلمة الـ«صابئة»، أقوال:

أحدها: : إن الكلمة- بالهمز- عربية تفيد معنى :الخروج والتحول والانتقال من دين إلى آخر، مأخوذة من قول العرب: صبأ ناب البعير إذا طلع حده وخرج، وتصبأ النجوم أي: تخرج من مطالعها، والصابيء:المستحدث سوى دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى دين آخر. وهذا القول عليه جمهور أهل اللغة[٣].

الثاني: إن الكلمة- بغير الهمز- عربية تفيد معنى: الميل والنزع، تقول أصبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه، ونزع واشتاق وفعل فعل الصبيان، وقد يقال صبا الرجل إذا عشق وهوى، ومن هذا المعنى قوله تعالى عن يوسف – عليه السلام – {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف : ٣٣].

قال بعض العلماء: وسمى القوم بذلك؛ لأنهم مالوا عن كل دين إلى دين عبادة النجوم... أو مالوا عن سنن الحق وزاغوا عن نهج الأنبياء[٤].

الثالث: أنها مشتقة من :«صباؤوث» العبرانية، أي جند السماء دلالة على أنهم يعبدون الكواكب. قاله اللغوي الألماني: جسنيوس[٥].

الرابع: أنها مشتقة من: صب الماء، إشارة إلى اعتمادهم بالماء. قاله نولدكي[٦].

الخامس: أن الكلمة لاتفيد معنى خاصاً وإنما هي منسوبة إلى أحد الأشخاص يسمى صبائاً.

واختلف أصحاب هذا القول في تحديد هذا الشخص بين اثنين[٧]:

أ- صابيء متوشلخ «متوشالح» حفيد النبي إدريس – عليه الصلاة والسلام – .

ب- صابيء بن ماري، الذي ظهر في زمن الخليل عليه السلام.

ولا يحفى بأن الأقوال السابقة بينها ترابط، وذلك من خلال أن الشخص الذي صبأ وخرج عن دينه إلى دين آخر، هو في الحقيقة لم يصنع ذلك إلا لما مال قلبه إلى ذلكم الدين الجديد، ثم اغتسل بالماء إعلاناً منه الخروج عن الدين الأول، وتمسكه بأبرز سماة الدين الجديد ألا وهو عبادة الكواكب.

وقد اختلفت أهل العلم في المعنيين بالـ«الصابئة»، على أقوال:

أحدها: أنهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى، وليس لهم دين. قاله مجاهد[٨]، وعطاء[٩].

الثاني: أنهم منزلة بين اليهود والنصارى. قاله سعيد بن جبير[١٠].

الثالث: قبيلة بين المجوس واليهود، ولاتؤكل ذبائحهم ولاتنكح نساؤهم. قاله الحسن[١١]، ومجاهد[١٢]، وابن أبي نجيح[١٣].

---

(١) تفسير النسفي: ٩٥/١.

(٢) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/١.

(٣) انظر: لسان العرب،مادة "صبأ"،١٠٧/١- ١٠٨. وانظر معجم مقاييس اللغة، ٣٣١/٣-٣٣٢. وانظر القاموس المحيط، ٢٠/١-٢١

(٤) انظر: تفسير القرطبي، ١/ ٤٧٣. وانظر تفسير البغوي، ٩٤/١.

(٥) انظر : الصابئون في حاضرهم وماضيهم، السيد الحسني، ص ٢١، وموسوعة كنوز المعرفة، إشراف د/ إميل يعقوب، ط (الأولى) ، بيروت : دار نظير عبود، ١٩٩٨م ، ١/ ١٥٨، ودائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ط(الثالثة)، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧١م، ٥/ ٤٢٦.

(٦) انظر: المصادر السابقة في القول الثالث.

(٧)انظر : تاريخ الطبري، ١٧٤/١.

(٨) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨):ص١٢٧/١.

(٩) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٦):ص١٤٦/٢.

(١٠) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٧):ص١٢٧/١.

(١١) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٣):ص١٤٦/٢.

(١٢)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٢):ص١٤٦/٢.

(١٣)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٤):ص١٤٦/٢.

الرابع: هم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. قاله أبو العالية[١]والسدي، والربيع بن أنس، وأبو الشعشاء جابر بن زيد، والضحاك، وإسحاق بن راهويه[٢].
الخامس: أنهم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل، يقولون : لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله، ولم يؤمنوا برسول الله. قاله ابن زيد[٣].
السادس: هم الذين لم تبلغهم دعوة نبي. ذكره ابن كثير[٤].
السابع: هم قوم يعيدون الملائكة ويصلون إلى القبلة. قاله قتادة[٥]، وزياد بن أبيه[٦]، وأبو جعفر الرازي[٧].
الثامين: أنهم طائفة من أهل الكتاب. قاله السدي[٨].
قال ابن كثير: "وأظهر الأقوال – والله أعلم – قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم باقون على فطرتهم، ولادين مقرر يتبعونه ويقتضونه"[٩].
قال ابن القيم : "لقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً، وأشكل أمرهم على الأئمة لعدم الإحاطة بمذهبهم ودينهم...وبالجملة فالصابئة أحسن حالاً من المجوس، فأخذ الجزية من المجوس تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق الأولى، فإن المجوس من أخبث الأمم ديناً ومذهباً، ولايتمسكون بكتاب ولاينتمون إلى ملة ولايثبت لهم كتاب ولاشبهة كتاب أصلاً... وكل ماعليه المجوس من الشرك فشر الصابئة إن لم يكن أخف منه فليس بأعظم منه"[١٠].
قوله تعالى:{وَالنَّصَارَى} [الحج : ١٧]، أي:" الذين انتسبوا إلى دين عيسى"[١١].
قال الثعلبي: هم"الذين كانوا على دين عيسى عليه السّلام ولم يبدّلوا وماتوا على ذلك"[١٢].
وفي سبب تسميتهم بـ«النصارى»، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنهم سُمُّوا بذلك، لقريةٍ تُسَمَّى :«ناصرة»، كان ينزلها عيسى عليه السلام، فَنُسِبَ إليها، فقيل : عيسى الناصري، ثم نسب أصحابه إليه فقيل : النصارى، وهذا قول ابن عباس[١٣]، وقتادة[١٤]، وابن جريج[١٥].
الثاني : أنهم سُمُّوا بذلك، لنصرة بعضهم لبعضٍ[١٦]، ومنه قول الشاعر[١٧] :

---

(١) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٩):ص١٢٧/١، وتفسير الطبري(١١١٠):ص١٤٧/٢.
(٢) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٣) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٧):ص١٤٧/٢.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ١٠٤/١.
(٥) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٩):ص١٤٧/٢.
(٦) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٨):ص١٤٧/٢. زياد بن أبيه: هو والى العراق في زمن معاوية رضي الله عنه .
(٧) أنظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢، وزاد:"أنهم ويقرءون الزبور".
(٨) أنظر: تفسير الطبري(١١١١):ص١٤٧/٢.
(٩) تفسير ابن كثير، ١٠٤/١.
(١٠) المصدر السابق، ص ٢٤٢.
(١١) انظر: تفسير ابن عثيمين:٢٢١/١.
(١٢) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/١.
(١٣) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٦):ص١٤٥/٢.
(١٤) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٧)، و(١٠٩٨):ص١٤٥/٢.
(١٥) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٥):ص١٤٥/٢.
(١٦) أنظر: تفسير الطبري: ١٤٤/٢-١٤٥، والنكت والعيون: ١٣٣/١.
(١٧)لم أعرف صاحب الرجز . والأبيات ، في معاني القرآن للفراء ١ / ٤٤ أمالي ابن الشجرى ١ / ٧٩ ٣٧١ . أنشده شاهدا على حذف واو العطف : أي " وكنت لهم من النصارى جارا " ، ثم أنشده في الموضع الآخر شاهدا على حذف الفاء العاطفة أي " فكنت لهم . . " . والبيت من شواهد الطبري: ١٤٤/٢.

لمَّا رأيتُ نَبَطاً أَنْصَارَا شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِيَ الإِزَارَا
كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارَا

الثالث : أنهم سُمُّوا بذلك، لقوله:{مَنْ أَنْصَارِي إلى الله}[الصف: ١٤][١].

قوله تعالى:{وَالْمَجُوسَ} [الحج : ١٧]، أي:" والمجوس –وهم: عبدة النار-"[٢].

قال القرطبي:" هم عبد ة النيران القائلين أن للعالم أصلين: نور وظلمة، وقيل: المجوس في الأصل «النجوس» لتدينهم باستعمال النجاسات، والميم والنون يتعاقبان كالغيم والغين، والأيم والأين "[٣].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [الحج : ١٧]، أي:" والذين أشركوا -وهم: عبدة الأوثان"[٤].

قال القرطبي:" هم العرب عبدة الأوثان"[٥].

قال ابن كثير:" فعبدوا غير الله معه"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الحج : ١٧]، أي:" إنَّ الله يفصل بينهم جميعًا يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار"[٧].

قال القرطبي:" أي: يقضي ويحكم، فللكافرين النار، وللمؤمنين الجنة. وقيل: هذا الفصل بأن يعرفهم المحق من المبطل بمعرفة ضرورية، واليوم يتميز المحق عن المبطل بالنظر والاستدلال"[٨].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة..يحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة ، ومن كفر به النار"[٩].

قال الزمخشري:" الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا، فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت، ولا يجمعهم في موطن واحد. وقيل: الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد للرحمن. جعل الصابئون مع النصارى لأنهم نوع منهم. وقيل يفصل بينهم يقضى بينهم، أى بين المؤمنين والكافرين. وأدخلت إن على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التوكيد"[١٠].

قال عكرمة:" فصل قضاءه بينهم، فجعل الجنة مشتركة وجعل هذه الأمة واحدة"[١١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج : ١٧]، أي:" إن الله على كل شيء شهيد، شهد أعمال العباد كلَّها، وأحصاها وحفظها، وسيجازي كلا بما يستحق جزاء وفاقًا للأعمال التي عملوها"[١٢].

قال القرطبي:" أي: من أعمال خلقه وحركاتهم وأقوالهم، فلا يعزب عنه شي منها، سبحانه"[١٣].

قال ابن كثير:" فإنه تعالى شهيد على أفعالهم ، حفيظ لأقوالهم ، عليم بسرائرهم ، وما تُكِن ضمائرهم "[١].

---

(١) أنظر: تفسير الطبري:١٤٥/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٣) تفسير القرطبي:٢٣/١٢.
(٤) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٥) تفسير القرطبي:٢٣/١٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٠٢/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٨) تفسير القرطبي:٢٣/١٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٠٢/٥.
(١٠) الكشاف:١٤٨/٣.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٨):ص٢٤٧٨/٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٣٣.
(١٣) تفسير القرطبي:٢٣/١٢.

فوائد الآيات:[١٤-١٧]:
١- كل الأديان هي من وحي الشيطان وأهلها خاسرون إلا الإسلام فهو دين الله الحق وأهله هم الفائزون، أهله هم القائمون عليه عقيدة وعبادة وحكماً وقضاء.
٢- إن الله ناصر دينه، ومكرم أهله، ومن غاظه ذلك ولم يرضه فليختنق.
٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
٤- تقرير إرادة الله ومشيئته فهو تعالى يفعل ما يشاء ويهدي من يريد.
إذ لا يكون في هذا الكون شيء إلا بإرادة الله ومشيئته مما هو في اللوح المحفوظ، وفي علمه سبحانه وتعالى، لا يحدث شيء بدون إرادته، ولا يكون في ملكه ما لا يريد سبحانه، {إن الله يفعل ما يريد} [الحج: ١٤] ، {كذلك الله يفعل ما يشاء} [آل عمران: ٤٠] ، فما يحدث في هذا الكون من حياة وموت، وغنىً وفقر، وإيمان وكفر، كل ذلك شاءه الله وأراده، شاء الخير وشاء الشر، وشاء الإيمان وشاء الكفر، فدخل في مشيئته كل شيء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)} [الحج : ١٨]

التفسير:

ألم تعلم- أيها الرسول- أن الله سبحانه يسجد له خاضعًا منقادًا مَن في السموات من الملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؟ ولله يسجد طاعة واختيارًا كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأيُّ إنسان يهنه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الحج : ١٨]، أي:" ألم تعلم- أيها الرسول- أن الله سبحانه يسجد له خاضعًا منقادًا مَن في السموات من الملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات"(٢).

قال الطبري:يقول: " ألم تر يا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجن وغيرهم"(٣).

قوله تعالى:{وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ} [الحج : ١٨]، أي:" وهذه الأجرام العظمى مع سائر الجبال والأشجار والحيوانات تسجد لعظمته سجود انقياد وخضوع"(٤).

قال الطبري:يقول: " والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدواب في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحول ظل كل شيء فهو سجوده"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب}، قال: ظلال هذا كله"(٦).

قال ابن كثير:" إنما ذكر هذه[وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ] على التنصيص؛ لأنها قد عُبدت من دون الله ، فبين أنها تسجد لخالقها ، وأنها مربوبة مسخرة { لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [فصلت : ٣٧]"(٧).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٠٢/٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٣) تفسير الطبري:٥٨٦/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٦٠/٢.
(٥) تفسير الطبري:٥٨٦/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٠٣/٥.

وفي الصحيحين عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟". قلت : الله ورسوله أعلم. قال : "فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت"»[١].

وفي حديث الكسوف : "إن الشمس والقمر خَلْقان من خَلْق الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله عز وجل إذا تَجَلى لشيء من خلقه خشع له"[٢].

وفي تفسير «السجود» في الآية قولان:

أحدهما: أن «السجود» ههنا :الخضوع لله عز وجل، وهى طاعة ممن خلق الله من الحيوان والجماد، والدليل على أنه سجود طاعة قوله: {وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب}، هذا أجود الوجوه أن يكون تسجد مطيعة، لله عز وجل، كما قال الله تعالى: {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين} [فصلت : ١١]، وكما قال: {وَإِنَّ مِنْهَا} [البقرة : ٧٤]، يعني: الحجارة {لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه} [البقرة : ٧٤]، فـ«الخشية» لا تكون إلا لما أعطاه الله مما يختبر به خشيته. قاله الزجاج[٣].

وقال سهل بن عبدالله:" سجود هذه الأشياء معرفتها بالحق بالتذلل والانقياد له"[٤].

وقال أبو العالية : "ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد[٥]: حتى يرجع إلى مطلعه"[٦].

الثاني: أن السجود من هذه الأشياء التي هي جماد ومن الحيوان الذي لا يعقل إنما هو أثر الصنعة فيها والخضوع الذي يدل على أنها مخلوقة، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر[٧]:

بجَمْع تضل البُلْقُ في حَجَراته ... ترى الأكْم منه سجدا للحوافر

أي: قد خشعت من وطء الحوافر عليها.

قال الزجاج: وذلك القول الذي قالوه لأن السجود الذي هو طاعة عندهم إنما يكون ممن يعقل، والذي يكسر هذا ما وصف الله عز وجل من أن من الحجارة لما يهبط من خشية الله، والخشية والخوف ما عقلناه إلا للآدميين، وقد أعلمنا الله - عز وجل - أن من الحجارة ما يخشاه، وأعلمنا أنه سخر مع داود الجبال والطير تسبح معه، فلو كان تسبيح الجبال والطير أثر الصنعة: ما قيل: «سخرنا» ولا قيل: «مع داود الجبال»، لأن أثر الصنعة يتبين مع داود وغيره، فهو سجود طاعة لا محالة، وكذلك التسبيح في الجبال والطير، ولكنا لا نعلم تسبيحها إلا أن يجيئنا في الحديث كيف تسبيح ذلك، وقال الله عز وجل - : {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء : ٤٤]"[٨].

وروي عن مجاهد، قال :"سجود كل شيء فيئه، وسجود الجبال فيئها"[٩].

وقال مجاهد:" الثوب يسجد"[١٠].

قال الضحاك:" إذا فاء الفيئ لم يبق شيء من دابة ولا طائر إلا خر لله ساجدا"[١١].

---

(١)) صحيح البخاري برقم (٤٨٠٣) وصحيح مسلم برقم (١٥٩).

(٢)المسند (٢٦٧/٤) وسنن أبي داود برقم (١١٧٧) وسنن النسائي (١٤١١٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٢٦٢).

(٣) معاني القرآن:٤١٨/٣.

(٤) تفسير التستري:١٠٦.

(٥)محمد بن جعفر.

(٦) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.

(٧) البيت لزيد الخيل الطائي في الكامل ١/ ٣٥٨، والأغاني ١٦/ ٥٢، ومجموعة المعاني ص ١٩٢،، ومجمع البيان ١/ ١٤١، وتفسير الطبري ١/ ٢٨٩، ولعروة بن زيد في الوساطة ص ٤٣٥، وبلا نسبة في تفسير الطبري ١/ ٢٣٨، والأضداد لابن الأنباري ص ٢٥٧، وكتاب الصناعتين ص ٢٢١، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢٤، والأزمنة والأمكنة ١/ ٣٥، ولسان العرب (سجد) ، وتفسير البحر المحيط ١/ ٥١.

(٨) معاني القرآن:٤١٨/٣-٤١٩.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٠):ص٢٤٧٩/٨.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١١):ص٢٤٧٩/٨.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٢):ص٢٤٧٩/٨.

عن عمرو بن دينار رضي الله عنه قال: "سمعت رجلا يطوف بالبيت ويبكي، فإذا هو طاوس! فقال: عجبت من بكائي؟ قلت: نعم، قال: ورب هذه البنية، إن هذا القمر ليبكي من خشية الله ولا ذنب له"[١].

قوله تعالى:{وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ} [الحج : ١٨]، أي:" ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة"[٢].

قال الفراء:" من أهل الطاعة"[٣].

قال الطبري:" يقول: ويسجد كثير من بني آدم، وهم المؤمنون بالله"[٤].

عن مجاهد: "{وكثير من الناس}، قال: المؤمنون"[٥].

عن طاوس رضي الله عنه في الآية، قال: "لم يستثن من هؤلاء أحدا حتى إذا جاء ابن آدم استثناه، فقال: {وكثير من الناس}، قال: والذي أحق بالشكر هو أكثرهم"[٦].

قوله تعالى:{وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} [الحج : ١٨]، أي:" وكثير من الناس وجب له العذاب بكفره واستعصائه"[٧].

قال يحيى:" يعني: من لم يؤمن"[٨].

قال السمعاني:" هم الكافرون، وإنما حق عليهم العذاب هاهنا بترك السجود، ومعنى الآية: وكثير من الناس أبو السجود فحق عليهم العذاب"[٩].

قال الطبري:يقول: " وكثير من بني آدم حق عليه عذاب الله، فوجب عليه بكفره به، وهو مع ذلك يسجد لله ظله"[١٠].

قال البغوي:" وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عز وجل. والواو في قوله: {وكثير حق عليه العذاب} واو الاستئناف"[١١].

عن مجاهد :"{وكثير حق عليه العذاب}، وهو يسجد مع ظله"[١٢].

قال النحاس:" ثم قال جل وعز: وكثير حق عليه العذاب وهذا مشكل من الإعراب. فيقال: كيف لم ينصب ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل مثل : {وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان : ٣١]، فزعم الكسائي والفراء[١٣] أنه لو نصب لكان حسنا. ولكن الرفع لأن المعنى: وكثير أبى السجود، وفي رفعه قول آخر، يكون معطوفا على الأول داخلا في السجود، لأن السجود هاهنا إنما هو الانقياد لتدبير الله جل وعز من ضعف وقوة وصحة وسقم وحسن وقبح، وهذا يدخل فيه كل شيء"[١٤].

قال مكي:" ارتفع «كثير» على العطف على من في قوله: {يسجد له من}، وجاز ذلك، لأن السجود هو التذلل والانقياد فالكفار الذين حق عليهم العذاب أذلاء تحت قدر الله وتدبيره فهم منقادون لما سبق فيهم من علم الله لا يخرجون عما سبق في علم الله فيهم وقيل ارتفع كثير

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٣):ص٢٤٧٩/٨.
(٢) صفوة التفاسير:٢٦٠/٢.
(٣) معاني القرآن:٢١٩/٢.
(٤) تفسير الطبري:٥٨٦/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٤):ص٢٤٧٩/٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٦٠/٢.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٩/١.
(٩) تفسير السمعاني:٤٢٨/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٥٨٦/١٨.
(١١) تفسير البغوي:٣٧٢/٥.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.
(١٣)قال الفراء:" يقال: كيف رفع الكثير وهو لم يسجد؟ فالجواب في ذلك أن قوله {حق عليه العذاب} يدل على أنه: وكثير أبى السجود، لأنه لا يحق عليه العذاب إلا بترك السجود والطاعة".
(١٤) إعراب القرآن:٦٤/٣.

بالابتداء وما بعده الخبر ويجوز النصب كما قال : {وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان : ٣١] باضمار فعل كأنه قال واهان كثيرا حق عليه العذاب أو وخلق كثيرا حق عليه العذاب وشبه ذلك من الاضمار الذي يدل عليه المعنى وإنما اختير فيه الرفع عند الكسائي لأنه محمول على معنى الفعل لأن معناه وكثير أبى السجود"[١].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [الحج : ١٨]، أي:" وأيُّ إنسان يهنه الله فليس له أحد يكرمه"[٢].

قال الفراء:" يقول: ومن يشقه الله فما له من مسعد"[٣].

قال الطبري:يقول:" ومن يهنه الله من خلقه فيشقه، {فما له من مكرم} بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويشقي من أراد، ويسعد من أحب"[٤].

قال السمعاني:" أي: ومن يشقي الله فما له من مسعد، وقال بعضهم: ومن يهن الله: ومن يذله الله، فما له من إكرام، أي: لا يكرمه أحد"[٥].

قال يحيى:" {ومن يهن الله} فيدخله النار، {فما له من مكرم} يدخله الجنة"[٦].

قراءة ابن أبى عبلة:«فما له من مكرم»، يريد: من إكرام[٧].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج : ١٨]، أي:" إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته"[٨].

قال الطبري:يقول:" إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء : ٢٣]"[٩].

قال السمعاني:" أي: يكرم ويهين، ويشقي ويسعد، بمشيئته وإرادته، وهو اعتقاد أهل السنة"[١٠].

قال البغوي:" أي: يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته"[١١].

عن علي-رضي الله عنه- أنه قيل له: "إن هاهنا رجلا يتكلم في المشيئة. فقال له علي: يا عبد الله خلقك الله، لما يشاء أو لما شئت؟ قال: بل لما يشاء. قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء. قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء. قال: فيدخلك الجنة حيث شاء أو حيث شئت؟ قال: بل حيث شاء. قال: والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف"[١٢].

فوائد الآية:

١- تقرير ربوبية الله وألوهيته.

٢- سجود المخلوقات بحسب ذواتها، وما أراد الله تعالى منها.

٣- كل شيء خاضع لله إلا الإنسان فأكثر أفراده عصاة له متمردون عليه وبذلك استوجبوا العذاب المهين.

---

(١) مشكل إعراب القرآن:٢/٤٨٨-٤٨٩.
(٢)التفسير الميسر:٣٣٤ .
(٣) معاني القرآن:٢/٢١٩.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٥٨٧.
(٥) تفسير السمعاني:٣/٤٢٨.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٥٩.
(٧) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢١٩، و كما فى البحر ٦/ ٣٥٩.
(٨)التفسير الميسر:٣٣٤ .
(٩) تفسير الطبري:١٨/٥٨٧.
(١٠) تفسير السمعاني:٣/٤٢٨.
(١١) تفسير البغوي:٥/٣٧٢.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨١٥):ص٨/٢٤٧٩.

٤- أن التالي لهذه الآية والمستمع لتلاوته يسن لهم أن يسجدوا لله تعالى إذا بلغوا قوله تعالى: {إن الله يفعل ما يشاء}.

القرآن

{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)} [الحج : ١٩ - ٢٢]

التفسير:

هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر، كل يدَّعي أنه محقٌّ، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جُعلت لهم من نار يَلْبَسونها، فتشوي أجسادهم، ويُصبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره، ويَنزِل إلى أجوافهم فيذيب ما فيها، حتى ينفُذ إلى جلودهم فيشويها فتسقط، وتضربهم الملائكة على رؤوسهم بمطارق من حديد. كلما حاولوا الخروج من النار - لشدة غمِّهم وكربهم- أعيدوا للعذاب فيها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

سبب النزول:

في سبب نزول الآيات:[١٩-٢٤]، قولان:

أحدهما: قال عطاء بن يسار: "نزلت هؤلاء الآيات: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. إلى قوله {وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}"[١].

قال أبو العالية:" لما التقوا يوم بدر قال لهم عتبة بن ربيعة: لا تقتلوا هذا الرجل، فإنه إن يكن صادقا فأنتم أسعد الناس بصدقه، وإن يكن كاذبا فأنتم أحق من حقن دمه، فقال أبو جهل بن هشام: لقد امتلأت رعبا، فقال عتبة: ستعلم أينا الجبان المفسد لقومه قال: فبرز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فنادوا النبي ﷺ وأصحابه فقالوا: «ابعث إلينا أكفاءنا نقاتلهم، فوثب غلمة من الأنصار من بني الخزرج، فقال لهم رسول الله ﷺ: اجلسوا ... قوموا يا بني هاشم. فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث فبرزوا لهم، فقال عتبة: تكلموا نعرفكم إن تكونوا أكفاءنا قاتلناكم. قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب. أنا أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفء كريم! فقال علي: أنا علي بن أبي طالب، فقال: كفء كريم! فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث. فقال عتبة: كفء كريم! فأخذ حمزة شيبة بن ربيعة وأخذ علي بن أبي طالب عتبة بن ربيعة، وأخذ عبيدة الوليد. فأما حمزة فأجاز على شيبة، وأما علي فاختلفا ضربتين فأقام فأجاز على عتبة، وأما عبيدة فأصيبت رجله، قال: فرجع هؤلاء وقتل هؤلاء، فنادى أبو جهل وأصحابه: لنا العزى ولا عزى لكم، فنادى منادي النبي ﷺ: قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فأنزل الله : {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}"[٢].

وعن قيس بن عباد قال: "سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}[٣]، نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابني أبي ربيعة، والوليد بن عتبة"[٤].

عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب، قال: "أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، قال: هم

---

(١)[الحج : ٢٤].

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٧):ص٨/٢٤٨٠.

(٣)[الحج : ١٩].

(٤)أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧ / ٢٩٧، ومسلم في التفسير، باب: في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) برقم: (٣٠٣٣) ٤ / ٢٣٢٣. وأخرجه السمعاني في التفسير:٣٧٢/٥، واللفظ له.

الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة"[1].

الثاني: وقال قتادة:" اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: إن كتابنا يقضي علي الكتب كلها، ونبينا خاتم الأنبياء فنحن أولى منكم، فأفلج الله أهل الإسلام علي من ناواهم، فأنزل الله: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، إلى قوله: {عَذَابَ الْحَرِيق}[2]"[3]. وروي عن ابن عباس[4]، نحو ذلك.

قوله تعالى:{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج : ١٩]، أي:" هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر، كل يدَّعي أنه محقٌّ"[5].

قال السمعاني:" أي: جادلوا في دينه وأمره"[6].

و«الخصمان» ها هنا: فريقان ، وفيهما أربعة أقوال:

أحدها : أنهما المسلمون والمشركون حين اقتتلوا في بدر ، وهذا قول أبي ذر[7]، وهلال بن يساف[8]، وعطاء بن يسار[9].

الثاني : أنهم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد ﷺ، وآمنا بنبيكم، وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسدا. وكان ذلك خصومتهم في ربهم. وهذا قول ابن عباس[10]، وقتادة[11].

الثالث : أنهم أهل الإيمان والشرك في اختلافهم في البعث والجزاء ، وهذا قول مجاهد[12]، والحسن[13]، وعطاء بن ابي رباح[14]، وعاصم[15]، والكلبي[16].

قال مجاهد:" مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث"[17].

قال ابن جريج:" خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين، يرون أنهم أولى بالله من غيرهم"[18].

الرابع : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار : خلقني الله لنقمته ، وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته ، وهذا قول عكرمة[19].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى

---

(١)أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧ / ٢٩٦، وابن ابي حاتم(١٣٨١٦):ص٢٤٧٩/٨-٢٤٨٠، والسمعاني في التفسير:٣٧٣/٥، واللفظ له.

(٢)[الحج : ٢٢].

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٩):ص٢٤٨٠/٨-٢٤٨١.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(٥) التفسير الميسر:٣٣٤.

(٦) تفسير السمعاني:٣٧٢/٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٨٧/١٨-٥٨٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٨٨/١٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٨٨/١٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٩):ص٢٤٨٠/٨-٢٤٨١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(١٣) انظر: النكت العيون:١٣/٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(١٦) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(١٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٨):ص٢٤٨٠/٨.

(١٨) أخرجه الطبري:٥٨٩/١٨.

(١٩) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

بالصواب، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حق عليه العذاب، فقال: {ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر} ثم قال: {وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب} ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) وقال الله :{إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار} ؛ فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر إن ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم"[١].

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} [الحج : ١٩]، أي:" فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جُعلت لهم من نار يَلْبَسونها، فتشوي أجسادهم"[٢].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{قطعت لهم ثياب من نار} من نحاس، وليس من الآنية شيء إذا حمي اشتد بأحر منه"[٣].

عن إبراهيم التيمي، أنه قرأ قوله: {قطعت لهم ثياب من نار}، قال: "سبحان من قطع من النار ثيابا"[٤].

قوله تعالى:{يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} [الحج : ١٩]، أي:" ويُصبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره"[٥].

قال يحيى:{ الْحَمِيمُ}: " هو الحار الشديد الحر"[٦].

قال ابن قتيبة: {الْحَمِيمُ}" أي: الماء الحار، {يصهر به ما في بطونهم} أي يذاب. يقال: صهرت النار الشحمة. والصهارة: ما أذيب من الألية"[٧].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{يصب من فوق رؤسهم الحميم}، قال: النحاس يذاب على رؤوسهم"[٨].

عن أبي هريرة أنه تلا هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة، حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدمه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»[٩].

قوله تعالى:{يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [الحج : ٢٠]، أي:" يذاب به ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود"[١٠].

قال الزجاج:" يغلى به ما في بطونهم حتى يخرج من أدبارهم، فهذا لأحد قال يحيى: "{يصهر به}: يحرق به"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٥٩٠.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٠):ص٨/٢٤٨١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢١):ص٨/٢٤٨١.
(٥) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:١/٣٦٠.
(٧) غريب القرن:٢٩١.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٠):ص٨/٢٤٨١.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٢):ص٨/٢٤٨١.
(١٠) صفوة التفاسير:٢/٢٦٢.
(١١) معاني القرآن:٣/٤١٩.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:١/٣٦٠.

وقال الحسن: "يقطع به"[١].
وقال مجاهد:" يذاب إذابة"[٢].
وقال الكلبي: "ينضح به"[٣].
قال ابن عباس:" يمشون وأمعاؤهم تساقط وجلودهم"[٤].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{يصهر به ما في بطونهم}، قال: تسيل أمعاؤهم والجلود، قال: تتناثر جلودهم حتى يقوم كل عضو بحياله"[٥].
قال السدي:" يأتيه الملك يحمل الإناء بكليتين من حرارته، فإذا أدناه من وجهه يكرهه فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه، ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه. فذلك قوله: {يصهر به ما في بطونهم والجلود}"[٦].
عن عطاء الخراساني قوله: "{يصهر به}، قال: يذاب كما يذاب الشحم"[٧].
قال سعيد بن جبير:" إذا جاء أهل النار في النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختنست جلود وجوههم، فلو إن مارا يمر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم بها، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد سقطت عنه الجلود ويصهر به ما في بطونهم يمشون وأمعاؤهم تساقط وجلودهم"[٨].
قوله تعالى:{وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} [الحج : ٢١]، أي:" ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها ويدفعون"[٩].
قال يحيى: " يعني: من نار، يقمع رأسه بالمقمعة، فيحترق رأسه، فيصب في الحميم حتى يبلغ جوفه"[١٠].
عن الضحاك قوله: "{ولهم مقامع}، قال: مطارق"[١١].
قال ابن عباس:" يضربون بها فيقع كل عضو على حياله"[١٢].
قال سعيد بن جبير:" ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو علي حياله يدعون بالويل والثبور"[١٣].
عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «لو إن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان، ما ألقوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان»[١٤].
روي أن أبا العوام، سادن بيت المقدس :" قرأ هذه الآية: {عليها تسعة عشر} [المدثر: ٣٠] فقال للقوم: ما تقولون تسعة عشر ملكا أو تسعة عشر ألف ملك؟ فقالوا: الله أعلم، فقال: هم تسعة عشر ملكا، بيد كل ملك مرزبة من حديد لها شعبتان، فيضرب بها الضربة فتهوي بها سبعون ألفا، أي من أهل النار"[١٥].

---

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٦):ص٨/٢٤٨٢.
(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٥):ص٨/٢٤٨١-٢٤٨٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٠):ص٨/٢٤٨١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٣):ص٨/٢٤٨١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٧):ص٨/٢٤٨٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٤):ص٨/٢٤٨١.
(٩) صفوة التفاسير:٢/٢٦٢.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:١/٣٦٠.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٨):ص٨/٢٤٨٢.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٥):ص٨/٢٤٨١-٢٤٨٢.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٤):ص٨/٢٤٨١.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٩):ص٨/٢٤٨٢.
(١٥)أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٠ .

قوله تعالى:{كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج : ٢٢]، أي:" كلما أراد اهل النار الخروج من النار من شدة غمها ردوا إلى أماكنهم فيها"(١).

قال: الحسن: "ترفعهم بلهبها، فإذا كانوا في أعلاها قمعتهم الملائكة بمقامع من حديد من نار، فيهوون فيها سبعين خريفا"(٢).

عن الفضيل بن عياش في الآية، قال: "والله ما طمعوا في الخروج، لأن الأرجل مقيدة والأيدي موثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها"(٣).

عن سلمان، قال: "النار سوداء مظلمة لا يضيئ لهبها ولا جمرها، ثم قرأ :{كلما أرادوا إن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها}"(٤).

عن أبي جعفر القارئ، أنه قرأ هذه الآية: {كلما أرادوا إن يخرجوا منها من غم}، فبكى وقال: أخبرني زيد بن أسلم في هذه الآية إن أهل النار في النار لا يتنفسون"(٥).

قوله تعالى:{وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج : ٢٢]، أي:" وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق"(٦).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)} [الحج : ٢٣]

التفسير:

إن الله تعالى يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم، تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير رجالا ونساءً.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الحج : ٢٣]، أي:" إن الله تعالى يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم، تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(٧).

قال الطبري:يقول:" وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال، فإن الله يدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار"(٨).

قوله تعالى:{يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا} [الحج : ٢٣]، أي:" يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ"(٩).

قال الطبري:" فيحليهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا"(١٠).

قال سعيد بن المسيب:" ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ"(١١).

عن ابن لهيعة، أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن رجلا من أهل الجنة بدا إسواره لغلب على ضوء الشمس» (١٢).

---

(١) صفوة التفاسير:٢٦٢/٢.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٠/١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٣٢):ص٢٤٨٢/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٣٠):ص٢٤٨٢/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٣١):ص٢٤٨٢/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٨) تفسير الطبري:٥٩٤/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٤.
(١٠) تفسير الطبري:٥٩٤/١٨.
(١١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٠/١.
(١٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦١/١.

قرأ نافع وعاصم فى رواية أبى بكر {ولؤلؤا}، نصبا، وكان عاصم فى رواية يحيى عن أبى بكر يهمز الواو الثانية ولا يهمز الأولى، والمعلى عن أبى بكر عن عاصم يهمز الأولى ولا يهمز الثانية ضد رواية يحيى عن أبى بكر، وحفص عن عاصم {ولؤلؤا} يهمزهما، والمفضل عن عاصم «ولؤلؤ» خفضا ويهمزهما، وقرأ الباقون:«ولؤلؤ»، خفضا ويهمزونهما[١].

قوله تعالى:{وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج : ٢٣]، أي:" ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير"[٢].

قال الطبري:" يقول: ولبوسهم التي تلي أبشارهم فيها ثياب حرير"[٣].

قال مقاتل:" مما يلي الجسد الحرير وأعلاه السندس والإستبرق"[٤].

قال ابن كثير:" في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم ، لباس هؤلاء من الحرير ، إستبرقه وسُنْدُسه ، كما قال:{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا. إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا } [الإنسان : ٢١ ، ٢٢] ، وفي الصحيح : «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا ، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٥]"[٦].

عن ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»، قال ابن الزبير من قبل نفسه: ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة، لأن الله تعالي قال: {ولباسهم فيها حرير}"[٧].

القرآن

{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)} [الحج : ٢٤]

التفسير:

لقد هداهم الله في الدنيا إلى طيب القول: من كلمة التوحيد وحَمْد الله والثناء عليه، وفي الآخرة إلى حمده على حسن العاقبة، كما هداهم من قبل إلى طريق الإسلام المحمود الموصل إلى الجنة.

قوله تعالى:{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} [الحج : ٢٤]، أي:" أرشدوا إلى الكلام الطيب والقول النافع"[٨].

قال الطبري: يقول: " وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله"[٩].

عن ابن عباس:"{وهدوا إلى الطيب من القول}، قال: ألهموا"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} [الحج : ٢٤]، وجوه:

أحدها :أنه: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله ، ولا حول ولاقوة إلا بالله. وهو قول ابن زيد[١١].

قال ابن زيد:" هدوا إلى الكلام الطيب: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله؛ قال الله: {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}"[١٢].

---

(١) انظر: السبعة في القراءات:٥٣٤-٥٣٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٣) تفسير الطبري:٥٩٤/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢١/٣.
(٥)الحديث في صحيح البخاري برقم (٥٤٢٦) وصحيح مسلم برقم (٢٠٦٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٠٨/٥.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٣٣):ص٢٤٨٢/٨.
(٨) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.
(٩) تفسير الطبري:٥٩٤/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٥٩٥/١٨.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٥٧):ص٢٤٨٣/٨، وتفسير الطبري:٥٩٤/١٨-٥٩٥. وفيه بدون" ولا حول ولا قوة إلا بالله".
(١٢) أخرجه الطبري:٥٩٤/١٨-٥٩٥.

الثاني : أنهم {هدوا إلى الطيب من القول} في الخصومة، إذ قالوا: الله مولانا ولا مولى لكم. وهذا قول أبي العالية[١].
الثالث: أنه شهادة أن لا إله إلا الله. قاله ابن عباس[٢]، والكلبي[٣].
قال مقاتل:" يعني: التوحيد وهو قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كقوله: {كَلِمَةً طَيِّبَةً} [إبراهيم : ٢٤]، يعنى: التوحيد"[٤].
الرابع: معناه: هدوا إلى الإخلاص. قاله إسماعيل بن ابي خالد[٥].
الخامس: أنه الإيمان ، وهو قول الحسن[٦].
السادس :أنه القرآن ، وهو قول قطرب[٧].
السابع : أنه الأمر بالمعروف. ذكره الماوردي[٨].
الثامن: أنه ما شكره عليه المخلوقون وأثاب عليه الخالق. افاده الماوردي[٩].
التاسع: أنه البشارات الحسنة. حكاه النحاس[١٠].
العاشر: أنه قوله أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} [فاطر : ٣٤]. حكاه النحاس[١١].
الحادي عشر: القول الذي يثنى به الخلق، ويثيب عليه الخالق. حكاه السمعاني[١٢].
الثانية عشر: أن معناه على العموم. حكاه النحاس[١٣].
قال ابن كثير: أي:" فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب، { وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا } [الفرقان : ٧٥]، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يُرَوّعون به ويقرعون به ، يقال لهم : { وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }"[١٤].
قوله تعالى:{وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج : ٢٤]، أي:" وأرشدوا إلى الطريق الحميد"[١٥].
قال الطبري: يقول: " وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد، وطريقه: دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه"[١٦].
قال بحبى:" قوله: {وهدوا}، يعني: في الدنيا، {إلى صراط الحميد}، وهو الله، وهو كقوله: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} [الشورى: ٥٢] أي: إلى الجنة: {صراط الله}[الشورى: ٥٣] طريق الله الذي هدى له عباده المؤمنين إلى الجنة"[١٧].
وفي قوله تعالى:{وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج : ٢٤]، وجوه:
أحدها : الإسلام ، قاله إسماعيل بن ابي خالد[١٨].
قال مقاتل:" يعنى: دين الإسلام {الحميد}عند خلقه، يحمده أولياؤه"[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٣٥):ص٢٤٨٣/٨.
(٢) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٤٣١/٣.
(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٦١/١، والنكت والعيون:١٥/٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢١/٣.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٥٦):ص٢٤٨٣/٨.
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٦١/١، والنكت والعيون:١٥/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٥/٤.
(٨) انظر: النكت والعيون:١٥/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٥/٤.
(١٠) انظر: إعراب القرآن:٦٥/٣.
(١١) انظر: إعراب القرآن:٦٥/٣.
(١٢) انظر: تفسير السمعاني:٤٣١/٣.
(١٣) انظر: إعراب القرآن:٦٥/٣.
(١٤) تفسير ابن كثير:٤٠٨/٥.
(١٥) تفسير المراغي:١٠٤/١٧.
(١٦) تفسير الطبري:٥٩٤/١٨.
(١٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٦١/١.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٥٦):ص٢٤٨٣/٨.

قال السمعاني:" أي: صراط الله، وصراط الله هو الإسلام"[٢].
الثاني: إلى المنازل الرفيعة. حكاه السمعاني [٣].
الثالث: أنه ما حمدت عواقبه وأمنت مغبته. أفاده الماوردي[٤].
قال ابن كثير: أي : إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم، على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم ، كما جاء في الصحيح : «إنهم يلهمون التسبيح والتحميد ، كما يلهمون النَّفَسَ»[٥]"[٦].
فوائد الآيات:[١٩-٢٤]:
١- إثبات حقيقة هي أن المؤمن خصم الكافر والكافر خصم المؤمن في كل زمان ومكان حيث إن الآية نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث هذا الخصم المؤمن، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وهذا الخصم الكافر وذلك أنهم تقاتلوا يوم بدر بالمبارزة ونصر الله الخصم المؤمن على الكافر.
٢- بيان جزاء كل من الكافرين والمؤمنين في الدار الآخرة.
٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الآخرة وما للناس فيها.
٤- بيان الطيب من القول وهو كلمة التوحيد وذكر الله تعالى.
٥- بيان صراط الحميد وهو الإسلام جعلنا الله من أهله.

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)} [الحج : ٢٥]
التفسير:
إن الذين كفروا بالله، وكذبوا بما جاءهم به محمد ﷺ، ويمنعون غيرهم من الدخول في دين الله، ويصدون رسول الله ﷺ والمؤمنين في عام «الحديبية» عن المسجد الحرام، الذي جعلناه لجميع المؤمنين، سواء المقيم فيه والقادم إليه، لهم عذاب أليم موجع، ومن يرد في المسجد الحرام الميْلَ عن الحق ظلمًا فيَعْصِ الله فيه، نُذِقْه مِن عذاب أليم موجع.
قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [الحج : ٢٥]، أي:" إن الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم، ويمنعون الناس أن يدخلوا فى دين الله، ويصدون عن الدخول فى المسجد الحرام"[٧].
قال الطبري: يقول:" إن الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم، ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن المسجد الحرام"[٨].
قال الزجاج:" لفظ :«يصدون»: لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى الذين كفروا الذين هم كافرون، فكأنه قال إن الكافرين والصادين"[٩].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢١/٣.
(٢) تفسير السمعاني:٤٣١/٣.
(٣) تفسير السمعاني:٤٣١/٣.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٥/٤.
(٥)أخرجه الطيالسى (ص ٢٤٦، رقم ١٧٧٦) ، وأحمد (٣٤٩/٣، رقم ١٤٨١١) ، وعبد بن حميد (ص ٣١٥، رقم ١٠٣٠) ، ومسلم (٢١٨٠/٤، رقم ٢٨٣٥) ، وأبو داود (٢٣٦/٤، رقم ٤٧٤١) ، وابن حبان (٤٦٢/١٦، رقم ٧٤٣٥) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الشاميين (١١٤/٢، رقم ١٠١٩) .
وللحديث أطراف أخرى منها: "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون"..
(٦) تفسير ابن كثير:٤٠٨/٥.
(٧) تفسير المراغي:١٠٥/١٧.
(٨) تفسير الطبري:٥٩٥/١٨.
(٩) معاني القرآن:٤٢٠/٣.

قال القشيري:" الصد عن المسجد الحرام بإخافة السبل، وبغصب المال الذي لو بقي فى يد صاحبه لوصل به إلى المسجد الحرام"[١].

قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ} [الحج : ٢٥]، أي:" الذي جعلناه لجميع المؤمنين"[٢].

قال الطبري: يقول:" الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض"[٣].

قال السمعاني:" أي: جعلناه للناس قبلة لصلاتهم، ومنسكا لحجهم"[٤].

قال الواحدي:" قال المفسرون: {جعلناه للناس}: خلقناه وبنيناه للناس كلهم، لم نخص به منهم بعضا دون بعض"[٥].

قوله تعالى:{سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} [الحج : ٢٥]، أي:" سواء المقيم فيه والقادم إليه"[٦].

قال الطبري:" يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام، وقضاء نسكه به، والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه، وهو المقيم به؛ والباد: وهو المنتاب إليه من غيره"[٧].

قال مقاتل:" {العاكف فيه}، يعني: المقيم في الحرم وهم أهل مكة، {والباد}، يعني: من دخل مكة من غير أهلها"[٨].

قال الواحدي:" معنى: «البادي»: النازع إليه من غربة، من قولهم: بدا القوم إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء"[٩].

وفي قوله تعالى:{سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} [الحج : ٢٥]، وجهان:

أحدهما : أنهم سواء في دوره ومنازله، وليس العاكف المقيم أولى بها من البادي المسافر، وهذا قول مجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، وأبو صالح[١٢]، وابن سابط[١٣]، وابن زيد[١٤]، وهو قول مَنْ منع مكة كأبي حنيفة[١٥]، وبه قال الزجاج[١٦].

قال الزجاج: أي:" أنه يستوي في سكنى مكة: المقيم بها والنازح إليها من أي: بلد كان"[١٧].

قال الواحدي:" وإنما يستويان في سكنى مكة والنزول بها، فليس أحدهما بأحق بالمنزل يكون فيه من الآخر، غير أن لا يخرج أحد من بيته"[١٨].

وقال ابن عباس:" يقول: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام"[١٩].

---

(١) لطائف الإشارات:٥٣٧/٢.
(٢) تفسير المراغي:١٠٥/١٧.
(٣) تفسير الطبري:٥٩٥/١٨.
(٤) تفسير السمعاني:٤٣٢/٣.
(٥) التفسير الوسيط:٢٦٥/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٧) تفسير الطبري:٥٩٥/١٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢١/٣.
(٩) التفسير الوسيط:٢٦٥/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٩٦/١٨.
(١١) انظر: الطبري:٥٩٦/١٨.
(١٢)انظر:الطبري:٥٩٦/١٨.
(١٣)انظر:الطبري:٥٩٥/١٨-٥٩٦.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٩٦/١٨.
(١٥) انظر: النكت والعيون:١٦/٤.
(١٦)انظر: معاني القرآن:٤٢١/٣ .
(١٧) معاني القرن:٤٢١/٣.
(١٨) التفسير الوسيط:٢٦٥/٣.
(١٩) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.

قال قتادة:" سواء فيه أهله وغير أهله"[١].
قال مجاهد:" أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء"[٢].
قال أبو صالح:" العاكف: أهله، والباد: المنتاب في المنزل سواء"[٣].
قال ابن زيد:" العاكف فيه: المقيم بمكة؛ والباد: الذي يأتيه هم فيه سواء في البيوت"[٤].
قال ابن سابط:" كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل. ففشا فيهم السرق، وكل إنسان يسرق من ناحيته، فاصطنع رجل بابا، فأرسل إليه عمر: أتخذت بابا من حجاج بيت الله؟ فقال: لا إنما جعلته ليحرز متاعهم، وهو قوله: {سواء العاكف فيه والباد}، قال: الباد فيه كالمقيم، ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل"[٥].
عن أبي حصين، قال: "قلت لسعيد بن جبير: أعتكف بمكة، قال: أنت عاكف. وقرأ: {سواء العاكف فيه والباد}"[٦].
قال السمعاني:وعلى هذا القول: " أن المراد من الآية جميع الحرم، ومعنى التسوية: أن المقيم بمكة والجائي من مكة سواء في النزول، فكل من وجد مكانا فارغا ينزل، إلا أنه لا يزعج أحدا.
وكان عمر - رضي الله عنه - ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في زمان الموسم، وفي رواية: منعهم أن يتخذوا الأبواب فاتخذ رجل بابا فضربه بالدرة، وفي الخبر: أن دور مكة كانت تدعى السوائب، من شاء سكن، ومن استغنى أسكن، وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها"[٧].
قال الواحدي:" ومن مذهب هؤلاء أن شراء دور مكة وبيعها حرام بالمسجد الحرام على قولهم الحرم كله، كقوله: {أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام} [الإسراء: ١]"[٨].
الثاني : أنهما سواء في أن من دخله كان آمناً، وأنه لا يقتل بها صيداً ولا يعضد بها شجراً. وهذا قول مجاهد ايضا[٩]، والحسن[١٠]، وعطاء[١١]، وبه قال الطبري[١٢].
عن مجاهد، قوله :"{سواء العاكف فيه}، قال: الساكن، {والباد}، الجانب سواء حق الله عليهما فيه"[١٣].
قال الواحدي:وعلى هذا القول" المراد بـ«المسجد الحرام»: عين المسجد الذي يصلى فيه، وظاهر القرآن يدل على هذا، والمراد باستواء العاكف والبادي فيه استواؤهما في تفضيله،

---

(١) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٥٩٥/١٨-٥٩٦.
(٦) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٧) تفسير السمعاني:٤٣٢/٣.
(٨) التفسير الوسيط:٢٦٥/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٩٦/١٨-٥٩٧.
(١٠) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٦٥/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٩٧/١٨.
(١٢) انظر" تفسير الطبري:٥٩٦/١٨.
قال الطبري:" لأن الله تعالى ذكره، ذكر في أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام، فقال: {إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام} ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام، فقال: {الذي جعلناه للناس} فأخبر جل ثناؤه أنه جعله للناس كلهم، فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه، ثم قال: {سواء العاكف فيه والباد}، فكان معلوما أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد، إنما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار أنهم صدوا عنه المؤمنين به، وذلك لا شك طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام، لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم".
(١٣) اخرجه الطبري:٥٩٧/١٨.

وتعظيم حرمته، وإقامة المناسك به... وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به، ويدعون أنهم أربابه وولاته"[١].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج : ٢٥]، أي:" ومن يرد في المسجد الحرام الميْلَ عن الحق ظلمًا فيَعْصِ الله فيه، نُذِقْه مِن عذاب أليم موجع"[٢].

قال الزجاج: " قيل: «الإلحاد» فيه: الشرك بالله، وقيل: كل ظالم فيه ملحد، وجاء عن عمر أن احتكار الطعام بمكة إلحاد.. ومعنى «الإلحاد» في اللغة: العدول عن القصد"[٣].

قال الأخفش:" معناه: ومن يرد إلحادا. وزاد «الباء» كما تزاد في قوله: {تنبت بالدهن} وقال الشاعر[٤]:

أليس أميري في الأمور بأنتما ... بمالستما أهل الخيانة والغدر"[٥].

واختلفوا في معنى «الإلحاد»، هاهنا، على ثلاثة وجوه:

احدها: أنه الشرك وعبادة غير الله. هذا قول مجاهد[٦]، وقتادة[٧]، وعطاء[٨]، ومقاتل[٩]، ويحي بن سلام[١٠].

قال قتادة:" هو الشرك من أشرك في بيت الله عذبه الله"[١١].

وقال الكلبي:" الإلحاد، الميل عن عبادة الله إلى الشرك"[١٢].

الثاني: انه العمل السيء. قاله مجاهد[١٣] ايضا.

الثالث: أنه كل شيء منهي. حكاه الواحدي[١٤].

فوائد الآية:

١- التنديد بالكفر والصدَّ عن سبيل الله والمسجد الحرام والظلم فيه والوعيد الشديد لفاعل ذلك.

٢- مكة بلد الله وحرمه من حق كل مسلم أن يقيم بها للتعبد والتنسك ما لم يظلم وينتهك حرمة الحرم بالذنوب والمعاصي، وخاصة الشرك والظلم والضلال.

٣- عظيم شأن الحرم حيث يؤاخذ فيه على مجرد العزم على الفعل ولو لم يفعل.

القرآن

{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)} [الحج : ٢٦]

التفسير:

---

(١) التفسير الوسيط:٣/٢٦٥.

(٢) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٣) معاني القرءن:٣/٤٢١.

(٤)ورد الشاهد في المغني ١/ ٣٠٦، وشرح شواهده للسيوطي ٣٤٤، والمقاصد النحوية ١/ ٤٢٢ على أنه من شواهد ابن أم قاسم، وقيّد بلفظ «فما» بدل «بما».

والبيت غير منسوب في بحر المحيط:١/١١٠، والدر المصون:١/١٤٢، واللباب:١/٣٥٥.

(٥) معاني القرآن:٢/٤٥١.

(٦) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٣/٢٦٥.

(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق (١٩٠٩):ص٢/٤٠٠.

(٨) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٢.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٢١.

(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٣٦٢.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٠٩):ص٢/٤٠٠.

(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٢.

(١٣) انظر: تفسير مجاهد:٤٧٩.

(١٤) انظر: التفسير الوسيط:٣/٢٦٥.

واذكر -أيها النبي- إذ بَيَّنا لإبراهيم -عليه السلام- مكان البيت، وهيَّأناه له وقد كان غير معروف، وأمرناه ببنائه على تقوى من الله وتوحيده وتطهيره من الكفر والبدع والنجاسات؛ ليكون رحابًا للطائفين به، والقائمين المصلين عنده.

قوله تعالى:{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} [الحج : ٢٦]، أي:" واذكر -أيها النبي- حين أرشدنا إبراهيم وألهمناه مكان البيت"(١).

قال ابن قتيبة:" أي: جعلنا له بيتا"(٢).

قال ابن كثير:" هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله ، وأشرك به من قريش ، في البقعة التي أسسّتْ من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فذكر تعالى أنه بَوأ إبراهيم مكانَ البيت ، أي : أرشده إليه ، وسلمه له ، وأذن له في بنائه.

واستدل به كثير ممن قال : إن إبراهيم ، عليه السلام ، هو أول من بنى البيت العتيق ، وأنه لم يبن قبله ، كما ثبت في الصحيح عن أبي ذر قلت : يا رسول الله ، أي مسجد وُضعَ أول ؟ قال : "المسجد الحرام". قلت : ثم أي ؟ قال : "بيت المقدس". قلت كم بينهما ؟ قال : "أربعون سنة"(٣).

وقد قال الله تعالى : { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيم } الآية [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] ، وقال تعالى : { وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة : ١٢٥]"(٤).

قوله تعالى:{أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا} [الحج : ٢٦]، أي:" أمرناه ببناء البيت العتيق خالصاً لله"(٥).

قال ابن كثير:" أي : ابْنه على اسمي وحدي"(٦).

قوله تعالى:{وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج : ٢٦]، أي:" طهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يعبد الله فيه بالطواف والصلاة"(٧).

قال ابن كثير:"أي: اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له. فالطائف به معروف ، وهو أخص العبادات عند البيت ، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها ، { وَالْقَائِمِينَ } أي : في الصلاة ؛ ولهذا قال : { وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } فقرن الطواف بالصلاة ؛ لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت ، فالطواف عنده ، والصلاة إليه في غالب الأحوال ، إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب ، وفي النافلة في السفر ، والله أعلم"(٨).

قال سهل بن عبدالله:" يعني طهر بيتي من الأوثان لعبادي الطاهرة قلوبهم من الشك والريب والقسوة، فكما أمر الله بتطهير بيته من الأصنام، فكذلك أمر بتطهير بيته الذي أودعه سر الإيمان ونور المعرفة، وهو قلب المؤمن، أمر الله تعالى المؤمن بتطهيره عن الغل والغش والميل إلى الشهوات والغفلة للطائفين فيه زوائد التوفيق والقائمين بأنوار الإيمان، والركع السجود، الخوف والرجاء، فإن القلب إذا لم يسكن خرب، وإذا سكنه غير مالكه خرب، فإذا أردتم أن تعمروا قلوبكم فلا تدعوا فيها غير الله، وإذا أردتم أن تعمروا ألسنتكم فلا تدعوا فيها غير الصدق، وإذا أردتم أن تعمروا جوارحكم فلا تدعوا فيها شيئا إلا بالسنة"(٩).

---

(١) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.[بتصرف]
(٢) غريب القرآن:٢٩٢.
(٣)صحيح البخاري برقم (٣٣٦٦) وصحيح مسلم برقم (٥٢٠).
(٤) تفسير ابن كثير:٤١٣/٥.
(٥) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٤١٣/٥.
(٧) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٤١٣/٥.
(٩) تفسير التستري:١٠٦.

القرآن

{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)} [الحج : ٢٧ - ٢٨]

التفسير:

وأعلِمْ -يا إبراهيم- الناس بوجوب الحج عليهم يأتوك على مختلف أحوالهم مشاةً وركبانًا على كل ضامر من الإبل، وهو: (الخفيف اللحم من السَّيْر والأعمال لا من الهُزال) ، يأتين من كل طريق بعيد؛ ليحضروا منافع لهم من: مغفرة ذنوبهم، وثواب أداء نسكهم وطاعتهم، وتكَسُّبهم في تجاراتهم، وغير ذلك؛ وليذكروا اسم الله على ذَبْح ما يتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام معيَّنة هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا لله على نعمه، وهم مأمورون أن يأكلوا مِن هذه الذبائح استحبابًا، ويُطعموا منها الفقير الذي اشتد فقره.

سبب النزول:

أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} [الحج : ٢٧]:

قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: {يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ}[١]، قال: فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر"[٢].

ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨]:

قال إبراهيم:" كان المشركون لا يأكلون من ذبائح نسائكهم، فأنزل الله: فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فرخص للمسلمين، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل"[٣].

قوله تعالى:{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} [الحج : ٢٧]، أي:" ونادِ في الناس داعياً لهم لحج بيت الله العتيق"[٤].

قال الطبري:يقول: " عهدنا إليه أيضا أن أعلم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ناد في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه"[٦].

قال ابن عباس:"يعني بـ«الناس»: أهل القبلة، ألم تسمع أنه قال: {إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا} ... [إلى قوله: {ومن دخله كان آمنا}]، يقول: ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم، وكتب عليهم الحج، فإنه آمن، فعظموا حرمات الله تعالى، فإنها من تقوى القلوب"[٧].

قوله تعالى:{يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} [الحج : ٢٧]، أي:" يأتوك مشاة على أقدامهم أو ركبانا على جمل هزيل قد أعبه وأنهكه بعد المسافة"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: رجالة، جمع «راجل»، مثل: صاحب وصحاب، {وعلى كل ضامر} أي: ركبانا على ضمر من طول السفر"[٩].

قال الطبري :" يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم، وركبانا على كل ضامر، وهي الإبل المهازيل"[١].

---

(١)[الحج : ٢٧].
(٢) أخرجه الطبري:٦٠٨/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٩٥):ص٢٤٨٩/٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.
(٥) تفسير الطبري:٦٠٥/١٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٤١٤/٥.
(٧) اخرجه الطبري:٦٠٧/١٨.
(٨) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢-٢٦٤.
(٩) غريب القرآن:٢٩٢.

عن ابن عباس: قوله: "{يأتوك رجالا}، قال: مشاة"[٢]، -وفي روا]ة:" على أرجلهم"[٣]-، قوله: {وعلى كل ضامر}، قال: الإبل"[٤].

قال ابن عباس:" ما آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا، سمعت الله يقول: {يأتوك رجالا}"[٥].

قال مجاهد:" حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين"[٦].

قال ابن كثير:" قد يَستدلّ بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ماشيا ، لمن قدر عليه ، أفضلُ من الحج راكبا ؛ لأنه قدمهم في الذكر ، فدل على الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم ، والذي عليه الأكثرون أن الحج راكبا أفضل ؛ اقتداء برسول الله ﷺ ، فإنه حج راكبا مع كمال قوته ، عليه السلام"[٧].

قوله تعالى:{يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج : ٢٧]، أي:" تأتي الإبل الضامرة من كل طريق بعيد"[٨].

قال ابن عباس:" يعني: من مكان بعيد"[٩]. وروي عن قتادة مثله[١٠].

قال ابن قتيبة:" أي: بعيد غامض"[١١].

قال الطبري :" يقول: تأتي هذه الضوامر من كل طريق ومكان ومسلك بعيد"[١٢].

قال ابن كثير:"{كُلِّ فَجٍّ}، يعني : طريق ، كما قال : { وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا } [الأنبياء : ٣١]، وقوله : { عَمِيقٍ } أي : بعيد"[١٣].

قال ابن كثير:" وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبراهيم ، حيث قال في دعائه : { فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ } [إبراهيم : ٣٧] فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف ، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار"[١٤].

قال القرطبي:" ورد الضمير إلى «الإبل» تكرمة لها لقصدها الحج مع أربابها، كما قال: {والعاديات ضبحا} [العاديات: ١] في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل الله"[١٥].

قال ابن عباس:" لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: {أذن في الناس بالحج}، قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوا- قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٦٠٥.
(٢) اخرجه الطبري:١٨/٦٠٧.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٨.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٨.
(٥) اخرجه الطبري:١٨/٦٠٧-٦٠٨.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٥/٤١٤.
(٨) صفوة التفاسير:٢/٢٦٤.
(٩) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٨.
(١٠) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(١١) غريب القرآن:٢٩٢.
(١٢) تفسير الطبري:١٨/٦٠٥.
(١٣) تفسير ابن كثير:٥/٤١٤.
(١٤) تفسير ابن كثير:٥/٤١٤.
(١٥) تفسير القرطبي:١٢/٣٩.
(١٦) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٥.

قال ابن عباس:" قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك"[١].

قال سعيد بن جبير:" لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فخرج فنادى في الناس: يا أيها الناس أن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فلم يسمعه يومئذ من إنس، ولا جن، ولا شجر، ولا أكمة، ولا تراب، ولا جبل، ولا ماء، ولا شيء إلا قال: لبيك اللهم لبيك"[٢].

قال مجاهد:" قام إبراهيم على مقامه، فقال: يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، فمن حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ"[٣].

قال عكرمة:" لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، قام على المقام، فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه، قال داود: فأرجو من حج اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام"[٤].

قوله تعالى:{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج : ٢٨]، أي:" يلحضروا منافع لهم كثيرة دينية ودنيوية"[٥].

وفي قوله تعالى:{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج : ٢٨]، وجوه:

أحدها : أنه شهود المواقف وقضاء المناسك[٦].

الثاني : أنها المغفرة لذنوبهم ، قاله محمد بن علي[٧]، والضحاك[٨].

الثالث : أنها التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة ، وهذا قول مجاهد[٩].

قال مجاهد:" التجارة، وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة"[١٠].

الرابع: أنها التجارة ومنافع الدنيا. قاله ابن عباس[١١]، وسعيد بن جبير[١٢]، وأبي رزين[١٣]، قال ابن عباس: "هي الأسواق"[١٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت"[١٥].

قال الفخر:" إنما نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٨-٦٠٧.
(٥) صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٩/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(٨) انظر: النكت والعيون:١٩/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٦٠٩/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٦٠٩/١٨.
(١٥) تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(١٦) مفاتيح الغيب:٢٢١/٢٣.

قوله تعالى:{وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} [الحج : ٢٨]، أي:" ويذكروا عند ذبح الهدايا والضحايا اسم الله في أيام النحر"[١].

قال الطبري:يقول:" وكي يذكروا اسم الله.. في أيام معلومات هن أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل. وفي قول بعضهم أيام العشر. وفي قول بعضهم: يوم النحر وأيام التشريق"[٢].

وفي «الأيام المعلومات» ستة أقوال:

أحدها: أنها أيام العشر، قاله ابن عمر[٣]، وابن عباس[٤]، وبه قال الحسن[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، وعطاء[٧]، وعكرمة[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، والشافعي[١١].

قال ابن عباس:" هي عشر ذي الحجة آخرها يوم النحر"[١٢].

الثاني: تسعة أيام من العشر، قاله أبو موسى الأشعري[١٣].

الثالث: يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده، رواه نافع عن ابن عمر[١٤]، ومقسم عن ابن عباس[١٥].

الرابع: أنها أيام التشريق، رواه العوفي عن ابن عباس[١٦]، وبه قال عطاء الخراساني[١٧]، والنخعي[١٨]، والضحاك[١٩].

وعن علي رضي الله عنه، قال: "الأيام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده"[٢٠].

وروي عن ابن عمر-رضي الله عنه-، قال:"الأيام المعلومات والمعدودات هن جميعهن أربعة أيام، فالمعلومات يوم النحر ويومان بعده، والمعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر"[٢١].

الخامس: أنها خمسة أيام، أولها يوم التروية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٢٢].

السادس: ثلاثة أيام، أولها يوم عرفة، قاله مالك بن أنس[٢٣].

وروي عن ابن عباس، قال:" قبل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة"[٢٤].

قال الزجاج:" يعنى به: يوم النحر والأيام التي بعده ينحر فيها، لأن «الذكر» -ههنا- يدل على التسمية على ما ينحر لقوله :{على ما رزقهم من بهيمة الأنعام}"[٢٥].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.
(٢) تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(٣) انظر: أحكام القرءن للطحاوي(١٥٦٦):ص٢٠٢/٢، ورواه مجاهد عنه كما في زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٦٥/١، وزاد المسير:٣٣٣/٣، والدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى ابن جرير.
(٥)اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٦)اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٨) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٩) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(١١) انظر: النكت والعيون:١٩/٤، وزاد المسير:٣٣٣/٣
(١٢) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٥/١.
(١٣) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(١٤) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(١٥) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(١٧) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(١٨) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(٢٠) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢١) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى ابن المنذر وابن ابي حاتم.
(٢٢) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٢٣) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٢٤) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢٥) معاني القرآن:٤٢٣/٣.

قال ابن الجوزي:" قيل: إنما قال: «معلومات» ، ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها"[١].

قوله تعالى:{عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج : ٢٨]، أي:" شكراً لله على نعمائه وعلى ما رزقهم وملكهم من الأنعام"[٢].

قال الطبري:يقول:" على ما رزقهم من الهدايا والبدن التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم"[٣].

قال الماوردي:" يعني: على نحر ما رزقهم نحره من بهيمة الأنعام ، وهي الأزواج الثمانية من الضحايا والهدايا"[٤].

قال ابن كثير:"{بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ}، يعني : الإبل والبقر والغنم ، كما فصلها تعالى في سورة الأنعام وأنها { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } الآية [الأنعام : ١٤٣]"[٥].

عن الضحاك:" {على ما رزقهم من بهيمة الأنعام}، يعني: البدن"[٦].

قال الفخر:" كنى عن الذبح والنحر بذكر اسم الله تعالى، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا وذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله تعالى أن يذكر اسم الله تعالى، وأن يخالف المشركين في ذلك فإنهم كانوا يذبحونها للنصب والأوثان"[٧].

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِنْهَا} [الحج : ٢٨]، أي:" كلوا من لحوم الأضاحي"[٨].

قال الطبري:" يقول: كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك. وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب، وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك، إن لم يأكل من هديه أو بدنته، أنه لم يضيع له فرضا كان واحبا عليه، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب"[٩].

قال السمعاني:" هذا أمر إباحة، وليس بأمر إيجاب، وقال بعضهم: هو أمر (ندب) ، ويستحب أن يأكل منها"[١٠].

قال عطاء:" كان لا يرى الأكل منها واجبا"[١١].

قال مجاهد وهشيم وعطاء:" هي رخصة: إن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل"[١٢].

قال مجاهد:" إن ابن مسعود كان [يقول][١٣] للذي يبعث بهديه معه: كل ثلثا وتصدق بالثلث، وأهد لآل عتبة ثلثا"[١٤].

وفي رواية عن الحجاج بن أرطاة:" أن عبد الله بن مسعود بعث بهدي مع علقمة وأمره أن يأكل هو وأصحابه ثلثا، وأن يبعث إلى أهل عتبة بن مسعود ثلثا وأن يطعم المساكين

---

(١) زاد المسير:٣/٣٣٣.
(٢) صفوة التفاسير:٢/٢٦٤.
(٣) تفسير الطبري:١٨/٦١٠.
(٤) النكت والعيون:٤/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير:٥/١٦.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٦١٠.
(٧) مفاتيح الغيب:٢٣/٢٢١.
(٨) صفوة التفاسير:٢/٢٦٤.
(٩) تفسير الطبري:١٨/٦١١.
(١٠) تفسير السمعاني:٣/٤٣٥.
(١١) اخرجه الطبري:١٨/٦١١.
(١٢) اخرجه الطبري:١٨/٦١١.
(١٣) في المطبوع:[يقال].
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٩٦):ص٨/٢٤٨٩.
(١٥) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٦.

قال جابر بن عبدالله:" نحر رسول الله ﷺ من كل جزور بضعة، فجعلت في قدر فأكل رسول الله ﷺ وعلي من اللحم وحسوا من المرق. قال سفيان: لأن الله يقول: فكلوا منها"[١].

وقال سعيد بن المسيب:" ليس لصاحب البدنة منها إلا ربعها"[٢].

وقال الحسن:" لا يطعم من الأضحية أقل من الربع"[٣].

عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يطعم من بدنه....يأكل لا يرى بذلك بأسا"[٤].

قوله تعالى:{وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨]، أي:" وأطعموا منها البائس الذي أصابه بؤس وشدة، والفقير الذي أضعفه الإعسار"[٥].

قال الطبري:" يقول: وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام من هديكم وبدنكم البائس، وهو الذي به ضر الجوع والزمانة والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له"[٦].

قال بحبى بن سلام:" وأطعموا منها وكلوا منها، هما سواء لا يرى بأسا أن يطعم منها قبل أن يأكل"[٧].

عن ناعم مولى أم سلمة :"أنه حضر عليا بالكوفة يوم أضحى، فخطب ثم نزل، فاتبعته، فدعا بتيس فذبحه، فذكر اسم الله ثم قال: عن علي وعن آل علي، ثم لم يبرح حتى قسم لحمه ففضل منه شيء فبعثه إلى أهله"[٨].

عن الحسن قال، :"هي مقدمة مؤخرة {فكلوا منها وأطعموا} [الحج: ٢٨] وأطعموا منها وكلوا، لا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل وإن شاء لم يأكل منها"[٩].

عن عائشة ابنة سعد بن مالك :"أن أباها كان يأكل من بدنته قبل أن يطعم"[١٠].

وفي الأكل والإطعام ثلاثة وجوه:

أحدها : أن الأكل والإطعام واجبان لا يجوز أن يخل بأحدهما، وهذا قول أبي الطيب بن سلمة[١١].

والثاني : أن الأكل والإطعام مستحبان ، وله الاقتصار على أيهما شاء وهذا قول أبي العباس بن سريج[١٢].

والثالث : أن الأكل مستحب والإطعام واجب ، وهذا قول الشافعي[١٣]، فإن أطعم جميعها أجزأه ، وإن أكل جميعها لم يُجْزه ، وهذا فيما كان تطوعاً ، وأما واجبات الدماء فلا يجوز أن نأكل منها.

وفي معنى: {الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨]، وجوه[١٤]:

أحدها : أن الفقير المحتاج الذي به زمَانةٌ ، وهو قول قتادة[١٥] .

الثاني : الفقير الذي به ضر الجوع [١٦].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٩٧):ص٢٤٨٩/٨.
(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٦/١.
(٣) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٦/١.
(٤) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٦/١.
(٥) صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.
(٦) تفسير الطبري:٦١١/١٨.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٦٦/١.
(٨) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٦/١.
(٩) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٧/١.
(١٠) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٧/١.
(١١) انظر: النكت والعيون:٢٠/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٢٠/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٢٠/٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٢٠/٤.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٥٩):ص١٨١٩/٦، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٦/١.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٢٠/٤.

الثالث : أن البائس: الذي ظهر عليه أثر البؤس، والفقير: المتعفف. قاله عكرمة[١].
وقال عكرمة:" البائس المضطر الذي عليه البؤس، والفقير الضعيف"[٢].
الرابع : أنه الذي يمد يده بالسؤال. قاله مجاهد أيضا[٣].
وقال مجاهد:" الذي يبسط يديه"[٤].
الخامس :معناه: الضعيف الفقير. رواه أبو يحيى عن مجاهد[٥].
السادس : أنه القانع. قاله ابن زيد[٦].
السابع: أنه الذي يؤنف عن مجالسته[٧].
قال السمعاني:" البائس هو الذي اشتد بؤسه، والبؤس: العدم، والفقر معلوم المعنى"[٨].
قال ابن كثير:" استدل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحي وهو قول غريب ، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب ، كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسا من مرقها[٩]"[١٠].
وقال عبد الله بن وهب : "قال لي مالك : أحب أن يأكل من أضحيته ؛ لأن الله يقول:{فَكُلُوا مِنْهَا} : قال ابن وهب وسألت الليث ، فقال لي مثل ذلك"[١١].
وقال إبراهيم:" كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل"[١٢].

القرآن
{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)} [الحج : ٢٩]
التفسير:
ثم ليكمل الحجاج ما بقي عليهم من النُّسُك، بإحلالهم وخروجهم من إحرامهم، وذلك بإزالة ما تراكم مِن وسخ في أبدانهم، وقص أظفارهم، وحلق شعرهم، وليوفوا بما أوجبوه على أنفسهم من الحج والعمرة والهدايا، وليطوفوا بالبيت العتيق القديم، الذي أعتقه الله مِن تسلُّط الجبارين عليه، وهو الكعبة.
قوله تعالى:{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} [الحج : ٢٩]، أي:" ثم ليكمل الحجاج ما بقي عليهم من النُّسُك، بإحلالهم وخروجهم من إحرامهم، وذلك بإزالة ما تراكم مِن وسخ في أبدانهم، وقص أظفارهم، وحلق شعرهم"[١٣].
وفي قوله تعالى:{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} [الحج : ٢٩]، وجوه من التفسير:
أحدها : مناسك الحج ، وهو قول ابن عباس[١٤]، وابن عمر[١٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١١-٦١٢.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨٩٨):ص٨/٣٨٩٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١١-٦١٢.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٦١٢.
(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٣٦٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١١-٦١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:٤/٢٠.
(٨) تفسير السمعاني:٣/٤٣٥.
(٩)رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه .
(١٠) تفسير ابن كثير:٥/١٦.
(١١) تفسير ابن كثير:٥/١٦.
(١٢) تفسير ابن كثير:٥/١٧.
(١٣) التفسير الميسر:٣٣٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١٢.

عن ابن عباس، قوله: "{ثم ليقضوا تفثهم}، يقول: نسكهم"[١]. وفي رواية:" قضاء النسك كله"[٢].

قال ابن عمر:" التفث: المناسك كلها"[٣].

الثاني : يعني: حلق الرأس، قاله الحسن[٤]، والضحاك[٥]، وقتادة[٦]، قال أمية بن أبي الصلت[٧]:

حفوا رؤوسهم لم يحلقوا تفثاً ... ولم يسلوا لهم قملا وصئبانا

وورروي عن الحسن:" التفث ذا الشعث وذا التقشف"[٨].

الثالث : أن التفث: حلق الرأس، وتقليم الظفر. قاله مجاهد[٩].

وروي عن عكرمة:" أن التفث: الشعر والظفر"[١٠].

الرابع : إزالة قشف الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال الطيب ، وهو قول الحسن[١١].

قال ابن زيد:" التفث: حرمهم"[١٢].

الخامس: أن التفث: حلق الرأس، وأخذ من الشاربين، ونتف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والموقف بعرفة والمزدلفة. وهذا قول ابن عباس[١٣].

قال ابن عباس:"يعني بالتفث: وضع إحرامهم من حلق الرأس، ولبس الثياب، وقص الأظفار ونحو ذلك"[١٤].

وقال محمد بن كعب القرظي:" رمي الجمار، وذبح الذبيحة، وأخذ من الشاربين واللحية والأظفار، والطواف بالبيت وبالصفا والمروة"[١٥].

وقال مجاهد:" حلق الرأس، وحلق العانة، وقصر الأظفار، وقص الشارب، ورمي الجمار، وقص اللحية"[١٦].

وقال ابن جريج:" الأخذ من اللحية، ومن الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، ورمي الجمار"[١٧].

قال عطاء بن السائب: "التفث: حلق الشعر، وقص الأظفار والأخذ من الشارب، وحلق العانة، وأمر الحج كله"[١٨].

قال أبو عبيدة:"{ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُم}: وهو الأخذ من الشارب وقصّ الأظفار ونتف الإبط والاستحداد وحلق العانة"[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٦١٣/١٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٩٩):ص٢٤٨٩/٨.
(٣) أخرجه الطبري:٦١٢/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٦١٣/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٦١٣/١٨.
(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٧/١.
(٧) من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٢٠/٤[الصدر فقط]، وأحكام القران لابن العربي:٢٨٤/٣، والقرطبي في التفسير:٥٠/١٢، وابن عطية في التحرير والتنوير:٢٤٩/١٧.
(٨) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٧/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٦١٢/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٦١٢/١٨.
(١١) انظر: النكت والعيون:٢٠/٤.
(١٢) اخرجه الطبري:٦١٣/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٦١٢/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٦١٣/١٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٦١٢/١٨-٦١٣.
(١٦) أخرجه الطبري:٦١٣/١٨.
(١٧) أخرجه الطبري:٦١٣/١٨.
(١٨) أخرجه الطبري:٦١٤/١٨.

قال ابن قتيبة:" والتفث: الأخذ من الشارب والأظفار، ونتف الإبطين، وحلق العانة"[٢].
قال الزجاج:" التفث: الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة والأخذ من الشعر، كأنه الخروج منى الإحرام إلى الإحلال"[٣].
وقيل لبعض الصلحاء : "ما المعنى في شعث المحرم ؟ قال : ليشهد الله تعالى منك الإعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته"[٤].
وسئل الحسن عن التجرد في الحج فقال : "جرّد قلبك من السهو ، ونفسك من اللهو ولسانك من اللغو ، ثم يجوز كيف شئت"[٥] . وقال الشاعر[٦]:
قضوا تفثاً ونحباً ثم ساراواْ ... إلى نجدٍ وما انتظروا علياً
وقرأ أبو عمرو:«ثم ليقضوا»، بكسر اللام[٧].
قال الزجاج:" والقراءة بالتسكين مع «ثم» كثيرة"[٨].
قوله تعالى:{وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} [الحج : ٢٩]، أي:" وليوفوا بما أوجبوه على أنفسهم من الحج والعمرة والهدايا"[٩].
قال الطبري:" يقول: وليوفوا الله بما نذروا من هدي وبدنة وغير ذلك"[١٠].
قال ابن عباس:" نحر ما نذروا من البدن"[١١].
قال مجاهد:" نذر الحج والهدي، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج"[١٢].
قال ابن كثير:" وهكذا صنع رسول الله ﷺ ، فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ يرمي الجمرة ، فرماها بسبع حصيات ، ثم نحر هديه ، وحلق رأسه ، ثم أفاض فطاف بالبيت. وفي الصحيح عن ابن عباس أنه قال : «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف ، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض»"[١٣][١٤].
قوله تعالى:{وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج : ٢٩]، أي:" وليطوفوا بالبيت العتيق القديم، الذي أعتقه الله مِن تسلُّط الجبارين عليه، وهو الكعبة"[١٥].
قال الطبري:" يقول: وليطوفوا ببيت الله الحرام، وهو طواف الإفاضة الذي يطاف به بعد التعريف، إما يوم النحر وإما بعده، لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك"[١٦].
قال الماوردي:" يعني: طواف الإفاضة ، وهو الواجب في الحج والعمرة ، ولا يجوز في الحج إلا بعد عرفة ، وإن جاز السعي"[١٧].
عن ابن عباس، قوله: "{وليطوفوا بالبيت العتيق}، يعني: زيارة البيت"[١٨].
عن الحسن: "{وليطوفوا بالبيت العتيق}، قال: طواف الزيارة"[١].

---

(١) مجاز القرآن:٥٠/٢.
(٢) غريب القرآن:٢٩٢.
(٣) معاني القرآن:٤٢٣/٣.
(٤) النكت والعيون:٢٠/٤.
(٥) النكت والعيون:٢٠/٤.
(٦) البيت غير منسوب في النكت والعيون:٢٠/٤، وتفسير القرطبي:٥٠/١٢.
(٧) انظر: معاني القرءن للزجاج:٤٢٣/٣.
(٨) معاني القرآن:٤٢٣/٣.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٥.
(١٠) تفسير الطبري:٦١٤/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٦١٤/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٦١٤/١٨.
(١٣)صحيح البخاري برقم (٣٢٩) وصحيح مسلم برقم (١٣٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(١٤) تفسير ابن كثير:٤١٨/٥.
(١٥) التفسير الميسر:٣٣٥.
(١٦) تفسير الطبري:٦١٤/١٨.
(١٧) النكت والعيون:٢٠/٤-٢١.
(١٨) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.

قال الحسن:" الطواف الواجب"[٢].
قال عطاء:" طواف يوم النحر"[٣].
عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سألت زهيرا عن قول الله: {وليطوفوا بالبيت العتيق}، قال: طواف الوداع"[٤].
عن أبى جمرة قال: "قال لي ابن عباس: أتقرأ سورة الحج؟ يقول الله: {وليطوفوا بالبيت العتيق}، قال: فإن آخر المناسك الطواف بالبيت"[٥].
قال ابن عباس:" لما نزلت هذه الآية وليطوفوا بالبيت العتيق طاف رسول الله ﷺ من ورائه"[٦].
وفي تسمية «البيت»: عتيقاً، وجوه:
أحدها :لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه، وهو قول ابن عباس[٧]، وابن الزبير[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠].
قال مجاهد:" إنما سمي البيت العتيق، لأنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك"[١١].
ووفي لفظ عن مجاه: "فليس في الأرض جبار يدعي أنه له"[١٢].
قال ابن الزبير:" إنما سمي البيت العتيق، لأن الله أعتقه من الجبابرة"[١٣].
قال ابن قتيبة:" سمي بذلك لأنه عتيق من التجبر، فلا يتكبر عنده جبار"[١٤].
الثاني : لأنه عتيق لم يملكه أحد من الناس ، وهو قول مجاهد[١٥].
قال مجاهد:" إنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء"[١٦].
الثالث : لأنه أعتق من الغرق في زمن نوح-عليه السلام-، وهذا قول سعيد بن جبير[١٧].
قال الزجاج:" ودليل هذا القول: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} [الحج : ٢٦]، فهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه"[١٨].
الرابع: سمي بذلك لقدمه. قاله الحسن[١٩]، وابن زيد[٢٠]، والثوري[٢١].
قال ابن زيد:" العتيق: القديم، لأنه قديم، كما يقال: السيف العتيق، لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم، وهو أول من بناه، ثم بوأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق، فبناه إبراهيم وإسماعيل"[١].

---

(١) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.
(٢) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.
(٣) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.
(٤) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٠):ص٢٤٩٠/٨.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١١):ص٢٤٩٠/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٠٤):ص٢٤٩٠/٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٦١٤/١٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٦١٤/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦١٤/١٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٠٦):ص٢٤٩٠/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٠٥):ص٢٤٩٠/٨.
(١٣) اخرجه الطبري:٦١٤/١٨.
(١٤) غريب القرن:٢٩٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٦١٥/١٨.
(١٦)أخرجه الطبري:٦١٥/١٨ .
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٢٤٩٠/١٨.
(١٨)معاني القرآن:٤٢٤/٣ .
(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٠٨):ص٢٤٩٠/٨، وحكاه عنه الزجاج في معاني القرآن:٤٢٤/٣.
(٢٠)انظر: تفسير الطبري:٦١٥/١٨ .
(٢١) انظر: تفسير التستري:١٠٧.

الخامس: إنما سماه عتيقا تكرمه له، كما تقول العرب: جسد عتيق، وفرس عتيق إذا كان كريما. حكاه التستري عن الحسن[٢].

قال الطبري:" ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: (البيت العتيق) وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر، غير أن الذي روي عن ابن الزبير أولى بالصحة ، إن كان ما: حدثني به محمد بن سهل البخاري...عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط صحيحا"[٣].

قال الزجاج:" وأكثر ما جاء في التفسير أنه اعتق من الجبابرة، فلم يغلب عليه جبار.. وكل ما مر في تفسير العتيق فجائز حسن - والله أعلم بحقيقة ذلك - وهذه الآية تدل على أن الطواف يوم النحر فرض"[٤].

قال سهل بن عبدالله:" وكما أعتق الله بيته كذلك أعتق قلب المؤمن من الغير، وهو أقدم مما نصبه الله تعالى علما في أرضه وجعله في المسجد الحرام، كذلك القلب له قلب آخر، وهو موضع وقوف العبد بين يدي مولاه، لا يتحرك في شيء إنما هو ساكن إليه"[٥].

قال ابن كثير:" قوله:{ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}: فيه مستدل لمن ذهب إلى أنه يجب الطواف من وراء الحجر ؛ لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم ، وإن كانت قريش قد أخرجوه من البيت ، حين قصرت بهم النفقة ؛ ولهذا طاف رسول الله ﷺ من وراء الحِجْر ، وأخبر أن الحجر من البيت ، ولم يستلم الركنين الشاميين ؛ لأنهما لم يتمما على قواعد إبراهيم العتيقة ؛ ولهذا قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ..عن ابن عباس قال : "لما نزلت هذه الآية : { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } ، طاف رسول الله ﷺ من ورائه»[٦]"[٧].

فوائد الآيات:[٢٦-٢٩]:

١- وجوب بناء البيت وإعلائه كلما سقط وتهدم ووجوب تطهيره من كل ما يؤذي الطائفين والعاكفين في المسجد الحرام من الشرك والمعاصي وسائر الذنوب ومن الأقذار كالأبوال والدماء ونحوها.

٢- مشروعية فتح مكاتب للدعاية للحج.

٣- جواز الاتجار أثناء إقامته في الحج.

٤- وجوب شكر الله تعالى وذكره.

٥- جواز الأكل من الهدي ومن ذبائح التطوع بل استحبابه.

٦- وجوب الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة.

---

(١) اخرجه الطبري:٦١٥/١٨.

(٢) انظر: تفسير التستري:١٠٧.

(٣) تفسير الطبري:٦١٥/١٨.

والحديث أخرجه الترمذى (٣٢٤/٥، رقم ٣١٧٠) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٤٢١/٢ رقم ٣٤٦٥) وقال: صحيح على شرط البخارى. والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٤٣/٣، رقم ٤٠١٠) ، وابن عساكر (٢٠٩/٥٤) .

قال المناوى: "وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قيل ثقة مأمون وضعفه الأئمة أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات".

(٤)معاني القرآن:٤٢٤/٣ .

(٥) تفسير التستري:١٠٨.

(٦) ورواه ابن مردوية في تفسيره كما في الدر المنثور (٤١/٦).

(٧) تفسير ابن كثير:٤١٨/٥.

٧- وجوب الوفاء بالنذور الشرعية، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم »[١]، وقال :« من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه»[٢]، أما النذور للأولياء فهي شرك ولا يجوز الوفاء بها.
٨- تقرير طواف الإفاضة[٣] وبيان زمنه وهو بعد الوقوف بعرفة وعي جمرة العقبة.

القرآن
{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)} [الحج : ٣٠]
التفسير:
ذلك الذي أمر الله به مِن قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظِّموه، ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة. وأحلَّ الله لكم أَكْلَ الأنعام إلا ما حرَّمه فيما يتلى عليكم في القرآن من الميتة وغيرها فاجتنبوه، وفي ذلك إبطال ما كانت العرب تحرِّمه من بعض الأنعام، وابتعِدوا عن القذارة التي هي الأوثان، وعن الكذب الذي هو الافتراء على الله.
قوله تعالى:{ذَلِكَ} [الحج : ٣٠]، أي:" ذلك الذي أمر الله به مِن قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظِّموه"[٤].
قال الزمخشري:" {ذلك} خبر مبتدإ محذوف، أى: الأمر والشأن ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا وقد كان كذا"[٥].
قال مقاتل:" يعني: أمر المناسك كلها {فهو خير له} عند ربه فى الآخرة"[٦].
قوله تعالى:{وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [الحج : ٣٠]، أي:" ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة"[٧].
قال مجاهد:" الحرمة الحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها"[٨].
قال الزجاج:" و{حرمات الله}: الحج والعمرة وسائر المناسك، وكل ما فرض الله فهو من حرمات الله، و«الحرمة»: ما وجب القيام به وحرم تركه والتفريط فيه"[٩].
قال الزمخشري:" الحرمة: ما لا يحل هتكه. وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج"[١].

---

(١)أخرجه أبو داود (٢٣٩/٣، رقم ٣٣١٦) ، والنسائى (١٩/٧، رقم ٣٨١٢) . وأخرجه أيضا: الحميدى (٣٦٥/٢، رقم ٨٢٩) ، وسعيد بن منصور فى كتاب السنن (٣٩٦/٢، رقم ٢٩٦٧) ، وأحمد (٤٣٠/٤، رقم ١٩٨٧٦) ، والدارمى (٣٠٨/٢، رقم ٢٥٠٥) ، ومسلم (١٢٦٢/٣، رقم ١٦٤١) ، والطبرانى (١٩٠/١٨، رقم ٤٥٣).
(٢)أخرجه أحمد (٣٦/٦، رقم ٢٤١٢١) ، والبخارى (٢٤٦٤/٦، رقم ٦٣٢٢) ، وأبو داود (٢٣٢/٣، رقم ٣٢٨٩) ، والترمذى (١٠٤/٤، رقم ١٥٢٦) وقال: حديث حسن صحيح. والنسائى (١٧/٧، رقم ٣٨٠٦) ، وابن ماجه (٦٨٧/١، رقم ٢١٢٦) ، وابن حبان (٢٣٥/١٠، رقم ٤٣٨٩) . وأخرجه أيضا: مالك (٤٧٦/٢، رقم ١٠١٤) ، والشافعى (٣٣٩/١) وإسحاق بن راهويه (٣٩١/٢، رقم ٩٤٤) ، وابن أبى شيبة (٦٦/٣، رقم ١٢١٤٦) ، والدارمى (٢٤١/٢، رقم ٢٣٣٨) ، وأبو عوانة (١٣/٤، رقم ٥٨٥٢) ، والطحاوى (١٣٣/٣) ، والبيهقى (٢٣١/٩، رقم ١٨٦٣٢).
(٣)أما طواف القدوم فواجب عند مالك وطواف الوداع سنة مؤكدة ويسقط بالعذر عند أكثر أهل العلم، لسقوطه عن الحائض إجماعاً، ومن أهل العلم من يرى طواف القدوم سنة ليس بواجب.
(٤) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٥) الكشاف:١٥٤/٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٣/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١١):ص٢٤٩٠/٨.
(٩) معاني القرآن:٤٢٤/٣.

عن أبي ربيعة المخزومي، عن النبي ﷺ قال: «لن تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها يعني مكة فإذا ضيعوا ذلك هلكوا»[٢].

قوله تعالى:{وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الحج : ٣٠]، أي:" وأحلَّ الله لكم أَكْلَ الأنعام إلا ما حرَّمه فيما يتلى عليكم في القرآن من الميتة وغيرها فاجتنبوه"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الحج : ٣٠]، قولان[٤]:

أحدهما : إلا ما يتلى عليكم من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذُبحَ على النصب .

والثاني : إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم .

قال الطبري: المعنى:" وأحل الله لكم أيها الناس الأنعام أن تأكلوها إذا ذكيتموها، فلم يحرم عليكم منها بحيرة، ولا سائبة، ولا وصيلة، ولا حاما، ولا ما جعلتموه منها لآلهتكم، إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله، وذلك: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب، فإن ذلك كله رجس"[٥].

عن قتادة: "{إلا ما يتلى عليكم}، قال: إلا الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه"[٦].

قوله تعالى:{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [الحج : ٣٠]، أي:" وابتعِدوا عن القذارة التي هي الأوثان"[٧].

قال الطبري:" يقول: فاتقوا عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس"[٨].

قال ابن كثير:" : «من» -هاهنا- لبيان الجنس ، أي : اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان"[٩].

وفي قوله تعالى:{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [الحج : ٣٠]، وجهان[١٠]:

أحدهما : أي: اجتنبواْ من الأوثان الرجس، ورجس الأوثان عبادتها، فصار معناه : فاجتنبوا عبادة الأوثان. وهذا قول ابن عباس[١١]، وابن جريج[١٢].

قال ابن عباس:" يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان"[١٣].

عن ابن جريج قوله: "{الرجس من الأوثان}، قال: عبادة الأوثان"[١٤].

الثاني : معناه : فاجتنبواْ الأوثان فإنها من الرجس. قاله يحيى بن سلام[١٥].

قال الطبري:أي:" اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيها الناس من الأوثان بعبادتكم إياها، فإن قائل قائل: وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل: فاجتنبوا الرجس منها؟ قيل: كلها رجس. وليس المعنى ما ذهبت إليه في ذلك، وإنما معنى الكلام: فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان

---

(١) الكشاف:١٥٤/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٢):ص٢٤٩١/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٤) انظر: النكت والعيون:٢١/٤.
(٥) تفسير الطبري:٦١٧/١٨-٦١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٦١٨/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٨) تفسير الطبري:٦١٨/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٤١٩/٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٢٢/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٦١٨/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٦١٨/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٦١٨/١٩٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٦١٨/١٩٨.
(١٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٧٠/١.

أي عبادتها، فالذي أمر جل ثناؤه بقوله: (فاجتنبوا الرجس) منها اتقاء عبادتها، وتلك العبادة هي الرجس، على ما قاله ابن عباس"[١].

قوله تعالى:{وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج : ٣٠]، أي:" وابتعِدوا عن الكذب الذي هو الافتراء على الله"[٢].

قال الطبري:" واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} وقولكم للملائكة: هي بنات الله، ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج : ٣٠]، أقوال:

أحدها : الشرك ، وهوقول يحيى بن سلام[٤]، ومقاتل[٥].

الثاني : يعني: الكذب، وهو قول ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]، والزجاج[٨].

قال ابن عباس:يعني:" الافتراء على الله والتكذيب"[٩].

الثالث : شهادة الزور. وهو قول عبدالله[١٠]، ووائل بن ربيعة[١١].

قال عبدالله:" تعدل شهادة الزور بالشرك"[١٢].

روى أيمن بن خريم أن النبي -ﷺ- قام خطيباً فقال : « يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكا بالله» ثلاثا، ثم قرأ: {فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ}"[١٣].

الرابع : أنها عبادة المشركين ، حكاه النقاش[١٤].

الخامس : أنه النفاق لأنه إسلام في الظاهر زور في الباطن. أفاده الماوردي[١٥].

قال الزجاج:" والآية تدل - والله أعلم - على أنهم نهوا أن يحرموا ما حرم أصحاب الأوثان نحو قولهم{مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا} [الأنعام : ١٣٩]، ونحو نحرهم البحيرة والسائبة، فأعلمهم الله أن الأنعام محللة إلا ما حرم الله منها، ونهاهم الله عن قول الزور أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام ليفتروا على الله كذبا"[١٦].

قال الزمخشري:" لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور، لأن توحيد الله ونفى الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا. وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد، وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا

---

(١) تفسير الطبري:٦١٩/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٣) تفسير الطبري:٦١٨/١٨.
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٧٠/١.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٣/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٦١٩/١٨.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩١٣):ص٢٤٩١/٨.
(٨) انظر: معاني القرآن:٤٢٥/٣.
(٩) اخرجه الطبري:٦١٩/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦١٩/١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٦١٩/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٦١٩/١٨.
(١٣)حديث أيمن بن خريم: أخرجه أحمد (١٧٨/٤، رقم ١٧٦٤٠) ، والترمذى (٥٤٧/٤، رقم ٢٢٩٩) وقال: غريب. وابن قانع (٥٣/١) .
حديث خريم بن فاتك: أخرجه أحمد (٣٢١/٤، رقم ١٨٩١٨) ، وأبو داود (٣٠٥/٣، رقم ٣٥٩٩) ، وابن ماجه (٧٩٤/٢، رقم ٢٣٧٢) ، والطبرانى (٢٠٩/٤، رقم ٤١٦٢) ..
(١٤) انظر: النكت والعيون:٢٢/٤.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٢٢/٤.
(١٦) معاني القرآن:٤٢٥/٣.

قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة. وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان.

وسمى «الأوثان»: رجسا، وكذلك الخمر والميسر والأزلام، على طريق التشبيه. يعنى: أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه، فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة. ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس، والرجس مجتنب من الأوثان بيان للرجس وتمييز له، كقولك: عندي عشرون من الدراهم، لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء، كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان"[1].

قال ابن كثير:" : وقرن الشرك بالله بقول الزور ، كقوله : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } [الأعراف : ٣٣] ، ومنه شهادة الزور"[2].

وفي الصحيحين عن أبي بَكْرَة قال : «قال رسول الله ﷺ : "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟" قلنا : بلى ، يا رسول الله. قال : "الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس ، فقال : - ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور". فما زال يكررها ، حتى قلنا : ليته سكت»[3].

القرآن

{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)} [الحج : ٣١]

التفسير:

مستقيمين لله على إخلاص العمل له، مقبلين عليه بعبادته وحده وإفراده بالطاعة، معرضين عما سواه بنبذ الشرك، فإنَّه من يشرك بالله شيئًا، فمثله -في بُعْده عن الهدى، وفي هلاكه وسقوطه من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر، وتخطُّف الشياطين له من كل جانب- كمثل مَن سقط من السماء: فإما أن تخطفه الطير فتقطع أعضاءه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح، فتقذفه في مكان بعيد أشد البعد.

سبب النزول:

قال أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-: "كان الناس يحجون وهم مشركون فكانوا يسمونهم حنفاء الحجاج، فنزلت: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}"[4].

قوله تعالى:{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ} [الحج : ٣١]، أي:" مستقيمين لله على إخلاص العمل له، مقبلين عليه بعبادته وحده وإفراده بالطاعة، معرضين عما سواه بنبذ الشرك

قال الطبري: يقول:" اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه"[5].

قال ابن كثير:" أي : مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل قصدا إلى الحق ؛ ولهذا قال { غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ }"[6].

قال السمعاني:" قال أهل التفسير: كانت قريش يقولون: من حج واحتنف وضحى، فهو حنيف، فقال الله تعالى: {حنفاء لله غير مشركين به} يعني أن (الحنيفة) إنما يتم بترك الشرك، ومن أشرك لا يكون حنيفا"[1].

---

(١) الكشاف:٣/١٥٤-١٥٥.
(٢) تفسير ابن كثير:٥/٤١٩.
(٣)صحيح البخاري برقم (٢٦٥٤) وصحيح مسلم برقم (٨٧).
(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩١٦):ص٨/٢٤٩١.
(٥) تفسير الطبري:١٨/٦٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير:٥/٤٢٠.

عن ابن عباس، قوله :{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}، قال:" حجاجا لله غير مشركين به، وذلك إن الجاهلية كانوا يحجون مشركين فلما أظهر الله الإسلام قال الله للمسلمين: حجوا الآن غير مشركين بالله"[٢].

قال القشيري:" «غير مشركين به» : الشرك جلى وخفى"[٣].

عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر الصديق قال: "كان ناس من مضر وغيرهم يحجون البيت وهم مشركون، وكان من لا يحج البيت من المشركين يقولون: قولوا حنفاء، فقال الله: حنفاء لله غير مشركين به يقول: حجاجا غير مشركين به"[٤].

وفي قوله تعالى:{حُنَفَاءَ لِلَّهِ} [الحج : ٣١]، وجوه:

أحدها : يعني: مسلمين لله ، وهو قول الضحاك[٥]، قال ذو الرمة[٦]:

إذا حَوَّل الظِّلُّ العشِيَّ رأيتَه ... حنيفًا وفي قَرنِ الضحَى يَتَنَصَّر

قال الزجاج:يعني: " مسلمين لا يميلون إلى دين غير الإسلام"[٧].

الثاني : مخلصين لله، وهو قول مقاتل[٨]، ويحيى بن سلام[٩].

الثالث : مستقيمين لله ، وهو قول عليّ بن عيسى[١٠].

الرابع : يعني: متبعين. قاله مجاهد[١١].

الخامس: حجاجاً إلى الله ، وهو قول ابن عباس[١٢]، و عبد الله بن القاسم[١٣]، وقطرب[١٤].

قال القشيري:" «الحنيف»: المائل إلى الحق عن الباطل فى القلب والنفس، فى الجهر وفى السر، فى الأفعال وفى الأحوال وفي الأقوال"[١٥].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ} [الحج : ٣١]، أي:" ومن أشرك بالله فكأنما سقط من السماء فتخطفه الطير فتقطع أعضاءه"[١٦].

قال الطبري: يقول:" فإنه من يشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك"[١٧].

قال مقاتل:" ثم عظم الشرك فقال: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير}، يعني: فتذهب به الطير النسور"[١٨].

قال السمعاني:" { فكأنما خر من السماء}، أي: سقط من السماء، وفي بعض الأخبار عن بعض الصحابة أنه قال: «بايعت رسول الله أن لا أخر إلا مسلما»[١٩]، أي: لا أسقط ميتا إلا مسلما، وقوله: {فتخطفه الطير} أي: تسلبه الطير وتذهب به"[١].

---

(١) تفسير السمعاني:٤٣٧/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٥):ص٢٤٩١/٨.
(٣) لطائف الإشارات:٥٤٢/٢.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٧):ص٢٤٩١/٨.
(٥) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.
(٦)ديوانه ٢٢٩- والاضداد للانبارى ١٣١ والاقتضاب ٣٩٣ والقرطبي ٢/ ١٤٠ واللسان (حول).
(٧) معاني القرآن:٤٢٥/٣.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٦/٣.
(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٧٠/١.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩١٨):ص٢٤٩١/٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩١٥):ص٢٤٩١/٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩١٧):ص٢٤٩١/٨.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.
(١٥) لطائف الإشارات:٥٤٢/٢.
(١٦) انظر: صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.[بتصرف]
(١٧) تفسير الطبري:٦٢٠/١٨.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٦/٣.
(١٩) لم اقف عليه فيما رجعت إليه من المصادر.

قال ابن كثير:" أي : [كأنما] سقط منها فتقطعه الطيور في الهواء"[٢].

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه"[٣].

قوله تعالى:{أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج : ٣١]، أي:" أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة"[٤].

قال الطبري: يقول:" أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد، من قولهم: أبعده الله وأسحقه، وفيه لغتان: أسحقته الريح وسحقته، ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق؛ ومنه قول الشاعر[٥]:

كانت لنا جارة فأزعجها ... قاذورة تسحق النوى قدما

ويروى: تسحق: يقول: فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ومن إصابه الحق، كبعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء"[٦].

عن مجاهد قوله: "{في مكان سحيق}، قال: بعيد"[٧].

قال مقاتل:" يعنى: بعيدا، فهذا مثل الشرك في البعد من الله- عز وجل-"[٨].

قال السمعاني:" أي: تسقط به الريح في مكان بعيد، ومعنى الآية: أن من أشرك فقد هلك، وبعد عن الحق بعدا لا يصل إليه بحال ما دام مشركا"[٩].

وجاء في حديث البراء بن عازب: "إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى غضب الله وسخطه. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، ولا يفتح له، ثم قرأ رسول الله - ﷺ -: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق}، فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه. لا أدري؟ فيقولان له: مادينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له لادريت، فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها. ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يوم الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة"[١٠].

---

(١) تفسير السمعاني:٤٣٧/٣.

(٢) تفسير ابن كثير:٤٢٠/٥.[بتصرف]

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٩):ص٢٤٩١/٨.

(٤) صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.

(٥)البيت مما أنشده الأزهري في تهذيبه، ونقله عن صاحبه (اللسان: سحق).

(٦) تفسير الطبري:٦٢٠/١٨.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٢٠):ص٢٤٩١/٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٦/٣.

(٩) تفسير السمعاني:٤٣٧/٣.

(١٠) قطعة من الحديث، انظر: المسند: ٢٨٧/٤، وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب المسألة في القبر: ٥٤٠/٢، وسنن النسائي: كتاب الجنائز: باب الوقوف للجنائز: ٧٨/٤، وسنن ابن ماجه: كتاب الجنائز: باب ماجاء في الجلوس في المقابر: ٤٩٤/١، وأخرج صدره.

القرآن

{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)} [الحج : ٣٢]

التفسير:

ذلك ما أمر الله به مِن توحيده وإخلاص العبادة له. ومن يمتثل أمر الله ويُعَظِّم معالم الدين، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبائح التي تُذْبَح فيه، وذلك باستحسانها واستسمانها، فهذا التعظيم مِن أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته.

قوله تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ} [الحج : ٣٢]، أي:" ذلك ما وضحه الله لكم من الأحكام والأمثال ومن يعظم أمور الدين ومنها أعمالُ الحج والأضاحي والهدايا"(١).

قوله تعالى:{فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج : ٣٢]، أي:" أي فإن تعظيمها من أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته"(٢).

قال ابن عباس: "يريد من التقوى الذي اتقاه المتقون"(٣).

قال الزمخشري:" أى: فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب.. وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء "(٤).

قال الواحدي:" أضاف «التقوى» إلى «القلوب»، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب، كما روي في الحديث أن النبي -ﷺ- وقال: «التقوى هاهنا»(٥)، وأشار إلى صدره"(٦).

قال القرطبي:" أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى في القلب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الحديث: «التقوى هاهنا»(٧)، وأشار إلى صدره"(٨).

القرآن

{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)} [الحج : ٣٣]

التفسير:

لكم في هذه الهدايا منافع تنتفعون بها من الصوف واللبن والركوب، وغير ذلك مما لا يضرها إلى وقت ذبحها عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.

قوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الحج : ٣٣]، أي:" لكم في الهدايا منافع كثيرة من الدر والنسل والركوب إلى وقت نحرها"(٩).

وفي قوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الحج : ٣٣]، قولان:

أحدهما: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة. {إلى أجل مسمى}، يعني: إلى أن تنحروها. وهو قول عطاء بن أبي رباح(١٠). وبه قال الشافعي(١١).

واستدلوا بما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ :"رأى رجلا يسوق بدنة فقال له: «اركبها، فقال يا رسول الله إنها بدنة، فقال: اركبها ويلك، في الثانية أو الثالثة»"(١٢).

---

(١)صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.

(٢) انظر: التفسير الميسر:٣٣٦.[بتصرف]

(٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط:٣٩٢.

(٤) الكشاف:١٥٦/٣.

(٥)هذا قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في "مسنده" ٢/ ٢٧٧، ومسلم في "صحيحه" كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم ٤/ ١٩٨٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) التفسير البسيط:٣٩٢/١٥، وذكره القرطبي بتفسيره:٥٦/١٢. بتمامه.

(٧) .

(٨) تفسير القرطبي:٥٦/١٢.

(٩) صفوة التفاسير:٢٦٥/٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٨.

(١١) انظر: المهذب في فقه الغمام الشافعي للشيرازي:٤٣٠/١، والبيان في مذهب الغمام الشافعي:٤١٦/٤.

(١٢)أخرجه البخاري في الحج، باب: ركوب البدن ٣ / ٥٣٦، ومسلم في الحج، باب: جواز ركوب البدنة

الثاني: المنافع التي فيها قبل أن يسمى للهدي، فإذا سميت للهدي فلا ينتفع بها. والأجل المسمى تسميتها: بدنة. وهذا قول ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، والزجاج[٣]، وطائفة من الصحابة.

قال ابن عباس:" الأجل المسمى: إلى أن تقلد وتشعر"[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج : ٣٣]، أي:" ثم مكان ذبحها في الحرم بمكة أو منى"[٥].

قال محمد بن موسى:" محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت العتيق"[٦].

قال الضحاك وعطاء: "إلى يوم النحر تنحر بمنى"[٧].

قال الواحدي:" ثم محلها أي: حيث يحل نحرها، {إلى البيت العتيق}، يعني: عند البيت، وهو الحرم كله"[٨].

قال السمعاني:" «المحل» -ها هنا-: هو وقت النحر ومكانه"[٩].

قال الصابوني:" وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم كقوله تعالى: {هَدْياً بَالِغَ الكعبة} [المائدة: ٩٥]"[١٠].

فوائد الآيات:[٣٠-٣٣]:

١- وجوب تعظيم حرمات الله لما فيها من الخير العظيم.

٢- تقرير حلِّيَّة بهيمة الأنعام بشرط ذكر اسم ا! ته عند ذبحها أو نحرها.

٣- حرمة قول الزور وشهادة الزور وفي الأثر عدلت٣ شهادة الزور الشرك بالله.

٤- وجوب ترك عبادة الأوثان ووجوب البعد عنها وترك كل ما يمت إليها بصلة.

٥- بيان عقوبة الشرك وخسران المشرك.

٦- تعظيم شعائر الله وخاصة البدن من تقوى قلوب أصحابها.

٧- جواز الانتفاع بالبدن الهدايا بركوبها وشرب لبنها والحمل عليها إلى غاية نحرها بالحرم.

القرآن

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)} [الحج : ٣٤]

التفسير:

ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك مِنَ الذبح وإراقة الدماء؛ وذلك ليذكروا اسم الله تعالى عند ذبح ما رزقهم مِن هذه الأنعام ويشكروا له. فإلهكم -أيها الناس- إله واحد هو الله فانقادوا لأمره وأمر رسوله. وبشِّر -أيها النبي- المتواضعين الخاضعين لربهم بخيرَي الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} [الحج : ٣٤]، أي:" ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك مِنَ الذبح وإراقة الدماء"[١١].

لمن احتاج إليها، برقم (١٣٢٢) ٢ / ٩٦٠.

(١) انظر: تفسير الطبري:٦٢٣/١٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٦٢٣/١٨-٦٢٤.

(٣) انظر: معاني القرآن:٤٢٦/٣.

(٤) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٧١/١.

(٥) صفوة التفاسير:٢٦٥/٢.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٢٤):ص٢٤٩٢/٨.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٢٣):ص٢٤٩٢/٨.

(٨)التفسير الوسيط:٢٧١/٣ .

(٩) تفسير السمعاني:٤٣٨/٣.

(١٠) صفوة التفاسير:٢٦٥/٢.

(١١) التفسير الميسر:٣٣٦.

قال الطبري:يقول:" ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه"[١].

وفي قوله تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} [الحج : ٣٤]، ثلاثة أقوال:

أحدها : يعني: حجاً ، وهو قول قتادة[٢].

الثاني : ذبحاً، وهو قول مجاهد، وعكرمة[٣].

وقال مجاهد:" إهراق الدماء"[٤].

قال الزجاج:" المنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنه قال: جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله، ويدل على ذلك قوله تعالى:{ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام}، المعنى ليذكروا اسم الله على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام"[٥].

والثالث : عيداً ، وهو قول ابن عباس[٦]، والكلبي[٧].

الرابع: إنه مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها. وهذا قول ابن زيد[٨].

قال الفراء:" المنسَك فِي كلام العرب: الموضع الَّذِي تعتاده وتألفه ويقال: إن لفلان مَنْسِكًا يعتاده فِي خير كَانَ أو غيره. والمناسك بذلك سميت- والله أعلم- لترداد الناس عليها بالحج والعمرة"[٩].

قال الزجاج:" وقال بعضهم: المنسك الموضع الذي يجب تعهده، وذلك جائز"[١٠].

قوله تعالى:{لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج : ٣٤]، أي:" وذلك ليذكروا اسم الله تعالى عند ذبح ما رزقهم مِن هذه الأنعام ويشكروا له"[١١].

قوله تعالى:{فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الحج : ٣٤]، أي:" فإلهكم -أيها الناس- إله واحد هو الله"[١٢].

قال الطبري:" فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فإلهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة"[١٣].

قوله تعالى:{فَلَهُ أَسْلِمُوا} [الحج : ٣٤]، أي:" أي : فأخلصوا له العبادة، واستسلموا لحُكْمه وطاعته"[١٤].

قال مقاتل:" فله أخلصوا"[١٥].

قال الطبري:" يقول: فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية"[١٦].

قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج : ٣٤]، أي:" بشر المطيعين المتواضعين الخاشعين بجنات النعيم"[١٧].

---

(١) تفسير الطبري:٥٢٧/١٨.
(٢) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٧):ص٢٤٩٢/٦.
(٤) اخرجه الطبري:٦٢٨/١٨.
(٥) معاني القرآن:٤٢٦/٣.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٥):ص٢٤٩٢/٦.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٨):ص٢٤٩٢/٦.
(٩) معاني القرآن:٢٣٠/٢.
(١٠) معاني القرآن:٤٢٦/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٣٦.
(١٢) التفسير الميسر:٣٣٦.
(١٣) تفسير الطبري:٦٢٨/١٨.
(١٤) انظر: تفسير ابن كثير:٤٢٤/٥.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٣١):ص٢٤٩٣/٨.
(١٦) تفسير الطبري:٦٢٨/١٨.
(١٧) صفوة التفاسير:٢٦٥/٢.

قال الطبري:" يقول: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة"[١].

وفي قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج : ٣٤]، وجوه:

أحدها : المطمئنين إلى الله، وهو قول مجاهد[٢]، ويحيى بن سلام[٣]، ومنه قوله تعالى :{فَتُخْبِتْ لَهُ قُلُوبُهُم} [الحج : ٥٤].

الثاني : معناه: المتواضعين ، وهو قول مجاهد-في رواية-[٤]، و قتادة[٥]، والضحاك[٦].

قال ابن قتيبة:" الإخبات: التواضع والوقار"[٧].

قال الزجاج:" واشتقاقه من: «الخبت من الأرض»، وهي المكان المنخفض منها، فكل مخبت متواضع"[٨].

الثالث : الخاشعين ، وهو قول الحسن[٩]، وسهل بن عبدالله[١٠]، والفراء[١١].

قال الماوردي :"والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان"[١٢].

الرابع : الوجلين. قاله السدي[١٣].

الخامس : المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي، ومقاتل[١٤].

السادس : الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي[١٥].

السابع : أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي[١٦]، ومجاهد[١٧].

الثامن : أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً[١٨].

التاسع : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول عمرو بن أوس[١٩]، ومجاهد[٢٠]، والخليل بن أحمد[٢١].

قال الطبري:" وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس "الإخبات"، عند العرب: الخشوع والتواضع"[٢٢].

---

(١) تفسير الطبري:٦٢٨/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٦٢٨/١٨.
(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٧٥/١.
(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٩٣١):ص٤٠٧/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٦٢٨/١٨.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٣٣):ص٢٤٩٣/٨.
(٧) غريب القرآن:٢٠٢.
(٨) معاني القرآن:٤٢٧/٣.
(٩) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(١٠) انظر: تفسير التستري:٧٨.
(١١) انظر: معاني القرآن:٩/٢.
(١٢) النكت والعيون:٢٥/٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٣٤):ص٢٤٩٣/٨.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٧/٣.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:٦٢٩/١٨.
(٢٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٣٢):ص٢٤٩٣/٨.
(٢١) انظر: النكت والعيون:٢٥/٤.
(٢٢) تفسير الطبري:٢٩٠/١٥.

قال ابن كثير:" وأحسن ما يفسّر بما بعده وهو قوله : { الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } أي : خافت منه قلوبُهم ، { وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ } أي : من المصائب"[١].

القرآن

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)} [الحج : ٣٥]

التفسير:

هؤلاء المتواضعون الخاشعون مِن صفاتهم أنهم إذا ذُكِر الله وحده خافوا عقابه، وحَذِروا مخالفته، وإذا أصابهم بأس وشدة صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل، وأدَّوْا الصلاة تامة، وهم مع ذلك ينفقون مما رزقهم الله في الواجب عليهم مِن زكاة ونفقة عيال، ومَن وَجَبَتْ عليهم نفقته، وفي سبيل الله، والنفقات المستحبة.

قوله تعالى:{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الحج : ٣٥]، أي:" هؤلاء المتواضعون الخاشعون مِن صفاتهم أنهم إذا ذُكِر الله وحده خافوا عقابه، وحَذِروا مخالفته"[٢].

قال يحيى بن سلام:" يعني: خافت قلوبهم"[٣].

قال الطبري:" هذا من نعت المخبتين؛ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وبشر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه"[٤].

قال الصابوني:أي:" إذا ذكر الله خافت وارتعشت لذكره قلوبهم لإشراق أشعة جلاله عليها فكأنهم بين يديه واقفون، ولجلاله وعظمته مشاهدون"[٥].

قال السدي:" إذا ذكر الله عند الشيء وجل قلبه"[٦].

عن مقاتل :{الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}، عند ما يخوفون"[٧].

عن ابن زيد، قوله: "{الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}، قال: لا تقسو قلوبهم"[٨].

قوله تعالى:{وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ} [الحج : ٣٥]، أي:" وإذا أصابهم بأس وشدة صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل"[٩].

قال مقاتل :" من البلاء والمصيبات"[١٠].

قال الطبري:" من شدة في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه"[١١].

قوله تعالى:{وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ} [الحج : ٣٥]، أي:" والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة في أوقاتها مستقيمةً كاملة مع الخشوع والخضوع"[١٢].

قال الطبري:أي:"المفروضة"[١٣].

قال يحيى بن سلام:" الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها"[١].

قال مقاتل :" يعني: إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها"[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٢٥/٥.
(٢) التفسير الميسر:٢٦٥/٢.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٧٥/١.
(٤) تفسير الطبري:٦٢٩/١٨.
(٥) صفوة التفاسير:٢٦٥/٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٥٦٨٦):ص٣٨٦/١٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٣٥):ص٢٤٩٣/٨.
(٨) اخرجه الطبري:٦٢٩/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٢٦٥/٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٣٥):ص٢٤٩٣/٨.
(١١) تفسير الطبري:٦٢٩/١٨.
(١٢) انظر: تفسير المراغي: ١١٣/١٧، وصفوة التفاسير:٢٦٥/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٦٢٩/١٨.

قرأ الجمهور: {وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ}، بالإضافة. السبعةَ وبقيةَ العشرة أيضا. وقرأ ابن السَّمَيْقَع : «والمقيمينَ الصلاة»، بالنصب[٣].

قوله تعالى:{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الحج : ٣٥]، أي:" وينفقون مما رزقهم الله في وجوه الخيرات"[٤].

قال يحيى بن سلام:" يعني: الزكاة المفروضة"[٥].

قال الطبري: يفقون: "في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاه ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله"[٦].

القرآن

{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)} [الحج : ٣٦]

التفسير:

وجعلنا لكم نَحْرَ البُدْن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها -أيها المتقربون- خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، فقولوا عند ذبحها: بسم الله. وتُنْحَر الإبل واقفة قد صُفَّتْ ثلاث من قوائمها وقُيِّدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلَّ أكلها، فليأكل منها مقربوها تعبدًا ويُطْعِمُوا منها القانع -وهو الفقير الذي لم يسأل تعففًا- والمعترَّ الذي يسأل لحاجته، هكذا سخَّر الله البُدْن لكم، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم.

قوله تعالى:{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [الحج : ٣٦]، أي:" وجعلنا لكم نَحْرَ البُدْن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله"[٧].

قال يحيى بن سلام:" يعني: أجر في نحرها والصدقة منها تتقربون بها إلى الله"[٨].

قال السدي:" يعني: في البدن أجر"[٩].

قال مقاتل:" يقول: لكم في نحرها أجر في الآخرة ومنفعة في الدنيا، وإنما سميت البدن لأنها تقلد وتشعر وتساق إلى مكة، والهدى الذي ينحر بمكة ولم يقلد ولم يشعر والجزور البعير الذي ليس ببدنة ولا بهدى"[١٠].

قال الطبري:" البدن: هو الضخم من كل شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق، والسدير البدن: لضخمه واسترخاء لحمه، فإنه يقال: قد بدن تبدينا. فمعنى الكلام. والإبل العظام الأجسام الضخام، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله: يقول: من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها، علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر"[١١].

عن عطاء: "{والبدن جعلناها لكم من شعائر الله}، قال: البقرة والبعير"[١٢].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٣٧٥/١.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٣٥):ص٢٤٩٣/٨.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير:٤٢٥/٥.
(٤) التفسير الميسر:٣٣٦، وصفوة التفاسير:٢٦٥/٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٣٧٥/١.
(٦) تفسير الطبري:٦٢٩/١٨.
(٧) التفسير الميسر:١١٤/١٧.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٣٧٥/١.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٧٥/١.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٧/٣.
(١١) تفسير الطبري:٦٣٠/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٦٣٠/١٨.

قوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} [الحج : ٣٦]، أي:" لكم فيها نفع فى الدنيا كالركوب واللبن، وأجر فى الآخرة بنحرها والتصدق بها"[١].

قال الطبري:" يقول: لكم في البدن خير، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها، وفي الدنيا: الركوب إذا احتاج إلى ركوبها"[٢].

قال مجاهد:" أجر ومنافع في البدن"[٣].

قال إبراهيم:" اللبن والركوب إذا احتاج"[٤]. وقال:" إذا اضطررت إلى بدنتك ركبتها وشربت لبنها"[٥].

وقال إبراهيم:" من احتاج إلى ظهر البدنة ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب"[٦].

قوله تعالى:{فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ} [الحج : ٣٦]، أي:" فاذكروا اسم الله على البدن حين نحركم إياها قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقولوا: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وإليك"[٧].

قال الطبري:يقول:" فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم إياها صواف"[٨].

عن ابن عباس، قوله: "{صواف}، قال: قائمة، قال: يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، اللهم منك ولك"[٩].

عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: "قلت له: قول الله: {فاذكروا اسم الله عليها صواف}، قال: إذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها، وقل: الله أكبر، لا إله إلا الله، اللهم منك ولك، ثم سم ثم انحرها. قلت: فأقول ذلك للأضحية، قال: وللأضحية"[١٠].

قال ابن عباس:" الصواف: أن تعقل قائمة واحدة، وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك"[١١].

قال مجاهد:" الصواف: إذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث"[١٢].

عن عبد الله: "أنه كان ينحر البدن وهي قائمة مستقبلة البيت تصف أيديها بالقيود، قال: هي التي ذكر الله: {فاذكروا اسم الله عليها صواف}"[١٣].

قال بجير بن سالم: "رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته، قال: فقال: {صواف}، كما قال الله، قال: فنحرها وهي قائمة معقولة إحدى يديها"[١٤].

وروي عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم، أنهم قرءوا :«صوافي» بالياء منصوبة، بمعنى: خالصة لله لا شريك له فيها صافية له[١٥].

وعن ابن مسعود أنه قرأه: «صوافن»، بمعنى: معقلة[١٦].

---

(١) تفسير المراغي:١١٤/١٧.
(٢) تفسير الطبري:٦٣١/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٥) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٦) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٧) تفسير المراغي:١١٤/١٧.
(٨) تفسير الطبري:٦٣١/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٦٣٢/١٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٦٣٣/١٨.
(١١) أخرجه الطبري:٦٣٢/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٦٣٢/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٦٣٣/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٦٣٢/١٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٦٣٣/١٨-٦٣٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٦٣١/١٨.

قوله تعالى:{فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} [الحج : ٣٦]، أي:" فإذا سقطت وزهقت أرواحها ولم يبق لها حركة"[١].

قال الطبري:يقول:" فإذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر.. وهو من قولهم: قد وجبت الشمس: إذا غابت فسقطت للتغيب، ومنه قول أوس بن حجر[٢]:

ألم تكسف الشمس والبدر ... والكواكب للجبل الواجب

يعني بـ«الواجب»: الواقع"[٣].

عن ابن عباس، قوله: "{فإذا وجبت جنوبها}، قال: إذا نحرت"[٤].

عن مجاهد: "{فإذا وجبت جنوبها}، سقطت إلى الأرض"[٥].

قال ابن إسحاق:" إذا فرغت ونحرت"[٦].

قال ابن زيد:" فإذا ماتت"[٧].

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِنْهَا} [الحج : ٣٦]، أي:" فقد حل لكم أكلها"[٨].

قال إبراهيم:" المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين، فأكلوا منها، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل"[٩].

قال مجاهد:" إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، فهي بمنزلة: {وإذا حللتم فاصطادوا}"[١٠].

قوله تعالى:{وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} [الحج : ٣٦]، أي:" وأطعموا القانع المستغنى بما تعطونه وهو فى بيته بلا مسألة، والمعتر الذى يتعرض لكم، ويأتى إليكم لتطعموه من

وفي قوله تعالى:{وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} [الحج : ٣٦]، أقوال:

أحدها: أن القانع: الذي يسأل، والمعتر السائل الذي يتعرض ولا يسأل، رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس[١٢]، وبه قال سعيد بن جبير[١٣]، والكلبي[١٤]، واختاره الفراء[١٥].

قال الفراء:" القانع: الَّذِي يَسْأَلك فما أعطيته من شيء قبله، والمعتر: ساكت يتعرض لك عند الذبيحة، ولا يسألك[٢٦].

الثاني: أن القانع، المتعفف، والمعتر: السائل، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[١٧]، وبه قال مجاهد-في رواية[١٨]، وقتادة[١٩]، وإبراهيم النخعي[٢٠].

وروي عن الحسن كالقولين[١].

---

(١) تفسير المراغي:١١٤/١٧.

(٢)البيت لأوس بن حجر كما قال المؤلف. والجبل هنا: يريد به رجلا عظيما، والواجب الذي مات.

(٣) تفسير الطبري:٦٣٤/١٨-٦٣٥.[بتصرف]

(٤)أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨ .

(٥)أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨ .

(٦)أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨ .

(٧)أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨ .

(٨) تفسير المراغي:١١٤/١٧.

(٩) أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨.

(١٠) اخرجه الطبري:٦٣٥/١٨.

(١١) تفسير المراغي:١١٤/١٧.

(١٢) انظر: زاد المسير:٢٣٨/٣-٢٣٩.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:٦٣٨/١٨.

(١٤) انظر: تفسير الطبري:٦٣٨/١٨.

(١٥) انظر: معاني القرآن:٢٢٦/٢.

(١٦) معاني القرآن:٢٢٦/٢.

(١٧) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.

(١٨) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.

(١٩) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.

الثالث: أن القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتر: الذي يتعرض لك ويلم بك ولا يسأل، رواه العوفي عن ابن عباس[٢].

وروي عن إبراهيم ومجاهد: "القانع: الجالس في بيته، والمعتر: الذي يتعرض لك"[٣].

وعن سعيد بن جبير:" القانع: الذي يقنع، والمعتر: الذي يعتريك"[٤].

وقال مجاهد: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته، والمعتر: الذي يتعرض لك ولا يسألك"[٥].

قال القرظي:" القانع: الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به، والمعتر: الذي يمر بجانبك لا يسأل شيئا؛ فذلك المعتر"[٦].

قال ابن الجوزي:"فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي، ومن قال: هو المتعفف، قال: هو القانع بما عنده"[٧].

الرابع: القانع: أهل مكة، والمعتر: الذي يعتر بهم من غير أهل مكة، رواه خصيف عن مجاهد[٨].

الخامس: القانع: الجار وإن كان غنيا، والمعتر الذي يعتر بك، رواه ليث عن مجاهد[٩].

قال مجاهد:" القانع: جارك الغني، والمعتر: من اعتراك من الناس"[١٠].

وقال إبراهيم:" أحدهما السائل، والآخر الجار"[١١].

السادس: القانع: المسكين الذي يطوف، والمعتر: الصديق والضعيف الذي يزور، قاله زيد بن أسلم[١٢].

السابع: القانع: الطامع، والمعتر: الذي يعتر بالبدن. وهذا مروي عن مجاهد-في رواية-[١٣]، وعطاء[١٤].

الثامن: القانع: المسكين، والمعتر: الذي يعتر القوم للحمهم وليس بمسكين، ولا تكون له ذبيحة، يجيء إلى القوم من أجل لحمهم، والبائس الفقير: هو القانع. وهذا مروي عن ابن زيد أيضا[١٥].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل؛ لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع، المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعتر. وفي إتباع ذلك قوله: والمعتر، الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل، من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعا؛ ومنه قول لبيد[١٦]:

وأعطاني المولى على حين فقره ... إذا قال أبصر خلتي وقنوعي

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٦.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/٦٤٠.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٦٤٠.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٦٣٦.
(٦) أخرجه الطبري:١٨/٦٣٦.
(٧) انظر: زاد المسير:٣/٢٣٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٩.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨/٦٣٩.
(١١) اخرجه الطبري:١٨/٦٣٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٣٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٠.
(١٦)البيت للبيد كما قال المؤلف، ولم أجده في ديوانه طبعة ليدن سنة ١٨٩١. والخلة بالفتح: الحاجة والفقر. اللحياني: خلة به شديدة: أي خصاصة. والقنوع: السؤال، وقد شرحناه وبيناه في الشاهد الذي قبله.

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعتر: فإنه الذي يأتيك معترا بك لتعطيه وتطعمه"[١].

قال ابن قتيبة: " {القانع} السائل، يقال: قنع يقنع قنوعا؛ ومن الرضا قنع يقنع قناعة، و{المعتر} الذي يعتريك: أي يلم بك لتعطيه ولا يسأل. يقال: اعترني وعرني، وعراني واعتراني"[٢]..

وقال الزجاج: "مذهب أهل اللغة أن «القانع»: السائل، يقال: قنع الرجل قنوعا إذا سأل، فهو قانع، وأنشدوا للشماخ[٣]:

لمال المرء يصلحه فيغني. . . مفاقره أعف من القنوع

أي: أعف من السؤال، وقنع قناعة إذا رضي فهو قنع، والمعتر: الذي يعتريك فيطلب ما عندك، سألك إذ سئلت عن السؤال وكذلك المعتري"[٤].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج : ٣٦]، أي:" هكذا سخَّر الله البُدْن لكم، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم"[٥].

قال الطبري:" يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس. يقول: لتشكروني على تسخيرها لكم"[٦].

القرآن

{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)} [الحج : ٣٧]

التفسير:

لن ينال اللهَ مِن لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده، كذلك ذللها لكم -أيها المتقربون-؛ لتعظموا الله، وتشكروا له على ما هداكم من الحق، فإنه أهلٌ لذلك. وبشِّر -أيها النبي- المحسنين بعبادة الله وحده والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله {لن ينال الله لحومها ولا دماؤها}"[٧].

وحكي القرطبي عن ابن عباس: "كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية"[٨].

عن ابن جريج قال: "كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال: أصحاب النبي ﷺ فنحن أحق أن ننضح، فأنزل الله {لن ينال الله لحومها}"[٩].

قوله تعالى:{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} [الحج : ٣٧]، أي:" لن ينال اللهَ مِن لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده"[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٦٤٠.

(٢) غريب القرآن:٢٩٣.

(٣)ديوانه ص ٥٦، ومجاز القرآن:٢/٥١، وتفسير الطبري ١٨/٦٣٨، والجمهرة ٣/ ١٣٢ والقرطبي ١٢/ ٦٤ واللسان (قنع).

(٤) معاني القرآن:٣/٤٢٨-٤٢٩.[بتصرف بسيط]

(٥) التفسير الميسر:١٧/١١٤.

(٦) تفسير الطبري:١٨/٦٤٠.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦/٥٦، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه، وحكاه عنه القرطبي في التفسير:١٢/٦٥. وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن:٢٩٣.

(٨)تفسير القرطبي:١٢/٦٥.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦/٥٦، وعزاه إلى ابن ابي حاتم.

قال يحيى:" يقول: لا يصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها، وقد كان المشركون يذبحون لآلهتهم ثم ينضحون دماءها حول البيت، قوله: {ولكن يناله التقوى منكم} يصعد إليه التقوى منكم، يعني من آمن"[٢].

قال الطبري:يقول:" لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها، ولكن يناله اتقاؤكم إياه أن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه، وعملتم فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته"[٣].

قال الواحدي:" أَيْ: لن يصل إلى اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا {وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى منكم} أَيْ: النِّيَّةُ والإخلاص وما أريد به وجه الله تعالى"[٤].

قال الزجاج:" كانوا إذا ذبحوا لطخوا البيت بالدم، فأعلم الله - عز وجل - أن الذي يصل إليه تقواه وطاعته فيما يأمر به"[٥].

عن إبراهيم:" {ولكن يناله التقوى منكم}، قال: ما أريد به وجه الله"[٦].

قال ابن زيد:" إن اتقيت الله في هذه البدن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله تعظيما لشعائر الله ولحرمات الله، فإنه قال: {ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) قال (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه} قال: وجعلته طيبا، فذلك الذي يتقبل الله. فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟"[٧].

قال القشيري:" لا عبرة بأعيان الأفعال سواء كانت بدنية محضة، أو مالية صرفة، أو بما له تعلق بالوجهين، ولكن العبرة باقترانها بالإخلاص «١» ، فإذا انضاف إلى أكساب الجوارح إخلاص القصود، وتجردت عن ملاحظة أصحابها للأغيار صلحت للقبول، ويقال التقوى شهود الحق بنعت التفرد فلا يشاب تقربك بملاحظة أحد، ولا تأخذ عوضا على عمل من بشر"[٨].

وقرئت: «لن تنال الله لحومها»، بالتاء[٩].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} [الحج : ٣٧]، أي:" كذلك ذللها لكم -أيها المتقربون-؛ لتعظموا الله، وتشكروا له على ما هداكم من الحق، فإنه أهلٌ لذلك"[١٠].

قال الطبري:يقول:" يقول: هكذا سخر لكم البدن، كي تعظموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقه إياكم لدينه وللنسك في حجكم"[١١].

عن ابن زيد: "{لتكبروا الله على ما هداكم}، قال: على ذبحها في تلك الأيام"[١٢].

قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج : ٣٧]، أي:" وبشِّر -أيها النبي- المحسنين بعبادة الله وحده والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح"[١٣].

قال يحيى: أي:" بالجنة"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٦.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٧٩/١.
(٣) تفسير الطبري:٦٤١/١٨.
(٤) الوجيز:٧٣٤.
(٥) معاني القرآن:٤٢٩/٣.
(٦) اخرجه الطبري:٦٤١/١٨.
(٧) اخرجه الطبري:٦٤١/١٨.
(٨) لطائف الإشارات:٥٤٦/٢.
(٩) انظر: معاني القرآن للزجاج:٤٢٩/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٣٦.
(١١) تفسير الطبري:٦٤١/١٨.
(١٢) اخرجه الطبري:٦٤١/١٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٣٦.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٠/١.

قال الطبري:" يقول: وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة"[١].

قال مقاتل:" فمن فعل ما ذكر الله في هذه الآيات فقد أحسن"[٢].

قال القشيري:" «الإحسان» كما فى الخبر: «أن تعبد الله كأنك تراه..»[٣]، وأمارة صحته سقوط التعب بالقلب عن صاحبه، فلا يستثقل شيئا، ولا يتبرم بشيء"[٤].

فوائد الآيات:[٣٤-٣٧]:

١- ذبح القربان مشروع في سائر الأديان الإلهية وهو دليل على أنه لا إله إلا الله إذ وحدة التشريع تدل على وحدة المشرع.

وسر مشروعية ذبح القربان هو أن يذكر الله تعالى، ولذا وجب ذكر اسم الله عند ذبح ما يذبح ونحر ما ينحر بلفظ بسم الله والله أكبر.

٢- تعريف المخبتين أهل البشارة السارة برضوان الله وجواره الكريم.

٣- وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام.

٤- بيان كيفية نحر البدن، وحرمة الأخذ منها قبل موتها وخروج روحها.

٥- الندب إلى الأكل من الهدايا ووجوب إطعام الفقراء والمساكين منها.

٦- وجوب شكر الله على كل إنعام.

٧- مشروعية التكبير عند أداء المناسك كرمي الجمار وذبح ما يذبح وبعد الصلوات الخمس أيام التشريق.

٨- فضيلة الإحسان وفوز المحسنين ببشرى على لسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)} [الحج : ٣٨]

التفسير:

إن الله تعالى يدفع عن المؤمنين عدوان الكفار، وكيد الأشرار؛ لأنه عز وجل لا يحب كل خوَّان لأمانة ربه، جحود لنعمته.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج : ٣٨]، أي:" إن الله تعالى يدفع عن المؤمنين عدوان الكفار، وكيد الأشرار"[٥].

قال الطبري: يقول:" إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، وقيل: إنه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم"[٦].

قال الزجاج:" هذا يدل على النصر من عنده، أي فإذا دفعتم، أي فإذا فعلتم هذا، وخالفتم الجاهلية فيما تفعلونه في نحرهم، وإشراكهم بالله، فإن الله يدفع عن حزبه"[٧].

قال الحسن:" يدافع عنهم فيعصمهم من الشيطان في دينهم"[٨].

قال قتادة:" والله ما يضيع الله رجلا قط حفظ له دينه"[٩].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو:«إن الله يدفع»، بغير ألف[١٠].

---

(١) تفسير الطبري:٦٤١/١٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٨/٣.

(٣)قطعة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام -عن الإسلام والإيمان، والإحسان، أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان: ١ / ١١٤، ومسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم (٨) : ١ / ٣٦-٣٧.

(٤) لطائف الإشارات:٥٤٦/٢.

(٥) التفسير الميسر:٣٣٦.

(٦) تفسير الطبري:٦٤٢/١٨.

(٧) معاني القرآن:٤٢٩/٣.

(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٠/١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٥٨):ص٢٤٩٥/٨، ويحيى بن سلام في التفسير:٣٨٠/١. باختلاف يسير.

(١٠) انظر: السبعة في القراءات:٤٣٧.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج : ٣٨]، أي:" إنه تعالى لا يحب كل خوَّان لأمانة ربه، جحود لنعمته"(١).

قال الطبري: يقول:" إن الله لا يحب كل خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان، جحود لنعمه عنده، لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها"(٢).

قال الزجاج:" {خوان}، «فعال» من الخيانة، أي: من ذكر اسم غير الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو :«خوان كفور»"(٣).

عن سفيان قوله: "{إن الله لا يحب}، قال: لا يقرب"(٤).

قال مجاهد:" كل شيء في القرآن «كفور»، يعني به: «الكفار»"(٥).

عن الحسن في قوله: "{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا {٧٢} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} [الأحزاب: ٧٢-٧٣]، قال: هما اللذان ظلماها، هما اللذان خاناها: المنافق والمشرك"(٦).

القرآن

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)} [الحج : ٣٩]

التفسير:

كان المسلمون في أول أمرهم ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم، فلما بلغ أذى المشركين مداه وخرج النبي ﷺ من «مكة» مهاجرًا إلى «المدينة» ، وأصبح للإسلام قوة أَذِنَ الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان، وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإذلال عدوِّهم.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن القوم! فنزلت: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، الأية. وكان ابن عباس يقرأها: «أذن»، قال أبو بكر: فعلمت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال"(٧).

قال مجاهد:" خرج ناس مؤمنون مهاجرين من مكة إلى المدينة، فاتبعهم كفار قريش فأذن لهم في قتالهم، فأنزل الله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، الأية. فقاتلوهم"(٨).

عن عروة بن الزبير:" إن أول آية أنزلت في القتال حين ابتلى المسلمون بمكة وسطت بهم عشائرهم ليفتنوهم، عن الإسلام، وأخرجوهم من ديارهم وتظاهروا عليهم فأنزل الله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، الآية. وذلك حين أذن لرسوله بالخروج، وأذن لهم بالقتال"(٩).

قوله تعالى:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج : ٣٩]، أي:" أَذِنَ الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٦.[بتصرف]
(٢) تفسير الطبري:٦٤٢/١٨.
(٣) معاني القرآن:٤٢٩/٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٥٩):ص٢٤٩٦/٨
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٥٩):ص٢٤٩٦/٨
(٦) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٠/١.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦١):ص٢٤٩٦/٨.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦٢):ص٢٤٩٦/٨.
(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦٣):ص٢٤٩٦/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٣٧.

قال الطبري:يقول:" أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم"[١].

قال الزجاج:"أي: أذن لهم أن يقاتلوا بسبب ما ظلموا "[٢].

قال ابن عباس:" يعني محمدا وأصحابه إذا أخرجوا من مكة إلى المدينة"[٣].

عن سعيد بن جبير قوله: "{أذن للذين يقاتلون}، قال: النبي ﷺ وأصحابه بأنهم ظلموا يعني ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم من ديارهم"[٤].

قال ابن زيد:" أذن لهم في قتالهم، بعد ما عفى، عنهم عشر سنين"[٥].

وروي عن مجاهد، قوله:"{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، قال: ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، وكانوا يمنعون، فأدركهم الكفار، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم"[٦].

قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم {أذن للذين يقاتلون} بضم الألف أي اذن الله للذين يقاتلون ثم رد إلى ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون {آذن} بفتح الألف"[٧].

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج : ٣٩]، أي:" وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإذلال عدوّهم"[٨].

قال الطبري:يقول:" وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر، وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم"[٩].

قال الزجاج:"وعدهم الله النصر"[١٠].

قال ابن عباس:" وقد فعل"[١١].

القرآن

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)} [الحج : ٤٠]

التفسير:

الذين أُلجئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحده. ولولا ما شرعه الله من دَفْع الظلم الذي ينتفع به جميع أهل الأديان المنزلة، ورد الباطل بالقتال المأذون فيه لَهُزِم الحقُّ في كل أمة ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيرًا. ومن اجتهد في نصرة دين الله، فإن الله ناصره على عدوه. إن الله لَقوي لا يغالَب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم.

سبب نزول الآيتين:[٤٠-٤١]:

---

(١) تفسير الطبري:١٨/٦٤٢.

(٢) معاني القرآن:٣/٤٣٠.

(٣) اخرجه الطبري:١٨/٦٤٣.

(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦٥):ص٨/٢٤٩٦.

(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦٤):ص٨/٢٤٩٦.

(٦) أخرجه الطبري:١٨/٦٤٥.

(٧) انظر: حجة القراءات:٤٧٨.

(٨) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٩) تفسير الطبري:١٨/٦٤٥.

(١٠) معاني القرآن:٣/٤٣٠.

(١١) اخرجه الطبري:١٨/٦٤٣.

قال عثمان بن عفان-رضي الله عنه-: "فينا نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ}، والآية بعدها، أخرجنا من ديارنا بغير حق ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا، عن المنكر، فهي لي ولأصحابي"(١).

وروي عن ثابت بن عوسجة الخضيري قال:" حدثني سبعة وعشرون من أصحاب علي وعبد الله، منهم: لاحق بن الأقمر، والعيزار بن جرول، وعطية القرظي: إن عليا قال: إنما نزلت هذه الآية في أصحاب محمد : {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ}، قال: لولا دفع الله بأصحاب محمد، عن التابعين، {لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ}"(٢).

قوله تعالى:{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} [الحج : ٤٠]، أي:" الذين أُلجئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحده"(٣).

عن ابن عباس: "{الذين أخرجوا من ديارهم}، أي: من مكة إلى المدينة، {بغير حق}، يعني: محمدا ﷺ وأصحابه"(٤).

قال قتادة:": لما قال المسلمون: لا إله إلا الله، أنكرها المشركون وضاقها إبليس وجنوده"(٥).

قال الحسن: ما سفكوا لهم من دم، ولا أخذوا لهم من مال، ولا قطعوا لهم من رحم وإنما أخرجوهم لأنهم قالوا: ربنا الله كقوله: {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} [البروج: ٨] "(٦).

قوله تعالى:{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج : ٤٠]، أي:" ولولا ما شرعه الله من دَفْع الظلم الذي ينتفع به جميع أهل الأديان المنزلة، ورد الباطل بالقتال المأذون فيه لَهُزِم الحقُّ في كل أمة ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيرًا"(٧).

وفي قوله تعالى:{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} [الحج : ٤٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، وهذا قول ابن جريج(٨).
الثاني : ولولا دفع الله عن الدين بالمجاهدين ، وهذا قول ابن زيد(٩).
الثالث : ولولا دفع الله بالنبيين عن المؤمنين ، وهذا قول الكلبي(١٠).
الرابع : ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله -ﷺ-عمن بعدهم من التابعين ، وهذا قول علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-(١١).
الخامس : يدفع عن المؤمنين بدينهم ويدفع عن الكافرين بالمؤمنين. قاله يحيى بن سلام(١٢).
السادس: يبتلى المؤمن بالكافر، ويعافى الكافر بالمؤمن. قاله قتادة(١٣).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٦٧):ص٨/٢٤٩٦-٢٤٩٧.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٦٨):ص٨/٢٤٩٧.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٦٦):ص٨/٢٤٩٦.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٨٠.
(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٨٠-٣٨١.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٤/٢٩.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٦٨):ص٨/٢٤٩٧.
(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٣٨١.
(١٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٨١.

السابع: ولولا دفع الله بشهادة الشهود على الحقوق ، وهذا قول مجاهد[١].

قال مجاهد:" منع بعضهم ببعض في الشهادة وفي الحق، وفيما يكون مثل هذا يقول: لولا هذا لهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها"[٢].

الثامن : ولولا دفع الله على النفوس بالفضائل ، وهذا قول قطرب[٣].

التاسع : ولولا دفع الله عن المنكر بالمعروف. افاده الماوردي[٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفه المشركين بالمسلمين عن ذلك؛ ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم؛ ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سمى جل ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا"[٥].

وفي قوله تعالى:{صَوَامِعُ} [الحج : ٤٠]، قولان:

أحدها : أنها صوامع الرهبان ، وهذا قول ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]، وأبو العالية[٨]، وابن زيد[٩]، ورفيع[١٠]، والفراء[١١].

وروي عن الضحاك، قال:" وهي صوامع الصغار يبنونها"[١٢].

الثاني : أنها مصلى الصابئين ، وهو قول قتادة[١٣]، وابن قتيبة[١٤].

قال أبو الدرداء:" نعم صومعة الْمُؤمن بَيته يكف فِيهِ بَصَره وسَمعه وَقَلبه وَلسَانه وَيَده"[١٥].

وقرئ: «لهدمت»، بالتشديد، بمعنى: تكرير الهدم فيها مرة بعد مرة[١٦].

قال الطبري:" والتشديد في ذلك أعجب القراءتين إلي. لأن ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك"[١٧].

وفي قوله تعالى:{وَبِيَعٌ} [الحج : ٤٠]، قولان:

أحدهما : أنها مصلّى النصارى ، وهو قول قتادة[١٨]، وأبو العالية[١٩]، والضحاك[١]، رفيع[٢]، والفراء[٣]، وابن قتيبة[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٦٩):ص٢٤٩٧/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٦٩):ص٢٤٩٧/٨.
(٣) انظر: النكت والعيون:٢٩/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون:٢٩/٤.
(٥) تفسير الطبري:٦٤٧/١٨.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٠):ص٢٤٩٧/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٦٤٧/١٨.
(٨)(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٣):ص٢٤٩٧/٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٦٤٧/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦٤٧/١٨.
(١١) انظر: معاني القرآن:٢٢٧/٢.
(١٢) اخرجه الطبري:٦٤٨/١٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٤):ص٢٤٩٧/٨.
(١٤) انظر: غريب القرآن:٢٩٣.
(١٥) الفردوس بمأثوور الخطاب(٦٧٩٢):ص٢٦٩/٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٦٤٨/١٨.
(١٧) تفسير الطبري:٦٤٨/١٨.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٤):ص٢٤٩٧/٨.
(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٣):ص٢٤٩٧/٨.

الثاني : أنها كنائس اليهود، وهو قول ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، وابن زيد[٧].
والبيعة :"اسم أعجمي مُعَرَّب"[٨].
وقوله تعالى:{وَصَلَوَاتٌ} [الحج : ٤٠]، أربعة أقوال:
أحدها : أنها كنائس اليهود. وهذا قول ابن عباس[٩]، والضحاك[١٠]، وقتادة[١١]، والفراء[١٢]، وابن قتيبة[١٣].
قال الضحاك:" كنائس اليهود، ويسمون الكنيسة :«صلوتا»"[١٤].
قال الماوردي:" فعرب جمعها ، فقيل: صلوات"[١٥].
قال ابن قتيبة:" يريد بيوت صلوات، يعني كنائس اليهود"[١٦].
قال عاصم الحجدري:" «الصلوات»: دون «الصوامع».قال: وكيف تهدم الصلاة!"[١٧].
الثاني : أنها كنائس النصارى. قاله ابن عباس[١٨].
الثالث: أنها مسجد الصابئين، يسمونها «صلوات». قاله ابو العالية[١٩]، ورفيع[٢٠].
الرابع: أنها «صلوات» أهل الإسلام.- والمعنى: تنقطع الصلوات إذا دخل عليهم العدو فتنقطع العبادة من المساجد. كما صنع بختنصر. وهذا قول ابن زيد[٢١].
الخامس: أنها مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق. قاله مجاهد[٢٢].
وقال ابن عيسى: معناه: وتركت صلوات"[٢٣].
وقرئت :«صلاة»[٢٤].
وفي قوله تعالى:{وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج : ٤٠]، قولان:
احدهما: أنها مساجد المسلمين. قاله قتادة[٢٥]، ورفيع[٢٦]، والفراء[٢٧].
الثاني: أنها: الصوامع والبيع والصلوات. وهذا قول الضحاك[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٨.
(٣) انظر: معاني القرآن:٢/٢٢٧.
(٤) انظر: غريب القرآن:٢٩٣.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٠):ص٨/٢٤٩٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩.
(٨) النكت والعيون:٤/٣٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧١):ص٨/٢٤٩٧.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٤):ص٨/٢٤٩٧.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٢/٢٢٧.
(١٣) انظر: غريب القرآن:٢٩٣.
(١٤) أخرجه الطبري:١٨/٦٤٩.
(١٥) النكت والعيون:٤/٣٠.
(١٦) غريب القرآن:٢٩٣.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٢):ص٨/٢٤٩٧.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٠):ص٨/٢٤٩٧.
(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٣):ص٨/٢٤٩٧.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩.
(٢١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٥):ص٨/٢٤٩٧.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩-٦٥٠.
(٢٣) انظر: النكت والعيون:٤/٣٠.
(٢٤) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣/٤٣١.
(٢٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٠.
(٢٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٠.
(٢٧) انظر: معاني القرآن:٢/٢٢٧.

قال الضحاك:" يقول: في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا، ولم يخصّ المساجد"[٢].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدِّمت صوامع الرهبان وبِيَع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم، وما خالفه من القول وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه من وجهه إليه"[٣].

وفي قوله تعالى: {لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج : ٤٠]، وجهان من التفسير:

أحدهما : معناه: لهدمها الآن المشركون لولا دفع الله بالمسلمين ، وهو معنى قول الضحاك[٤].

عن الضحاك قوله: "{يذكر فيها اسم الله كثيرا}، يعني: في كل مما ذكر من: الصوامع والصلوات والمساجد، يقول: في كل هذا يذكر اسم الله ولم يخص المساجد"[٥].

الثاني : معناه: لولا أن الله - عز وجل - دفع بعض الناس ببعض لهدم في شريعة كل نبي المكان الذي كان يصلي فيه، فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى عليه السلام الكنائس التي كان يصلي فيها في شريعته، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد - ﷺ - المساجد. قاله الزجاج[٦].

وقال الفراء:" معنى «التهديم» أن الله قَالَ قبل ذَلِكَ {وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ}، يدفع بأمره وأتباعه عَن دين كل نبيّ إلى أن بعث الله محمدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلم"[٧].

قوله تعالى:{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} [الحج : ٤٠]، أي:" ومن اجتهد في نصرة دين الله، فإن الله ناصره على عدوه"[٨].

قال الطبري:يقول:" وليعينّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوّه؛ فنصْر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا"[٩].

قال الزجاج: " أي: من أقام شريعة من شرائعه، نصر على إقامة ذلك، إلا أنه لا يقام في شريعة نبي إلا ما أتي به ذلك النبي وينتهى عما نهى عنه"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج : ٤٠]، أي:" إن الله لَقوي لا يغالَب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم"[١١].

قال الطبري:يقول:" إن الله لقوي على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في ملكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب"[١٢].

قال ابن كثير:" وَصَف نفسه بالقوة والعزة ، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وبعزته لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، بل كل شيء ذليل لديه ، فقير إليه. ومن كان القويّ العزيز ناصرَه فهو المنصور ، وعدوه هو المقهور ، قال الله تعالى : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } [الصافات : ١٧١ - ١٧٣]، وقال الله تعالى : { كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [المجادلة : ٢١]"[١٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٠.
(٢)أخرجه الطبري:١٨/٦٥٠ .
(٣) تفسير الطبري:١٨/٦٥٠-٦٥١.
(٤)أخرجه الطبري:١٨/٦٥٠، و تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٦):ص٨/٢٤٩٧.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٦):ص٨/٢٤٩٧.
(٦) انظر: معاني القرآن:٣/٤٣١.
(٧) معاني القرآن:٢/٢٢٧.
(٨) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٩) تفسير الطبري:١٨/٦٥١.
(١٠) معاني القرآن:٣/٤٣١.
(١١) التفسير الميسر:٣٣٧.
(١٢) تفسير الطبري:١٨/٦٥١.
(١٣) تفسير ابن كثير:٥/٤٣٦.

القرآن

{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)} [الحج : ٤١]

التفسير:

الذين وعدناهم بنصرنا هم الذين إنْ مكَّنَّاهم في الأرض، واستخلفناهم فيها بإظهارهم على عدوهم، أقاموا الصلاة بأدائها في أوقاتها بحدودها، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها، وأمروا بكل ما أمر الله به مِن حقوقه وحقوق عباده، ونَهَوْا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله. ولله وحده مصير الأمور كلها، والعاقبة للتقوى.

قوله تعالى:{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} [الحج : ٤١]، أي:" الذين وعدناهم بنصرنا هم الذين إنْ مكَّنَّاهم في الأرض، واستخلفناهم فيها بإظهارهم على عدوهم، أقاموا الصلاة بأدائها في أوقاتها بحدودها، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها"(١).

قال الطبري:يقول" [الذين] إن وطنا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله ﷺ. يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له"(٢).

عن زيد بن أسلم قوله: "{الذين إن مكناهم في الأرض}، قال: أرض المدينة، {أقاموا الصلاة}، قال: المكتوبة، {وآتوا الزكاة}، قال: المفروضة"(٣).

عن أبي العالية قوله: "{الذين إن مكناهم في الأرض}، قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"(٤).

قال مقاتل:" يعني: أرض المدينة، وهم المؤمنون بعد القهر بمكة"(٥).

قال يحيى:" يعني: أصحاب النبي"(٦).

وقال محمد بن كعب:"هم الولاة"(٧).

عن قتادة قوله: "{الذين إن مكناهم في الأرض}، قال: هذا شرط الله على هذه الأمة"(٨).

قوله تعالى:{وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج : ٤١]، أي:" وأمروا بكل ما أمر الله به مِن حقوقه وحقوق عباده، ونَهَوْا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله"(٩).

قال الطبري:يقول" ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله، ونهوا عن الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله"(١٠).

قال يحيى:" {وأمروا بالمعروف}، بعبادة الله، {ونهوا عن المنكر}، عن عبادة الأوثان"(١١).

عن زيد بن أسلم قوله: "{وأمروا بالمعروف}: بلا إله إلا الله، {ونهوا عن المنكر}، قال: الشرك بالله"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٢) تفسير الطبري:٦٥١/١٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٧):ص٢٤٩٨/٨.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٠/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٣٨١/١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٨):ص٢٤٩٨/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨١):ص٢٤٩٨/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٧.
(١٠) تفسير الطبري:٦٥١/١٨.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٣٨١/١.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.

قال أبو العالية: "كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا إلى الله وحده وعبادته لا شريك له، وكان نهيهم أنهم نهوا، عن عبادة الشيطان وعبادة الأوثان"(١).

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج : ٤١]، أي:" ولله وحده مصير الأمور كلها، والعاقبة للتقوى"(٢).

قال زيد بن أسلم :" وعند الله ثواب ما صنعوا"(٣).

قال يحيى:" إليه تصير الأمور كقوله: {إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون} [مريم: ٤٠]"(٤).

قال الطبري:" يقول: ولله آخر أمور الخلق، يعني: أن إليه مصيرها في الثواب عليها، والعقاب في الدار الآخرة"(٥).

فوائد الآيات:[٣٨-٤١]:

١- وعد الله الصادق بالدفاع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم.

٢- كره الله تعالى لأهل الكفر والخيانة.

٣- مشروعية القتال لإعلاء كلمة الله بأن يعبد وحده ولا يضطهد أولياؤه.

٤- بيان سر الإذن بالجهاد ونصرة الله لأوليائه الذين يقاتلون من أجله.

٥- بيان أسس الدولة التي ورثّ الله أهلها البلاد وملكهم فيها وهي: إقام الصلاة - إيتاء الزكاة - الأمر بالمعروف- النهي عن المنكر.

القرآن

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)} [الحج : ٤٢ - ٤٤]

التفسير:

وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد سبقهم في تكذيب رسلهم قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب «مدين» الذين كذبوا شعيبًا، وكذَّب فرعون وقومه موسى، فلم أعاجل هذه الأمم بالعقوبة، بل أمهلتها، ثم أخذتُ كلا منهم بالعذاب، فكيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم، وتبديل ما كان بهم مِن نعمة بالعذاب والهلاك؟

قوله تعالى:{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ(٤٤)} [الحج : ٤٢-٤٤]، أي:" وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد سبقهم في تكذيب رسلهم قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب «مدين» الذين كذبوا شعيبًا"(٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدا ﷺ عما يناله من أذى المشركين بالله، وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السبّ والتكذيب: وإن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما آتيتَهم به من الحق والبرهان، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذّبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم، فلا يصدنك ذلك، فإن العذاب المهين من ورائهم ونصري إياك وأتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال. فقد كذبت

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٠):ص٢٤٩٨/٨.

(٢) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.

(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٨١/١.

(٥) تفسير الطبري:٦٥١/١٨.

(٦) التفسير الميسر:٣٣٧.

قبلهم يعني مشركي قريش؛ قوم نوح، وقوم عاد وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وهم قوم شعيب. يقول: كذب كلّ هؤلاء رسلهم"[١].

قوله تعالى: {وَكُذِّبَ مُوسَى} [الحج : ٤٤]، أي:" وكذَّب فرعون وقومه موسى"[٢].

قال الطبري:" ولم يقل: وقوم موسى، لأن قوم موسى بنو إسرائيل، وكانت قد استجابت له ولم تكذّبه، وإنما كذّبه فرعون وقومه من القبط، وقد قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة"[٣].

قوله تعالى:{فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ} [الحج : ٤٤]، أي:" فأمهلتهم ثم أخذتهم بالعقوبة"[٤].

قال الطبري:" يقول: فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب، ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء"[٥].

قال السمعاني:" أي: أمهلت للكافرين، والإمهال من الله هو الاستدراج والمكر"[٦].

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [الحج : ٤٤]، أي:" فكيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم، وتبديل ما كان بهم مِن نعمة بالعذاب والهلاك؟"[٧].

قال السمعاني:" أي: إنكاري، وإنكاره بالعقوبة"[٨].

قال الصابوني:" استفهام تقريري أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب ألم يكن أليماً؟ ألم أبدلهم بالنعمة نقمة، وبالكثرة قلة، وبالعمارة خراباً؟ فكذلك أفعل بالمكذبين من أهل مكة"[٩].

قال الطبري:" يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري ما كان بهم من نعمة وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم، ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا وهلاكا وبالعمارة خرابا؟ يقول: فكذلك فعلي بمكذّبيك من قريش، وإن أمليت لهم إلى آجالهم، فإني منجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم، فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : فكيف كان إنكاري عليهم، ومعاقبتي لهم ؟!

ذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه : { أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى } [النازعات : ٢٤] ، وبين إهلاك الله له أربعون سنة.

وفي الصحيحين عن أبي موسى ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه ، ثم قرأ : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } [هود : ١٠٢]»[١١]"[١٢].

القرآن

{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)} [الحج : ٤٥]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٣) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(٥) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨.
(٦) تفسير السمعاني:٤٤٣/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٨) تفسير السمعاني:٤٤٣/٣.
(٩) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨.
(١١)صحيح البخاري برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣).
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٣٧/٥.

فكثيرًا من القرى الظالمة بكفرها أهلكنا أهلها، فديارهم مهدَّمة خَلَتْ مِن سكانها، وآبارها لا يُستقى منها، وقصورها العالية المزخرفة لم تدفع عن أهلها سوء العذاب.

قوله تعالى:{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ} [الحج : ٤٥]، أي:" فكثيرًا من القرى الظالمة بكفرها أهلكنا أهلها"(١).

قال الطبري: يقول: " وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون؛ يقول: وهم يعبدون غير من ينبغي أن يُعبد، ويعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه"(٢).

قوله تعالى:{فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الحج : ٤٥]، أي:" خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف فهي مخربة مهدمة"(٣).

قال الطبري: " يقول: فباد أهلها وخلت، وخوت من سكانها، فخربت وتداعت، وتساقطت على عروشها؛ يعني على بنائها وسقوفها"(٤).

قال قتادة:" خربة ليس فيها أحد"(٥).

قال الضحاك:" خواؤها: خرابها، وعروشها: سقوفها"(٦).

قوله تعالى:{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ} [الحج : ٤٥]، أي:" وكم من بئر عطلت فتركت لا يستقى منها لهلاك أهلها"(٧).

قال الطبري: يقول: "ومن بئر عطلناها، بإفناء أهلها وهلاك وارديها، فاندفنت وتعطلت، فلا واردة لها ولا شاربة منها"(٨).

قال ابن كثير:" أي : لا يستقى منها ، ولا يَرِدُها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها"(٩).

عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: "{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ}، قال: التي قد تُرِكت. وقال غيره: لا أهل لها"(١٠).

عن قَتادة: "{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ}، قال: عطلها أهلها، تركوها"(١١).

عن الضحاك: "{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ}، قال: لا أهل لها"(١٢).

قوله تعالى:{وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} [الحج : ٤٥]، أي:" وكم من قصر مفرفوع البنيان أصبح خالياً بلا ساكن"(١٣).

قال الطبري:أي:" رفيع بالصخور والجصّ، قد خلا من سكانه، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم، فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم"(١٤).

قال الماوردي:" وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : وقصر مشيد مثلها معطل"(١٥).

وفي قوله تعالى:{وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} [الحج : ٤٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن «المشيد»: الحصين. وهو قول الكلبي(١)، ومنه قول امرىء القيس(٢):

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٢) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨.
(٣) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(٤) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨.
(٥) اخرجه الطبري:٦٥٢/١٨.
(٦) اخرجه الطبري:٦٥٢/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(٨) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨-٦٥٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥.
(١٠) أخرجه الطبري:٦٥٤/١٨.
(١١) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(١٣) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(١٤) تفسير الطبري:٦٥٢/١٨-٦٥٢.
(١٥) النكت والعيون:٣١/٤-٣٢.

وتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بِها جِذْعَ نَخْلَةٍ ... وَلا أُطُما إلا مَشيدًا بِجَنْدَل

الثاني : أن «المشيد»: الرفيع ، وهو قول قتادة[٣]، ومنه قول عدي بن زيد[٤]:

شادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْ ... سا فللطْيَر فِي ذُرَاهُ وُكُورُ

قال قتادة:" كان أهله شيَّدوه وحصَّنوه، فهلكوا وتركوه"[٥].

وعن الضحاك، قوله :" {وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}، يقول: طويل"[٦].

وقال مقاتل:" يعنى: طويلا في السماء ليس له أهل"[٧].

الثالث : أن «المشيد»: المجصص، و«الشيد»: الجص، وهو قول ابن عباس[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، وعكرمة[١٠]، ومجاهد[١١]، وعطاء[١٢]، ومنه قول الطرماح[١٣]:

كَحَبَّةِ المَاءِ بينَ الطَّيّ والشِّيد

قال جعفر بن برقان: "كنت أمشي مع عكرمة، فرأى حائط آجرّ مصهرج، فوضع يده عليه وقال: هذا المشيد الذي قال الله"[١٤].

قال عكرمة:" الجصّ بالمدينة يسمى الشيد"[١٥].

قال أبو عبيدة:{ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}، معناه:" زيّنته بالشّيد وهو الجص والجيّار والملاط"[١٦].

قال الزجاج:" أكثر ما جاء في مشيد من التفسير «مجصص»، و«الشيد»: الجص والكلس أيضا شيد، وقيل مشيد محصن مرتفع، والمشيد إذا قيل مجصص فهو مرتفع في قدره وإن لم يرتفع في سمكه، وأصل الشيد الجص والنورة، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مشيد"[١٧].

قال ابن كثير:" وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها ، فإنه لم يَحْمِ أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ، ولا إحكامه ولا حصانته ، عن حلول بأس الله بهم ، كما قال تعالى : { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ } [النساء : ٧٨]"[١٨].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٣١/٤.

(٢)البيت لامرئ القيس يصف السيل في معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي، ص ٣٣) قال شارحه: تيماء: مدينة. والأطم: البيت المسطح، ويروى " ولا أجما "، وهو بمعنى الأطم. يقول: لم يدع السيل بيتا مبينا بحصى وحجارة إلا هدمه إلا المشيد بجندل فإنه سلم لقوته.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٦٥٦/١٨.

(٤)البيت له في تفسير الطبري:٦٥٧/١٨، وتفسير القرطبي: ٧٤/١٢، والدر المنثور ٣٦١/٤، وغير منسوب في اللسان: ٢٣٠/٤.

(٥) اخرجه الطبري:٦٥٦/١٨.

(٦) اخرجه الطبري:٦٥٦/١٨.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣١/٣.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٨٢):ص٢٤٩٨/٨، ومسائل نافع بن الأزرق((٢٠) ش ي د [مشيد]):ص٤٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٦٥٥/١٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦٥٤/١٨-٦٥٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٦٥٥/١٨.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:٦٥٥/١٨.

(١٣)هذا عجز بيت من البسيط، من شواهد الطبري في التفسير:٦٥٦/١٨، وقال في اللسان: وحبب الماء بالكسر، وحببه وحبابه بالفتح: طرائقه والطي: الحجارة تبنى بها جدار البئر. والشيد، بكسر الشين: كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط، وبالفتح: المصدر تقول شاده يشيده شيدا: جصصه، وبناء مشيد: معمول بالشيد.

(١٤)أخرجه الطبري:٦٥٥/١٨ .

(١٥)أخرجه الطبري:٦٥٥/١٨ .

(١٦) مجاز القرآن:٥٣/٢.

والملاط: الطين الذي يجعل بين صافى البناء ويملط به الحائط (اللسان)

(١٧) معاني القرآن:٤٣٢/٣.

(١٨) تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥.

قال الطبري: والصواب:" عني بالـ«مشيد»: المجصص، وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الجصّ بعينه"[١].

قال الفراء:{ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}،"يجوز فِيهِ التشديد لأن التشييد بناء فهو يتطاول ويتردد"[٢].

وروى أبو روق عن الضحاك :"أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاصورا وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح، فلما حضروه مات صالح، فسمي حضرموت لأن صالحا لما حضره مات، فبنوا حاصورا وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا يقال له بلهنس بن جلاس بن سويد، وجعلوا وزيره سنحاريب بن سواده، فأقاموا دهرا وتناسلوا حتى نموا وكثروا، ثم أنهم عبدوا الأصنام فكفروا فأرسل الله إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان كان حمالا فيهم فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم"[٣].

القرآن

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)} [الحج : ٤٦]

التفسير:

أفلم يَسِر المكذبون من قريش في الأرض ليشاهدوا آثار المهلكين، فيتفكروا بعقولهم، فيعتبروا، ويسمعوا أخبارهم سماع تدبُّر فيتعظوا؟ فإن العمى ليس عمى البصر، وإنما العمى المُهْلِك هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار.

سبب النزول:

قال قتادة:" ذكر لنا أنها نزلت في عبد الله بن زائدة، يعني: ابن أم مكتوم"[٤].

قال ابن عباس ومقاتل: "لما نزل {وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى} [لإسراء:٧٢]، قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦]"[٥].

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [الحج : ٤٦]، أي:" أفلم يَسِر المكذبون من قريش في الأرض ليشاهدوا آثار المهلكين"[٦].

قال الواحدي:" حث على الاعتبار بحال من مضى من الأمم المكذبة"[٧].

قال ابن كثير:أي:" فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال"[٨].

قال الطبري:يقول:" أفلم يسيروا هؤلاء المكذّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذّبي رسل الله الذين خلوْا من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكَّروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذّب رسله، فينيبوا من عتوّهم وكفرهم"[٩].

---

(١) تفسير الطبري:٦٥٦/١٨.
(٢) معاني القرآن:٢٧٧/١.
(٣) الكشف والبيان:٢٧/٧.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٣):ص٢٤٩٨/٨.
(٥) حكاه عنهما القرطبي في التفسير:٧٧/١٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٧) التفسير الوسيط:٢٧٥/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥.[بتصرف]
(٩) تفسير الطبري:٦٥٧/١٨.

عن مالك بن دينار، قال : "أوحى الله تعالى إلى موسى ، عليه السلام ، أن يا موسى ، اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سِحْ في الأرض، واطلب الآثار والعبر، حتى تتخرق النعلان وتكسر العصا"[١].

وقال ابن أبي الدنيا : "قال بعض الحكماء : أحْيِ قلبك بالمواعظ ، ونَوِّره بالفِكْر ، ومَوِّته بالزهد ، وقَوِّه باليقين ، وذَلِّلْهُ بالموت، وقرِّره بالفناء، وبَصِّره فجائع الدنيا ، وحَذِّره صولةَ الدهر وفحش تَقَلُّب الأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره ما أصاب من كان قبله ، وسِرْ في ديارهم وآثارهم ، وانظر ما فعلوا ، وأين حَلُّوا ، وعَمَّ انقلبوا"[٢].

قوله تعالى:{فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج : ٤٦]، أي:" فيتفكروا بعقولهم، فيعتبروا"[٣].

قال الطبري:يقول:" ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحقّ {قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيَّنا"[٤].

قال الواحدي:أي:" يعلمون بها ما يرون من العبر، والمعنى: فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم"[٥].

قال ابن عباس: "أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام"[٦].

قوله تعالى:{أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الحج : ٤٦]، أي:" أو تكون لهم آذانٌ يسمعون بها المواعظ والزواجر"[٧].

قال الواحدي:أي:" أخبار الأمم المكذبة"[٨].

قال الطبري:" يقول: أو آذان تصغي لسماع الحقّ فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل"[٩].

قوله تعالى:{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج : ٤٦]، أي:" فإن العمى ليس عمى البصر، وإنما العمى المُهْلِك هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فإنها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم؛ ولكن تعمى قلوبهم التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته"[١١].

قال السمعاني:" معناه: أن العمى الضار هو عمى القلوب، وأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين، ومن المعروف في كلام الناس: ليس الأعمى من عمي بصره، وإنما الأعمى من عيت بصيرته"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : ليس العمى عمى البصر ، وإنما العمى عمى البصيرة ، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ، ولا تدري ما الخبر. وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى - وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة الأندلسي الشَّنْتَريني ، وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة[١٣]:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكر والاعتبار"، كما في تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥، والدر المنثور:٦١/٦.
(٢) نقلا عن تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٤) تفسير الطبري:٦٥٧/١٨.
(٥) التفسير الوسيط:٢٧٥/٣.
(٦) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٧٥/٣.
(٧) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.
(٨) التفسير الوسيط:٢٧٥/٣.
(٩) تفسير الطبري:٦٥٧/١٨-٦٥٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٣٧.
(١١) تفسير الطبري:٦٥٨/١٨.
(١٢) تفسير السمعاني:٤٤٥/٣.
(١٣) انظر: الابيات في قلائد العقيان، لابن خاقان:٢٦٤، ووفيات الأعيان:٩٤/٣،

يا مَن يُصيخُ إلى دَاعي الشَقَاء ، وقَد... نَادَى به الناعيَان : الشيبُ والكبَرُ
إن كُنتَ لا تَسْمَع الذكْرَى ، ففيم تُرَى... في رَأسك الوَاعيان : السمعُ والبَصَرُ؟
ليسَ الأصَمّ ولا الأعمَى سوَى رَجُل... لم يَهْده الهَاديان : العَينُ والأثَرُ
لا الدّهر يَبْقَى وَلا الدنيا ، وَلا الفَلَك الـ... أعلى ولا النَّيّران : الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
لَيَرْحَلَنّ عَن الدنيا ، وَإن كَرِها فرَاقها ، الثاويان : البَدْو والحَضَرُ"[١].

وذكر الماوردي في قوله تعالى:{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج : ٤٦]، وجهين[٢]:

أحدهما : أنها لا تعمى الأبصار عن الهدى ولكن تعمى القلوب عن الاهتداء .

والثاني : فإنها لا تعمى الأبصار عن الاعتبار ولكن تعمى القلوب عن الادّكار.

قال مجاهد:" لكل عين، يعني: لكل نفس أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه وعينان في قلبه لآخرته، فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه لم يضره عماه شيئا، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه لم ينفعه شيئا"[٣].

قال قتادة:" ما هذه الأبصار التي في الرؤوس فإنها جعلها الله منفعة وبلغة، وأما البصر النافع فهو في القلب"[٤].

وروي في الحديث: "ليس الأعمى من عمي بصره، الأعمى من عميت بصيرته"[٥].

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم:" إنما الدين بصره وسمعه في هذا القلب"[٦].

قال سهل بن عبدالله:" أليس من نور بصر القلب يغلب الهوى والشهوة، فإذا عمي بصر القلب عما فيه غلبت الشهوة وتواترت الغفلة، فعند ذلك يصير البدن متخطيا في المعاصي غير منقاد للحق بحال"[٧].

وحكي عن ابن عباس:" أنه دخل على معاوية بعدما عمي، وكان أبوه قد عمي في آخر عمره، وكذلك جده عبد المطلب، فقال له معاوية: ما لكم يا بني هاشم، تصابون في أبصاركم؟ فقال له ابن عباس: وما لكم يا بني أمية، تصابون في بصائركم"[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٣٩/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون:٣٢/٤.

(٣) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٢/١-٣٨٣، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٢/٤، والقرطبي في التفسير:٧٧/١٢.

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٣):ص٢٤٩٨/٨.

(٥)شعب الإيمان/ باب التوكل والتسليم ١٢٦/٢-١٢٧، رقم (١٣٧٢).
نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٥٢. ورواه أيضا: الديلمي في مسند الفردوس ٤٠٣/٣، رقم (٥٢٢٧) ، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ١٣٤/٣ بالضعف.
وانظر: كشف الخفاء ١٦٧/٢، تمييز الطب من الخبيث١٥٥.
ورواه ابن جراد، روى هذا الحديث عن عبد الله بن جراد، يعلى بن الأشدق، وقد قال ابن أبى حاتم: عبد الله بن جراد: لا يعرف، ولا يصح هذا الإسناد، ويعلى بن الأشدق ضعيف الحديث، وقال الذهبي: مجهول لا يصح خبره، لأنه من رواية يعلى بن الأشدق الكذاب عنه، وقال ابن عدي: يروي عن عمه عبد الله بن جراد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة منكرة، وهو وعمه غير معروفين.
وانظر: الجرح والتعديل ٢١/٥، الكامل لأبن عدي ٢٧٤٢/٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٠٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٤٥):ص١٣٦٤/٤.

(٧) تفسير التستري:١٠٨.

(٨) حكاه السمعاني في التفسير:٤٤٥/٣-٤٤٦.
وانظر الخبر في المعرف(ثلاثة مكتفيف في نسق):ص٥٨٩/١، وعيون الاخبار:٢٢٩/٢، والعقد الفريد:٩١/٤، والصناعتين:٣٢٣، ونكت الهميان في نكت العميان:١٦٢، وحدائق الازهار:٢، وغيرها.
وقيل :"إن عقيلا دخل على معاوية بعد كفّ بصره، فأجلسه معاوية معه على سريره ثم قال: أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم. فقال عقيل: وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصايركم. ثم دخل عتبة بن أبى سفيان عليهما، فوسّع له معاوية بينه وبين عقيل حتى جلس بينهما، فقال عقيل: من هذا الذى قرّبه أمير المؤمنين دونى؟ قال معاوية: هذا أخوك وابن عمّك عتبة. قال: أما إنّه إن كان أقرب إليك منّى فأنا أقرب إلى

قال الزجاج:" «القلب» لا يكون إلا في الصدر - ولكن جرى على التوكيد كما قال عز وجل : {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم} [آل عمران : ١٦٧]، وكما قال: {وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه} [الأنعام : ٣٨]، فالتوكيد جار في الكلام مبالغ في الإفهام "[١].

وفي قراءة عبد الله: «فإنَّهُ لا تَعْمَى الأبْصَارُ»[٢].

فوائد الآيات:[٤٢-٤٦]:

١- تكذيب الرسل والدعاة إلى الحق والخير سنة مطردة في البشر لها عواملها من أبرزها التقليد والمحافظة على المنافع المادية، وظلمات القلب الناشئة عن الشرك والمعاصي.

٢- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك الأمم والشعوب الظالمة بعد الإمهال لهم والإعذار.

٣- مشروعية طلب العبر وتصيدها من آثار الهالكين.

٤- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد. ومن هنا كان المفروض على العبد أن يحافظ على بصيرته أكثر من المحافظة على عينيه، وذلك بأن يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات، والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله.

القرآن

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)} [الحج : ٤٧]

التفسير:

ويستعجلك- أيها الرسول- كفار قريش -لشدة جهلهم- بالعذاب الذي أنذرتهم به لمَّا أصروا على الكفر، ولن يخلف الله ما وعدهم به من العذاب فلا بدَّ من وقوعه، وقد عجَّل لهم في الدينا ذلك في يوم «بدر» . وإن يومًا من الأيام عند الله -وهو يوم القيامة- كألف سنة مما تَعُدُّون من سني الدنيا.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في النضر بن الحارث القرشي يقول الله- تعالى-: {وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} في العذاب بأنه كائن ببدر، يعني: القتل"[٣].

قوله تعالى:{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} [الحج : ٤٧]، أي:" ويستعجلك- أيها الرسول- كفار قريش -لشدة جهلهم- بالعذاب الذي أنذرتهم به لمَّا أصروا على الكفر"[٤].

قال الطبري:يقول:" ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا، ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم، فقتلهم يوم بدر"[٥].

قال ابن كثير:" أي : هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر ، كما قال الله تعالى : { وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منك ومنه، وأنتما مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرض تحت سماء. قال عتبة: يا با يزيد أنت كما وصفت، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشرف ممّا ذكرت، وأمير المؤمنين عالم بحقّك، ولك عندنا ما تحبّ أكثر مما لنا عندك مما نكره. روى هذا الحديث صاحب كتاب العقد".

وانظر: كنز الدرر وجامع الغرر:٣١/٤، ومسالك الابصار في ممالك الأمصار:٣٦٤/٢٤-٣٦٥.

(١) معاني القرآن:٥٣٢/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٦٥٨/١٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣١/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٥) تفسير الطبري:٦٥٨/١٨.

السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأنفال : ٣٢] ، { وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ } [ص : ١٦]"[١].

عن قتادة قوله: "{ويستعجلونك بالعذاب}، قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة: اللهم إن كان هذا هو الحق من، عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم"[٢].

قوله تعالى:{وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} [الحج : ٤٧]، أي:" ولن يخلف الله ما وعدهم به من العذاب فلا بدَّ من وقوعه"[٣].

قال الطبري:يقول:" ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم، فقتلهم يوم بدر"[٤].

قال ابن كثير:" أي : الذي قد وَعَد ، من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه ، والإكرام لأوليائه "[٥].

قال الأصمعي : "كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاء عمرو بن عبيد ، فقال : يا أبا عمرو ، وهل يخلف الله الميعاد ؟ فقال : لا. فذكر آية وعيد ، فقال له : أمنالعجم أنت ؟ إن العرب تَعدُ الرجوع عن الوعد لؤما ، وعن الإيعاد كرما ، أومَا سمعتَ قول الشاعر[٦]:

لا يُرْهِبُ ابنَ العم منى سَطْوَتي... ولا أُخْتَتِي من سَطْوة المُتَهَدّد

فإنّي وَإن أوْعَدْتُه أوْ وَعَدْتُه... لَمُخْلِفُ إيعَادِي ومُنْجزُ مَوْعدي"[٧].

قوله تعالى:{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج : ٤٧]، أي:" وإن يومًا من الأيام عند الله -وهو يوم القيامة- كألف سنة مما تَعُدُّون من سني الدنيا"[٨].

قال ابن كثير:" أي : هو تعالى لا يَعجَل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه ، لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أجَّلَ وأنظَر وأملى "[٩].

قال إبراهيم:" ما طول ذلك اليوم على المؤمن، إلا كما بين الأولى والعصر"[١٠].

قال ابن عباس:" الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، فقد مضى منها ستة آلاف"[١١].

عن محمد بن سيرين، عن رجل من اهل الكتاب أسلم قال: "إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وجعل أجل الدنيا ستة أيام وجعل الساعة في اليوم السابع، فقد مضت الستة الأيام، وأنتم في اليوم السابع، فمثل ذلك مثل الحامل إذا دخلت في شهرها، ففي أية ساعة ولدت كان تماما"[١٢].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج : ٤٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة ، قاله ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٥/٤٤٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٤):ص٨/٢٤٩٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤) تفسير الطبري:١٨/٦٥٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٥/٤٤٠.
(٦)هو عامر بن الطفيل والبيت في اللسان مادة (ختأ) ، (وعد).
(٧) تفسير ابن كثير:٥/٤٤٠.
(٨) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٥/٤٤٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٦):ص٨/٢٤٩٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٧):ص٨/٢٤٩٩.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٨):ص٨/٢٤٩٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٨.

الثاني : أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة . وهذا مروي عن ابن عباس[٢]، ومجاهد أيضا[٣]، وعكرمة[٤].

قال أبو هريرة: "يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}"[٥].

وروي عن صفوان بن سليم إن رسول الله ﷺ قال: «فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء من المسلمين بنصف يوم. قيل: وما نصف اليوم؟ قال: خمسمائة عام» وتلا :{وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}"[٦].

فإن قيل: كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب إلى قوله: {وإن يوما عند ربك}؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا، فقيل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا. وإن يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟! فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قول الفراء[٧].

قال الزجاج:" ويدل على ذلك الحديث الذي يروى أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وجاء في حديث آخر تفسير هذا القول بخمسمائة عام"[٨].

والثاني: وإن يوما عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة، إلا أن الله تفضل عليهم بالإمهال، وغفر بالتوبة. وهذا قول الزجاج[٩].

القرآن

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)} [الحج : ٤٨]

التفسير:

وكثير من القرى كانت ظالمة بإصرار أهلها على الكفر، فأمهلتهم ولم أعاجلهم بالعقوبة فاغتروا، ثم أَخَذْتُهم بعذابي في الدنيا، وإليَّ مرجعهم بعد هلاكهم، فأعذبهم بما يستحقون.

قوله تعالى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ} [الحج : ٤٨]، أي:" وكثير من القرى كانت ظالمة بإصرار أهلها على الكفر، فأمهلتهم ولم أعاجلهم بالعقوبة"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: أمهلت لها فلم أعجل عليها بالعذاب، {وهي ظالمة}"[١١].

قال يحيى:" { أَمْلَيْتُ لَهَا}، إلى الوقت الذي أخذتها فيه، {وهي ظالمة} مشركة، يعني: أهلها"[١٢].

قال الطبري:" يقول: أمهلتهم وأخَّرت عذابهم، وهم بالله مشركون، ولأمره مخالفون، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جلّ ثناؤه، فلم أعجل بعذابهم"[١٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٨-٦٥٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٩.
(٥) أخرجه الطبري:١٨/٦٥٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٩):ص٨/٢٤٩٩.
(٧) انظر: معاني القرآن:٢/٢٢٨.
(٨) معاني القرآن:٣/٤٣٣.
(٩) انظر: معاني القرآن:٣/٤٣٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٣٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٣١.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:١/٣٨٣.
(١٣) تفسير الطبري:١٨/٦٦٠.

قوله تعالى:{ثُمَّ أَخَذْتُهَا} [الحج : ٤٨]، أي:" ثم أخَذْتُهم بعذابي في الدنيا"[١].
قال يحيى:" يعني: بالعذاب"[٢].
قال الطبري:" يقول: ثم أخذتها بالعذاب، فعذّبتها في الدنيا بإحلال عقوبتنا بهم"[٣].
قوله تعالى:{وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ} [الحج : ٤٨]، أي:" وإليَّ مرجعهم بعد هلاكهم، فأعذبهم بما يستحقون"[٤].
قال مقاتل:" يقول: إلى الله يصيرون"[٥].
قال يحيى:" في الآخرة"[٦].
قال الطبري:" يقول: وإليّ مصيرهم أيضا بعد هلاكهم، فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له؛ يقول تعالى ذكره: فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركي قومك، وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم، فإني آخذهم بالعذاب، فقاتلهم بالسيف، ثم إليّ مصيرهم بعد ذلك فموجعهم إذن عقوبة على ما قدّموا من آثامهم"[٧].

القرآن
{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)} [الحج : ٤٩ - ٥١]
التفسير:
قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس ما أنا إلا منذر لكم مبلِّغ عن الله رسالته. فالذين آمنوا بالله ورسوله، واستقر ذلك في قلوبهم، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم عند الله عفو عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة. والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات القرآن بالتكذيب مشاقين مغالبين، أولئك هم أهل النار الموقدة، يدخلونها ويبقون فيها أبدًا.
قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الحج : ٤٩]، أي:" قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس ما أنا إلا منذر لكم مبلِّغ عن الله رسالته"[٨].
قال الطبري:" قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتباعا منهم لكل شيطان مريد: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا، وعذابه في الآخرة أن تصلوه، أبين لكم إنذاري ذلك وأظهره، لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك، لا أملك لكم غير ذلك، فأما تعجيل العقاب وتأخيره الذي تستعجلونني به، فإلى الله ليس ذلك إليّ، ولا أقدر عليه"[٩].
قال ابن كثير:" أي : إنما أرسلني الله إليكم نذيرًا لكم بين يدي عذاب شديد، وليس إلي من حسابكم من شيء، أمركم إلى الله، إن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره عنكم، وإن شاء تاب على من يتوب إليه، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار، و{لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [الرعد: ٤١]"[١٠].
قال مقاتل:" يعني: كفار مكة، {إنما أنا لكم نذير مبين}، يعني: بين"[١١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٣/١.
(٣) تفسير الطبري:٦٦٠/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣١/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٣/١.
(٧) تفسير الطبري:٦٦٠/١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٩) تفسير الطبري:٦٦٠/١٨-٦٦١.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٤١/٥.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣١/٣.

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الحج : ٥٠]، أي:" فالذين آمنوا بالله ورسوله، واستقر ذلك في قلوبهم، وعملوا الأعمال الصالحة"(١).

قال ابن كثير:" أي : آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم"(٢).

قوله تعالى:{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الحج : ٥٠]، أي:" لهم عند الله عفو عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة"(٣).

قال الطبري:" يقول: لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، يقول: ورزق حسن في الجنة"(٤).

قال ابن كثير:" أي : مغفرة لما سلف من سيئاتهم ، ومجازاة حَسَنةٌ على القليل من حسناتهم"(٥).

قال ابن جُرَيج، قوله: "{فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، قال: الجنة"(٦).

قال محمد بن كعب القرظي: "إذا سمعت الله يقول: رزق كريم فهي الجنة"(٧).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [الحج : ٥١]، أي:" والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات القرآن بالتكذيب مشاقين مغالبين"(٨).

قال الطبري:" يقول: والذين عملوا في حججنا فصدّوا عن اتباع رسولنا، والإقرار بكتابنا الذي أنزلناه"(٩).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو :{مُعَجِزِينَ}، بغير ألف، وقرأ الباقون:«مُعَاجِزِينَ»، فمن قرأ: {مُعَجِزِينَ}، ففي تفسيره أربعة وجوه:

أحدها : مثبطين لمن أراد اتباع النبي-ﷺ-، وهو قول ابن الزبير، والسدي(١١).

روي عروة بن الزبير:" أنه كان يعجب من الذين يقرءون هذه الآية :«والذين سعوا في آياتنا معاجزين»، قال: ليس «معاجزين» من كلام العرب، إنما هي :«معجزين»، يعني: مثبطين"(١٢).

الثاني : معناه: مبطِّئين، يبطِّئون الناس عن اتباع النبيّ ﷺ، وهذا قول مجاهد(١٣).

الثالث : مكذبين ، حكاه ابن شجرة(١٤).

الرابع : مَعَجِزِينَ لمن آمن بإظهار تعجيزة في إيمانه. حكاه الماوردي(١٥).

ومن قرأ «مُعَاجِزِينَ»، ففي تفسيره ستة وجوه:

أحدها : مشاقين. قاله ابن عباس(١٦).

الثاني : مراغمين. قاله ابن عباس أيضا(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٤١/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤) تفسير الطبري:٦٦١/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٤١/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٦٦١/١٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٩٠):ص٢٥٠٠/٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٩) تفسير الطبري:٦٦١/١٨.
(١٠) انظر: السبعة في القراءات:٤٣٩.
(١١) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٩٣):ص٢٥٠٠/٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٩٤):ص٢٥٠٠/٨، وتفسير الطبري:٦٦٢/١٨.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.
(١٥) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٦٦١/١٨.

الثالث: متسارعين. حكاه ابن شجرة[٢].
الرابع : معاندين. قاله قطرب[٣].
الخامس : معناه: كذبوا بآيات الله فظنوا أنهم يعجزون الله، ولن يعجزوه. قاله قتادة[٤].
وقال الحسن:" يظنون أنهم يعجزونا فيسبقوننا في الأرض حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم"[٥].
وقال السدي:"مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً "[٦].
السادس: مثبطين الناس عن الإيمان بالقرآن، يعني كفار مكة. وهذا قول مقاتل[٧].
قال الطبري: "والقراءاتان متقاربتا المعنى؛ وذلك أن من عجز عن آيات الله، فقد عاجز الله، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطِّئون الناس عن الإيمان بالله، واتباع رسوله، ويغالبون رسول الله ﷺ، يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه، وقد ضمن الله له نصره عليهم، فكان ذلك معاجزتهم الله. فإذ كان ذلك كذلك، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك"[٨].
قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [الحج : ٥١]، أي:" أولئك هم أهل النار الموقدة، يدخلونها ويبقون فيها أبدًا"[٩].
قال ابن كثير:" وهي النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكالها ، أجارنا الله منها"[١٠].
قال يحيى:" «الجحيم»: اسم من أسماء جهنم"[١١].
فوائد الآيات:[٤٧-٥١]:
١- العجلة من طبع الإنسان ولكن استعجال الله ورسوله بالعذاب حمق وطيش وضلال وكفر.
٢- ما عند الله في الملكوت الأعلى يختلف تماماً عما في هذا الملكوت السلفي.
٣- عاقبة الظلم وخيمة وفي الخبر الظلم يترك الديار بلاقع أي خراباً خالية.
٤- بيان مهمة الرسل وهي البلاغ مع الإنذار والتبشير ليس غير.
٥- بيان مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

القرآن
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)} [الحج : ٥٢]
التفسير:
وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوساوس والشبهات؛ ليصدَّ الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه، لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وساوسه، ويثبت آياته الواضحات. والله عليم بما كان ويكون، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره.
سبب النزول:

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٩١):ص٨/٢٥٠٠.
(٢) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٦٦١/١٨.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٣/١.
(٦) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٣١/٣-١٣٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٦٦٢/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٤١/٥.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٣/١.

عن سعيد بن جبير قال: "لما نزلت هذه الآية: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى}، قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فسجد رسول الله ﷺ. فقال المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} ... إلى قوله: {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}"[1].

---

(١)أخرجه الطبري١٨/٦٦٦، وابن أبي حاتم(١٣٩٩٨):ص٨/٢٥٠٠-٢٥٠١، وهو مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له:
١ - ما أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٢/٥٣ - ح: ١٢٤٥) والبزار وابن مردويه والضياء (فتح القدير: ٣/ ٤٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧/١١٥) .
٢ - ما أخرجه ابن جرير (١٨/٦٦٤-٦٦٥) عن أبي العالية مرسلا بإسناد صحيح نحوه.
٣ - ما أخرجه الطبراني (المعجم الكبير: ٩/٢١ - ح: ٨٣١٦) عن عروة بن الزبير مرسلا بمعناه، وضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧/٧٠ - ٧٢) .
٤ - ما أخرجه ابن جرير (١٨/٦٦٣-٦٦٤) عن محمد بن كعب مرسلا مطولا بمعناه، وإسناده ضعيف.
قال الحافظ ابن كثير: "ولم أرها مسندة من وجه صحيح" (تفسير ابن كثير: ٥/٤٤١،) ووافقه الشوكاني (فتح القدير: ٣/ ٤٦٢) إلا أن الحافظ ابن حجر قال: كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا (لباب النقول: ١٥٠) .
قلت: وهو كذلك، إلا أنها وإن ثبتت نقلا، فهي باطلة عقلا وشاذة متنا، لأنها قدح في الرسالة.
وقد تعرض القاضي عياض ، رحمه الله ، في كتاب "الشفاء" لهذا ، وأجاب:
"فاعلم ، أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين :
أحدهما : في توهين أصله. والثانى : على تسليمه.
أما المأخذ الأول : فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل.. وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم.
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه فى الصلاة ، وآخر يقول : قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر بقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك ، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي - ﷺ - قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : "والله ما هكذا أنزلت".
إلى غير ذلك من اختلاف الرواة.
ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية.
والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فيما أحسب - الشك في الحديث أن النبي - ﷺ - كان بمكة وذكر القصة.
قال أبو بكر البزار : هذا لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس.
فقد بين لك أبو بكر ، رحمه الله ، أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه.
أما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار ، رحمه الله.
والذي منه في الصحيح : أن النبي ﷺ قرأ "والنجم" وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من طريق النقل.
أما من جهة المعنى ، فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ، ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي ﷺ أن من القرأن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل - عليه السلام - ، وذلك كله ممتنع في حقه ﷺ.
أو يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمدا وذلك كفر ، أو سهوا وهو معصوم من هذا كله.
ووجه ثان : هو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا ، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام ، متناقض الأقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي ﷺ ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك.

قال ابن الجوزي-بعد ان ذكر الخبر-:" قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح، لأن رسول الله ﷺ معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى: أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله عز وجل: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت : ٢٦]"[١].

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج : ٥٢]، أي:" وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوساوس والشبهات؛ ليصدَّ الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج : ٥٢]، قولان[٣]:
أحدهما : أن الرسول والنبي واحد ، ولا فرق بين الرسول والنبي ، وإنما جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر ، والرسل تعم الملائكة والبشر .
والقول الثاني : أنهما مختلفان ، وأن الرسول أعلى منزلة من النبي .

واختلف قائل هذا في الفرق بين الرسول والنبي على ثلاثة أقوال[٤]:
أحدها : أن الرسول هو الذي تتنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي يوحى إليه في نومه.
الثاني: أن النبي الرسول هو من أنزل عليه كتاب وشرع مستقل يدعو الناس إليه، والنبي المرسل -الذي هو غير الرسول- هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة كما قال تعالى: {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا} [المائدة: ٤٤].
الثالث: أن الرسول هو الذي أرسله الله تعالى، وهو مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه، والنبي هو المنبأ عن الله، فالله ينبئه بالغيب، وهو ينبئ الناس بالغيب. وقريب من هذا القول قول

وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه!!

ووجه ثالث : أنه قد علم من عادة المنافقين ، ومعاندي المشركين ، وضعفة القلوب ، والجهلة من المسلمين ، نفورهم لأول وهلة ، وتخليط العدو على النبي ﷺ لأقل فتنة ، وتعيرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة...ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة.

ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت :{وإن كادوا ليفتنونك.. }،الآيتين.

وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه ؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه ، حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم.

فمضمون هذا ومفهومه : أن الله تعالى عصمه من أن يفتري ، وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال ﷺ : افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له ، وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى : " ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء ".

وأما المأخذ الثاني : فهو مبني على تسليم الحديث لو صح. وقد أعاذنا الله من صحته ، ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين.

ثم ذكر الأجوبة على ذلك (١١١/٢ - ١١٤) وممن أنكرها الإمام ابن خزيمة وقال : "هذا من وضع الزنادقة" وهذا هو الصواب.

وللاستزادة : انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص - ٣١٤ لمحمد أبي شهبة ، ونصب المجانيق لإبطال قصة الغرانيق لمحمد ناصر الدين الألباني.

(١) زاد المسير:٢٤٥/٣.

(٢) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٣) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤-٣٥.

(٤) انظر: "النكت والعيون" للماوردي ٤/ ٣٦، "تفسير الرازي" ٢٣/ ٤٦، "فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ١٨/ ٧، "روح المعاني" للألوسي ١٧/ ١٧٢ - ١٧٣، "أضواء البيان" للشنقيطي ٥/ ٧٣٥.

من قال: النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، والرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه.

وهذا الأخير أضعف الأقوال، قال الشنقيطي معللًا عدم صحة هذا القول-: "لأن قوله {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} الآيه يدل على أنكلًا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير"[١].

قوله تعالى:{إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج : ٥٢]، قولان:

أحدهما: أن يكون «تمنَّى» بمعنى: «قرأ»، و «الأمنية»: بمعنى: «القراءة». قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، والضحاك[٤]، وهو قول الأكثرين[٥].

وهو معنى قد يصح، وقد ورد استعمال اللفظ فيه؛ قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنهما[٦]:

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أوَّلَ لَيلهِ ... وآخِرَه لاقى حِمامَ المقادِرِ

وقال آخر[٧]:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ آخرَ ليلِه... تَمَنَّى دَاوُدَ الزَّبُورَ علَى رِسْلِ

أي: تلا كتاب الله مترسلا فيه كما تلا داود الزبور مترسلا فيه[٨].

قال القاسمي:" إن الإلقاء لا يكون على المعنى الذي ذكروه، بل على المعنى المفهوم من قولك :«ألقيتُ في حديث فلان»، إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه، ولا يكون قد أراده. أو نسبت إليه ما لم يقله تعللا بأن ذلك الحديث يؤدى إليه. وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق، يتبعون الشبهة، ويسعون وراء الريبة، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان لأنه مثير الشبهات بوساوسه، مفسد القلوب بدسائسه، وكل ما يصدر من أهل الضلال يصح أن ينسب إليه. ويكون المعنى: وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا حدث قومه عن ربه، أو تلا وحيًا أنزل إليه في هدى لهم، قام في وجهه مشاغبون، يحولون ما يتلوه عليهم عن المراد منه. ويتقوّلون عليه ما لم يقله، وينشرون ذلك بين الناس، ليبعدوهم عنه، ويعدلوا بهم عن سبيله، ثم يحق الله الحق ويبطل الباطل[٩].

وقال ابن عاشور:" وعندي في صحة إطلاق لفظ الأمنية على القراءة شك عظيم، فإنه وإن كان قد ورد تمنى بمعنى قرأ في بيت نسب إلى حسان بن ثابت إن صحت رواية البيت عن حسان على اختلاف في مصراعه الأخير[١٠]:

تمنى كتاب الله أول ليله ... تمني داود الزبور على مهل

فلا أظن أن القراءة يقال لها أمنية.

---

(١) أضواء البيان:٥/ ٧٣٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٦٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٦٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٦٧-٦٦٨.

(٥) انظر: زاد المسير:٣/٢٤٥.

(٦)البيت في "ديوانه" ص ٢٩٤ قاله في رثاء عثمان بن عفان، وينظر "تفسير ابن عطية" ١/ ١٦٩، "القرطبي" ٢/ ٥، وقيل: هو لحسان بن ثابت كما في "تفسير أبي حيان" ٦/ ٣٨٦، وليس في "ديوانه"، وبلا نسبة في "لسان العرب" ٧/ ٤٢٨٤، و"مقاييس اللغة" ٥/ ٢٧٧، وكتاب "العين" ٨/ ٣٩٠. ينظر "المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية"، للدكتور/ أميل بديع يعقوب ٣/ ٣٧٠. وحمام المقادر: الموت.

(٧) البيت ورد في اللسان: ١٥/ ٢٩٤، مادة (منى)، وقد نسبه ابن منظور إلى حسان.

وقد ورد غير دون نسبة بلفظ: فيه:« تمنى كتاب الله آخر ليله..». انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس:٢/١٥١، وغرائب التفسير:٢/٧٦٤، والإبانة في اللغة العربية:٢/٣٢٣، والمحرر الوجيز:٤/١٢٨، وغيرها.

(٨) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣/٤٣٥.

(٩) انظر: محاسن التاويل:٧/٢٦٤-٢٦٥.

(١٠) سبق تخريجه.

ويجوز أن يكون المعنى: أن النبيء إذا تمنى هدي قومه أو حرص على ذلك فلقي منهم العناد، وتمنى حصول هداهم بكل وسيلة ألقى الشيطان في نفس النبيء خاطر اليأس من هداهم عسى أن يقصر النبيء من حرصه أو أن يضجره، وهي خواطر تلوح في النفس ولكن العصمة تعترضها فلا يلبث ذلك الخاطر أن ينقشع ويرسخ في نفس الرسول ما كلف به من الدأب على الدعوة والحرص على الرشد. فيكون معنى الآية على هذا الوجه ملوحا إلى قوله تعالى: {وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ} [الأنعام: ٣٥]"[١].

والقول الثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله ﷺ تمنى يوما أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه، فألقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمناه، قاله قتادة[٢]، ومحمد بن كعب القرظي[٣].

عن قتادة:" أن النبيّ ﷺ كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته، فقال: إن الآلهة التي تدعي أن شفاعتها لترتجى وإنها للغرانيق العلى. فنسخ الله ذلك، وأحكم الله آياته"[٤].

قال الطبري:" "«التمني»، يعني: التلاوة والقراءة قاله الضحاك. وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقي الشيطان يقول الله تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله"[٥].

قوله تعالى:{فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج : ٥٢]، أي:" لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وساوسه، ويثبت آياته الواضحات"[٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج : ٥٢]، أي:" والله عليم بما كان ويكون، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره"[٧].

القرآن

{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣)} [الحج : ٥٣]

التفسير:

وما كان هذا الفعل مِنَ الشيطان إلا ليجعله الله اختبارًا للذين في قلوبهم شك ونفاق، ولقساة القلوب من المشركين الذين لا يؤثِّرُ فيهم زجر. وإن الظالمين مِن هؤلاء وأولئك في عداوة شديدة لله ورسوله وخلافٍ للحق بعيد عن الصواب.

قوله تعالى:{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} [الحج : ٥٣]، أي:" وما كان هذا الفعل مِنَ الشيطان إلا ليجعله الله اختبارًا للذين في قلوبهم شك ونفاق، ولقساة القلوب من المشركين الذين لا يؤثِّرُ فيهم زجر"[١].

---

(١) التحرير والتنوير:١٧/٢٩٩-٣٠٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٦٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٦٣-٦٦٤.
(٤) أخرجه الطبري:١٨/٦٦٩.
(٥) تفسير الطبري:١٨/٦٦٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٨.

قال الطبري:"يقول: فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثُم يُحكم الله آياته، كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل، كقول النبيّ ﷺ: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق، وذلك الشكّ في صدق رسول الله ﷺ وحقيقة ما يخبرهم به، وللذين قست قلوبهم عن الإيمان بالله، فلا تلين ولا ترعوي، وهم المشركون بالله "[٢].

قال قتادة: "لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير، ففرحوا بذلك، فذكر قوله: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}"[٣].

عن ابن جُرَيج: "{وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ}، قال: المشركون"[٤].

قوله تعالى:{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الحج : ٥٣]، أي:" وإن الظالمين مِن هؤلاء وأولئك في عداوة شديدة لله ورسوله وخلافٍ للحق بعيد عن الصواب"[٥].

قال الطبري:"يقول: وإن مشركي قومك يا محمد لفي خلاف الله في أمره، بعيد من الحق"[٦].

القرآن

{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤)} [الحج : ٥٤]

التفسير:

وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه، فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم. وإن الله لهادي الذين آمنوا به وبرسوله إلى طريق الحق الواضح، وهو الإسلام ينقذهم به من الضلال.

قوله تعالى:{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} [الحج : ٥٤]، أي:" وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه"[٧].

قال مكي:" أي: نسخ ما ألقى الشيطان ليعلم الذين أتوا العلم بالله أنه الحق من ربك. أي: أن الذي أنزله إليه هو الحق، لا ما نسخ مما ألقى الشيطان"[٨].

قال الطبري:يقول:" وكي يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد"[٩].

قال ابن كثير:" أي : وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل ، المؤمنون بالله ورسوله ، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك ، الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره ، بل هو كتاب حكيم ، { لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت : ٤٢]"[١٠].

عن ابن جريج: "{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}، قال: يعني: القرآن"[١١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٢) تفسير الطبري:٦٦٩/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٦٦٩/١٨.
(٤) أخرجه الطبري:٦٦٩/١٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٦) تفسير الطبري:٦٦٩/١٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٨) الهجاية غلى بلوغ النهاية:٤٩١٨/٧.
(٩) تفسير الطبري:٦٧٠/١٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٤٦/٥.
(١١) أخرجه الطبري:٦٧٠/١٨.

قال القشيري:" إذا أراد الله بعبده خيرا أمده بنور التحقيق، وأيده بحسن العصمة، فيميز بحسن البصيرة بين الحق والباطل فلا يظله غمام الريب، وينجلى عنه غطاء الغفلة، فلا تأثير لضباب الغداة فى شعاع الشمس عند متوع النهار"[١].

قوله تعالى:{فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} [الحج : ٥٤]، أي:" فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم"[٢].

قال الطبري:يقول:" يقول: فيصدّقوا به، فتخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه"[٣].

قال مكي:" أي: فيصدقوا بهف، تخضع للقرآن قلوبهم وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يصدقوه وينقادوا له، { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ }، أي : تخضع وتذل"[٥].

قال سهل بن عبدالله:" صدق الإيمان وحقيقته يورث الإخبات في القلب، وهو الرقة والخشية والخشوع في القلب وطول التفكر وطول الصمت، وهذا من نتائج الإيمان، لأن الله تعالى يقول: {فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم} ، والله سبحانه وتعالى أعلم"[٦].

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج : ٥٤]، أي:" وإن الله لهادي الذين آمنوا به وبرسوله إلى طريق الحق الواضح، وهو الإسلام ينقذهم به من الضلال"[٧].

قال الطبري:يقول:" وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحقّ القاصد والحقِّ الواضح، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله، فلا يضرّهم كيد الشيطان، وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم"[٨].

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه ، ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه ، وفي الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم ، الموصل إلى درجات الجنات ، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات"[٩].

قال مكي:" أي: المرشد المؤمنين إلى الطريق القاصد والحق الواضح، فينسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ، فلا يضرهم كيد الشيطان شيئاً.

وقيل: المعنى: لهاديهم إلى طريق الجنة في الآخرة.

وقيل: المعنى: لهاديهم إلى الثبات على الإيمان في بقية أعمارهم"[١٠].

القرآن

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)} [الحج : ٥٥]

التفسير:

ولا يزال الكافرون المكذبون في شك مما جئتهم به من القرآن إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، وهم على تكذيبهم، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه، وهو يوم القيامة.

---

(١) لطائف الإشارات:٥٥٥/٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٣) تفسير الطبري:٦٧٠/١٨.
(٤) الهجاية غلى بلوغ النهاية:٤٩١٨/٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٤٦/٥.
(٦) تفسير التستري:١٠٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٨) تفسير الطبري:٦٧٠/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٤٦/٥.
(١٠) الهجاية غلى بلوغ النهاية:٤٩١٨/٧.

قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} [الحج : ٥٥]، أي:" ولا يزال الكافرون المكذبون في شك مما جئتهم به من القرآن إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، وهم على تكذيبهم"(١).

قال الطبري:يقول:" يقول: لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم ساعة حشر الناس لموقف الحساب فجأة"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن الكفار : أنهم لا يزالون في مرية ، أي : في شك وريب من هذا القرآن"(٣).

وفي قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ} [الحج : ٥٥]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أي: في شك من ذكر قول النبيّ ﷺ: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. وهذا قول سعيد بن جبير(٤).

قال ابن زيد:" مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة"(٥).

الثاني: أي: في شك من ذكر سجود النبيّ ﷺ في النجم. وهذا قول سعيد بن جبير أيضا(٦).

الثالث: في شك من القرآن. قاله ابن جريج(٧).

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أقرب منه من ذكر قوله: {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} والهاء من قوله «أنه» من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في قوله: {ففِي مِرْيَةٍ مِنْهُ} بالهاء من قوله: {أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أولى من إلحاقها بما التي في قوله {مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ}، مع بُعد ما بينهما"(٨).

قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج : ٥٥]، أي:" أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه، وهو يوم القيامة"(٩).

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج : ٥٥]، قولان:

أحدهما : يوم القيامة ، قاله الحسن(١٠)، وعكرمة(١١)، والضحاك(١٢).

عن ساسان، قال: "سألت الضحاك، عن قوله: {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}، قال: عذاب يوم لا ليلة بعده"(١٣).

عن عكرمة: "أن يوم القيامة لا ليلة له"(١٤).

وقال الحسن:"يعني: الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه"(١٥).

قال ابن كثير:" وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به ، لكن هذا هو المراد"(١٦).

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٢) تفسير الطبري:٦٧١/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٤٦/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٦٧٠/١٨-٦٧١.
(٥) اخرجه الطبري:٦٧١/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٦٧٠/١٨-٦٧١.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٦٧٠/١٨-٦٧١.
(٨) تفسير الطبري:٦٧١/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٨.
(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٥/١، و ابن كثير في التفسير:٤٤٦/٥.
(١١) أخرجه الطبري:٦٧٢/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٦٧١/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٦٧١/١٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٦٧٢/١٨.
(١٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٥/١.
(١٦) تفسير ابن كثير:٤٤٦/٥.

الثاني : يوم بدر ، قاله أبيّ بن كعب[١]، وسعيد بن جبير[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤].

قال الثعلبي:" وهو الصواب لأن الساعة هي القيامة، ولا وجه لأن يقال: حتى تأتيهم القيامة وإنما سمي يوم بدر عقيما لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء"[٥].

قال الطبري:" وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب، وهو ما ذكرنا. في معناه.

فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له، فلا ينظرون فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء"[٦].

وفي«العقيم»، ثلاثة وجوه:

أحدها : الشديد ، قاله الحسن[٧].

وروي عن مجاهد، في قوله:{ يَوْمٍ عَقِيمٍ}، قال:"يوم عظيم"[٨].

ذكر الثعلبي:" لأنه لم يكن فيه رأفة ولا رحمة"[٩].

الثاني: أنه الذي ليس له مثيل ولا عديل لعظم امره، لقتال الملائكة فيه. حكاه الثعلبي[١٠].

الثالث : أن يكون «العقيم» هو الذي يجدب الأرض ويقطع النسل. أفاده الماوردي[١١].

القرآن

{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧)} [الحج : ٥٦ - ٥٧]

التفسير:

المُلك والسلطان في هذا اليوم لله وحده، وهو سبحانه يقضي بين المؤمنين والكافرين. فالذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، لهم النعيم الدائم في الجنات. والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأنكروا آيات القرآن، فأولئك لهم عذاب يخزيهم ويهينهم في جهنم.

قوله تعالى:{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الحج : ٥٦]، أي:" المُلك والسلطان في هذا اليوم لله وحده"[١٢].

قال مقاتل: "يعني: يوم القيامة لا ينازعه فيه أحد واليوم في الدنيا ينازعه غيره في ملكه"[١٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.
(٥) الكشف والبيان:٣١/٧.
(٦) تفسير الطبري:٦٧٢/١٨-٦٧٣.
(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٥/١، وانظر: النكت والعيون:٣٧/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.
(٩) الكشف والبيان:٣١/٧.
(١٠) انظر: الكشف والبيان:٣١/٧. ونسبه الماوردي:٣٧/٤، والبغوي:٢٤٧/٣، إلى يحيى بن سلام.
(١١) انظر: النكت والعيون:٣٧/٤.
(١٢) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٤/٣.

قال الطبري: يقول:" السلطان والمُلك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع"[١].

قال البغوي:" يعني: يوم القيامة، {لله} وحده من غير منازع"[٢].

قال القاسمي:"{يَوْمَئِذٍ}، أي: يوم تزول مريتهم لله وحده، بحيث لا يكون لأحد تصرف لا حقيقة ولا صورة"[٣].

قال الثعلبي:" الملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، والله سبحانه وتعالى هو الذي يملك الأمور كلها، وكل ملك سواه فهو مملك بحكمه وإذنه"[٤].

قوله تعالى:{يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} [الحج : ٥٦]، أي:" وهو سبحانه يقضي بين المؤمنين والكافرين"[٥].

قال الطبري: يقول:" يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين"[٦].

قال السمعاني:" أي: يقضي بينهم"[٧].

قال السعدي:"بحكمه العدل، وقضائه الفصل"[٨].

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الحج : ٥٦]، أي:" فالذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، لهم النعيم الدائم في الجنات"[٩].

قال الطبري: يقول:" فالذين آمنوا بهذا القرآن، وبمن أنزله، ومن جاء به، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ منازع، وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : آمنت قلوبهم ، وصدقوا بالله ورسوله ، وعملوا بمقتضى ما علموا ، وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم، {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }، أي : لهم النعيم المقيم ، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد"[١١].

قال السعدي:" نعيم القلب والروح والبدن، مما لا يصفه الواصفون، ولا تدركه العقول"[١٢].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الحج : ٥٦]، أي:" والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأنكروا آيات القرآن"[١٣].

قال مقاتل:يعني:" بالقرآن بأنه ليس من الله- عز وجل-"[١٤].

قال الطبري: يقول:" والذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله، وقالوا: ليس ذلك من عند الله، إنما هو إفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : كفرت قلوبهم بالحق ، وجحدوا به وكذبوا به ، وخالفوا الرسل ، واستكبروا عن اتباعهم "[١].

---

(١) تفسير الطبري:٦٧٣/١٨.
(٢) تفسير البغوي:٣٩٦/٥.
(٣) محاسن التأويل:٢٧٠/٧.
(٤) الكشف والبيان:٣١/٧.
(٥) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٦) تفسير الطبري:٦٧٣/١٨.
(٧) تفسير السمعاني:٤٥١/٣.
(٨) تفسير السعدي:٥٤٣.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١٠) تفسير الطبري:٦٧٣/١٨.
(١١) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٥.
(١٢) تفسير السعدي:٥٤٣.
(١٣) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٤/٣.
(١٥) تفسير الطبري:٦٧٣/١٨.

قال السعدي:"{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} بالله ورسله وكذبوا بآياته الهادية للحق والصواب فأعرضوا عنها، أو عاندوها"[٢].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [الحج : ٥٧]، أي:" فأولئك لهم عذاب يخزيهم ويهينهم في جهنم"[٣].

قال مقاتل: "يعني: الهوان"[٤].

قال الطبري: يقول:" يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين، يعني عذاب مذلّ في جهنم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق ، كقوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر : ٦٠]، أي : صاغرين"[٦].

قال السعدي:" لهم، من شدته، وألمه، وبلوغه للأفئدة كما استهانوا برسله وآياته، أهانهم الله بالعذاب"[٧].

فوائد الآيات:[٥٢-٥٧]:

١- بيان سنة الله في إلقاء الشيطان في قراءة الرسول أو النبي للفتنة.

٢- بيان أن الفتنة يهلك فيها مرضى القلوب وقساتها، ويخرج منها المؤمنون أكثر يقيناً وأعظم هدىً.

٣- بيان أن الله سبحانه مالك يوم الدين وملكه:

فالملك في ذلك اليوم العظيم لله وحده لا ينازعه فيه أحد من ملوك الأرض وجبابرتها:

- قال تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: ٤].
- وقال تعالى: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [الأنعام: ٧٣].
- وقال تعالى: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} [الحج: ٥٦].
- وقال تعالى: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان: ٢٦].
- وقال تعالى: {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر: ١٦].

وقد جاء ما يبين ذلك من السنة الشريفة:

- فعن عبد الله بن مسعود قال:"جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! أو يا أبا القاسم! إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر، تصديقاً له، ثم قرأ: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزُّمر: ٦٧]"[٨].
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض"[٩].
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين

---

(١) تفسير ابن كثير:٥/٤٤٧.
(٢) تفسير السعدي:٥٤٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٣٤.
(٥) تفسير الطبري:١٨/٦٧٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٥/٤٤٧.
(٧) تفسير السعدي:٥٤٣.
(٨)رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٩)رواه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون"[1].

فهل يجيبه أحد من طغاة الأرض وفراعنتها، كلا بل الجميع خاشعون صامتون {وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨].

ومن الرحمة للخلق أن الله سبحانه هو الملك الوحيد يوم القيامة لأنه الذي يحاسب بالعدل ولا يظلم ولا يجور:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصّلت: ٤٦]، وقال: {وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء: ٤٧]

٤- بيان حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة بإكرام أهل الإيمان والتقوى وإهانة أهل الشرك والمعاصي.

٥- ظهور مصداق ما أخبر به تعالى عن مجرمي قريش فقد استمروا على ريبهم حتى هلكوا في بدر.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الرابع والعشرون من التفسير، ويليه الجزء الخامس والعشرون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٥٨) من سورة «الحج».

---

(١)رواه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).